



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الحاج لخضر. جامعة باتنة 1



نيابة العمادة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

الأبعاد الدعوية لغزوات النبي ﷺ من خلال صحيح البخاري

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية
تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

إشراف الأستاذة الدكتورة:

نورة بن حسن

إعداد الطالب:

حواس جابري

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
حسين شرفة	أستاذ	باتنة 1	رئيسا
نورة بن حسن	أستاذ	جامعة باتنة 1	مقررا
صحراوي مقلاطي	أستاذ	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا
سعيدة عباس	أستاذ محاضراً	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا
زكية منزل غرابية	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينية	عضوا مناقشا
وحيدة بوفدح بديسي	أستاذ محاضراً	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020-2021 م / 1441 هـ - 1442 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدى هذا العمل المتواضع إلى كل المجاهدين و
الدعاة إلى سبيل الله على بصيرة من أجل إعلاء
كلمة الله والتمكين لدينه.

الشكر والتقدير

بعد حمد الله حمداً كثيراً لحييا مباركا فيه ملء السموات والأرض وملء ما شاء من شيء بعد، على توفيقه وامتنانه، وفضله وإحسانه، أتقدم بالشكر الجزيل لوالديَّ الكريمين، كما ربياني صغيرا سائلا الرب الرحيم أن يصيل أعمارهم على لصاعته، وأن يرزقني برهما وخفض الجناح لهما.

كما أشكر صاحبة الفضل الكبير على بعد الله تعالى الأستاذة الدكتورة نورة بن حسن الراعية لهذه الأبروجة منذ كانت فكرة إلى أن كتب الله لهما أن تعرض للمناقشة.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر لزوجتي التي لصالما شجعتني على إتمام دراستي، وتحملت عنى عبء الاهتمام برعاية الأولاد ومتابعة دراستهم. والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين تفضلوا بقبول مناقشة رسالتي، فأسأل الله أن ينفعنى بتوجيهاتهم، وأن يجعل ذلك فى ميزان حسناتهم. وأعمم الشكر لكل من أسدى إلى مساعدة أو مساندة، ولو بكلمة لحيية.

محبتكم العبد الفقير حواس جابري

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونثني عليه الخير كله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، أرسله ربه بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الإنسانيّة من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الواحد الأحد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة وسعادة الدنيا والآخرة، وعلى آله، وصحبه الذين استجابوا لدعوته، وتأهبوا لنصرته، وبذلوا من أجلها كل غال ونفيس، فنصر الله بهم الملة وبلغ بهم الدعوة، فأُنعم بالدّاعية والمدعوين.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد ختم دعوات الأنبياء، والمرسلين عليهم السّلام بدعوة النبي ﷺ، فهي أعظم الدّعوات على الإطلاق؛ بما تميزت به من مميزات، وبما اختصت به من خصائص تمكّنها من الخلود، والهيمنة على الزمان والمكان.

فهي تستدعي بهذه الاعتبارات التأمل، والدّراسة بعمق لاستكشاف أبعادها، ومعرفة العوامل الحقيقيّة التي تقف وراء نجاحها.

والذي يتتبع تاريخ حركة هذه الدّعوة في كل مراحلها؛ يمر بأبعاد دعويّة كثيرة بالغة الأهميّة في مجال العمل الدّعوي النبوي، التي لم تختف من الحياة الدّعوية من مبدئها إلى منتهاها.

ومن تلك المجالات الحيويّة للدّعوة مجال الغزوات، الذي يستمد أهميته من امتداه الزماني والمكاني، فقد شغلت فترة الغزوات كل المرحلة المدنيّة تقريبا، وتمكّنت الدّعوة من خلالها أن تتحرك خارج المدينة؛ بل خارج الجزيرة، وصاحب هذا التوسع استهداف فئات جديدة من المدعوين على اختلاف طبائعهم.

وقد جاءت هذه الدّراسة لتتولى الكشف عن أهم الأبعاد الدّعوية لهذا المجال من خلال مرويات الغزوات الواردة في صحيح البخاري برؤيّة موضوعيّة شاملة؛ محاولة الإجابة عن الإشكاليّة التّاليّة:

إشكالية البحث:

شهدت الدعوة الإسلامية عقب الهجرة النبوية تحولات كبرى شملت جميع أبعادها؛ بما يتناسب مع طبيعة المرحلة الجديدة التي تستدعي استعدادات، وإمكانات مكافئة للتحديات الدعوية التي أفرزتها البيئة الدعوية الحديثة.

فدخلت بذلك الدعوة عهداً جديداً صاحبه تغير في خارطة المدعوين، وتنوع في التحديات الداخلية والخارجية؛ مما استدعى تطوراً في المنظومة التشريعية، وهذا ما يظهر بوضوح في القرآن المدني؛ حيث لم يعد يركز على الأبعاد العقدية، والأخلاقية فحسب - شأن القرآن المكي -، بل تجاوز ذلك إلى مجالات أخرى طالت جميع الأبعاد الحيوية التي تتطلبها الدعوة في هذه المرحلة. ولعل من أبرز ما أفرزه التطور في تاريخ التشريع الدعوي الإذن بالقتال، الذي يعد نقطة انعطاف حاسمة في البعد الحركي للدعوة الإسلامية، حيث انتقلت الدعوة بموجبه من تحاشي الاصطدام والمجاهمة إلى مواجهة أعداء الدعوة وصد عدوانهم، بالقدر الذي يحقق الأبعاد المقاصدية للدعوة الإسلامية.

ومن ثمّ تبين الأهمية الدعوية لغزوات النبي ﷺ، وما في محيطها من سرايا وبعوث، فقد أدرك ذلك الرّعيل الأول من هذه الأمة؛ فأولوها جانباً عظيماً من عنايتهم، وتبعهم من جاء بعدهم، فصنّفوا في جمع المغازي، وتعددت مناهجهم في ذلك وتنوّعت؛ ليحفظوا بذلك جزءاً مهماً من السُّنة النبوية التي تُعد بلا شك من المصادر الأصلية التي تركز عليها الدعوة.

وكان من هؤلاء الإمام البخاري الذي اهتم بمروياتها وأفرد لها كتباً وأبواباً في صحيحه، وليس هذا فحسب بل استنبط منها أبعاداً دعوية عظيمة ضمنها تراجمه على مروياتها وفق منهجه.

ومن أجل معرفة هذه الأبعاد الدعوية لمرويات المغازي في الصحيح وفق منهج الإمام البخاري، والاستفادة منها في خدمة الدعوة الإسلامية، والمساهمة في ترشيد العمل الدعوي في العصر الراهن، تأتي هذه الدراسة لتجيب عن الإشكالية التالية، وما يتفرع عنها من تساؤلات:

ما هي الأبعاد الدعوية لغزوات النبي ﷺ من خلال صحيح البخاري التي تضمنتها مرويات

المغازي وتراجمه عليها؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

ما المراد بالأبعاد الدعوية في الدراسة؟

ما المراد بالغزوات، فهل تقتصر على المعركة، أم أنها تمتد إلى ما يحيط بها من مقدمات ونتائج؟

ما علاقة صحيح الإمام البخاري، وتبويه بالأبعاد الدعوية في الغزوات؟

ما الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمضامين الدعوية العقديّة والتشريعيّة؟

ما هي الأبعاد المتعلقة بالدّاعية والمدعو في الغزوات؟

ما هي الأساليب الدعوية وظفها النبي ﷺ في الغزوات؟

ما هي المقاصد الدعوية التي حققتها الغزوات؟

دوافع وأسباب اختيار الموضوع:

لقد حفزني للبحث في هذا الموضوع دوافع وأسباب كثيرة، يمكن أن أقسمها إلى دوافع ذاتيّة، وأسباب موضوعيّة.

أما الأسباب الموضوعيّة التي دفعتني لبحث هذا الموضوع أوجزها فيما يلي:

1. قلة الدراسات الدعوية الأكاديميّة المتعلقة بصحيح البخاري.
 2. عدم استفادة الدراسات السابقة من المنهج الفقهي الموضوعي للإمام البخاري الذي يتجلى في تراجمه في خدمة الدعوة الإسلاميّة.
 3. غياب الطرح الدعوي الموضوعي لمرويات المغازي في الصّحيح؛ وهذا من شأنه أن يؤثر على الأبعاد الدعوية التي يمكن أن تستفاد منها.
 4. قلة الدراسات الدعوية الأكاديميّة الشاملة لكل الغزوات النبوية.
 5. ندرة الدراسات الدعوية التي تركز على مصادر التّشريع الدعوي الأصليّة.
- أمّا الدّوافع الذاتيّة فأجملها في الآتي:

1. تعلقي الشّديد بالدراسات الدعوية ذات الصّلة بالسيرة النبوية، منذ انتسابي لكلّيّة العلوم الإسلاميّة.
2. حرصي على التّأصيل الدعوي الدّاتي، وهذا في تقدير من أولويات الباحث المهتم بالدعوة، حيث تُعتبر الاستعدادات العلميّة والمعرفيّة بداية جوّدة الفعل الدعوي لدى الباحث الذي يعد على الأقل مشروعاً لداعيّة الغد.
3. رغبتني في المشاركة في تحقيق التّكامل المعرفي بين علم الدعوة الإسلاميّة وغيرها من العلوم الإسلاميّة.
4. نيل شرف المساهمة في خدمة الدعوة الإسلاميّة، وترشيدها انطلاقاً من أمّهات كتب التّراث كصحيح الإمام البخاري.

أهداف الدِّراسة:

ترمي الدِّراسة لتحقيق جملة من الأهداف أخصها فيما يلي:

1. الكشف عن الأبعاد الدعوية الرسالية لمرويات المغازي في الصحيح.
2. إبراز الأبعاد الدعوية السلوكية المتعلقة بالداعية والمدعو من خلال الغزوات.
3. التعرف على المناهج الدعوية وتطبيقاتها في ميدان المغازي.
4. التوصل إلى أهم المقاصد الدعوية العامة والخاصة.
5. إظهار القيمة الدعوية لتراجم البخاري على روايات المغازي .

أهميَّة الموضوع:

تتجلى أهميَّة موضوع الدِّراسة في جوانب عدة، يمكن أن أجمالها في النقاط التَّالية:

1. الأهميَّة المرجعيَّة: من الجوانب التي تَسْتَمِدُّ منها الدِّراسة قيمتها، وأهميتها المرجعيَّة تعلقها بصحيح البخاري، فهو أصح كتاب بعد كتاب الله من حيث المرويات، وأغزر كتب الحديث فقها من حيث دقة تراجمه التي يجعلها عناوين للأبواب، فالعمل الدَّعوي بأمس الحاجة إلى الروافد المرجعيَّة الأصليَّة، وما ينبثق عنها من تراكمات معرفيَّة، واجتهادات دعويَّة.
2. الأهميَّة الحركيَّة والاجتماعيَّة: وذلك بكون الدِّراسة تتناول الجانب الدَّعوي في مجال حيوي من السِّيرة النَّبويَّة، وهو مجال المغازي الذي مَكَّن الدَّعوة الإسلاميَّة أن تتحرك في اتجاهات مختلفة، وتصل إلى فئات دعويَّة متنوعة، وهي جوانب غايَّة في الأهميَّة في تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة.

3. الأهميَّة التكامليَّة: مما يؤكد أهميَّة الدِّراسة كونها دراسة ذات بعد تكاملي، فهي تسعى لتفعيل آليَّة التكامل المعرفي بين علم الدَّعوة، وعلمي السِّيرة والحديث النَّبوي؛ باعتبار أن العهد النَّبوي هو الفترة النَّموذجية المرجعيَّة في تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة، تتحاكم إليها الحركات الإصلاحية والدَّعوية، وتستلهم منها مقومات النجاح، وتستنير بها في مجابهة التَّحديات.

4. الأهميَّة المعرفيَّة: لما كانت الدَّعوة كعلم مستقل عن غيره من العلوم الإسلاميَّة لم تنضج كثير من قضاياها، ولما كان من العلوم الإنسانيَّة فهو في حالة تجدد مستمر، فهو بحاجة إلى مواكبة تأصيليَّة لتلك القضايا على ضوء أصول الدَّعوة الأصليَّة، وهذه الدِّراسة تسعى لسد الممكن من هذا الجانب المهم من خلال مرويات المغازي في الصَّحيح وتراجم البخاري عليه، فاتحة آفاق الترشيد المعرفي للدَّعوة الإسلاميَّة من خلال تراث الأمة.

5. الأهمية الثقافية: على الرغم من كون الدراسات الأكاديمية تستهدف في الغالب النخبة من القراء، فإن هذا لا يعني أن عامة المثقفين لا يستفيدون منها، فهذه الدراسة يجد فيها المثقف ما يغطي بعض القيم الثقافية لديه، فهي تمكنه من التعرف على الكثير من القضايا الدعوية، وتجعله يدرك بسهولة القيمة العلمية لصحيح البخاري، ومنهجه في التعامل مع الحديث النبوي الصحيح؛ ذلك أن طريقته في عرض الأحاديث وترتيبها واستنباط الفقه منها تكاد تخفى على كثير من المثقفين فضلا عن العامة، وإبراز هذه الأهمية من صميم العمل الدعوي، وإن بدت في الظاهر أنها بعيدة عنه.

6. الأهمية الدعوية والحضارية: إن للدراسة أهمية حضارية؛ لكونها تسعى لإبراز القيم، والأبعاد الإنسانية، والحقوقية للدعوة الإسلامية المنبثقة من خصائصها الرسالية العالمية التي تركز عليها لتتضح نحو الشهود الحضاري، من خلال مرويات المغازي الواردة في الصحيح التي يعول عليها في التأسيس لفقه حضاري من شأنه أن يسهم في نهضة الأمة. فهذه الدراسة لا تستقل أهميتها في المساهمة في الإقلاع الحضاري، والنهضوي والإصلاحي للأمة؛ باعتبارها نافذة على الفعل الحضاري التّمودجي من خلال أصح الكتب بعد القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

قد اطّلت على جملة من الرسائل الأكاديمية ذات الصلة بموضوع بحثي، وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

دراسات دعوية في الصحيح تناولت قسما من أحاديثه بالدراسة الدعوية التحليلية، فمن ذلك دراسة سعيد بن وهف القحطاني، وهي رسالة تقدّم بها لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة أمّ القرى بمكة المكرمة، سنة 1419هـ الموسومة بـ "فقه الدعوة في صحيح البخاري"، و قد قسمها إلى قسم نظري تناول فيه مصطلحات البحث، وعرف فيها بالبخاري وصحيحه، وهو جزء له علاقة وطيدة بدراستي خاصة الفصل التمهيدي، أما القسم التطبيقي فهو قسم حلل فيه الروايات على منهج الحديث التحليلي، ثم يستنبط منها القضايا الدعوية، ثم لحّصها في نهاية الجزء التطبيقي في أربعة مجالات: الأول يتعلق بالموضوع، والثاني يتعلق بالدّاعية، والثالث خصه للمدعو، والرابع تناول فيه الوسائل والأساليب.

وهذا الجزء ما يتعلق منه بدراستي هو مرويات كتاب الجهاد والسَّير؛ فأغلبه مبني على مرويات المغازي، غير أن علاقته بها تبقى جزئية؛ لأن الدِّراسة لم تتناول كتاب المغازي الذي حوى جل مرويات المغازي، وما يتعلق بها من ملابسات ومقدّمات، لكونها دراسة موضوعية.

القسم الثاني:

عبارة عن دراسات حديثة لغزوات ووقائع من السيرة، تهدف في الأساس إلى تحقيق مروياتها، وهي لا تخلو من إشارات، وفوائد دعوية تأتي عرضاً لا أصالة، وهذا القسم المتعلق بدراسة مرويات المغازي أذكر منه دراستين؛ نوقشتا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :

الأولى للباحث حافظ الحكمي (1402-1403هـ)، الموسومة بـ "مرويات غزوة الحديبية"، والثانية للطالب: إبراهيم بن إبراهيم قريبي (1425هـ)، وقد عنونها بـ "مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع".

وهما دراستان قيّمتان في باهما، فقد اجتهد أصحابها في الاستقصاء الموسع للروايات، وتحقيقها من الناحية الحديثية، وهذا من شأنه أن يوسّع من دائرة الاستفادة الدعوية من حوادث المغازي، وقد ظهر ذلك في الكثير من الاستنباطات الفقهية، والدعوية في الرسائل، فقد جمعت الدراستان بين تحقيق النص، وفقه المتن.

وتكمن الأهمية الدعوية لمثل هذا النوع من الدراسات في تفصي الجزئيات، والملابسات المحيطة بالغزوة التي تتضمن في الكثير من الأحيان إشارات دعوية غاية في الأهمية؛ يمكن أن يُستفاد منها في مواقف دعوية مشابهة.

إضافة إلى ذلك فتحقيق النص، وبيان درجته من حيث الاحتجاج أمر بالغ الأهمية، خاصة في مجال الروايات الحكمية، فالفعل الدعوي الرشيد، والمستدام، والفعال لا بد أن يرتكز على أصول صحيحة ومتمينة.

القسم الثالث:

هذا القسم من الدراسات الدعوية للمغازي يتناول الدرس الدعوي لغزوات بعينها، وأذكر منها ما يلي:

"غزوة بدر دراسة دعوية"، وهي رسالة ماجستير لسارة الموسى الطالبة بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية (1425-1426هـ).

وهي دراسة دعوية جادة حاولت الباحثة فيها الإحاطة بكل ما يتعلق بالغزوة من الناحية التاريخية في التمهيد في زهاء سبعين صفحة، فتعرضت فيه لأسبابها، وأهم أحداثها، ونتائجها.

ثم شرعت في تحليلها من خلال أربعة فصول، تناولت في الفصل الأول الدروس المتعلقة بالداعية، مقسمة إليها إلى صفات الداعية، وواجباته، التي استفدت من بعضها في دراستي، أما الفصل الثاني فقد خصصته للدروس المتعلقة بالمدعو مقتصرة على ذكر أصناف المدعوين، وموانع ودوافع الاستجابة، ودراستي تتقاطع معها في بعض الجوانب وتزيد عليها؛ لكونها لم تقتصر على غزوة بعينها، أما الفصل الثالث فقد خصصته للدروس المتعلقة بموضوع الدعوة، فتطرق في الدروس المتعلقة بالعقيدة والشريعة والسلوك بشيء من التفريع مع إهمالها لأصول التشريع، ولعل ذلك مرجعه لطبيعة الغزوة، وموقعها من تاريخ الدعوة النبوية.

أما الفصل الرابع فخصصته الباحثة للدروس الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب، فذكرت الوسائل الدعوية والمعنوية، أما الأساليب فقد ذكرت الأساليب الفطرية الثلاثة العاطفية، العقلية والحسية، ودراستي تتقاطع معها في دراسة الأساليب في العموم ولكنها تختلف معها في المنهجية والمضمون.

وختتمت فصول الدراسة بفصل خامس تناولت فيه أوجه الاستفادة الدعوية في غزوة بدر في العصر الحاضر، وهذا الفصل رغم أهميته إذ يستهدف البعد التنزيلي الواقعي إلا أنه ما هو إلا تلخيص لما سبقه من الفصول السابقة، فكان من الممكن أن يكون مصاحباً لكل درس دعوي في موضعه من الدراسة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ما استفيد من الغزوة من دروس دعوية يبقى غير كاف لسد، وتلبية حاجات الدعوة في أبعادها المختلفة؛ لكونها محدودة بمجال تاريخي محدد من تاريخ الدعوة النبوية.

ومن هنا تأتي أهمية دراستي حيث تمسح كل الغزوات من خلال مرويات صحيح البخاري وفق منهجه الموضوعي في الصحيح؛ إذ لا يمكن دراسة كل الغزوات بنفس المنهج الذي درست به غزوة بدر في هذه الرسالة، فغزوة بدر لوحدها شغلت أكثر من خمسمئة صفحة.

والدراسة الثانية موسومة بـ "غزوة أحد دراسة دعوية" تقدم بها الطالب محمد بامدحج لنيل شهادة الماجستير بكلية الدعوة والإعلام جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية (1416هـ).

وهذه الدِّراسة حاول فيها الباحث أن يتناول بالدِّراسة الدَّعوية كل مراحل غزوة أحد، فبعد المقدمة مَهَّد لدراسته بتمهيد تطرق فيه لبيان مفهوم الجهاد وأهميته الدَّعوية، وتلته بعد ذلك أربعة فصول، حيث تناول في الفصل الأول دراسة تاريخيَّة للغزوة؛ مبرزاً أسبابها، وأحداثها، ونتائجها، أما في الفصل الثاني فقد بحث الدُّروس الدَّعوية المستفادة من الاستعداد للغزوة، فذكر منها التَّخطيط، والشُّورى، والموازنة بين المصالح، أما الفصل الثالث، فخصَّصه للدُّروس المستفادة من أحداث الغزوة، وذكر منها الحرص على الدُّنيا، والارتباط بالرسالة، وأهميَّة الطَّاعة، أما الفصل الرابع فقد ضمنه الدُّروس الدَّعوية المستفادة من أحداث ما بعد الغزوة، فذكر فيه معالجة الأخطاء، ومقوِّمات، ودور المرأة في المعركة.

ويُلاحظ أن ما ذكره الباحث من قضايا دعوِيَّة لا يمكنُ أن تغطي كلَّ الأبعاد كما ذكرتُ في نقد الدِّراسة السابقة، كما أن المنهج الذي التزمه في تقسيم بحثه تبعاً لأحداث الغزوة الكرونولوجي ولَّد لديه خللاً في الوحدَّة الموضوعيَّة في عناصر الفصول.

أما الفصل الخامس فقد أفرد له لأوجه الاستفادة من الغزوة في العصر الحاضر، فاقصر منها على ما يفيد الدَّعوة، والدَّاعية، وقد سبق التعليق على هذا الإسقاط في الدِّراسة الآتية، مع تسجيل بعض القصور في أوجه الاستفادة، إذ أغفل المدعو، والوسائل والأساليب، والأهداف، والتَّحديات...

أما الدِّراسة الثالثة؛ فهي رسالة ماجستير بعنوان "غزوة تبوك دراسة دعوِيَّة"، من إعداد الطالبة فاطمة الحوالي تقدمت بها لكليَّة الدَّعوة والإعلام جامعة الإمام محمَّد بن سعود بالمملكة العربيَّة السعوديَّة (1425هـ).

وهي دراسة تشبه إلى حدِّ كبير الدِّراسة الأولى، فتمَّوجه إليها نفس الملاحظات، إلا بعض الفروق، من ذلك أن الباحثة خصَّصت فصلاً من رسالتها لإعداد الدُّعاة وهي إضافة جديدة بالغة في الأهميَّة باعتبار أن الدَّاعية أهم طرف في إنجاح العمليَّة الدَّعوية، ولما كانت الغزوة الواحدة لا تكفي لتلييَّة هذا المطلب الدَّعوي فقد توسعت فيه في دراستي، حيث اختلفت معها في تقسيم الأساليب، فقد ذكرتها دون رابط موضوعي، غير أنه يمكن الاستفادة منها، فقد استفدت من أسلوب القدوة وتوسعت فيه في رسالتي، وقبل ذلك فقد أسهبت في وسائل الدَّعوة القوليَّة والحسيَّة، إلا أنها يمكن أن تدرج ضمن عنصر الأساليب تجنباً للإطناب والتكرار، وهذه الفروق لعل مرجعها لاختلاف طبيعة الغزوة، وإطارها الزماني، والحركي...

وأختم هذا النوع من الدراسات بدراسة الطالبة هند شريفى الموسومة بـ "فتح مكة دراسة دعوية"، وهي رسالة ماجستير نوقشت بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية (1420هـ).

وهذه الدراسة تكاد تكون مقارنة لدراسة غزوتي بدر، وتبوك في إطارها العام إلا أنها انفردت من حيث التفصيل بأمور، فمن ذلك أن الباحثة حاولت في الفصل التمهيدي الذي عرفت فيه بالغزوة أن تبرز علاقتها بما قبلها من أحداث، وما بعدها من نتائج وآثار دعوية، فهذا الارتباط من شأنه أن ينتج رؤية دعوية أكثر شمولية، وأسجل على الباحثة مع كونها تتفق مع ما سبق في تقسيم البحث، وعناوين الفصول إلا أنها استطاعت أن تجدد في العناوين الفرعية؛ محاولة أن تجمع بينها في قوالب موضوعية موحدة، ويحمد لها أنها حاولت التّقييد لبعض القضايا الدعوية في شكل قواعد، كتفعيدها لقواعد إعداد الدعاة، وهذه الأخيرة سوف أحاول إبراز شيء منها من خلال تراجم البخاري على مرويات المغازي في دراستي.

أما الدراسات الدعوية الموضوعية الشاملة التي تخصّصت في دراسة مرويات المغازي الواردة في الصحيح في إطار المنهج الخاص للإمام البخاري، فلم أعتز على شيء منها، إلا ما كان من دراسات طلبة جامعة أم القرى الذين قاموا بدراسة الصحيح دراسة دعوية حيث تناول كل طالب طالب مئة حديث وفق ترتيب الصحيح، إلا أنها دراسات تحليلية موضوعية لم تستوف أي دراسة منها كل المرويات، أما من حيث منهجيتها؛ فقد غلب عليها منهج الحديث التحليلي الذي يستطرد في الدراسة السندية، وترجمة الرواة، وشرح الغريب، والتعرض للمعنى الإجمالي والمقارنة بين بين الروايات، وهذا كله يحول دون استفادة القارئ من الأبعاد الدعوية، فضلا عن كون قسم من تلك الرّسائل قد استغرق في الدراسة النظرية.

حدود الدِّراسة:

إن الدِّراسة سوف تقتصر أصالة على مرويات الغزوات الواردة في الصَّحيح التي تضمن جملها كتابُ المغازي منه، مع الحرص على الاستفادة من تراجم البخاري في استنباط الأبعاد الدَّعوية المختلفة، وهذا لا يمنع من الاستعانة بالروايات الواردة في كتب المغازي والسير والحديث، لإثراء الأبعاد الدَّعوية التي تضمنتها روايات الصَّحيح، على سبيل التبع.

وفي سياق حدود الدِّراسة يجدر التأكيد على أن مرويات المغازي لا تُعالج معزولة عن الجامع الصَّحيح، بل تُدرس في إطار المنهج الخاص للإمام البخاري؛ حتى يُستفاد من صحة الرواية وفقهها الذي لا يدرك من خلال الصَّحيح إلا بتتبع أطرافها والتراجم التي يعقدها عليها كعناوين للأبواب التي تندرج تحتها.

منهج الدِّراسة:

إن طبيعة الدِّراسة تفرض تنوعا في استعمال المناهج، غير أن المنهج الذي غلب عليها هو المنهج الوصفي؛ لكونه الأنسب لسرد الوقائع التاريخية من السيرة، والمغازي النبوية، وتوثيقها. واستعنت على تطبيق هذا المنهج بالآلية الاستقراء؛ لتتبع مرويات المغازي من صحيح البخاري، وغيره من الكتب عند الحاجة إليها، وأما آلية التحليل فقد وظفتها في التحليل الدَّعوي للمرويات بعد الحصول عليها عن طريق الآلية السابقة.

وقد استعنت أيضا بالآلية الاستنباط؛ للكشف عن الأبعاد الدَّعوية من مرويات المغازي، ولم أهمل في الرسالة توظيف آلية المقارنة عند الحاجة إليها.

منهجية الدِّراسة:

لم أخرج في منهجية الدِّراسة عن المنهجية المعهودة في البحوث الأكاديمية في مجال العلوم الإسلامية، غير أنه لا بأس أن أشير إلى بعض الخصوصيات المنهجية لهذه الدِّراسة التي تفرضها طبيعتها التكاملية، فهي دراسة جامعة بين عدّة علوم إسلامية، مع كونها تتميز بتعلُّقها بمصدرها الأساسي صحيح البخاري الذي يعتبر أصح كتب السُّنة.

فقد اعتمدت في الدِّراسة بشكل رئيسي روايات الصَّحيح، مكثفيا في تخريجها في الغالب بالإشارة بالإشارة إلى موضع وجودها في صحيح البخاري دون توسُّع في ذكر أطراف الرواية، غير أنني

أتعمد أحيانا ذكر تراجم البخاري على بعض مرويات المغازي؛ قصد إبراز الفقه الدَّعوي للإمام البخاري، والقيمة الدَّعوية لتراجمه، والثراء الدَّعوي لمرويات المغازي.

أمَّا الأحاديث الواردة في صحيح مسلم، فإني أكتفي بالإحالة إليه؛ إذ القصد من التَّخريج معرفة درجة الحديث.

ويختلف الأمر بالنسبة لأحاديث غير الصَّحاحين فإني أحرص على بيان درجتها قدر الإمكان إذا تعلق بالأحاديث الحُكْمِيَّة، أمَّا روايات المغازي التي آتي بها للاستئناس، وتكون تابعة لأصل صحيح فلا أذكر درجتها في الغالب الأعم.

الصعوبات:

قد واجهتني أثناء إعداد هذا البحث صعوبات عدَّة أجملها في النقاط التَّالِيَّة:

1. تعدد الأبعاد الدَّعوية وتنوعها؛ حيث تستوعب جميع قضايا الإسلام الأصوليَّة والفروعِيَّة، والإمام بها وإعطائها حقَّها من الدِّراسة يتطلَّب جهدا كبيرا ويستغرق وقتنا طويلا.
2. رغم كون مرويات المغازي محصورة ومحدَّدة إلا أن استنباط الأبعاد الدَّعوية منها يتطلَّب فهما دقيقا لتلك المرويات الذي لا يدرك إلا بالرجوع إلى شواهدا ومتابعاتها، وشروحها المختلفة التي يعسر الحصول على الفقه الدَّعوي من بعضها؛ لما فيها من تشعُّب واستطراد.
3. تشعب مرويات المغازي وتفرُّقها في الصَّحيح، وهذا يحتاج إلى جهد في تتبعها للاستفادة من فقه تراجم البخاري عليها.

الخطَّة:

إن طبيعة الدِّراسة اقتضت أن أوَّج مادَّتها العلميَّة على مقدمة تمهيد، وأربعة فصول، وختمتها كغيرها من البحوث بخاتمة.

فأما المقدمة فقد تضمنت الإشكالية والأهمية والأسباب والدرسات السابقة والمنهج والمنهجية والصعوبات وخطَّة البحث، والتمهيد فقد خصَّصته لضبط المصطلحات، والتَّعريف بالإمام البخاري وصحيحه، فجاء في مطلبين: المطلب الأول خصَّصته لضبط مصطلحات البحث، ويتعلق الأمر بمصطلح الدَّعوة، ومصطلح الغزوات، والمطلب الثاني أفردته للتَّعريف بالإمام البخاري وكتابه الصَّحيح بما يخدم الدِّراسة.

وبعد التّوطئة بهذا التّمهيد جاءت فصول الدّراسة لتعالج إشكاليّتها وفق التّرتيب التّالي:

الفصل الأول: الأبعاد الدّعوية الرّساليّة، وفيه مبحثان: المبحث الأول تناولت فيه الأبعاد العقديّة، وتطرقت فيه لمحور الإلهيات، والسّمعيّات، وأمّا المبحث الثاني، فقد خصّصته للأبعاد التّشريعيّة، وتعرضت فيه لأصول التّشريع الأصليّة والتّبعيّة، وختمته بنماذج من الفعل التّشريعي في المغازي.

وأما الفصل الثاني، فخصّصته للأبعاد الدّعوية السّلوكيّة، وقسمته إلى مبحثين، تناولت في الأول الأبعاد السّلوكيّة المتعلقة بالدّاعية، وفي الثاني الأبعاد السّلوكيّة المتعلقة بالمدعو.

في حين تناول الفصل الثالث الأبعاد الدّعوية المنهجية، وقد تفرّعت عنه ثلاث مباحث، أفردت المبحث الأول للمنهج العاطفي، والثاني تناولت فيه المنهج العقلي، والأخير تطرقت فيه إلى المنهج الحسي.

وكان الفصل الرابع ختام وثمرّة تلك الفصول، وخصّصته للأبعاد الدّعوية المقاصديّة التي عالجتها خلال مبحثين، حيث تناولت في المبحث الأول الأبعاد المقاصديّة العامّة، والثاني تناولت فيه الأبعاد المقاصديّة الخاصّة.

وفي نهاية المطاف ختمت البحث بخاتمة تضمنت أهمّ نتائجه، وتوصياته، وآفاقه.

والحمد لله على التّوفيق، والتّمام، والصّلاة والسّلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان، واستغفر الله على كل ما بدر مني من خطأ وزلل، وسهو ونسيان.

تمهيد

ضبط المصطلحات وتعريف

بالبخاري وصحيحه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ضبط مصطلحات البحث

المطلب الثاني: تعريف بالإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح

تمهيد

ضبط المصطلحات وتعريف البخاري وصحيحه.

جرت العادة بالتوطئة للبحوث العلميّة بتمهيد تضبط فيه المصطلحات المحددة لعناوينها، وهي من الأهميّة بمكان؛ باعتبار أن المصطلحات المحددة للعنوان هي اللّبنات الأولى التي يتأسّس عليها البحث، ويرتكز عليها، وهي المفاتيح المفاهيميّة التي تمكّن القارئ من فهم مراد الباحث من القضايا التي يطرحها في بحثه؛ خاصة إذا كانت مما تختلف فيه الأنظار.

فالمصطلحات في كثير من الأحيان يكتنفها الغموض والاستشكال، لأسباب كثيرة: كقلّة التّداول، والجِدّة، وسعة الدلالة، وتنوّع مجالات الاستعمال، وغيرها من الأسباب.

ولما تضمن عنوان البحث مصطلحات وألفاظ، قد تختلف فيها وجهات نظر القراء، والباحثين، رأيت من الضروري ضبطها، وتحديد المراد منها في البحث، ويتعلق الأمر بثلاثة مصطلحات: (الأبعاد، الدّعوية، غزوات النبي ﷺ)؛ وذلك أنها تنتمي إلى حقول معرفيّة مختلفة.

وإضافة إلى تحديد وضبط المصطلحات الأساسيّة في العنوان، فإنني لا أغفل التعريف بالإمام البخاري، وكتابه الصّحيح، لكونه الميدان الذي تجرى فيه الدّراسة، والمحدد لمجالها.

وسأعرّف بكل مصطلح بإيجاز غير محلّ يتحقق منه المراد في هذا التمهيد، في مطلبين:

المطلب الأول: ضبط مصطلحات البحث

المطلب الثاني: تعريف البخاري وصحيحه

المطلب الأول: ضبط مصطلحات البحث

إن مصطلحات العنوان هي أول ما يلفت نظر القارئ للبحث، وهي التي تنبثق منه إشكاليته، وتهندس من خلالها خطته؛ لذا كان من الضروري البدء بضبطها وبنائها بناءً محكما أصيلا، وتحديد المراد منها في البحث بدقة، وفق خطوات منهجية متسلسلة ومتراصة، بدءا بالضبط العضوي؛ للتوصل للوحدة الموضوعية التي تشكلها المصطلحات مجتمعة، ومتكاملة.

وسأخصّص هذا المطلب لضبط المصطلحات الثلاثة الأساسية في عنوان البحث، فأضبط مصطلح الأبعاد، ومصطلح الدعوة، ومصطلح الغزوات، مبتدئا بالضبط العضوي، كمرحلة أولية لتحديد التكامل الاصطلاحي لهذه المصطلحات في الدراسة، وقد جاء المطلب في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الأبعاد

لضبط مصطلح «الأبعاد»، وتحديد المراد منه في هذا البحث ينبغي التعرض لتعريفه اللغوي من خلال المعاجم، وتعريفه الاصطلاحي من خلال كتب التعريفات، واطلاقاته عند المفكرين المعاصرين لكونه مصطلح شاع استعماله عندهم.

وسوف أحاول ضبط هذا المصطلح وفق العناصر التالية:

أولا: تعريف الأبعاد لغة

عند النظر في كتب اللغة نجد أن مادة بعد تطلق بإطلاقين: فتأتي خلاف القرب، وهو معناها الأصلي، وهو المراد في الدراسة، وقد ترد بمعنى الهلاك وهو معنى مجازي.

قال ابن فارس: " الباء والعين والداد أصلان: خلاف القرب، ومقابل قبل، قالوا: البعد خلاف القرب، والبعد الهلاك، وقالوا في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هود: 95]، أي: هلكت"¹. ويقول ابن منظور: " بعد: البعد: خلاف القرب، بعد الرجل، بالضم، وبعد، بالكسر، بعدا وبعدا، فهو بعيد وبعاد"².

يلاحظ أن التعريفين قد عرفا البعد بنقيضه وهو القرب، فالتعريف يحقق المراد بإجمال، مع أنه يشعر بالحاجة إلى مزيد بيان، ولتحقيق ذلك بحثت عن مرادفات البعد التي جاءت في كتب اللغة،

¹ - أحمد بن فارس، أبو الحسين، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د، ط)، 1399هـ، 1979م، (1/268)

² - محمد بن مكرم، أبو الفضل، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، (89/3).

اللغة، فمنها: ما ورد عند ابن مالك الطائي الجياني، في قوله: "بَعَدت وشطت وشطنت ونزحت واقصت وقذفت وسحقت وشحطت وغربت وشسعت وناءت وتراخت وشطرت ونزحت"¹. فكل هذه المعاني تدلّ على معنى البعد باعتبارات مختلفة، وأهمها: الامتداد، والشساعة، ويلحظ فيها نوع من الحركة والحيوية، مما يضيف على المصطلح شحنة دلالية إضافية. ومما جاء في مرادفات البعد: الشلة التي يقصد بها الأمر البعيد يطلبه المرء، والبصباح، وهو الأمر الأمر الذي لا ينال إلا بالسَّير الشَّدِيد². وهذه إضافات دلالية أخرى للفظ البعد تنبه على أهمية الأمر الذي أضيفت إليه، فهي تشير إلى أن إدراك ما أضيفت إليه لا يدرك بسهولة؛ لعمقه وخفائه. وفي نهاية المطاف يتضح أن مصطلح الأبعاد مصطلح واسع الدلالة، فهو يدلّ على خلاف القرب إجمالاً، ويفيد بدلالته الواسعة معاني كثيرة أهمها: الامتداد والشساعة، وأثر البعد، والأمر الصعب لبعده.

ثانياً: تعريف الأبعاد اصطلاحاً

بعد ضبط تعريف الأبعاد من الناحية اللغوية، سوف أنتقل إلى ضبطه، وتحديد المراد به في عنوان البحث من خلال كتب التعريفات، وكتابات المفكرين المعاصرين؛ لكونه مصطلح حادث في مجال العلوم الإنسانية.

فقد عرف الجرجاني البعد بقوله: "البعد: عبارة عن امتداد قائم في الجسم، أو نفسه"³. فيلاحظ على هذا التعريف أنه يعرف البعد في المجال المحسوس بإجمال، في حين نجد السيوطي يعرفه في نفس المجال بأكثر تفصيلاً، بقوله: "الأبعاد: هي الطول، والعرض، والعمق أو السمك"⁴. يأتي المناوي فيضيف إضافة جديدة تدلّ عليها دلالة المصطلح اللغوية، فقد أورد تعريف الجرجاني الجرجاني وزاد عليه عبارة: "يقال ذلك في المحسوس وهو الأكثر، وفي المعقول"⁵.

¹ - محمد بن عبد الله، الجياني، الألفاظ المختلفة في المعاني المختلفة، ت: محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت ط1، 1411هـ، ص130.

² - علي بن الحسن الهنائي الأزدي، المنتخب من غريب كلام العرب، ت: محمد العمري، جامعة أم القرى، مكّة، ط1، 1409هـ، 1989م، (241/1).

³ - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م، ص46.

⁴ - السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ت: محمد عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2004م، (145/1).

⁵ - محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ، 1990م، ص80.

فالمناوي يبنه على أن البعد قد يوظف توظيفاً مجازياً في مجال المعقولات، وعالم الأفكار والمعارف؛ ليدلّ على شساعة، وامتداد الفكرة والمعرفة فيه.

ومن هنا انطلق المفكّرون في العلوم الإنسانيّة، والإسلاميّة في توظيفهم لمصطلح الأبعاد باتجاهاته المختلفة في كتاباتهم لتقريب الأفكار والرؤى.

وعند تتبع بعض أعلام الفكر الإسلامي الحديث نجد أن مصطلح الأبعاد يرد عندهم بدلالات مختلفة حسب السياق مع المحافظة على الدلالة اللغويّة العامة، وأهمها:

1. الجوانب والمناحي: يطلق البعد في الفكر الإسلامي على جانب أو جوانب المصطلح الذي أضيف إليه، ومن ذلك قول مالك بن نبي: "والنموّ الذي يتمّ ضمن البعد الاقتصادي، ليس سوى فترة زمنيّة من النموّ العام لحضارة أوروبا داخل المكان والزمان؛ أنه المظهر الماديّ لهذه الحضارة"¹، فالاقتصاد ما هو إلا جانب من جوانب الحضارة وجزء من أجزائها.

أما عماد الدين خليل فقد وظفه هو الآخر بمعنى الجوانب، حيث يقول: "أما البعد الأخلاقي في حياة الرّسول المديدة هذه فيتمثل واضحاً نقياً في انسلاخه الحاسم عن كل ممارسات الجاهليين الجاهليين اللاأخلاقية"²، فالأخلاق ما هي إلا جانب من جوانب حياة الرّسول ﷺ متعددة الجوانب.

وهذه النقول عن هؤلاء الأعلام، وغيرهم، تدلّ بوضوح أن الأبعاد يراد بها جوانب ومناحي الأمر الذي أضيفت إليه، فالاقتصاد جانب من الحضارة، والأخلاق جانب من مهم من حياة الرّسول ﷺ، والحضارة الإسلاميّة شاملة لكل مناحي وجوانب الحياة الإنسانيّة.

فمصطلح الأبعاد في الدراسات الإنسانيّة عموماً، والإسلاميّة إذا أضيف إلى أمر ما ففي الغالب الأعم يراد به الإحاطة بجوانب ومناحي المضاف إليه في مجال الدّراسة، ويظهر ذلك في عناوين البحوث والمقالات.

¹ - مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط: 1420هـ، 2000م ص42، وقد كثر تعبيره عن جوانب وأجزاء مجالات الدراسة بالأبعاد في نتاجه الفكري، كما تدلّ هذه العبارات: "وهذه الحقائق دالة في الوقت نفسه على البعد الروحي والاجتماعي"، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص102، "فإذا حللنا هذه الأبعاد الخلقية لهذه القصة"، المسلم في عالم الاقتصاد، ص87.

² - عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، دار النفائس، بيروت، ط2، 1425 هـ، ص41.

2. الآثار والنتائج: إضافة إلى إفادة مصطلح الأبعاد معنى الإحاطة بمناحي وجوانب الشيء، فأثما يراد بها في الدراسات الإنسانيّة أحيانا الآثار والنتائج، نحو قول مالك بن نبي وهو يتحدث عن نجاح اليهود في السيطرة على اقتصاد مدينة تبسة: " وقد وضع هذا النجاح في ذهني في تلك الفترة الفترة أول مشكلة سياسيّة ذات أبعاد عالميّة... وأنا اليوم أرى المرأة، واليهود، والدولار يشكلون يشكلون الأقاليم الثلاثة للقرن العشرين"¹.

فقد استشرّف مالك بن نبي آثار سيطرة اليهود العالميّة من خلال مشاهدته لسيطرتهم على اقتصاد مدينة تبسة، موظفا مصطلح الأبعاد بدل الآثار، والنتائج؛ لقوتها وفعاليتها، وسعة دلالتها.

ويُلمح هذا المعنى نفسه عند عماد الدّين خليل، فقد وظف مصطلح الأبعاد للتعبير عن الآثار والنتائج، كقوله متحدثا عن الآثار الاجتماعيّة لحركة النفاق: " ... البعد الاجتماعي لظاهرة النفاق"².

وبهذه الدلالة نفسها وظف سيد قطب مصطلح الأبعاد في قوله: " ويجب أن نفهم «الدّين» بمدلوله الواسع الذي بيناه، لنذكر أبعاد هذا الوعد الإلهي ومداه... ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول الله ﷺ، وخلفائه."³

فلا ريب بعد ذلك أن سيطرة اليهود على الاقتصاد ترتبت عليه آثار ونتائج ظهرت في السياسة السياسيّة العالميّة، وحركة النفاق كانت لها آثار كثيرة على المجتمع، ولا أدلّ على ذلك من حادثة الإفك⁴.

ولا يخفى أن التمكين لدين الله زمن النبوة والخلافة الراشدة من أعظم نتائج وآثار الدّعوة الإسلاميّة.

¹ - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، ط: 1420هـ، 2000م، ص 160.

² - عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص 301.

³ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط 17، 1412 هـ، (1644/3).

⁴ - وقعت حادثة الإفك التي اتهمت فيها أم المؤمنين عائشة الصديقة ﷺ في السنة الخامسة للهجرة، وقيل في السنة السادسة عقب الرجوع من غزوة بني المصطلق، فلما انتصر المسلمون في هذه الغزوة سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، فلما فشلوا سعوا إلى إبداء الرسول ﷺ بالطعن في عرض أهله، فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها، ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبويّة الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبويّة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 6، 1415 هـ، 1994 م، (408/2).

ومن هنا يتضح جليا أن الأبعاد في الفكر الإسلامي يراد بها كذلك معنى الآثار والنتائج، ولكنّها أقل استعمالا من الدلالة السابقة.

3. المقاصد: من الدلالات التي يدلّ عليها مصطلح الأبعاد في كتابات المفكرين الإسلاميين خصوصا مقاصد وغايات وأهداف الأمر الذي اتصلت به، وممن أكثر من استعماله بهذه الدلالة سيد قطب في تفسيره، فمما جاء فيه بخصوصها: "إن هؤلاء الذين يتحركون بهذا الدّين في مواجهة الجاهليّة، ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى.. هم وحدهم الذين يرون يرون تلك الرّؤية.. وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن، ويدركون الأبعاد الحقيقيّة لمدلولات نصوصه"¹.

فهو يفرق بين فقه النّص وإدراك مقاصد مدلولاته التي عبر عنها بالأبعاد، فالمقصد لا يدرك بقصور النظر بل يدرك ببعده، وعمق النظر، لذلك تعددت مسالك الكشف عن المقاصد والعلل عند الأصوليين².

وقد يعبر أحيانا عن مقاصد، وأهداف السورة القرآنيّة بالأبعاد، كحديثه عن مقصد سورة الأنعام في قوله: "ولكننا نتلفت الآن-وقد انتهى سياق السورة-على المدى المتطاول، والمساحة الشاسعة، والأغوار البعيدة.. تلك التي تتراءى فيها أبعاد السورة"³.

وليس سيد قطب وحده من استعمل الأبعاد بمعنى المقاصد، فإنني وجدت عماد الدّين خليل هذا حذوه، فقد تحدث عن مقصد صلح الحديبيّة الأسمى الذي خفي حتّى على الصّحابة، وهو التّمهيد لفتح مكّة؛ بقوله: "وفي طريق العودة نزلت آيات القرآن الكريم لتؤكد البعد الحقيقي للصلح مع زعيمة الوثنيّة"⁴.

فالتعبير عن المقاصد، والأهداف، والغايات بالأبعاد شائع في كتابات المفكرين، ولا يسع المقام في هذا التّمهيد لاستقصائها، وإنما يكفي التمثيل للتدليل.

فمصطلح الأبعاد إضافة إلى إفادته الامتداد والشساعة، فإنه يفيد دلالات أخرى؛ أهمها: الجوانب والمناحي، والآثار والنتائج، والمقاصد والغايات والأهداف.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (2122/4)

² - ينظر: مُجّد الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الجوز، ط5، 1427هـ، (202/1).

³ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (1242/3).

⁴ - عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص192.

وفي ختام هذه الجولة في كتب اللغة، والتعريفات، وبعض كتابات المفكرين ندرك الجودة الاصطلاحية لمصطلح البعد، التي تتجلى في أصالة، وسعة دلالاته؛ مما كان سببا لاختياره من المصطلحات المحددة لهذا البحث دون غيرها.

الفرع الثاني: تعريف الدعوة

بعد ضبط مصطلح الأبعاد، وتحديد المراد بها في البحث، أنتقل إلى ضبط المصطلح الثاني في العنوان من الناحية اللغوية، والاصطلاحية، ثم تحديد المراد به في البحث، وفق ما يلي:

أولاً: تعريف الدعوة لغة

قبل الشروع في تحديد مصطلح الدعوة من الناحية الاصطلاحية لابد من التعرف على معناها عند علماء اللغة، من خلال ما جاء في المعاجم، وسوف أورد طرفاً من ذلك، فيما يلي:

قال ابن فارس: "الذال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء، والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر. قال أبو عبيدة: يقال في النسب دعوة، وفي الطعام دعوة. هذا أكثر كلام العرب"¹.

فالدعوة من خلال ما ذكره ابن فارس هي نداء شخص ما بصوت من المنادي، والنداء هو طلب الاستجابة، وهو قصد الداعي.

وقال الـ راعب الأصبهاني في مفرداته: "والدعاء إلى الشيء: الح ت على قصده ﴿ قَالَ رَبِّ رَبِّ السَّجُنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: 34] وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس: 25]، وقال: ﴿ وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى الْكُفَّةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى الْبَارِ ﴾ [غافر: 41]"².

فالراغب زاد معنى آخر للفظ، وهو الحث، وقد استدلل على ذلك بالاستعمال القرآني، ومناسبة ذلك للدعوة أن الداعي يحث الناس على اتباعه فيما يدعو إليه.

وقد ذكر ابن منظور معنى جديداً لمصطلح الدعوة، فقال: "ودعاه إلى الأمير: ساقه، وقوله تعالى: تعالى: ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِأُذُنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب: 46]"³.

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (279/2).

² - الحسين بن محمد، أبو القاسم، الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ، ص315.

³ - ابن منظور، لسان العرب، (259/14).

فيكون من معانيها أيضا السُّوق، وهو مناسب للدَّعوة، فالدَّاعية يسوق النَّاس إلى الاستجابة لدعوته.

فمن خلال تحليل التعاريف اللغويَّة السابقة يتبين أن مصطلح الدَّعوة يرد في اللغة بعدة معاني متناسبة؛ أهمها: النَّداء والإمالة بصوت، والطلب، والسُّوق، والحثُّ، وهي مصطلحات دلاليَّة مهمَّة في الحقل الدَّعوي .

ثانيا: تعريف الدَّعوة اصطلاحا

بعد ضبط مصطلح الدَّعوة من الناحية اللغويَّة، أنتقل إلى ضبطه من الناحية الاصطلاحية من خلال ما ورد فيها من تعريفات، ولكثرتها وتنوعها سوف أقتصر على التعاريف التَّاليَّة:

1. عرف ابن تيميَّة الدَّعوة بقوله: "الدَّعوة إلى الله هي الدَّعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدَّعوة إلى الشهادتين وإقام وإقام الصَّلَاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدَّعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدَّعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"¹.

فقد ركز ابن تيميَّة في تعريفه للدَّعوة على بعد واحد وهو البعد الموضوعي، المتضمن للأصول العقديَّة؛ المتمثلة في أركان الإيمان، والأصول التبعديَّة المتمثلة في الشعائر الكبرى، والأصول السلوكيَّة التي أشار إليها بمنزلة المراقبة؛ على سبيل إطلاق الجزء على الكل.

2. وعرفها رؤوف شلبي بقوله: "الدَّعوة عمليَّة إحياء لنظام ما تنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط، والدَّعوة الإسلاميَّة على هذا حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم"².

يلاحظ أن شلبي في هذا التعريف ركز على بعد رئيسي في العمليَّة الدَّعوية؛ وهو بعد التجديد والإحياء لما اندرس من النظام الإسلامي، غير أنه في تعريفه هذا أخرج فترة النبوة، وهذا مأخذ على التعريف؛ لكونها الأرضيَّة الصلبة التي ترتكز عليها الدَّعوة الإسلاميَّة بناءً، وتجديداً وحمايةً...

3. وأما حبنك الميداني فقد عرفها قائلاً: "الدَّعوة إلى الإسلام هي الطلب بشدة، وحث على الدخول في دين الإسلام اعتقاداً، وقولاً وعملاً، وظاهراً، وباطناً"¹.

¹ - ابن تيميَّة، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبويَّة، المملكة العربيَّة السعوديَّة، 1416هـ/1995م، (157/15).

² - رؤوف شلبي، الدَّعوة الإسلاميَّة في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، دار القلم، ط3، (د.ت)، ص32.

هذا التعريف يقصر البعد الاستهدافي للدعوة الإسلامية على المدعوين من غير المسلمين فقط، وهذا ما يصرح به في موطن آخر بقوله: "وقد تكون لبعض المسلمين حينما يكون حالهم مثل حال حال غير المسلمين".²

4. وعرفها أبو الفتح البيانوني بأنها: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياه، وتطبيقه في واقع الحياة".³

وهذا التعريف على قصر عبارته، يكاد يكون جامعاً لجميع مستويات الدعوة التي مارسها النبي ﷺ:

أ. مستوى تبليغ الدعوة وإيصالها للمدعوين.

ب. تعليم وتربية المستجيبين للدعوة.

ج. تطبيق مضامين الرسالة الدعوية في الواقع، ومتابعتها المستمرة من قبل الداعية.

وقد استمد هذه المستويات الدعوية التي بنى عليها تعريفه، من القرآن الكريم؛ حيث نص عليها في مواطن مختلفة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 128].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَهِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَهِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 02].

فهذه الآيات تبين حقيقة الدعوة النبوية التي نقلت البشرية من ظلمات الضلال إلى نور الهداية والإيمان، وفق مراحل مترابطة ومتسلسلة ومتكاملة، ابتدأت بالتبليغ مروراً بالتعليم والتفقيه، وانتهاء بالتنزيل، والتطبيق، مع المتابعة المستمرة للمدعوين.

وهذا ما أكدته غير واحد من العلماء، قال سيد قطب: "هذه الحقيقة الكبيرة، حقيقة الرسول ﷺ، وقيمتها الذاتية، وعظم المنة الإلهية بها، ودورها في إنشاء هذه الأمة، وتعليمها، وتربيتها، وقيادتها، ونقلها من الضلال المبين إلى العلم، والحكمة والطهارة".⁴

¹ - عبد الرحمن بن حسن حبنك الميداني، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم دمشق، (د.ط)، (د.ت)، (16/1).

² - عبد الرحمن بن حسن حبنك الميداني، فقه الدعوة إلى الله، (16/1).

³ - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط14153 هـ، 1995م، ص17.

⁴ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (1/ 506).

وفي ذات السياق يُردف محمّد البشير الإبراهيمي قائلاً: "لا توجد في الإسلام "وظيفة" أشرف قدرا، وأسمى منزلة، وأرحب أفقا، وأثقل تبعة، وأوثق عهدا، وأعظم أجرا عند الله، من وظيفة العالم العالم الدّيني! ذلك لانه وارث لمقام النبوة، وآخذ بأهم تكاليفها، وهو الدّعوة إلى الله، وتوجيه خلقه خلقه إليه، وتركيتهم وتعليمهم، وترويضهم على الحق حتّى يفهموه ويقبلوه، ثمّ يعملوا به، ويعملوا ويعملوا له"¹.

5. ومن عرفها كذلك بسام العموش، فقد جاء عنه أنّها: "ونعني بها في المصطلح الدّعوة إلى الله، أي: إلى دينه، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام، والخضوع، والانقياد لله رب العالمين من خلال خلال الاعتقاد بأركان الإيمان الستة، وتطبيق أركان الإسلام، فالدّعوة لله تعالى لا تعني الدّعوة الفئويّة أو المذهبيّة؛ لأن هذه الدّعاوات ضيقة لا تتناسب مع سعة الإسلام، وجلال ربّ العالمين"². فتعريفه قريب من تعريف ابن تيميّة، إلا أنه زاد عليه قيّدا دقيقا، وهو الحذر من اتخاذ الدّعوة الإسلاميّة مطيّة لنصرة حزب، أو فئة أو مذهب، ولا شكّ أن هذا من التّحديات الدّاخلية التي ظلّت تعاني منها الدّعاوات عبر العصور.

6. وعرفها الطّيب برغوث بانها: "ذلك الجهد المنهجي المنظم، الهادف إلى تعريف النّاس بحقيقة الإسلام، إحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف، ابتغاء ابتغاء مرضاة الله، والفوز بما ادخره لعباده الصالحين في عالم الآخرة"³.

وهذا التّعريف هو الآخر يتضمن قضايا غاية في الأهميّة، فقد أشار إلى كون الدّعوة الفعّالة الفاعلة في عمليّة التغيير لا بد أن تتسم بطابع العليّة، حتّى تحقق مقاصدها، وغاياتها على جميع المستويات، كما يشير إلى عامل سلوكي ضروري لنجاح الدّعوة، وهو الإخلاص، والتجرد.

7. وعرفها أحمد عيساوي بقوله: "هي محصلة النشاط الاتصالي الشّمولي الذي يمارسه الدّعاة الإسلاميون في مرحلتي التغيير والبناء على الصعيدين المحلي، والعالمي برسالة الإسلام التي أنزلها الله

¹ - محمّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، ت: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، (109/4).

² - بسام العموش، فقه الدّعوة، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ، 2005م، ص7.

³ - الطيب برغوث، منهج النبي ﷺ في حماية الدّعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكيّة، ط1، 1416هـ، 1996م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص67.

الله على نبيه محمد ﷺ، وذلك عبر مختلف الوسائل، والتقنيات الحضارية الممكنة تأسيا مع الأطر المرجعية المقدسة منطلقا، وممارسة، ومنهجيا، وأسلوبيا، وهدفا¹.

تعريف أحمد عيساوي شامل لكل أركان الدعوة؛ من داعية، ومدعو، ورسالة دعوية، ووسائل وأساليب، حيث أشار إلى بعض خصائص الدعوة الإسلامية وأصولها، غير أنه -في نظري- ينطبق أكثر على الدعوة الإسلامية المعاصرة، مع التنبيه على أن هذا لا يمكن أن يفهم منه انفصام الدعوة الإسلامية، عن دعوة النبي ﷺ، فما هي إلا امتداد لها، ولكن تختلف عنها من حيث أن الدعوة النبوية نموذج دعوي معصوم من الخطأ والزلل، وأمّا الثانية فهي تجارب دعوية بشرية يعترها ما يعترى الاجتهاد البشري من الخطأ، والصواب.

من خلال تحليل التعاريف اللغوية، والاصطلاحية الآنفه يتبين لي أن تعريف الدعوة الإجرائي المناسب لهذا البحث هو تعريف البيانوي-وهذا لا ينقص من قيمة التعاريف الأخرى -، وذلك للاعتبارات التالية:

أ. توفره على أركان العملية الدعوية إجمالا، فالتبليغ والتعليم، يشير إلى الداعية، كل الناس تعبير عن المدعوين، والإسلام هو موضوع الدعوة ومضمون الرسالة الدعوية، والمنهج والأساليب والوسائل، تفهم من مستويات الدعوة الثلاث، فقد أشار إلى المنهج الاتصالي، والمنهج التربوي، والمنهج التطبيقي، ولكل منهج وسائل وأساليب، والتنبيه على البعد السلوكي المتعلق بالاتصال بين الدعاة والمدعوين.

ب. إشارة التعريف إلى استهداف الدعوة المسلمين وغيرهم، وهو ما يُلحظ في السيرة النبوية، وفي المغازي باعتبارها جزءا منها.

ج. عدم قصره للدعوة على التبليغ فحسب، فالتبليغ هو أول مراحلها، فإذا حصلت الاستجابة تلتها المراحل الأخرى من التعليم والتربية، فقد ظل النبي ﷺ يتعاهد المستجيبين للدعوة إلى

¹ - أحمد عيساوي، دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، ط1، 2012م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص31.

إلى آخر لحظة من حياته، ولا أدلّ على ذلك من قوله في مرض موته فيما روته عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»¹.

د. الإشارة إلى مقاصد الدّعوة الإسلاميّة والتي أهمّها التّمكن للدين تبليغاً، وتعليماً، وتطبيقاً في واقع الحياة كنظام كامل متكامل شامل لجميع المناحي الدينيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، والحضاريّة...

فالدّعوة بهذا التّعريف الجامع هي التي مارسها الرّسول ﷺ في ميدان الغزوات، وامتداداتها القبليّة والبعديّة؛ تبليغاً، وتعليماً، وتطبيقاً؛ لكون المغازي جزءاً من الدّعوة النّبويّة، من جهة؛ وباعتبارها من وسائل الدّعوة المهمّة، التي وُظفت لنشر الإسلام، والتّعريف به، والتّمكن له على الصّعديين الداخلي والخارجي.

وسوف يتّضح ذلك فيما بعد إن شاء الله في ثنايا البحث، لتكون البدايةً ببيان مدلول مصطلح الغزوات في الدّراسة في العنصر الموالي.

الفرع الثالث: تعريف الغزوات

بعد الفراغ من تحديد مصطلحي الأبعاد، والدّعوة من الناحيتين اللغويّة، والاصطلاحي يأتي دور تحديد مصطلح الغزوات، وذلك بالتعرض لتعريفها من الناحية اللغويّة، والاصطلاحية، ثم تحديد المراد منها في البحث بعد ذلك، فيما يلي:

أولاً: تعريف الغزوات لغة

للتوصل لتحديد مصطلح الغزوات بدقة، لا بُدّ من تحديد معانيه اللغويّة بالاستعانة بأقوال أئمة اللغة الواردة بخصوص المصطلح في المعاجم، كالتالي:

قال الجوهري: "غزوت العدو غزواً، والاسم الغزاة. والنسبة إلى الغزو غزوي، ورجل غاز، والجمع والجمع غزاة مثل قاض وقضاة، وغزى مثل سابق وسبق، وغزى مثل حاجّ وحجيج، وقاطن وقطين، وغزاء مثل فاسق وفساق، قال تأبط شراً²:"

¹ - محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، (1/133)، برقم: 664.

² - هو ثابت بن جابر بن سفيان، من فحول شعراء الجاهلية، توفي حوالي 80 قبل الهجرة، ينظر: الزركلي، الأعلام، (2/97)

فيوما ب غزاء ويوما بسريّة *** ويوما بخشخاش من الرجل هيضل¹

وأغزيت فلانا، أي جهزته للغزو، والمغزّيّة: المرأة التي غزا زوجها، وأغزت الناقة، إذا عسر لقاحها، لقاحها، قال الأموي: المغزّيّة من النوق: التي جازت السنّة ولم تلد، مثل المدراج، وأتان مغزّيّة: متأخرة النتاج ثمّ تنتج، وأغزيت الرجل: أمهلته وأخرت مالي عليه من الدّين، ومغزى الكلام: مقصده، وعرفت ما يغزى من هذا الكلام، أي ما يراد².

من خلال كلام الجوهري يتبيّن أن مصطلح الغزو يراد به الخروج لطلب العدو، وعسر اللّقاح، والمغزى من الكلام مُراد المتكلم، ومقصده.

وأما ابن فارس فقد أجمل معاني اللّفظ في أصلين بقوله: " (غزو) الغين والزاء والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما طلب شيء، والآخر في باب اللّقاح"³.

وقد سار أئمة اللغة بعد ذلك على هذين الأصلين في كتبهم، كالرّاعب الأصبهاني، والرّمخشري، والرّمخشري، والفيروز آبادي، وغيرهم⁴.

والمعنى المقصود المناسب للبحث هو الخروج إلى محاربة العدو وطلبه، وهو الذي دلّ عليه القرآن الكريم، والسنّة النبوية.

ف من المواضيع ال تي وردت فيها م ادة ال غزوة، في القرآن الكريم، ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ كَانُوا غَزَى﴾ [آل عمران: 156]، قال الطبري: " فإنه يعني: أو كانوا غزاة في سبيل الله، والغزى: جمع غاز"⁵.

¹ - الخشخاش: الشيء اليابس الذي يحك بعضه بعض، الهيضل: الهيضلة الجماعة يغزى بهم ليسوا بالكثير، وهيضل الرجالة وقيل الجيش وقيل الجماعة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (295/6)، (697/11).

² - إسماعيل بن حماد، أبو نصر، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ، 1987 م، (6/2446).

³ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (423/4).

⁴ - ينظر: أبو القاسم الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ص601، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الرّمخشري جار الله، أساس البلاغة، ت: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1998 م، (701/1)، محمّد بن محمّد الحسيني، أبو الفيض، الرّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.ط)، (د.ت)، (158/39)، مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ، 2005 م، (1317/1).

⁵ - محمّد بن جرير، أبو جعفر، الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط، 1420 هـ، 2000 م، (6/177).

أما السُّنَّة فقد دلت على أن معنى الغزو الخروج لقتال العدو وطلبه، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِي بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِي بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَمَ يَرْفَعُ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَا دَهَا »¹.

فهذه إمامة بالمدلول اللغوي للفظ الغزوة؛ من الناحية اللغوية التي شهد لها كلام العرب، ومن الناحية الاصطلاحية التي شهدت لها النصوص القرآنية والحديثية.

ثانيا: الغزوات اصطلاحا

بعد تحديد المعاني اللغوية لمصطلح الغزوات تأتي على ضبطه من الناحية الاصطلاحية من خلال إيراد بعض التعاريف وتحليلها للتوصل لتحديد مدلوله في الدراسة، وفق يلي:

عند التأمل في كتب المغازي، والسير، وكتب الحديث النبوي التي رتبت وفق الكتب والأبواب، كالكتب السيرة، وغيرها نجدهم يطلقون على الخروج لطلب العدو مصطلحات مختلفة، فمرة يطلقون عليها الغزوة، ومرة يطلقون عليها السرية، ومرة يطلقون عليها البعث.

فمن فرق بوضوح بين الغزوة والسرية، والبعوث عبد الملك بن هشام؛ في كتابه "السيرة النبوية"، النبوية"، فقال عند الحديث عن مجمل الغزوات التي غزاها النبي ﷺ: "حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطليبي: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعا وعشرين غزوة"².

فيلاحظ من خلال ما سبق أن الضوابط الذي جعله ابن هشام للتفريق بين الغزوة، وغيرها هو وجود النبي ﷺ فيها.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «أُحِلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»، (86/4)، برقم: 3124، قال ابن حجر: "جمع خلفه وهي التي يمضي لها نصف الحمل"، ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، (113/1).

² - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ، 1955م، (609/2).

جدول الغزوات النبوية ¹				
1 - غزوة الأبواء صفر 2هـ	7 - غزوة بني قينقاع شوال 2هـ	13 - غزوة بني النضير ربيع الأول 4هـ	19 - غزوة بني لحيان جمادى الأولى 6هـ	25 - غزوة حنين شوال 8هـ
2 - غزوة بواط ربيع الأول 2هـ	8 - غزوة السويق ذي الحجة 2هـ	14 - غزوة بدر الآخرة (الموعد) شعبان 4هـ	20 - غزوة الحديبية ذي القعدة 6هـ	26 - غزوة الطائف شوال 8هـ
3 - غزوة سفوان ربيع الأول 2هـ	9 - غزوة ذي أمر المحرم 3هـ	15 - غزوة دومة الجنديل ربيع الأول 5هـ	21 - غزوة ذي قرد المحرم للهجرة 7هـ	27 - غزوة تبوك رجب 9هـ
4 - غزوة العشيرة جمادى الأولى 2هـ	10 - غزوة الفرع من بحران في ربيع الآخر 3هـ	16 - غزوة بني المصطلق شعبان 5هـ	22 - غزوة خيبر المحرم 7هـ	
5 - غزوة بدر رمضان 2هـ	11 - غزوة أحد شوال 3هـ	17 - غزوة الأحزاب شوال 5هـ	23 - غزوة ذات الرقاع 7هـ	
6 - غزوة الكدر من بني سليم شوال 2هـ	12 - غزوة حمراء الأسد شوال 3هـ	18 - غزوة بني قريظة ذي القعدة 5هـ	24 - غزوة فتح مكة رمضان 8هـ	

وأما السرايا والبعوث فتتعلق بتلك الوقائع التي لم يخرج فيها النبي ﷺ، قال ابن هشام في عده لها لها مؤكدا هذا الضابط: "وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانيا وثلاثين، من بين بعث² وسريته³"

¹ - ينظر: وحيد بن عبد السلام باني، الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية، دار الفوائد، ط2، مصر، 1428 هـ ، 2003 م، (90/1)، وقد جعل ابن هشام عمرة القضاء من جملة الغزوات، ابن هشام، السيرة النبوية، (602/2).

² - البعث: إرسال الجند إلى موضع ما للقيام بمهمة معينة، قد تكون عسكرية أو استطلاعية أو علمية دعوية، أو غيرها من المهام التي يكلف بها المبعوث، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (88/1)، عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ت: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1421 هـ، 2000 م، (52/4).

³ - ابن هشام، السيرة النبوية، (609/2)، وعد منها جملة من السرايا والبعوث: كغزوة عبيدة بن الحارث وغزوة حمزة ابن عبد المطلب وغزوة سعد بن أبي وقاص الحرار، وغزوة عبد الله ابن جحش، وغزوة زيد بن حارثة، وغزوة محمد بن مسلمة، وغزوة مرثد الغنوي، وغزوة المنذر بن عمرو، وغزوة أبي عبيدة، وغزوة عمر بن الخطاب، وغزوة علي ابن أبي طالب، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي.

وقال التّهانوي في تعريف الغزو عند أهل السير مؤكداً تفصيل ابن هشام الآنف: " وفي اصطلاح اصطلاح أهل السير هو الجيش القاصد لقتال الكفار الذي كان النبي ﷺ فيه، وأمّا الجيش الذي لم يكن فيه النبي ﷺ فيسمى سريةً وبعثاً"¹.

وهذا التفريق هو تفريق أغلبي، فالغالب على أهل المغازي، والسير، والمحدثين هو هذا التقسيم، غير أنهم قد يطلقون على بعض الوقائع التي لم يخرج فيها النبي ﷺ اسم الغزوة، كتسمية الواقدي والبخاري، غزوة مؤتة بالغزوة رغم عدم خروج النبي ﷺ فيها، وقد أطلق ابن هشام على بعض السرايا والبعوث اسم الغزوة².

هذا من حيث آحاد الوقائع، أما جملة الوقائع التي حصلت زمن النبي ﷺ فهي تندرج كلها تحت تحت مسمى واحد، وهو المغازي، أو الجهاد والسير، وهو عادة الكثير من المصنّفين من المحدثين، وأهل المغازي والسير³.

فالغزوات بهذا الاعتبار أعم من التّحديد الاصطلاحي لها بقصرها على التي خرج فيها النبي ﷺ بنفسه، وهذا ما ذهب إليه البخاري في كتاب المغازي من الصّحيح، وبينه ابن حجر، وتبعه في ذلك القسطلاني في شرحيهما⁴.

قال ابن حجر: " والمراد بالمغازي هنا ما وقع من قصد النبي ﷺ الكفار بنفسه، أو بجيش من قبله وقصدهم أعم من أن يكون إلى بلادهم، أو إلى الأماكن التي حلّوها حتّى دخل مثل أحد ولخندق"⁵

¹ - محمد بن علي التّهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط1، 1996م، (2/1253).

² - ينظر: محمد بن عمر، أبو عبد الله الواقدي، المغازي، ت: مارسدن جونز، دار الأعلمي، بيروت، ط3، 1409 هـ، 1989م، (3/1117)، ابن هشام، السيرة النبوية، (2/609)، علي بن حزم، أبو محمد، الظاهري، جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص3.

³ - ينظر: أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ت: حبيب الأعظمي، المجلس العلمي، الهند ط2، 1403 هـ، (5/313)، عبد الله بن محمد، أبو بكر، ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409 هـ، (7/326)، البخاري، الجامع الصحيح، (5/71)، محمد بن إسحاق بن يسار المظلي، سيرة ابن إسحاق، ت: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ط1، 1398 هـ، 1978م، ص21، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن، القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (3/1356).

⁴ - أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ، (6/240).

⁵ - ابن حجر فتح الباري، (7/279).

فالكلام هاهنا يوسّع من المدلول الاصطلاحي للمغازي، فتشمل السّرايا، والبعوث أيضاً؛ وذلك أن السّرايا، والبعوث لما كانت بأمر النبي ﷺ، وفي زمن النبوة أخذت حكم الغزوة التي خرج فيها بنفسه؛ لأنها امتداد لغزوة أو مقدمة لها في كثير من الحالات.

غير أن المتتبع لكتاب المغازي في الصّحيح يجده لا يقتصر على الغزوات، والسّرايا، والبعوث فحسب، فقد ضم إضافة إلى ذلك أموراً أخرى؛ كاستقبال الوفود، ومكاتبة الملوك، والحجّ، والعمرة، ووفاة النبي ﷺ...¹.

فالبخاري إذًا له منهج خاص في التّعامل مع المغازي، فمع كون الغزوات عنده شاملة للسّرايا والبعوث التي بعثها النبي ﷺ، فهو يلحق بها أبعادها وآثارها ومقاصدها، فما الوفود ومكاتبة الملوك والرؤساء، والحجّ، والعمرة بالمسلمين، إلا نتائج أو مقدمات أو آثار للجهاد النّبوي العام. وهذا الذي سوف أعتمده في هذا البحث، فلا تقتصر الدّراسة على روايات الغزوات الواردة في صحيح البخاري بمعناها الضيق، بل ستشمل كذلك روايات البعث والسّرايا، وما له ارتباط بها في امتداداتها، وأبعادها المختلفة التي تحيط بها.

وعليه فإن الدّراسة ستتناول كل الوقائع ذات الصلة المباشرة، وغير المباشرة بالمغازي، الممتدة زماناً من أول غزوة في الصّحيح إلى غايّة وفاة النبي ﷺ. ويمكن أن أبرّر هذا التّحديد الدّراسة بما يلي:

1. ترابط الوقائع، وتكاملها، مما يجعل فصلها قد يخل بالبعد الموضوعي الدّراسة.
2. كون بعض الوقائع مقدّمة لغزوة أو سرّية، ولا يمكن فصل المقدّمة عن الحدث.
4. كون بعض الحوادث نتيجة لغزوة أو سرّية.
5. ارتباط الإنجازات الدّعوية الداخليّة والخارجيّة بالمغازي.
6. كون مجال الدّراسة الدّعوية في صحيح البخاري الذي اعتمد المفهوم الواسع لدلالة المغازي.
7. تناسب هذا الشّمول والسّعة الدّلالية يخدم أبعاد الدّعوة.

وبهذا يكون قد تمّ بحمد الله ضبط المصطلحات الأساسيّة الدّراسية (الأبعاد، الدّعوة، المغازي)، لتصبح واضحة المعالم والحدود، فهي دراسة دعويّة تبحث في قضايا الدّعوة

¹ - بنظر: صحيح البخاري، (141/5)، (167/5)، (168/5)، (171/5)، (172/5) (175/5)، (8/6)، (9/6)، (15/6)، (171/5)، (172/5).

ومقاصدها وآثارها على مستوى التبليغ، والتربية والتطبيق الواقعي في الغزوات النبوية الواردة في صحيح البخاري وما يحيط، ويتصل بها من وقائع وانجازات.

المطلب الثاني: التعريف بالبخاري وكتابه الجامع الصحيح

بعد تحديد وضبط مصطلحات العنوان الأساسية، وتبيان المراد منها في الدراسة، أنتقل إلى التعريف بالإمام البخاري، وكتابه الجامع الصحيح، لكونه ميدان الدراسة، وقيدا مهما من قيود العنوان التي تحدد حدوده وتضبط معالمه، فلا يكتمل تصور العنوان تصورا كاملا إلا بتوضيح وتعريف جميع متعلقاته.

إلا أنني سأسلك في التعريف بالبخاري، وكتابه الصحيح مسلك الإيجاز غير المخل، فهو الأنسب في تقديري لهذا المقام، لشهرة البخاري وكتابه من جهة، وحتى لا تخرج الدراسة عن حدودها ومجالها من جهة أخرى.

وسيتّم التعريف بالبخاري وصحيحه عبر فرعين:

الفرع الأول: تعريف بالإمام البخاري

للتعريف بالإمام البخاري، لابدّ من التطرق إلى جوانب من حياته؛ بشيء من الإيجاز والاختصار، بما يحقّق المراد، ويخدم أهداف البحث، تبعاً لما يلي:

أولاً: نشأته

من الضروري في ترجمة الأعلام البدء في الحديث عن نشأته الأولى، وذكر بعض التفاصيل حولها لصلتها بمسيرة المترجم له العلميّة، وسوف أجمل ذلك في النقاط التّالية:

1. اسمه ونسبه

الإمام البخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدُزُبَه الجعفي البخاري، أسلم أبو جده على يد اليمان الجعفي، فنسب إليه نسابه بة ولاء.

فنسبه يرجع إلى الفرس؛ مما يؤكّد عالميّة الدّعوة الإسلاميّة، واستمرارها من خلال حركات الفتوح التي كانت المغازي النبوية نواتها الأولى، فما البخاري وأمثاله كثير إلا ثمرة من ثمرات نجاح نجاح الدّعوة النبوية، واستمرارها¹.

¹ - ينظر: مُجَدُّ بن أحمد، شمس الدين، أبو عبد الله، الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ، 2006م (391/12).

2. مولده وأسرته

ولد الإمام البخاري سنة أربع وتسعين ومائة (194هـ)، بمدينة "بخاري" بجمهورية أوزبكستان حالياً، لينشأ ويتربص في أسرة مسلمة، حيث كان والده إسماعيل من المشتغلين بالعلم، فقد روى عن حماد بن زيد، ومالك، وصافح ابن المبارك.

ومع الاشتغال بالعلم؛ فقد كان من الصالحين الورعين، المتحررين للكسب الحلال، ومات ومحمد ومحمد صغير؛ فنشأ في حجر أمه، مع أخ له يُسمى أحمد¹.

فهذه البيئة الأسرية الطيبة التي نشأ فيها البخاري كان لها عظيم الأثر في نبوغه بعد ذلك، ليصير إمام الدنيا في علم الحديث، ويخرج للأمة أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

ثانياً: حياته العلمية

قد عاش الإمام البخاري حياة علمية حافلة بالإنجازات تجلّت في عدة مظاهر، يمكن أن أجملها في العناصر التالية:

1. الحرص على الطلب

قد بدأ الإمام البخاري في طلب العلم في سن مبكرة، قال أبو جعفر الوراق التّحوي: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر، فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره، وقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: "سفيان عن أبي الزبير، عن إبراهيم"، فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يروه عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدّي بن إبراهيم، فأخذ القلم منّي، وأحكم كتابه، فقال: صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة فلماً طعنت في ست عشرة سنة، حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء.

ثم خرجت مع أمي، وأخي أحمد إلى مكة، فلماً حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث، فلماً طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة، والتابعين وأقوابيلهم؛ وذلك

¹ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، (د. ط)، (د. ت)، دار صادر، بيروت، (189/4).

أيام عبيد الله بن موسى، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة، وقال: قلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب¹.

يظهر من هذا النص علو همة الإمام البخاري، ونبوغه وحرصه في الطلب منذ نعومة أظفاره، الذي كان له عظيم الأثر في نتاجه العلمي الفذ في علوم الحديث رواية ودراية.

2. كثرة شيوخه وتلاميذه

قد جاب البخاري بلدانا كثيرة في طلب العلم، وأقام في كل مدينة منها على مشايخها، فقد رحل رحل إلى محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالبحر، والشام، ومصر، وورد بغداد².

قال جعفر بن محمد القطان: " سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده"³.

وأما الآخذون عن الإمام البخاري، فخلق كثير لا يمكن حصرهم في مثل هذا المقام، قال الذهبي: " روى عنه خلق كثير منهم: أبو عيسى الترمذي، وأبو حاتم وإبراهيم بن إسحاق الحربي وأبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم وصالح بن محمد جزرة ومحمد بن عبد الله الحضرمي مطين، وإبراهيم بن معقل النسفي، وعبد الله بن ناجية وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه، وعمر بن محمد بن بجير وأبو قريش محمد بن جمعة، ويحيى بن محمد بن صاعد صاعد ومحمد بن يوسف الفربري راوي الصحيح، ومنصور بن محمد مزبودة، وأبو بكر بن أبي داود، والحسين والقاسم ابنا المحاملي، وعبد الله بن محمد بن الأشقر، ومحمد بن سليمان بن فارس، فارس، ومحمود بن عنبر النسفي، وأمم لا يحصون"⁴.

¹ - أحمد بن علي الخطيب، أبوبكر، البغدادي، تاريخ بغداد، ت: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002 م، (2/322).

² - يحيى بن شرف، أبو زكريا، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، (73/1).

³ - يوسف بن عبد الرحمن، أبو الحجاج، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400 هـ، 1980 م، (24/445).

⁴ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (10/82).

إن كثرة الشيوخ، والتلاميذ بهذا التنوع المتميز، إذ أخذ عن العلماء الأكابر، وأخذ عنه نبلاء التلاميذ الذين أضحو أئمة بعد ذلك كمسلم، وأصحاب السنن، والمسائيد من أقرانه؛ لتدلّ على مكانة الإمام البخاري العلميّة، وإمامته في هذا الشأن بلا منازع.

3. مكانته العلميّة

يكفي أن نستدلّ على مكانته العلميّة بما جاء من تركيّة كبار الأئمة له، فمع الإمامة، والفضل

الذي حازه الإمام البخاري، فقد أثنى عليه العلماء واعترفوا له بذلك، وهذه نقول عنهم:

أ. ذكر ابن العماد عن أحمد بن حمدون الأعمشي قال: "رأيت محمّد بن إسماعيل في جنازة أبي عثمان سعيد بن مروان ومحمّد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وعلل الحديث، ويمر فيه محمّد بن إسماعيل مثل السهم، كأنه يقرأ: قُلْ هُوَ اللهُ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]"¹.

ب. قال محمّد بن أبي حاتم وسمعت حاشد بن عبد الله يقول قَالَ لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر بكر المديني: "محمّد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل، فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمّد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث"².

ج. قال أبو داود سمعت علي بن حجر قال: "ما أخرجت خراسان مثل أبي زرعة الرازي بالري، بالري، ومحمّد بن إسماعيل البخاري ببخارى، وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي بسمرقند، ومحمّد بن إسماعيل عندي أبصرهم، وأعلمهم وأفقههم"³.

د. وفي تاريخ بغداد عن أحمد بن محمّد الوراق، قال: سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون القصار، يقول: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمّد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه، وقال: "دعني حتّى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله"⁴.

¹ - عبد الحي بن أحمد، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406 هـ، 1986 م، (253/3).

² - أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تاريخ دمشق، ت: عمرو العمروي، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ، 1995 م، (86/52).

³ - أبو بكر محمّد بن إسماعيل بن خلفون، المعلم بشيوخ البخاري ومسلم، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص15.

⁴ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (121/15).

هـ. وذكر الذهبي عن محمد بن يوسف الهمداني: "كنا عند قتيبة بن سعيد فجاء رجل شعرائي يقال له: أبو يعقوب فسأله عن محمد بن إسماعيل فنكس رأسه ثم رفعه إلى السماء فقال: يا هؤلاء هؤلاء نظرت في الحديث، ونظرت في الرأى وجالست الفقهاء والرُّهَّاد، والعُبَّاد ما رأيت منذ عقلت عقلت مثل محمد بن إسماعيل"¹.

و. قال فيه رجاء بن المرجى: "فضُّلُ محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء. فقال له رجل: يا أبا محمد، كلُّ ذلك بمرّة؟ فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض"².
ي. وقد ذكر ابن حجر أقوالاً كثيرة عن تقدمه، ثمّ ختمها بخاتمة رائعة للحاكم، جاء فيها: "كان كان أحد الأئمة في معرفة الحديث، وجمعه، ولو قلت أني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت، ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره؛ لفنى القرطاس، ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له، وإنما ذكرت كلام بن عقدة، وأبي أحمد عنواناً لذلك وبعد وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر؛ لأن أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا، ووصفوا ما علموا بخلاف من بعدهم، فأن ثناءهم، ووصفهم مبني على الاعتماد على ما نقل إليهم، وبين المقامين فرق ظاهر، وليس العيان كالخبر"³
والنقول في تزكية الإمام البخاري، وبيان مكانته، ومقامه الرفيع لا يأتي عليها الحصر، وحسبنا في هذا المقام الذي يقتضي الاختصار إيراد بعضها للتدليل على المقصد والمراد.

4. كثرة وتنوع مصنّفاته

ترك الإمام البخاري مصنّفات كثيرة تدلّ على غزارة علمه وسعة اطلاعه، فمما ذكره ابن حجر من تراثه العلمي:

الأدب المفرد، ورفع اليدين في الصلّاة، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين، والتّاريخ الكبير، والتّاريخ الأوسط، والتّاريخ الصغير، وخلق أفعال العباد، الضعفاء، الجامع الكبير،

¹ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (99/10).

² - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (340/2).

³ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (485/1)

والمسند الكبير، والتفسير الكبير، وكتاب الأشربة، وكتاب الهبة، وأسامي الصحابة،
الوحدان¹، وكتاب المبسوط، وكتاب العلل، وكتاب الكنى، وكتاب الفوائد².
إن المتأمل في عناوين هذه التصانيف يُلاحظ أنها لم تقتصر على جانب الحديث رواية ودراية، بل
تعدت إلى أمّهات أبواب الدين من العقيدة، والشريعة، والسلوك، مما يدل على عظيم فقهه الذي
ظهر في كتابه الجامع الصحيح، من خلال ترتيبه وتبويبه واستنباطاته الدقيقة الظاهرة في تراجمه.

ثالثاً: وفاته

بعد حياة طويلة عامرة قضاها الإمام البخاري مع الحديث النبوي، محدثاً، وطالبا، ومرتحلا،
ومصنفاً، رجع إلى بلده في آخر عمره، ليكمل ما تبقى من حياته في مسقط رأسه، غير أنه حصل
حصل له خلاف مع والي بخارى، وفي نفس الوقت ابتلي بفتنة خلق القرآن، فأمر الأمير، فنزح
البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين³ من سمرقند، فنزل عند أقارب له بها
وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين، فلم يلبث أن توفاه الله تعالى⁴.
وكانت وفاته ليلة عيد الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين، وقد بلغ اثنتين وستين سنة، وكان في
في بيت وحده فوجد لما أصبح، وهو ميّت، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر⁵.
فهذا تعريف موجز للإمام البخاري تضمّن أهم مراحل حياته من الميلاد إلى الوفاة، وقد دلّ على
على قيمة هذه الشخصية العلمية الفذة ما تركه من آثار؛ كان لها الأثر البالغ في علوم الحديث
خصوصاً وعلوم الشريعة عموماً، مما جعل مصنفاته لا سيما الجامع الصحيح جديرة بالدراسة
والاهتمام.

¹ - الوحدان: من لم يرو عنه إلا واحد، ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ت:
أبو قتيبة الفاريابي، دار طيبة، (د. ط)، (د. ت)، (739/2).

² - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (492/1).

³ - الفَرَسَخ: الجمع: فَرَسَخ، من مقاييس المسافة قديماً، وأصل الكلمة فارسية معربة، وهي تعادل ما بين أربعة وستة
كيلومترات في النظام الدولي، https://ar.wikipedia.org/wiki/تاريخ_الدخول:2021/08/10.

⁴ - ينظر: إسماعيل بن عمر، أبو الفداء، بن كثير، البداية والنهاية، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة
والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418 هـ، 1997 م، (33/11).

⁵ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (119/10).

وهذا ما أغراني أن أقيد مجال دراستي الدَّعوية للغزوات بالجامع الصَّحيح، الذي يأتي التَّعريف به في العنصر الموالي.

الفرع الثاني: التَّعريف بالجامع الصَّحيح

إن الكلام حول الجامع الصَّحيح لا يمكن استقصاؤه والإحاطة به في مثل هذه الدِّراسة ذات الملمح الدَّعوي ؛ لذلك سوف أكتفي في التَّعريف به بذكر أهم ما يذكر في التَّعريفات الموجزة بكتب السُّنَّة، مركزا على ما له صلة من قريب أو من بعيد بالدِّراسة، بما يحقق أهدافها، وقد جاء التَّعريف بصحيح البخاري متضمنا القضايا التَّالِيَّة:

أولا: تسمية الكتاب

اشتهر كتاب البخاري بـ "صحيح البخاري"، أما اسمه كما وضعه مؤلفه، فقد وقع فيه بعض الاختلاف بالتقديم والتأخير، فمنهم من ضبطه بـ "الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"¹، وهي التَّسمية التي رجَّحها أكثر الباحثين والمحققين²، قال الحافظ ابن حجر: "سمَّاه: الجامع الصَّحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"³.
وأما دلالة التَّسمية على مضمون الكتاب فلا تخفى، فإطلاق البخاري على كتابه اسم الجامع؛ لكثرة ما فيه من الكتب، والأبواب التي تطرقت لجميع أبواب الدِّين التي بيَّنها النبي ﷺ لأُمَّته، فالجامع" في اصطلاح المحدثين هو الكتاب الجامع لكل أبواب الدِّين من الإيمان وأبواب الفقه، والتَّاريخ، والسِّير، والمغازي، والتَّفسير، والفضائل، والشَّمائل، وأمور الآخرة..."⁴
وعلى كل، فالاختلاف لا يؤثر في المقصود من عنوان الكتاب، الذي يدلُّ على موضوعه وشرطه، فكلا العنوانين يدلان على منهج الكتاب ومراد المصنِّف، وإن اختلف في العنوان بالتقديم والتَّأخير.

¹ - ينظر: إبراهيم الأبناسي، الشذا الفياح، ت: صلاح هلال، مكتبة الرشد، ط1، 1418هـ 1998م، (94/1).

² - ينظر: جمعة عبد الحليم، روايات الجامع الصحيح، دار الفلاح، الفيوم، مصر، ط1، 1424 هـ، 2013 م، (16/1).

³ - ابن حجر، فتح الباري، (08/1).

⁴ - يوسف المرعشلي، علم فهرسة الحديث، نشأته، تطوره، أشهر ما دُون فيه، دار المعرفة. بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ط)،

ثانيا: أسباب التّأليف

كثير من المصنّفات أُلّفها أصحابها لأسباب وبواعث، وإن لم يصرّحوا بها في المقدمات، شأن البحوث الأكاديميّة المعاصرة، فالصّحيح وإن لم يصرّح مؤلفه بأسباب تأليفه، بل لم يجعل له مقدمة أصلا، فإن العلماء نصّبوا على أسباب، وبواعث دفعت البخاري لوضعه استخلصوها من الروايات، والملايسات، والسّيقات المصاحبة للتأليف، أُجملها في التّالي:

1. السبب الموضوعي

أن السبب الموضوعي الذي استنبطه الحافظ ابن حجر العسقلاني من الملايسات التّاريخيّة، ومن معرفته للمصنّفات التي صُنّفت قبل البخاري، هو كونها تضمّ في طيّاتها المقبول، والمردود، واختلط فيها المرفوع بالآثار؛ مما دفع البخاري ليؤلف كتابا يقتصر فيه على الصّحيح المسند. وفي هذا يقول: " فلما رأى البخاري ﷺ هذه التّصانيف، وروّاه، وانتشّق ريّاه، واستجلى مُحيها واستجلى مُحيها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التّصحیح والتّحسين، والكثير والكثير منها يشمله التّضعيف فلا يُقال لغتّه سمين، فحرّك همّته لجمع الحديث الصّحيح الذي لا يرتاب فيه أمين"¹.

2. الدوافع الذاتيّة

وهي أسباب مساعدة قوّت عزم الإمام البخاري الأول، وهي التي يشير إليها الإمام النّووي في قوله: " وأمّا سبب تصنيفه، وكيفيّة تأليفه، فروينا عن إبراهيم بن معقل النّسفي، قال: قال البخاري، رحمه الله: كنت عند إسحاق بن راهويّة، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا مختصرا في الصّحيح لسنن رسول الله ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، وأخذت في جمع هذا الكتاب... وروينا عنه قال: رأيت النّبي ﷺ في المنام، وكأني واقف بين يديه، ويدي مروحة أذبّ عنه، فسألته فسألته بعض المعبرين، فقال: أنت تذبّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصّحيح"². فقد حفّز الإمام البخاري رغبة شيخه، وهي رغبة علميّة من إمام لها قيمتها العلميّة، والبشرى التي رآها في المنام، وأي بشرى وهي رؤية النّبي ﷺ التي علم تعبيرها وتحقّق تأويلها، بإخراج أصحّ كتب السُّنة على الإطلاق.

¹ - ابن حجر، فتح الباري، (06/1).

² - النّووي، تهذيب الأسماء واللغات، (74/1).

ثالثاً: منهج البخاري في كتابه

بعد بيان أسباب تأليف الجامع الصَّحيح يأتي الحديث عن منهج الإمام البخاري في صحيحه، وسيتمُّ الاقتصار على أهمِّ قضايا المنهج التي تناسب مقصد الاختصار المتوخَّى في هذا التمهيد. لذا سأركِّز على المسائل المنهجية التالية:

1. شرط البخاري في الصَّحيح

لقد تحدَّث العلماء عن شرط البخاري في صحيحه من ناحيتين: من ناحية رجال السُّنَد، ومن ناحية الاتصال؛ لكونه اشترط شرطاً خاصاً في كتابه أجملهما فيما يلي:

أ. شرط البخاري في الرواة: قد توصَّل علماء الحديث باستقراء رواة الصَّحيح إلى أن شرط البخاري أن يخرِّج للثقات المتقنين الملازمين لمن أخذوا عنهم، ملازمة طويلة، وأنه قد يخرج أحياناً أحياناً عن أعيان الطبقة التي تلي هذه في الإتقان والملازمة، لمن رووا عنهم¹.

ب. شرط البخاري في الاتصال: للإمام البخاري شرط خاص في قبول الحديث المعنعن، فزيادة على اشتراط عدم تدليس المعنعن؛ يشترط ثبوت سماع الراوي عن عن عن ولو مرة واحدة، ولا ولا يكفي بمجرد المعاصرة وإمكانية اللقاء، شأن الإمام مسلم، لذا كان شرطه أقوى من شرط مسلم².

مع الإشارة إلى أن هذا الشرط المتعلق بالرجال، والاتصال خاص بالأحاديث المسندة الواردة في أصل الكتاب.

أما ما يورده من الروايات ضمن عناوين الأبواب فلا يلتزم فيه ذلك، بل يوردها معلقة في أكثر أكثر الأحيان طلباً للاختصار، وغيرها من الأسباب؛ التي لا يمكن بسطها في هذا المقام، مع هذا فأنها وإن لم تكن على شرط الصَّحيح فهي ليست ضعيفة، قال ابن الصلاح: "ثمَّ إن ما يتقاعد

¹-ينظر: عبد الرحيم بن الحسين، أبو الفضل، العراقي، شرح التبصرة، ت: عبد اللطيف الهميم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423 هـ، 2002 م، (127/1).

²-ينظر: محمد بن إسماعيل الصنعاني، توضيح الأفكار، ت: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417 هـ، 1997 م، (105/1)، أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليقها، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1422 هـ / 2000 م، ص187.

من ذلك عن شرط الصَّحيح قليل، يوجد في كتاب البخاري في مواضع من تراجم الأبواب دون مقاصد الكتاب وموضوعه الذي يشعر به اسمه الذي سماه¹.

2. بيان موضوعه

الأصل في موضوع الصَّحيح أنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً، وهذا مستفاد من تسميته إياه "الجامع الصَّحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، وهذه التسمية بالجامع تفصح عن أمر من الأهمية بمكان، فهو يدلّ على البعد الموضوعاتي للكتاب، فمصطلح "الجامع في اصطلاح المحدثين هو الكتاب الجامع لكل أبواب الدِّين من الإيمان وأبواب الفقه، والتَّاريخ، والسير، والمغازي، والتَّفسير، والفضائل، والشَّمائل، وأمور الآخرة"².

والجامع الصَّحيح من الجوامع التي حوت كل أبواب الدِّين التي يحتاج إليها المبتدئ، ولا يستغني عنها المنتهي، فهو السفر الذي يغني عن حمل الأسفار، وهو معين الباحثين في الدراسات الإسلاميَّة بمختلف فروعها وشعبها وتخصصاتها، وهذا أمر واضح من عناوين كتبه وكثرتها. والكتاب لا يخلو من أشياء ضمنها أبواب الكتب تدلّ على فقهه وغزارة علمه، قال ابن حجر مبيناً ذلك: "ومع هذا فقد ضمنه أموراً أخرى ثمّ رأى ألا يخليه من الفوائد الفقهيَّة والنكت الحكميَّة فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة"³.

فقد ضمن البخاري كتابه إلى جنب الحديث الصَّحيح المسند فقه الحديث في التَّرجمة، ويعضد ما ما يذهب إليه بالآيات والآثار الصَّحابة والتَّابعين⁴.

ومن هنا تتجلى قيمة صحيح البخاري العلميَّة؛ باعتباره من أعظم كتب السُّنَّة، ذات المنهج الفريد الجامع بين إحكام الصنعة الحديثيَّة؛ التي تجلت في شرط الصحة في أعلى مراتبه، والاستنباطات الفقهيَّة الدقيقة، المؤيدة بالآيات والآثار، مما يجعله من مصادر التَّشريع الدَّعوي التي

¹ - عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، (د.ط)، 1406هـ، 1986م، ص 27.

² - يوسف عبد الرحمن المرعشلي، علم فهرسة الحديث، نشأته، تطوره، أشهر ما دون فيه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت)، (د.ط)، ص 05.

³ - ابن حجر، فتح الباري، (8/1).

⁴ - ينظر: أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها، ص 35.

التي لا يستغني عنه المشتغلون بالدراسات الدعوية، في استمداد أصول الدعوة منه المتمثلة في القرآن والسنة واجتهادات الصحابة، والتابعين ومن بعدهم.

3. طريقة عرضه للأحاديث في الصحيح

للتصحيح طريقة خاصة في عرض الأحاديث لا يمكن استيعاب جميع ملاحظاتها ومميزاتها في هذه الدراسة، غير أنني سوف أشير إلى بعضها بما يفي بالغرض في مثل هذا المقام، من خلال ما يلي:
أ. عرض الروايات المعلقة: وهذا ما يصطلح عليه بمعلقات البخاري، والمراد بها ما حذف من بداية بداية إسناده راو أو أكثر ولو إلى نهاية السند، ويوردها الإمام في التراجم وهي عناوين الأبواب.¹
وبالرغم من فقدانها لشروط الصحة وهو اتصال السند إلا أنها لا تضر بشرط البخاري؛ البخاري؛ لكونها لم تسق مساق الأصل، أو أنها موصولة فيه في موطن آخر، أو موصولة خارجه، خارجه، قال السيوطي: "وأكثر ما في البخاري من ذلك موصول في موضع آخر من كتابه، وإنما أورده معلقا اختصارا ومجانبة للتكرار والذي لم يوصله في موضع آخر مائة وستون حديثا، وصلها شيخ الإسلام"².

وأما طبيعتها فأنها تتنوع بين المرفوع، وأقوال الصحابة والتابعين، يأتي بها البخاري لبناء التراجم، ولا يسوقها مساق الأصل، مع الإشارة إلى أن صياغة التراجم، تتنوع من باب لآخر، وليس هذا مجال لبسط منهجه في التراجم.

ب. عرض الروايات المسندة: أما الأحاديث المسندة التي هي موضوع الصحيح، فإن الإمام البخاري، له طريقة خاصة في عرضها، أوجزها فيما يلي:

✓ **تكرار الحديث:** إن من المميزات التي امتاز بها الصحيح تكرار الحديث، وتفريقه على الأبواب بحسب ما تضمنه من فقه، وهنا تظهر ملكته وعبقريته الفقهية، ففي الغالب يكون تكرار الحديث مصحوبا بفوائد متينة، وإسنادية³.

✓ **اختصار الحديث وتقطيعه:** مما يتفرع عن تكرار الحديث اختصار المتن وتقطيعه، فالبخاري لا يسوقه بنفس اللفظ، ففي كل مرة يورده بصيغة، فأحيانا يختصره، وأحيانا يورد منه فقط موضع الشاهد، وكل من التقطع والاختصار يتفرع عن مسألة الرواية بالمعنى، قال

¹ - ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ص 24.

² - السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (1/124).

³ - محمد بن علي الأثيوبي، إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1414 هـ، 1993 م، (1/45).

الصنعاني: " البخاري كان يرى جواز الرواية بالمعنى وجواز تقطيع الحديث من غير تنصيص على اختصاره"¹.

وهذه الميزة في الصحيح تخدم هذه الدراسة الدعوية، إذ تمكن من الاستعانة بتراجم البخاري المستفادة من أطراف الحديث المفرقة في الكتاب في استخراج الأبعاد والقواعد الدعوية المختلفة.

4. عدد أحاديث صحيح البخاري

بعد بيان منهج البخاري في عرض الأحاديث تجدر الإشارة إلى عدد ما تضمنه من الرويات المسندة والمعلقة، مع بيان المكرر منها، معتمدين الإحصاء الذي قام به ابن حجر في مقدمة الفتوح، وهذا تلخيص ما توصل إليه²:

✓ عدد الأحاديث المرفوعة الموصولة بما فيها المكررة 7397 حديثاً.

✓ عدد الأحاديث المرفوعة المعلقة بما فيها المكررة 1341 حديثاً.

✓ عدد ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات 344 حديثاً.

✓ عدد ما فيه من الموصول والمعلق والمتابعات المرفوعة بالمكررة 9082 حديثاً.

✓ عدد الأحاديث المرفوعة الموصولة بدون تكرار 2602 حديثاً.

✓ عدد الأحاديث المعلقة بدون تكرار 159 حديثاً.

✓ عدد الأحاديث المرفوعة موصولة أو معلقة بدون تكرار 2761 حديثاً.

الفرع الثالث: كتب وأبواب الصحيح وعلاقتها بموضوع الدراسة

ألّف البخاري رحمه الله الجامع الصحيح وفق منهج الترتيب الموضوعي التجميعي، فقسّمه إلى كتب وجعل لكل كتاب عنوان، ثم قسم الكتاب إلى أبواب وجعل لها عناوين فرعية تتعلق بعنوان الكتاب، وهي ما يطلق عليها بالتراجم، ثم أورد تحت كل باب ما يناسبه من الأحاديث. وفيما يلي بيان بعض ملامح المنهج الموضوعي في ترتيب الصحيح وعلاقتها بموضوع الدراسة:

¹ - الصنعاني، توضيح الأفكار، (50/1).

² - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (466/1)، عبد المحسن العباد البدر، الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثانية، العدد الرابع ربيع الثاني 1390هـ، ص41.

أولاً: المنهج الموضوعي الجامع

أن المنهج الموضوعي الجامع يدرك ابتداءً من تسمية الكتاب، فاسم الجامع عند المحدثين يطلق على الكتب الحديثية التي صنفت وفق الترتيب الموضوعي، وكانت تضم أحاديث العقائد، وأحاديث الأحكام وأحاديث الرقائق، وأحاديث الآداب، والأحاديث المتعلقة بالتفسير، والأحاديث المتعلقة بالتاريخ والسير، وأحاديث الفتن والملاحم، وأحاديث المناقب والفضائل¹. ومحتواه يدلّ على ذلك؛ فقد تضمن من كل أحاديث الجوامع المنضوية تحت كتبه وأبوابه التي تناسبها في الموضوع.

وأما عن عدد هذه الكتب والأبواب؛ فقد عدّها طاهر الجزائري بقوله: "وعدد كتب البخاري مئة مئة وشيء وعدد أبوابه ثلاثة آلاف وأربع مئة وخمسون باباً مع اختلاف قليل في نسخ الأصول"². إن هذا العدد الكبير من الأبواب (3450)، ليدلّ على البعد الموضوع الجامع الواسع في الصحيح، وخاصة إذا علمنا أن كل باب عبارة عن استنباطات دقيقة استفادها الإمام البخاري من النصوص الصحيحة؛ لذا قيل فقه البخاري في تراجمه³، وهذا ما يدفعنا للحديث عن هذه التراجم في الصحيح بإيجاز.

ثانياً: تراجم الصحيح

المقصود بتراجم الصحيح عناوين الأبواب، فقد أودعها كثيراً مما اهتدى إليه باجتهاده، واستنبطه واستنبطه بعقله مما يدلّ على براعته في الفقه واستنباط الأحكام الشرعية، فقد كان من أئمة الفقه الفقه المجتهدين لذلك جاء كتابه جامعاً لكثير من المسائل الفقيه⁴.

وأما طريقته في الترجمة للأبواب فقد بينها ابن حجر، في قوله: "ولنذكر ضابطاً يشتمل على بيان بيان أنواع التراجم فيه وهي ظاهرة وخفية أما الظاهرة فليس ذكرها من غرضنا هنا وهي أن تكون تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمونها وإنما فائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير

¹ - محمد الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ، 1996م، ص250.

² - طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1416هـ، 1995م، (243/1).

³ - ينظر: نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر دمشق، ط3، 1418هـ، 1997م، (198/1).

⁴ - محمد أبو زهرة، الحديث والمحدثون، دار الفكر العربي، (د.ط)، 1378هـ، ص380.

اعتبار لمقدار تلك الفائدة كأنه يقول هذا الباب الذي فيه كيت وكيت أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلاني مثلا وقد تكون الترجمة بلفظ المترجم له أو بعضه أو بمعناه وهذا في الغالب قد يأتي من ذلك ما يكون في لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى واحد فيعين أحد الاحتمالين بما يذكر تحتها من الحديث وقد يوجد فيه ما هو بالعكس من ذلك بان يكون الاحتمال في الحديث والتعيين في الترجمة والترجمة هنا بيان لتأويل ذلك الحديث نائبة مناب قول الفقيه مثلا المراد بهذا الحديث العام الخصوص أو بهذا الحديث الخاص العموم إشعارا بالقياس لوجود العلة الجامعة أو أن ذلك الخاص المراد به ما هو أعم مما يدلّ عليه ظاهره بطريق الأعلى أو الأدنى ويأتي في المطلق والمقيد نظير ما ذكرنا في الخاص والعام وكذا في شرح المشكل وتفسير الغامض وتأويل الظاهر وتفصيل المجمل وهذا الموضوع هو معظم ما يشكل من تراجم هذا الكتاب ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه البخاري في تراجمه وأكثر ما يفعل البخاري ذلك إذا لم يجد حديثا على شرطه في الباب ظاهر المعنى في المقصد الذي ترجم به ويستنبط الفقه منه".¹

وقد أوردت كلام الحافظ ابن حجر بطوله لدلالته على منهج الإمام البخاري في الترجمة بدقة، فقد قسمها إلى تراجم ظاهرة وخفية، وبين أن التراجم تمثل جانب الصناعة الفقهية في الصحيح، بطريقة لطيفة لا تدرك إلا بتأمل المناسبة بين الترجمة وما انطوى تحتها من المرويات.

ثالثا: الأبعاد الدعوية للغزوات وعلاقتها بكتب الجامع الصحيح

قد تبين مما سبق أن الجامع الصحيح من الكتب الجامعة لأنواع شتى من العلوم والمعارف، ويلحظ ذلك من كثرة كتبه، وأبوابه وتنوع مضامينها، ولقد كانت الدعوة باعتبار أن موضوعها الإسلام حاضرة في كل كتاب من كتبه بل في كل باب من أبوابه، أما الأبعاد الدعوية المتعلقة بالغزوات تحديدا فلقد كان لها نصيب وافر في الصحيح، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

1. إفراد الإمام البخاري المغازي بكتاب خاص أورد فيه المغازي من أول غزوة إلى آخر بعث بعثه النبي ﷺ، وقد ضمنه الغزوات والسرايا والبعوث والوفود ومكاتبة الملوك، وغير ذلك مما هو مُسَبَّب عن الغزوات، أو سبب لها.²

¹- ابن حجر، فتح الباري، (13/1).

²- رواه البخاري في صحيحه، (71/5)، (6-16)

2. وجود كتب في الجامع الصَّحيح لها علاقة مباشرة بالمغازي، وهي ثلاث كتب رئيسية:

✓ "كتاب الجهاد والسير"¹.

✓ "كتاب الجزية"².

✓ "كتاب فرض الخمس"³.

فهذه الكتب قد اتخذت مرويات المغازي كمادة أساسية لها، ويظهر ذلك من تراجم أبوابها والمرويات المسندة تحتها⁴.

3. تضمن الجامع الصَّحيح كتباً لها صلة غير مباشرة بالمغازي، ومن هذه الكتب:

"كتاب المناقب"⁵؛ الذي تناول قضايا من السيرة النبوية خصوصاً ما تعلق بما قبل المبعث، وبعض الخصائص النبوية، و"كتاب أصحاب النبي ﷺ"، و"كتاب مناقب الأنصار"؛ الذي خصصه لمناقب الأنصار⁶.

ولا تخفى مناسبة مناقب الصحابة ﷺ للغزوات؛ فهم جنودها، وقادتها، ومدعوها، ودعاتها، وما وصلتنا مرويات المغازي إلا عن طريقهم، قال زين العابدين علي بن الحسين بن علي: "كنا نعلم مغازي رسول الله - ﷺ -، كما نعلم السورة من القرآن"⁷.

¹ - السير: "جمع سيرة وأطلق ذلك على أبواب الجهاد لأنها متلقاة من أحوال النبي ﷺ في غزواته"، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (4/6)، ومن ثمَّ فإن تسمية الكتاب تدلُّ على صلتها المباشرة بالمغازي وأبعادها الدعوية.

² - الجزية: قال القسطلاني: "هي مال مأخوذ من أهل الذمة لإسكاننا إياهم في دارنا أو لحقن دمائهم وذرائعهم وأموالهم أو لكفنا عن قتالهم"، القسطلاني، إرشاد الساري، (229/5)، اسم الكتاب مناسب للأبعاد الدعوية للغزوات، فأهل الكتاب الحاربين يقاتلون، وقبل قتالهم يدعون إلى الإسلام، أو دفع الجزية مع بقائهم على ديانتهم، وإنما أخذت هذه الأحكام من فعل النبي ﷺ من خلال مغازيه وسيره، كما يدلُّ عليه مضمون الكتاب.

³ - الخمس: المراد بالخمس خمس الغنيمة، قال ابن حجر: "ما يؤخذ من الغنيمة والمراد بقوله فرض الخمس أي وقت فرضه أو كيفية فرضه أو ثبوت فرضه"، ابن حجر، فتح الباري، (198/6)، ومناسبة ذلك للمغازي بينة فما الغنائم إلا نتيجة من نتائجها.

⁴ - ينظر: صحيح البخاري، (14/4)، (78/4)، (96/4).

⁵ - المناقب: جمع منقبة، وهي المفاخر، و المكارم، و المخابر، و المآثر، و الفضائل، ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (2/6).

⁶ - ينظر: صحيح البخاري، (177/4)، (2/5)، (30/5).

⁷ - سعد المرصفي، الجامع الصحيح للسيرة النبوية، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط1، 1430 هـ، 2009 م، (51/1).

4. احتواء بعض الكتب لتراجم، ومرويات تتعلق بالمغازي، ويعد " كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ " ¹ من أكثر الكتب علاقة بالمغازي، وذلك من خلال تفسير الآيات الواردة في موضوعها، فإنه يورد الآيات الواردة في الغزوة ويجعلها تراجم للأبواب، وأحيانا يشرح بعض الغريب، أو يأتي ببعض ما جاء فيها من تفسير معلقا، ثم يورد الروايات المتعلقة الآية، من مرويات المغازي مسندة على شرطه.

فقد أورد الآيات التي نزلت في الغزوات، وجعلها تراجم لكتاب التفسير وفق منهجه في التراجم، ثم يسرد ما يناسب الآية أو الآيات من المرويات الصحيحة المسندة.

فقد ترجم لكتاب التفسير بآيات كثيرة من آيات المغازي، فمن ذلك: باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾ [آل عمران: 128]، باب قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ بِاتَّفَاقٍ مِنَ اللَّهِ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 01]، باب ﴿وَعَلَى الْكَلْبَةِ الَّذِينَ خَلَبُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْبُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا أَنْ اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118]، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 26]، باب قوله: ﴿مَا فَطَعْتُمْ مِن لَّيْنَةٍ ²﴾ [الحشر: 05]، باب ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ بَامْتِحْنُوهُنَّ﴾ [المتحنة: 10]، باب قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْبَعُثُوا﴾ [المنافقون: 7]، باب ﴿أَنَا بَقْتَحْنَا لَكَ بَقْتَحاً مُّبِيناً﴾ [الفتح: 1] باب قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 01] ³.

فكل هذه التراجم القرآن ية تشير إلى المغازي وحوادثها، فقد أشارت على التوالي إلى غزوات:

¹ - ينظر: صحيح البخاري، (16/6).

² - لينة: هي صنف من النخل، وذكر أن تخصيصها بالذكر إيماء إلى أن الذي يجوز قطعه من شجر العدو ما لا يكون معدا للاقتنيات لأنهم كانوا يقتاتون العجوة، والبرني دون اللينة، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (33/7).

³ - ينظر: صحيح البخاري، (153 /5)، (38 /6)، (61 /6)، (70 /6)، (135 /6)، (147 /6)، (149 /6)، (154 /6)، (179 /6).

أحد، بدر، تبوك، حنين، بني النضير¹، الحديبية، بني المصطلق، خيبر، الفتح².
وتأتي باقي كتب الصحيح في المرتبة الثانية من حيث تضمنها لمرويات المغازي، وبعض التراجم ذات الصلة بها، مع تفاوت فيما بينها، في عدد المرويات.

فمن ذلك ما ورد في: "كتاب الإيمان" باب: أداء الخمس من الإيمان، "أبواب صلاة الخوف"
باب: الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو، "كتاب المزارعة" باب: المزارعة بالشرط ونحوه،
ونحوه، "كتاب المظالم والغصب" باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تحرق الزقاق، فإن
فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنورا، أو ما لا ينتفع بخشبه، و"كتاب الشركة" باب مشاركة
الذمي والمشركين في المزارعة، و"كتاب الصلح" باب الصلح مع المشركين، و"كتاب النكاح"،
باب تزويج الثيبات، "كتاب القدر" باب الأعمال بالخواتيم، "كتاب الديات"، باب إذا عض
رجلا فوقت ثناياه، و"كتاب الأحكام" باب: هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من
الكلام معه والزيارة و نحوه، "كتاب التوحيد"، باب قول الله: ﴿هُوَ اللَّهُ لَخَلِيقِ الْبَارِئِ الْمُصَوِّرِ﴾
[الحشر: 24]، وغيرها من المواضع³.

فقد اكتفيت بالتمثيل بهذه المواضع من الصحيح خشية التطويل في هذا التمهيد، وأحسب أن
هذا القدر كاف لبيان امتداد مرويات المغازي في الجامع الصحيح في كتب مختلفة ذات مضامين
متعددة، وفي ذلك إشارة إلى تعدد الأبعاد الدعوية في الغزوات النبوية في الصحيح، وسيأتي بسطه
في ثنايا هذا البحث.

ومن هنا أخلص إلى أن مرويات المغازي حاضرة بكثافة في الجامع الصحيح، التي تتمركز أساسا
في كتاب المغازي، الذي بدأه بأول غزوة غزاها النبي ﷺ، وختمه بترجمة كخاتمة للكتاب عدد فيها
عدد الغزوات.

¹ - بنو النضير: اسم قبيلة يهودية كانت تسكن بالمدينة ممن وفدوا إلى المدينة في العصر الجاهلي، ولم يكن لهم حق فيها، لأنهم
لم يكونوا من العرب، كأن بنو النضير، وبنو قريظة يسكنون العوالي. ومن مواطنهم: «وادي بطحان» و «البويرة»، فغزاهم
رسول الله سنة أربع للهجرة، وفتح حصونهم. محمد شراب، المعالم الأثرية في السنة والسير، (1/288).

² - قد ورد عن مجاهد أن المراد بالفتح فتح خيبر، ينظر: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أبو القاسم، البغوي، معالم التنزيل في
تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط 1، 1420هـ، (222/4).

³ - ينظر مظان هذه التراجم وما انطوى تحتها من مرويات المغازي في المواضع التالية من الصحيح: (20/1)، (15/2)،
(104/3)، (136/3)، (140/3)، (185/3)، (5/7)، (124/8)، (124/8)، (8/9)، (82/9)، (121/9).

ثمّ تتفرّع وفق منهجه في تكرار الحديث في كتب متعددة منها ماله صلة مباشرة بالمغازي، وأخصّ منها ثلاثة كتب: كتاب الجهاد والسير، الذي ضمنه تراجم استمدّها من مرويات المغازي، فكانت بمثابة قواعد وأصول الجهاد، وكتاب فرض الخمس وكتاب الجزية، وهما كتابان تأصيليان لقضية المغازي والجزية، فقد تضمننا قواعد استمدت من مرويات المغازي؛ باعتبارها التطبيق النموذجي للتعامل مع القضايا الماليّة المتعلقة بالغزوات، والتعامل مع أهل الكتاب، بمصالحتهم وأخذ الجزية منهم...

ولم تخل باقي الكتب المتنوعة للجامع الصّحيح من مرويات المغازي، لما تضمنته من فقه يستنبطه الإمام البخاري ويضمنه تراجم كتابه، وقد توصلت إلى أن أكثر الكتب بعد الكتب السالفة تضمننا لمرويات المغازي كتاب التفسير من الجامع، فقد جعل الكثير من الآيات الواردة في المغازي تراجم للكتاب ثمّ أرفدها بمرويات المغازي من قبيل تفسير القرآن بالسنة. وبهذا التمهيد الموجز أكون قد ضبطت مصطلحات العنوان الأساسيّة مبينا المراد منها في الدراسة، وعرفت بشخصيّة الإمام البخاري، وكتابه الجامع الصّحيح، مبرزا العلاقة الوطيدة بينه، وبين الإشكاليّة التي ستتولى الدراسة الإجابة عنها من خلال الفصول التّالية.

الفصل الأول

الأبعاد الدّعوية الرسالية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأبعاد الدّعوية العقديّة

المبحث الثاني: الأبعاد الدّعوية التشريعية

الفصل الأول

الأبعاد الدعوية الرسالية

إن الدعوة الدينية عموماً والدعوة الإسلامية على وجه الخصوص لا تتوقف عند البعد الاتصالي التبليغي فحسب -رغم أهميته في العمل الدعوي-، فحتى تكامل العملية الدعوية ينبغي أن تقوم على أسس وأصول، تستمد منها قوتها وحجيتها، لتحقق بقاءها واستمرارها، ولعل الذي يضمن لها ذلك ارتكازها على الوحي الخالد المهيم على الزمان والمكان، والمستوعب للنوازل والطوارئ، والحوادث اللامتناهية.

ولما كانت الدعوة النبوية هي النموذج الدعوي الذي تكاملت فيه كل عناصر العملية الدعوية، وكانت المغازي من الميادين الكبرى، التي شغلت حيزاً زمنياً وجغرافياً من حركة الدعوة النبوية في العهد المدني، فلا شك أن العمل الدعوي فيها كان مبنيًا على أسس عقديّة؛ باعتبار أن العقيدة هي المنطلق الأول الذي تنطلق منه كل الداعوت في بعدها التصوري الفكري، الذي يترجم بعد ذلك إلى تصديقات عمليّة، تحتاج إلى أن تضبط بأصول تشريعيّة؛ حتى لا تحيد ولا تنحرف عن مقاصد الرسالة العامة.

وقصد بيان هذه الأسس والأصول العقديّة والتشريعيّة¹، ومدى حضورها في المغازي من خلال

الصحيح، وعلاقتها بالعمل الدعوي، جاء هذا الفصل ليتولى دراستها في مبحثين:

المبحث الأول: الأبعاد الدعوية العقديّة

المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية التشريعيّة

1- لم أدرج المضمون المتعلق بالأخلاق في البعد الرسالي، لأنها مرتبطة بشكل مباشر بسلوك الداعية والمدعو، لذا استحسنتم التعرض لها في الفصل الذي خصصته للأبعاد السلوكية تجنباً للحشو والتكرار.

المبحث الأول:

الأبعاد الدَّعوية العقديَّة مدية

قد كان للمضمون العقدي حضورا مكثفا في الدَّعوة الإسلاميَّة، وفي الدَّعوات الدَّينيَّة السابقة، ويظهر ذلك جليا في الحيز الذي تشغله المواضيع العقديَّة من نصوص الكتاب والسُّنة.

ونظرا لتلك المكان

ة التي تبوأتها العقيدة من الدَّعوة، فهي منها بمثابة الرُّأس للجسد، والأساس بالنسبة للبناء، فقد رأيت أن أفتح الفصل الأول من هذه الدِّراسة بالحديث عن حضورها كمحور من محاور الرسالة الدَّعوية النَّبوية؛ للكشف عن مدى عناية النَّبي ﷺ بها في ميدان الغزوات، وأثر تلك العناية على الفعاليَّة الدَّعوية في هذا الميدان الحساس.

مع التنبيه على أنني لا أريد استقصاء المسائل والقضايا العقديَّة الجزئيَّة، وإنما المراد هو تتبع المنهج الدَّعوي العقدي الذي سلكه النَّبي ﷺ لتقرير العقيدة الصَّحيحة، وتثبيتها في النفوس، وبيان ما يضادها من الشرك بمختلف أشكاله ومظاهره، من خلال ما وقفت عليه من مواقف في الغزوات النَّبوية، الواردة في الصَّحيح.

وسيتم التركيز على أصول الرسالة العقديَّة الكبرى؛ التي تشكل المنطلقات، والأسس التي يرتكز عليها البناء الدَّعوي في كل الرِّسالات الدَّينيَّة، عبر مراحلها، ومستوياتها المختلفة، في مطلبين:

المطلب الأول: الأبعاد الدَّعوية العقديَّة الم تعلقة بالإلهيات.

المطلب الثاني: الأبعاد الدَّعوية العقديَّة الم تعلقة بالسمعيات

المطلب الأول:

الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالإلهيات.

يحتل محور الإلهيات صدارة المباحث العقديّة، فهو من محاورها الكبرى، بل محورها الأصلي الذي تتفرع عنه الأصول العقديّة الأخرى، من أجل ذلك لا يكاد يخلو مضمون دعوي من التعرض له والدَّعوة إليه، كما تدلّ على ذلك دعوات للأنبياء والمرسلين عليهم السَّلام التي تضمنها القصص القرآن الكريم.

ولما كانت الدَّعوة الإسلاميّة خاتمة تلك التجارب، وكانت المغازي النَّبوية ميدانا من ميادينها، جاء هذا المطلب في طليعة هذا الفصل ليتولى بالدراسة مبحث الإلهيات في هذا الميدان الحيوي من السَّيرة النَّبوية انطلاقا من صحيح الإمام البخاري، محاولا الإجابة عن التساؤل التَّالي:

ما أهم الأبعاد الدَّعوية لمحور الإلهيات التي تضمنتها مرويات المغازي في الصَّحيح؟

وسوف تتم الإجابة عن هذا التساؤل عبر فرعين:

الفرع الأول: الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بتوحيد المعرفة والإثبات

يعد توحيد المعرفة والإثبات من قضايا الإلهيات الجوهرية، ومن محاورها الكبرى التي لا يخلو منها مضمون عقدي في أي دعوة من الدَّعوات، ذلك أنه يتناول توحيد الربوبية، والأسماء والصفات.

ولبيان أهميته في الدَّعوة وحضوره في المغازي؛ باعتبارها جزء من الفعل الدَّعوي النَّبوي، جاء هذا العنصر من الرسالة ليجيب عن التساؤل التَّالي:

ما الأبعاد الدَّعوية لتوحيد المعرفة والإثبات التي تضمنتها مرويات المغازي في الصَّحيح؟

وسوف أحاول الإجابة عن هذا السَّؤال من خلال ما يلي:

أولاً: الأبعاد الدَّعوية لتوحيد الربوبية^(*)

قد برزت عدة مظاهر لتوحيد الربوبية في الغزوات، أبين بعضها منها مع الإشارة إلى أبعادها الدَّعوية، فمن ذلك:

1. الأبعاد الدَّعوية للتَّفرد بالتَّديب

يدرك المتتبع للدَّعوة النَّبوية من خلال سَيْر المغازي كيف تجلَّت فيها حكمت التَّديب الإلهي، فقد فقد نصر الله تعالى نبيه وأظهر دينه، وما كان ذلك ليحصل لولا هذه العناية الرَّبَّانية، وقد صرَّح بذلك القرآن الكريم في العديد من آيات الغزوات التي جعلها البخاري تراجم لكثير من أبواب الصَّحيح².

فقد جاء في سياق غزوة بدر قوله ﷺ: ﴿ وَمَا النَّصْر إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 10]، وجاء في سياق غزوة أحد قوله تعالى: ﴿ وَمَا النَّصْر إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: 126]، فالآيتان تدلان عن طريق أسلوب القصر أن النَّصر الحقيقي بمشيئة الله، فهو ينصر من يشاء من عباده، فالأمر كلُّه بيديه، ومرجع الأمور إليه، وهذا مقتضى ربوبيته³.

(*) - الربوبية في اللغة من مادة: "رب" التي تدلُّ على إصلاح الشيء والقيام عليه، والرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، أما في الاصطلاح: فتوحيد الربوبية هو إفراد الله سبحانه في الخلق والملك والتَّديب، والإقرار بأنه هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه فضع ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (381/3)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 1399هـ، 1979م (179/2)، حافظ حكيمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، (459/2)، العقائد الإسلامية، عبد الحميد بن باديس، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط2، ص82، مُجَّد بن صالح بن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط6، 1421هـ (21/1).

² - ينظر: البخاري، رواه البخاري في صحيحه، (71/5)، (153/5)، (38/6)، (61/6)، (70/6)، (135/6)، (147/6)، (149/6)، (154/6)، (179/6).

³ - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م، ص146.

وأكد النبي ﷺ ذلك؛ تعميقاً لهذا الإيمان في قلوب المدعوين، وربطهم بالله تعالى، فعن ابن عباس
عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ»¹.

وقد أشار الإمام البخاري إلى أبعاد دعوية تضمنتها هذه الرواية من خلال تراجمه عليها².

وهو إشارة إلى الريح التي أرسلها الله تعالى على الأحزاب، قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي آمَنُوا بِذِكْرِهِ
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 09]، فهذه معجزة نصر الله بها نبيه وأيده بها دالة على قدرته
وربوبيته³.

فإيمان الداعية بأن الله تعالى هو المتفرد بالتدبير من شأنه أن يشحذ من فاعليته الدعوية في كل
الميادين، ويقوي عزيمته على مجابهة كل التحديات مهما كان حجمها، باتخاذ ما في وسعه من
الأسباب الملائمة، والمكافئة لكل موقف وتحذ، وهذا فرع عن التوكل الصحيح الذي ينبغي أن
يتسم به الداعية المؤمن.

2. الأبعاد الدعوية للتفرد بالرزق

فقد شاهد صحابة رسول الله ﷺ رأي العين في مختلف الغزوات كيف ينعم الله تعالى عليهم بالنعم
بالنعم المتنوعة والمتعددة، بأسباب، وبغير أسباب، ومن تلك النعم التي رزق بها المسلمون في
الغزوات ما يلي:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، (109/5)، برقم: 4105، والمراد
بالصبا والدبور جهات الريح، فالدبور تأتي من دبر الكعبة وتقابلها الصبا، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث،
(98/2).

² - قد كرر الإمام البخاري الحديث في مواطن متعددة من الكتاب مبرزاً ما فيها من فقه دعوي، فقد خرج في أبواب
الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا، 33/2، برقم: 1035، وكتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي
يُرْسِلُ الرِّيحَ تَنْثُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: 38]، 109/4، برقم: 3205، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل:
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]، 137/4، برقم: 3343، فقد دلت عناوين الكتب والتراجم بوضوح إلى
الربوبية، فبدء الخلق يشير إلى التفرد بالخلق، وهلاك قوم عاد يدل على التفرد بالإحياء والإماتة، وإرسال الريح يشير إلى التدبير،
والاستسقاء يشير إلى التفرد بالرزق، وكل ما سبق يتضمن التفرد بالملك، فالريح مثلاً من ملكه يتصرف فيه بما شاء وكيفما
شاء، كما تشير التراجم إلى أبعاد دعوية أخرى، كالمضامين التشريعية الأصولية والفروعية، وتاريخ الدعوة، والتحديات
الدعوية.

³ - سعيد القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، (د، ط)، (د، ت)، ص 54.

أ. نعمة النصر

يعد النصر، والتّمكن بعد الضّعف، والخوف من أعظم النّعم التي ينعم الله تعالى بها على عباده المؤمنين، من أجل ذلك ذكر بها القرآن الكريم مؤكداً أن النّصر من عند الله وحده في عدة مواطن، قال سبحانه في شأن نصر المؤمنين في بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّبُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123] .

والملاحظ أن الآية بينت أثراً من آثار هذا الاعتقاد، وهو شكر الله تعالى؛ بتحقيق التقوى التي لا تتم إلا بالتزام شرع الله تعالى في جميع مناحي الحياة. وهذا الربط بين العقيدة، والسُّلوك ينبغي أن يوظفه الدُّعاة في العمل الدَّعوي، ولعل من بين أسباب ضعف الخطاب الدَّعوي غياب التكامل بين العقيدة، والشريعة والسُّلوك.

لذا كان سيد الموحدين ﷺ يكثر من الدُّعاء بالنّصر، وهزيمة الأعداء في مواقف من غزواته، كما كما في غزوة بدر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ، وهو في قبة: «اللَّهُمَّ أَيْ أَنشُدْكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَاءُ لَا تُعْبِدُ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا اللَّهُ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ يَنْبُ فِي الدِّرْعِ، فَحَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَنْعُ وَيُوَلِّونَ الدَّبْرَ﴾ [الفر: 46]¹.

ب. نعمة الغنم

قد فتح الله تعالى على المؤمنين بالغنائم المختلفة، فهي لا شك أنها رزق ساقه الله تعالى إليهم، وحتى لا يفتتن النَّاسُ بالدُّنيا ربطت هذه النّعم بالعقيدة؛ باعتبار أن الله تعالى وحده المنعم بها. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة العقديّة عند الحديث عن فيء غزوة بني النضير، قال تعالى: ﴿وَمَا أَبَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ مِمَّا أَوْجَبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 06]، قال الطبري عقب الآية: "يذكر رهم أنه نصرهم، وكفاهم بغير كراع، ولا عُدة."²

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، والقميص في الحرب، (41/4)، رقم: 2915.

² - الطبري، جامع البيان، (514/22).

وكان من آثار هذا البعد العقدي أن المسلمين لم يعودوا يقاتلون من أجل الغنائم - يزعم أعداء الدعوة¹ - ويظهر ذلك جليا في مواقف كثيرة منها: تنازلهم عن حقهم في المغنم من أجل استعطاف المؤلفة قلوبهم يوم حنين وغيرها، وليس هذا فحسب، فقد تبرّع الكثير منهم بما حصلوا حصلوا عليه من المغنم، ومن حرّ ما لهم خدمة للدعوة².

وزيادة على تلك الآثار، فإن الإيمان بتفرد الله تعالى بالإنعام يحصّن الدّاعية من داء الغرور الذي يُعدُّ من التّحديات النّفسيّة التي أفضلت، وشلّت الكثير من الحركات الدّعوية، خاصة على مستوى القيّادة.

3. الأبعاد الدّعوية للتفرد بالخلق³

من مقتضيات الربوبية تفرد الله تعالى بالخلق، فالمؤمن يوقن أنه لا يكون إلا ما شاء الله، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68]، وهذا الاعتقاد لا شك له أثره على نفسية وسلوك المؤمن، من أجل ذلك حرص النبي ﷺ على تثبيته حتى أثناء الغزو، مما يدلّ على أن الدعوة والتربية على التّوحيد بجميع أنواعه عمليّة مستمرة لا تنقطع أبداً، ولعل هذا من أسرار نجاح الدعوة النبوية.

ومن أمثلة العناية بهذه المسألة العقديّة أثناء الغزو، ما قاله رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، للصحابة لما سألوه عن العزل: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ

¹ - ينظر: سيد العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري، جدة، ط1، 1424 هـ، 2004 م، (249/1)، سالم علي البهنساوي، تحافت العلمانية في الصحافة العربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1410 هـ، 1990 م، ص211.

² - ينظر: صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب؟ (12/4)، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (159/5).

³ - لأهمية قضية الخلق الدعوية؛ فقد كثر ورودها في القرآن الكريم، قال الشنقيطي: "ومن تأمل براهين القرآن على وحدانية الله تعالى وعلى قدرته على البعث، وهما أهم القضايا العقائدية يجد أهمها وأوضحها، وأكثرها هو هذا الدليل أعني دليل الخلق"، مُجّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 1415 هـ، 1995 م، (70/8).

كَائِنَةً»¹، قال ابن بطال عقب الحديث: " فالعزل والإفضاء سواء في ألا يكون منه ولد إلا بتقدير الله"².

فقد رَبَّتِ العقيدةُ المسلمَ على أن الله هو المتفردُ بخلق الحياة والموت، وأن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، فكان لهذا البُعد العقدي أثره البالغ في نفوس الأتباع من الصحابة رضي الله عنهم، تجلّى في شجاعتهم أثناء خوض المعارك، والصّدق بالحق، وعدم المبالاة بقوة العدو الماديّة.

فقد خاضوا معارك غير متكافئة مع العدو من حيث العدة والعدد، كغزوة بدر، والأحزاب، وغيرها³.

ومن ثمّ فإنّ الإيمان بتفرد الله تعالى بالخلق، ينمي الكثير من الصّفات الإيجابيّة لدى الدّاعية، والمدعو على حدّ سواء، كالشّجاعة في قول الحق والثبات عليه، والدّعوة إليه، فمن غير الممكن أن تنجح الدّعوة بالجبناء، وضعاف الإيمان.

فمما سبق تُدرك العناية النبوية بهذا النوع من التّوحيد؛ تعليماً، وتثبيتاً، ومتابعة، وتفعيلاً؛ مما جعل آثاره تظهر بوضوح على الفعل الدّعوي، والفعاليّة الدّعوية في الغزوات، فكانت الحفاوة به بهذا المنهج من أهم عوامل انتصار المسلمين في تلك المعارك غير المتكافئة في بعض الأحيان عدّة وعتادا.

وفي نهاية المطاف فإنّ الاهتمام بتوحيد الربويّة يشكّل جزءاً من الرسالة العقديّة للدّعوة الإسلاميّة، الذي ظل ملازماً لها، وبقي مستمراً معها في كل الميادين التي تحركت فيها، وإنّ تفاوت

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق، من خزاعة، (115/5)، برقم: 4138، قد تكرر الحديث في كتب متنوعة الأبعاد الدّعوية، فقد خرج في كتاب البيوع، باب بيع الرقيق، 83/3، برقم: 2229، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً، فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، 148/3، برقم: 2542، وكتاب النكاح، باب العزل، 33/7، برقم: 5210، وهذه كتب تندرج تحت البعد الدعوي التشريعي.

وفي كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّفْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38]، 123/8، برقم: 6603، كتاب التّوحيد، باب قول الله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي وَلَّى الْبَارِئُ الْمَصُورَ﴾ [الحشر: 24]، 121/9، برقم: 7409، وهي تندرج تحت البعد العقدي، كما تشير تراجمها بوضوح إلى توحيد الربويّة، فالترجمة الأولى تدلّ على التدبير، والثانية على الخلق.

² - علي بن خلف بن عبد الملك، أبو الحسين، ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ت أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط1423، 2هـ، 2003م، (329/7).

³ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عدة من شهد بدراً، (73/5) برقم: 3958

تفاوت هذا الاهتمام تبعاً لمراحل الدعوة؛ فإن هذا لا يكون ذريعة لإقصائه من العمل الدعوي، أو أو إغفاله.

ثانياً: الأبعاد الدعوية لتوحيد الأسماء الحسنى*

قد وردت جملة من الأسماء الحسنى في الغزوات النبوية، في الصحيح سواء في الآيات القرآنية التي يترجم بها البخاري أبواب كتاب المغازي، أو سياق مرويات المغازي، وهذا إن دل على شيء شيء إنما يدل على أهميتها في تعريف المدعو بالله، قال سيد سابق عن الأسماء الحسنى: "هي النوافذ التي يُطلُّ بها القلب على الله مباشرة، وهي التي تعطينا صورة صحيحة عن الكمال الإلهي المطلق"¹.

ولكثرهما سوف أكتفي بذكر نماذج منها؛ للاستدلال، والاستشهاد على حضور هذا البعد الدعوي العقدي في الغزوات، وقد وردت الأسماء الحسنى على سبيل الأفراد، وعلى سبيل الاقتران وفق ما يلي:

1. الأبعاد الدعوية للأسماء الحسنى المفردة

بدايةً أتحدث عن الأسماء الحسنى المفردة التي لم تقترن بغيرها الواردة في مواضع مختلفة من نصوص المغازي القرآنية والحديثية في الصحيح، وهذا ما ستبرزه التماذج التالية من مرويات المغازي:

أ. الأبعاد الدعوية للفظ الجلالة ﴿الله﴾

* - قبل تعريف توحيد الأسماء الحسنى لا بد أن أعرف بتوحيد الأسماء والصفات، فهو إفراد الله تعالى بأحسن الأسماء وأكمل الصفات التي لا تنبغي لأحد غيره، كما أثبتتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما يناه كماله سبحانه، هذا إجمالاً؛ وأما الأسماء الحسنى التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها فهي صيغة تفضيل، بالغة في الحسن غاية، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180]، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ينظر: ابن تيمية، التدمرية، ص 08، محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية، ت: عواد عبد الله المعتق، ط 1، 1408هـ، 1988م، (2/ 179)، عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، ص 73، ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (29/1)، عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ط 1، 1420هـ، ص 30، كاملة الكواري، المجلى في شرح القواعد المتلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، دار ابن حزم، ط 1، 1422 هـ، 2002 م، ص 33.

¹ - سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، دار البعث، الجزائر، (د.ط)، 1408هـ، 1987م، ص 14.

قد كثر ورود اسم الله الحسن «الله» في مرويات المغازي في الصحيح، ذلك أنه اسم جامع لجميع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ومعناه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، أجمعين، لما اتصف به من صفات الكمال، التي توجب أن يكون المعبود وحده، دون سواه بأنواع بأنواع العبودية الظاهرة والباطنة¹.

ومن المواقف التي ورد فيها هذا ذكر هذا الاسم العظيم، موقف القسم، فعن ابن عمر رضي الله الله عنهما، قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: «إِنْ تَطَعْنُوا فِي إِمَارَتِهِ إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِيمِ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ حَلِيفًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنْ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»².

وهو بعد دعوي عقدي غاية في الأهمية؛ يذكر المدعو بأن القسم لا يكون إلا بالله تعالى، وفي الوقت نفسه يبين أن من أساليب التأكيد توظيف القسم التوظيف الشرعي، وفيه تطبيق عملي للتفعيل الدعوي لهذا الاسم في المقام المناسب له³.

وقد جاء الاسم مرة أخرى في سياق الدعاء، والاستغاثة، فعن سهل رضي الله عنه، قال: جاءنا رسول الله جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق، وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاعْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»⁴.

ومن المواطن التي ورد فيها اسم الله الحسن ﴿الله﴾ كذلك، ما جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه عَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَذْرَكْتَهُمُ الْقَائِلَةَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لَا

¹ ينظر: سعيد القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، (د، ط)، (د، ت)، ص164.

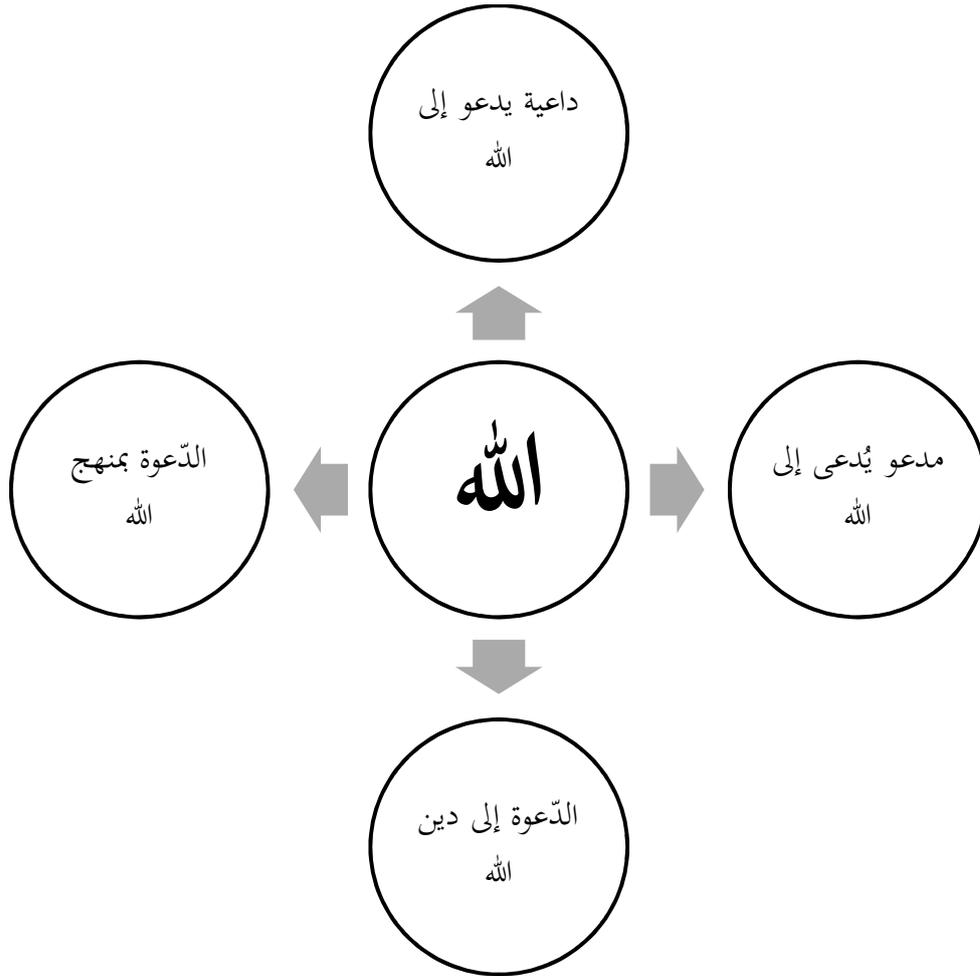
² رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما، في مرضه الذي توفي فيه، (16/6)، رقم: 4468، وقد كرر الإمام البخاري إخراج الحديث في عدة أبواب، مما يدل على القيمة الدعوية للرواية، ككتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، (23/5)، وكتاب الأيمان والندور، باب قول النبي ﷺ: «وايم الله»، (128/8)، وكتاب الأحكام، باب من لم يكثر بطعن من لا يعلم في الأمراء حديثنا، (73/9)، فالترجم تشير إلى أبعاد تتعلق بالمدعو، وبالتحديات الداخلية، وبالمضامين الدعوية، وتؤكد ترجمة كتاب المغازي إلى استمرارية حركة الجهاد والدعوة.

³ ينظر: مبارك الملي الجزائري، رسالة الشرك ومظاهره، رسالة الشرك ومظاهره، ت: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ، 2001م ص414.

⁴ رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، (107/5)، رقم: 4098.

يَشْعُرُ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَنْ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ قُلْتُ اللَّهُ فَشَامَ السَّيْفَ فَهِيَ هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ.¹

وفي هذا بعد دعوي عقدي تربوي، يبين فيه النبي ﷺ للصَّحابة عمليا الاستصحاب العقدي في كل الأحوال، كحال الدُّعاء والاستغاثة، والاستعانة وغيرها، ليكون من الذَّاكرين الله في كل حين، ولا يخفى الأثر الطيب لذكر هذا الاسم الحسن العظيم بعد ذلك على الدَّاعية والمدعو، والدَّعوة...².



¹ -رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، (113/5)، برقم: 4125، وقد أخرج البخاري الحديث في مواطن متعددة تشير تراجمها إلى أبعاد دعوية، كما في كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، (39/4)، فالترجمة تتضمن مقصد حفظ النفس بأخذ قسط من الراحة، وفيها استعمال واستغلال الدَّاعية للوسائل المباحة والمتاحة، وخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب تفرق النَّاس عن الإمام عند القائلة، و الاستغلال بالشجر، (40/4)، وفي التَّرجمة الإشارة إلى البعد التواصلي بين الدَّاعية والمدعو، ومراعاة الدَّاعية لحاجات المدعو.

² -محمد إمام، من روائع أبي الحسن الندوي في الدَّعوة إلى الله، مطبعة السَّلام، ميت غمر، مصر، ط1، 2005 م، ص37.

ب. الأبعاد الدعوية لاسم الله ﴿الملك﴾

من الأسماء الحسنى الحاضرة في مرويات المغازي اسم الله الحسن ﴿الملك﴾، الذي معناه أن الله ينقذ مشيئته في مملكته كيف شاء، وكيفما شاء إيجادا، وإعدامًا، وإبقاءً وإفناءً بالقدرة التامة¹، ففي الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن أناسًا نزلوا على حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَ عَلَى إِلَيْهِ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا بَلَغَ قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَوْمُوا إِلَى خَيْرِكُمْ، أَوْ سَيِّدِكُمْ»، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ أَنْ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، قَالَ: فَأُني أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسَبَى ذَرَارِيُّهُمْ، قَالَ: «حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ، أَوْ: بِحُكْمِ الْمَلِكِ»².

فقد جاء هذا الاسم مناسبًا للمقام، وذلك أنه ترجع إليه أسماء حسنى كثيرة، كالمعز، المذل، العزيز، الجبار، المتكبر، الحكم، العدل، الخافض، الرافع، المعز، المذل، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الولي، المتعالي، مالك الملك، المقسط، الجامع، وإلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك³.

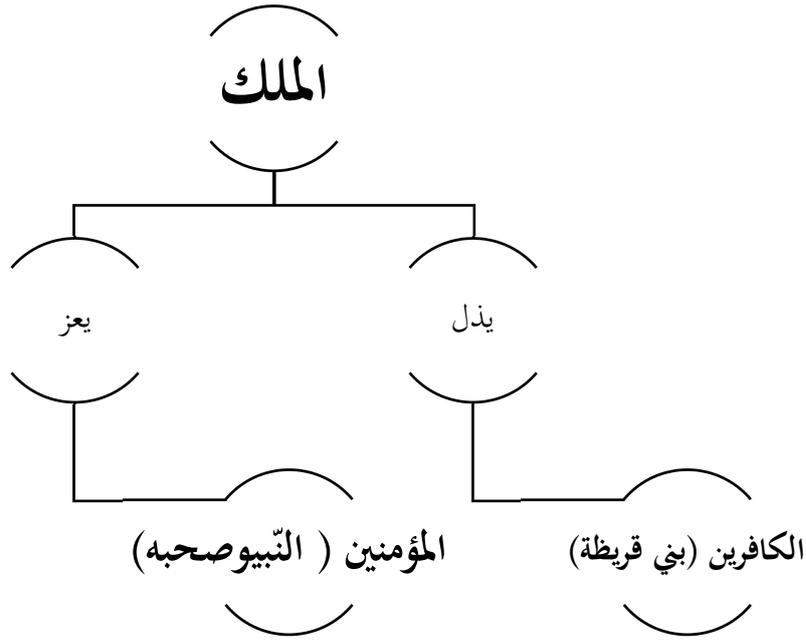
وهذا المقام أعزّ فيه الملك سبحانه وتعالى المؤمنين، وأذلّ فيه بني قريظة، ومن هنا يظهر الفقه الدعوي النبوي للأسماء الحسنى.

ففي هذه الواقعة بعد تنزيلي لفقهِ دلالة هذا الاسم العظيم، وما تعلّق به من أسماء حسنى، فالداعية المتزوّدة بمضمون الرسالة العقديّة لهذه الأسماء يكون أكثر صمودًا أمام التّحديات التي تفرضها سننّيّة التّدافع، وما انتصر الأنبياء، والمصلحون عبر تاريخ الدّعوة إلا بهذه العدة.

¹ - مُجَدِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَبُو حَامِدٍ، الْغَزَالِيُّ، الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ مَعَانِي أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، ت: بِسَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجَابِي، قَبْرُصُ ط1، 1407هـ، 1987م، ص140.

² - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَحْزَابِ، وَمُخْرَجُهُ إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ وَمُحَاصِرَتِهِ إِيَّاهُمْ، (112/5)، بِرَقْمٍ: 4121، وَقَدْ اسْتَنْبَطَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فَائِدَةَ دَعْوِيَّةٍ وَهِيَ إِنْزَالُ الدَّاعِيَةِ لِلنَّاسِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ، وَهَذَا فِي كِتَابِ الْاسْتِئْذَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، 59/8.

³ - سَعِيدُ الْقَحْطَانِيُّ، الثَّمَرُ الْمُجْتَنِي مَخْتَصَرُ شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، مَطْبَعَةُ سَفِيرِ، الرِّيَاضِ، (د، ط)، (د، ت)، ص91.



ج. الأبعاد الدعوية لاسم الله ﴿القدير﴾

قد كان النبي ﷺ يكثر من ترديد هذا الاسم العظيم في سفره، وغزواته، ومعنى هذا الاسم الحسن، أن الله تعالى له مطلق القدرة، وكما لها وتتمامها، فهو لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، الفعّال لما يشاء إذا شاء كيف شاء، في أي وقت شاء.¹

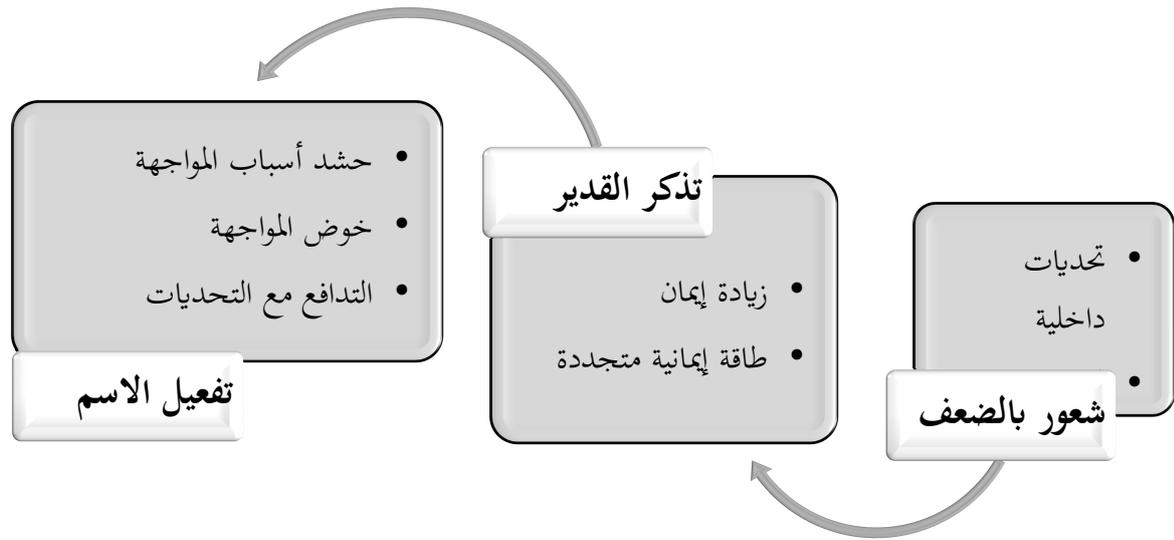
ومن الروايات التي تدلّ على الحضور المكثف لهذا الاسم الحسن، ما رواه عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحجّ أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرار، ثم يقول: يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيُونَ تَائِبُونَ، عَابِدُونَ سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»².

¹ - حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول، ت: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1410 هـ، 1990 م، (138/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، (111/5)، برقم: 4116، ومن الأبعاد التي يمكن أن تستفاد من تراجم البخاري على الحديث، ما جاء في كتاب الجهاد والسير، باب التكبير إذا علا شرفاً، (57/4)، وهي تشير إلى الأسلوب الحسي باستغلال المكان المرتفع للتكبير، ويشير إلى تضمن الرواية لمضمون دعوي يتعلق بباب الدعاء في كتاب الجهاد والسير، باب ما يقول إذا رجع من الغزو؟، (76/4)، برقم: 3084، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجوعاً، (82/8).

فلا ريب أن تكرر هذا الاسم في كل الغزوات يُرْسَخ معانيه في نفوس المدعوين، ويؤثّر ويؤثّر على سلوكهم، لا سيما وهذا الاسم العظيم له علاقة بأسماء حسنى كثيرة، كالعزيز، كالعزيز، القدير، القادر، المقتدر، القوي، والمتين، لكون معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة¹.

فالدّاعية لا بد أن تعترضه في طريق دعوته تحديات، وتقف في وجهه عقبات على المستوى الدّاخلية؛ مما يجعله بأمرّ الحاجة إلى التّوكل على القدير سبحانه لتجاوزها، والتغلب عليها



د. الأبعاد الدّعوية لاسم الله ﴿الخبير﴾

قد جاء اسم الله الخبير في الآية التي ترجم بها البخاري أحد أبواب كتاب المغازي في الجامع الصّحيح، وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ تُضْعِدُونَ وَلَا تَلْوِنُونَ عَلَيَّ وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْبَارِكُمْ فَأَتَيْتُكُم عَمَّا بَعِمَ لِكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَيَّ مَا بَاتِكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 153] ².

فهذا الاسم تعلق بأسماء أخرى، كالعليم الذي يتعلق بالعلم بظواهر الأمور، والخبير ببواطنها، فيؤكدان مجتمعين على علم الله المحيط بالظاهر والباطن فلا يعزب عنه شيء سبحانه.

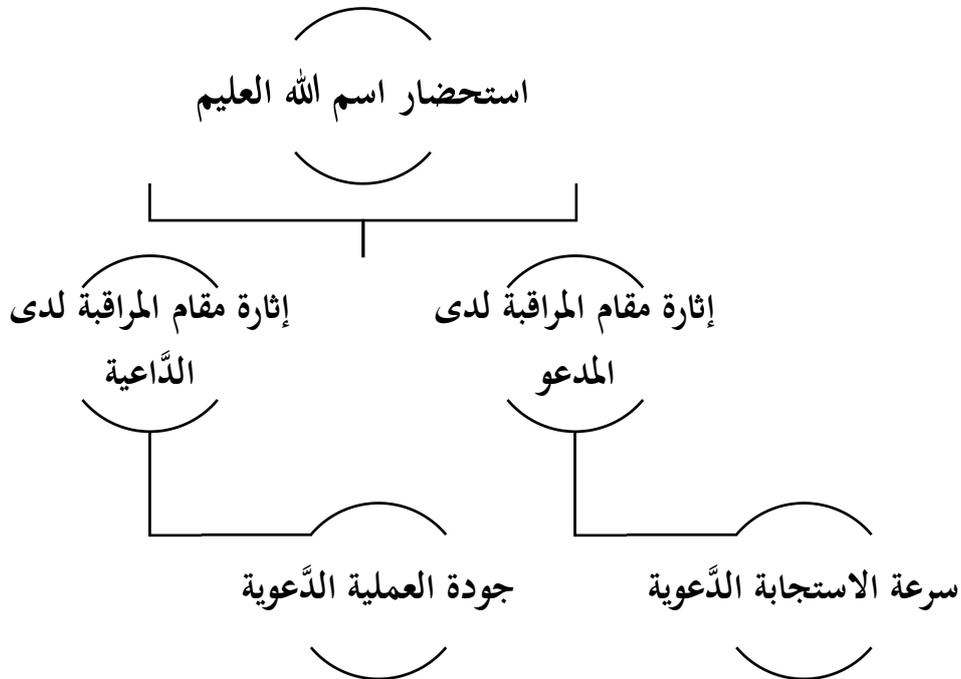
ولهذين الاسمين بعد دعوي كبير، فالإيمان بهما يورث الطمأنينة التامة لما حكم به الله تعالى؛ من أحكام كونية وشرعية، لصدور ذلك عن عليم خبير ³.

¹ - سعيد القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ص 94.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ تُضْعِدُونَ﴾ [آل عمران: 153]، (99/5).

³ - ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (190/1).

وأما البعد الدعوي لهذا الاسم وما يتعلق به من الأسماء يتجلى في الفعالية الدعوية على مستوى الداعية، والمدعو؛ حيث يجعلهما يستشعران المراقبة الإلهية المستمرة، ولعلي أوضح ذلك فيما يلي:



2. الأبعاد الدعوية للأسماء الحسنى المقترنة

بعد الحديث عن الأسماء الحسنى المفردة؛ فيما سلف يأتي الكلام عن الأسماء الحسنى المقترنة من خلال النماذج التالية الواردة في مرويات المغازي:

أ. الأبعاد الدعوية لـ ﴿السميع﴾ و﴿القريب﴾

من الأسماء الحسنى التي ورد ذكرها مقترنة في بعض مرويات المغازي في الصحيح، اسمي الله سبحانه وتعالى «السميع» و«القريب»، فقد جاء عن أبي موسى، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: «ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا»¹.

فإن الله سبحانه سميع لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن خفي، فيسمع السر والنجوى، يسمع حمد حامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم، وقريب قرب عام، وهو إحاطة علمه

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 134] برقم: 7386، ومناسبة الترجمة للبعد الدعوي المتعلق بالأسماء الحسنى بين؛ إذ ضمنها جزء من الآية المذيل باسمين من الأسماء الحسنى، كما أن عنوان الباب مناسب أيضا.

بجميع الأشياء، وقرب خاص بالداعين، والعابدین المحبين، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والإجابة للداعين¹.

ومن هنا تظهر المناسبة بين الاسمين العظيمين، ويُدرَك البعد الدَّعوي العقدي من إيرادهما في هذا الموقف الدَّعوي .

فمن مستلزمات فقه هذين الاسمين استشعار مقام العناية، والمعية الربانية، وهو مقام لا ينبغي للداعية أن يغفله، فهو في تدافع مستمر مع خصوم الدعوة وأعدائها الداخليين والخارجيين، ولا يمكن أن يتغلب عليهم إلا بعون الله تعالى القريب.

ب. الأبعاد الدَّعوية ل ﴿السميع﴾ و ﴿البصير﴾

ورد ذكر هذين الاسمين مقترنين في الصَّحیح في الآية التي ترجم بها البخاري على الرواية السابقة السابقة في كتاب التَّوْحِيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 134]، واقتران واقتران اسم الله «السميع» باسمه «البصير» يضيف أبعادا جديدة على اقتارانه بالقرب؛ لعل أبرزها استشعار المراقبة، فتدريب المدعو باستشعار أن الله تعالى سميع لما يصدر منه من أقوال، وبصير لما يصدر منه من أفعال يكون له أثر في التزامه لحدود الله، وهذا منهج دعوي سلوكي ينبغي تفعيله عن طريق التربية بالأسماء الحسنی².

ج. الأبعاد الدَّعوية ل ﴿الغفور﴾ و ﴿الرحيم﴾

لقد ورد ذكر الاسم الحسن «الغفور» والاسم الحسن «الرحيم» مقترنين في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْأَجْمَعِ أَنْمَا إِسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَاقَبَا اللَّهَ عَنْهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 155]، والآية ترجم بها البخاري لعدم انتصار المسلمين يوم "أحد" بسبب مخالفتهم، ومعصيتهم³.

¹ - ينظر: أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى، ص 90، سعيد القحطاني، شرح أسماء الله الحسنی، ص 119.

² - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (373/13)، ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (324/1).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى﴾ [آل عمران: 155]، (98/5).

فقد بشرهم سبحانه أنه غفر لهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة، وإلا فلو واخذهم لاستأصلهم، لاستأصلهم، فالله غفور للمذنبين الخطائين؛ بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، وحليم لا يعاجل يعاجل من عصاه، بل يستأني به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه¹.

ومن هنا تظهر مناسبة اقتران الاسمين في هذه الآية لهذا الحدث من مواقف الغزوات، ومنه يأخذ الداعية أهمية توظيف خلق الصفح والحلم في التعامل مع تصرفات المدعوين.

وبعد هذه الجولة السريعة مع الأسماء الحسنى في نصوص المغازي في الصحيح، أستخلص أنها ترد كفواصل لآيات تراجم مرويات المغازي، وترد أحيانا ضمن متون الروايات، وتأتي مرة مفردة ومرة مقترنة، بما يخدم الهدف الدعوي الذي سيقى من أجله.

ثالثا: الأبعاد الدعوية لتوحيد الصفات

بعد تناول حضور الأسماء الحسنى في الغزوات، وما تضمنته من أبعاد دعوية عقدية، يأتي الحديث عن صفات الله تعالى باعتبارها الشرط الثاني الذي يكتمل بها توحيد الأسماء والصفات، وذلك من خلال الأمثلة التالية:

1. الأبعاد الدعوية لصفة المحبة: وهي من صفات الله عز وجل العظيمة الثابتة له بالكتاب والسنة، وأهل السنة يثبتون هذه الصفة لله على الوجه اللائق بجلاله، ويثبتون آثارها ولوازمها، فمن لوازم محبة الله عز وجل لعبده، أن يثيبه، وأن يوفقه ويسدده ويعينه، وأن ينعم عليه، والله عز وجل يُحِبُّ وَيُحِبُّ، كما قال سبحانه في القرآن: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:56]².

ولأهمية هذه الصفة حرص النبي ﷺ على تثبيتها في قلوب أتباعه حتى وهو في الغزو، فعن سلمة سلمة رضي الله عنه، قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان رمدا، فقال: وكان رمدا، فقال: أنا أتخلف عن النبي ﷺ، فلحق به، فلما بتنا الليلة التي فتحت قال: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا أَوْ لِيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يُفْتَحُ عَلَيْهِ»، فَنَحْنُ نَرْجُوهَا، فَقِيلَ: هَذَا عَلِيُّ فَأَعْطَاهُ، فَفُتِحَ عَلَيْهِ³.

¹-السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص153.

²- عبد الغني المقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد، ت: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1414هـ، 1993م، (119/1).

³- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (134/5)، برقم: 4209.

وفي الحديث بعد دعوي عقدي، فهو يشير إلى أن الالتزام بما يقرب إلى الله، من موجبات المحبة المحبة سبب للتّصر على الأعداء، وسبيل لتحقيق النّجاح والفلاح للفرد والمجتمع، وللدّعوة¹.
فما توسّعت الفتوحات الإسلاميّة، وما نجح الدّعاة والمصلحون في تبليغ، ونشر الدّعوة، إلا بالتزامهم بسنن النّصر التي من أعظم مقوماتها الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، ومن ثمّ؛ فإن ما تعيشه الدّعوة المعاصرة من أمراض وعلل مردها إلى إغفال مثل هذه السّنن.

2. الأبعاد الدّعوية لصفة المعية: معية الله سبحانه قسمان: عامة، وخاصة، فالعامة هي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر، ودليلها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: 04]، [04]، وأما الخاصة، فهي معيته سبحانه للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ أَنْ أَلَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [النحل: 128]².

ونظرا للأهميّة الدّعوية للإيمان بهذه الصفة؛ فقد حرص النبي ﷺ على تقريرها، وتثبيتها في قلوب أصحابه وهم يجاهدون في سبيل الله.

فعن عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى عَلَى وَادٍ، هَلَلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، أَنَّهُ مَعَكُمْ أَنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ »³.

والشاهد من الحديث على صفة المعية قوله عليه الصلّاة والسّلام: « وهو معكم »، فالبعد الدّعوي الدّعوي العقدي الذي يستفاد، هو تقرير الصفة، وتثبيتها في نفوس المدعو؛ مما يوجب له كمال المراقبة بالقيام بطاعة الله، وترك معصيته، وهذا أثر عظيم لمن آمن بهذه المعية⁴.

3. الأبعاد الدّعوية لصفة الغضب: صفة الغضب صفة ثابتة لله تعالى على الوجه اللائق به، وهي صفة من صفاته الفعلية، و قد دلّت عليها آيات قرآنية كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مَّتَّعِدًا بَجَزَاءٍ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [النساء: 92]، وقوله: ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَعَظِبَ اللَّهُ

¹ - ينظر: علي الطنطاوي، قصتنا مع اليهود، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1411 هـ، 1990 م، ص29.

² - علوي السقاف، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، الدرر السنية، دار الهجرة، ط3، 1426 هـ، 2006 م، ص318، ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (401/1).

³ - البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، 14/4، برقم: 2992.

⁴ - القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ، (364/6)، ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (418/1).

عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿[الفتح:06].

ومما ورد بخصوص الصفة في المغازي، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَّتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ اللَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»¹.

ولا شك أن لتقرير هذه الصفة، والدعوة إليها آثارا دعوية تحمل المدعو على الخوف، والابتعاد عما يغضب الله تعالى، فعلى الداعية أن يورد من صفات الله ما يناسب الموقف الدعوي .

ومزاوجة الداعية بين أسلوب التّرجيب، والتّرهيب عن طريق عرض الصّفات الإلهية من شأنه أن يحقق التوازن في خطابه الدعوي، وهذه من الحكمة في الدعوة التي تغيب عن بعض الدّعاة، والوعاظ².

4. الأبعاد الدعوية لصفة الرّحمة: صفة الرّحمة من صفات الله الذاتية، فإنه لم يزل ولا يزال سبحانه تعالى متصفا بالرّحمة، وهو موصوف بالرّحمة الفعلية التي تتعلق بها مشيئته، فهو سبحانه يرحم من يشاء، كيف يشاء، وقد دلت آيات قرآنية على صفة الرّحمة، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:06]، وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]³.

وقد كانت صفة الرّحمة حاضرة في المغازي؛ لكونها ميدانا لنشر رسالة الرّحمة قبل كل شيء، ففي الصّحيح عن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: حَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْخُدَيْبِيَّةِ، فَأَصَابَنَا الْخُدَيْبِيَّةُ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»، فُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: « قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرِزْقِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ كَافِرٌ بِي »⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، (101/5)، برقم: 3845.

² - ينظر: عبد الحميد، هنداي، منهج الدّعوة في واقعنا المعاصر، دار الآفاق، القاهرة، ط1، 1427هـ، 2006م، ص140.

³ - ينظر: عبد الرحمن بن ناصر البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، دار التدمرية، ط3، 1432 هـ، ص68.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾ [الواقعة: 85]،

(33/2)، برقم: 1038، وموضع الحديث في أبواب الاستسقاء، مناسب لصفة الرّحمة، فالغيث من مظاهر الرّحمة.

يلاحظ أن النبي ﷺ لا يترك مجالا إلا ودعا فيه إلى التوحيد، فها هو في هذا الحديث يثبت صفة صفة الرحمة، ويرسخها في أذهان المدعوين؛ لما لها من آثار نفسية وسلوكية، فالإنسان ما دام يؤمن يؤمن أن الله تعالى رحيم، فسوف يتعلق برحمة الله، ويكون منتظرا لها، فيحمله هذا الاعتقاد على على فعل كل سبب يوصل إلى الرحمة، كالإحسان، التقوى، والإيمان.¹

ومما سبق يتبين حضور الدعوة إلى توحيد المعرفة والإثبات بنوعيه تبليغا، وتعلينا وتطبيقا، ومتابعة، وتفعيله بحكمة في المواقف الدعوية المختلفة كمضمون رسالي تارة، وكوسيلة وأسلوب دعوي تارة أخرى، مما جعل آثاره تظهر في الفعالية الدعوية، وعلى سلوك المدعوين الحقيقيين، والمرتبين.

الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بتوحيد القصد والطلب (*)

عند تتبع الغزوات النبوية، نجدها تقرر هذا النوع من التوحيد، وتثبتته في نفوس المدعوين بصور، ومظاهر متعددة، تتناسب مع المواقف الدعوية المختلفة في ميدان المغازي، وما في محيطها، ويمكن أن أقسم الدعوة إلى توحيد الألوهية إلى قسمين: الدعوة إلى الألوهية من جهة الوجود، والدعوة إلى توحيد الألوهية من جهة العدم؛ بمحاربة ما يضادها، وهو الشرك بمختلف مظاهره.

¹ - محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنعام، ت: شعيب الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1407هـ، 1987م، ص167.

(*) - يراد بتوحيد القصد والطلب، توحيد الألوهية، والألوهية في اللغة من "أله"، وهو التعبد، الذي يدل على اللين والذل، أما في الاصطلاح، فتوحيد الألوهية يراد به إفراد الله عز وجل بما أمر أن يفرد به؛ في عبادته فلا يستحق العبادة إلا هو، بأن يعتقد الموحد الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله له، من غير أن يشرك به، وقد دلت على محددات هذا الاصطلاح نصوص كثيرة من القرآن، كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]، وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:79]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك لله وبذلك أئرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام:162 - 163]، ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (127/1)، ابن تيمية، التدمرية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط6، 1421هـ، 2000م، ص16، ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (24/1).

أولاً: الأبعاد الدَّعوية الوجودية لتوحيد القصد و الطلب (**)

لقد تجلّت الدَّعوة إلى توحيد الألوهية من جهة الوجود في مرويات المغازي في عدّة مظاهر، وفي كل موقف يوظف الأسلوب المناسب له، وفق ما توضحه التّماذج التّالية:

1. أسلوب الاعتزاز: قد تضمن الصّحيح آيات قرآنية، وأحاديث نبوية تبرز بُعد الاعتزاز بالتّوحيد، في سياق الحديث عن الغزوات، تربي الموحدين على الاعتزاز بالتّوحيد، فمما جاء بخصوص هذا البعد العقدي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، فالآية تقرر أن المؤمنين هم الأعلون شأننا؛ لان قتالهم لله، وإعلاء كلمته، ولان ولان قتالهم في الجنّة، عكس غيرهم، فهم أعزة بالتّوحيد في الدارين.¹

وهذا البعد أكده الرّسول ﷺ في نهاية غزوة أحد حين طلب من الصّحابة ﷺ الرد على أبي على أبي سفيان، لما قال: اعلُّ هُبْلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ وَأَجَلٌ " قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُزَى وَلَا عُزَى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: اللَّهُ مُؤَلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»².

والشّاهد من الحديث قوله ﷺ: «قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم»، فالمولى هنا بمعنى التّاصر المعين للموحدين.³

فالاعتزاز بالتّوحيد بعد دعوي عقدي له أثره الكبير في المدعوين من الموحدين، فرغم ما أصابهم أصابهم في هذه الغزوة، إلا أن التّوحيد كان أعظم معين لهم على الثبات ورفع المعنويات، والمحافظة

(**) - مصطلح الوجود كثيرا ما يستعمل في المنطق، وفي علم المقاصد، فحفظ المقصد من جهة الوجود يكون بفعل ما به

قيامها وثباتها، واستمراره، ونموه، وتطوره، ينظر: الشاطبي، (الموافقات، 18/2).

¹ - الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، (418/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، (78/5)، برقم: 3986، وقد حفلت الرواية بأبعاد دعوية غير ما تقدم أشار الإمام البخاري إلى بعضها من خلال ما ضمنه في تراجمه عليها، فمن ذلك إشارته إلى قيمة الاجتماع على طاعة الإمام وهي قيمة ضرورية لا بد أن يتحلّى بها المدعو، والتحذير من الفرقة التي هي من التحديات الدَّعوية الداخلية عانت منها الدَّعوات عبر التاريخ، بقوله: "باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه"، ينظر: صحيح البخاري، (65/4).

³ - أحمد بن إسماعيل الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ت: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط1، 1429 هـ، 2008 م، (47/6).

على المكتسبات الإيمانية التي تعينهم على الاستمرارية والفعالية الدعوية، وخير دليل على هذا الأثر استجابة المسلمين لمطاردة المشركين عقب المعركة مباشرة وهم مثخنون بجراحهم بحمراء الأسد¹.

2. أسلوب الإعلان: وأقصد بذلك إعلان كلمة التوحيد بالجمهور بها؛ لتذكير للمدعوين الداخليين، وإعلام الخارجيين، فكثيرا ما يردد النبي ﷺ كلمة التوحيد التي هي شعاره، وهي العقد والميثاق التي من أجلها يجاهدون وإليها يدعون.

فمن المواقف التي أعلن فيها بكلمة التوحيد، ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول يقول يوم الأحزاب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ»².

ولم يقتصر الإعلان بما على النبي ﷺ، فقد كان الصحابة يكثرون من إظهار كلمة التوحيد، وغيرها من الأذكار، في طريقهم إلى الغزو، وأثناء القتال، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسَ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْبِعُوا³ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، أَنْكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، أَنْكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»⁴.

والحديث قد استنبط منه الإمام البخاري، فقها دعويا عظيما، تدلّ عليه التراجم التي وضعها عليه في أبواب متفرقة من الكتاب⁵.

¹ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (374/7)، أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (397/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، (111/5)، برقم: 4114.

³ - اربعوا: قال النووي: "معناه ارفقوا بأنفسكم وخفضوا أصواتكم فان رفع الصوت انما يفعله الانسان لبعده من مخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطة ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر اذا لم تدع حاجة إلى رفعه فانه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه فان دعت حاجة إلى الرفع رفع"، ينظر: النووي، شرح مسلم، (26/17)، ففيه بعد تعليمي، وبعد عناية الداعية بالمدعو من خلال الشفقة عليه، إضافة للبعد العقدي.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة حيبير، (133/5)، برقم: 4205.

⁵ - من التراجم ذات الصلة بالبعد العقدي، ما جاء في كتاب الدعوات، باب قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، (87/8)، كتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 134]، ومن البعد التشريعي ما جاء في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، (57/4)، برقم: 2992، ورفع الصوت قد يشير إلى البعد الحسي في الدعوة، فالصوت من وسائل إيصال الدعوة للمدعو التي يتلقاها عنه عن طريق حاسة السمع.

3. أسلوب التعظيم والتفخيم: لم يتوقف الأمر عند اعتزاز المسلم بكلمة التوحيد والذكر بها وإظهارها؛ باعتبارها من أعظم شعائر التوحيد، فقد تعدى إلى تعظيم من تلفظ بها، حتى وإن ظن الظان أنه ليس من أهلها.

ويظهر ذلك في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، إذ يقول: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَرَقَةِ¹، فَصَبَّخْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنَنِي بِرُحْيِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّدًا، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِي لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ².

فالقصة تدلّ على أن من عظمة كلمة التوحيد أنها تعصم دم الكافر عند التلفظ بها، ويعامل على مقتضى ظاهره³.

وتدلّ القصة على أهمية تدريب الدعاة في كل زمان على الرزانة وضبط النفس، وعدم التسرع إلى إصدار الأحكام، خاصة إذا تعلق الأمر بالمستجيبين الجدد، فهم أشد الناس حاجة للرفق واللين، وتأليف القلوب.

4. أسلوب التبليغ: فإذا ذكرت الدعوة إلى التوحيد فإنه ينصرف إلى الدعوة إلى توحيد الألوهية التي هي أول ما يدعى إليها عند عرض الإسلام، فمن أقرّ بهذا التوحيد بالتلفظ بالشهادتين دخل الإسلام.

وقد كانت الدعوة إلى التوحيد من أولى الأولويات في الغزوات النبوية، فقد كان النبي ﷺ لا يُغير على قوم حتى يعرض عليهم الإسلام، وأوصى بذلك أصحابه.

¹ - وهي سرية غالب بن عبد الله الليثي، وقد كانت في رمضان سنة سبع، بناحية نجد، ينظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار القلم، بيروت، ط1، 1414هـ، 1993، (190/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، (144/5)، وهذه الترجمة فيها بعد دعوي يتعلق بتدريب القادة وبعثهم لأداء مهمات دعوية، وفي الحديث أبعاد أخرى أشار إليها البخاري، كترجمته على الحديث في كتاب الديات، بقوله باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: 34]، (4/9)، وهو بعد تشريعي، ومقاصدي لتعلقه بالدية وحفظ النفس.

³ - محمد بن أبي بكر الدماميني، مصابيح الجامع، دار النوادر، سوريا، ط1، 1430 هـ، 2009 م، (83/8).

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في صحيح، من أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ أن يدعو أن يدعو يهود خيبر إلى الإسلام قبل قتالهم، فعن سهل بن سعد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال يوم ﷺ قال يوم خيبر لعلي ﷺ: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ الْإِسْلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».¹

فالمقصد الأصلي من الغزوات هو الدعوة إلى التوحيد، الذي يُعد أساس الدين، وركن الإسلام الأعظم، وهذا لا يعني الإكراه على الإسلام، فالحرية الدينية مكفولة، لغير المسلمين شريطة احترام احترام العهد الذي ينعقد بينهم وبين سلطة الدولة الإسلامية².
فهكذا إذن تعددت مظاهر الدعوة إلى التوحيد في الغزوات النبوية، وتنوعت أساليبها تبعاً للمواقف الدعوية.

ثانياً. الأبعاد الدعوية العدمية لتوحيد القصد والطلب (*):

بعد أن بينت بعض مظاهر الدعوة إلى توحيد الألوهية من جهة الوجود في الغزوات، أنتقل إلى إبراز بعض مظاهر الدعوة إليه من جهة العدم، والتي حصرتها في محاربة مظاهر الشرك والوثنية، وسوف أحاول التمثيل لها، وبيان أساليب محاربتها، وفق النماذج التالية:

1. أسلوب التصدي لمظاهر الشرك اللفظية: من مظاهر حفظ توحيد الألوهية من جهة العدم التحذير من بعض الألفاظ التي قد تكون ذريعة للشرك، ومن أمثلة التحذير من تلك الألفاظ، وتربية المدعوين، على تطهير ألسنتهم منها، ما رواه زيد بن خالد رضي الله عنه، قال: حَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (134/5)، والحديث قد تضمن أبعاداً أخرى كما يظهر من تراجم البخاري، فقد خرج في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، (47/4)، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، (18/5)، فالترجمة الأولى تشير إلى لمضامين الدعوية التي تتفرع كلها عن النبوة، والثانية فيها بيان فضل جهود الصحابة في الدعوة، وبيان بعض أعلامهم الدعوية، وفترة الصحابة من أهم مراحل تاريخ الدعوة الإسلامية بعد مرحلة النبوة.

² - ينظر: عبد العظيم المطعني، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، مكتبة وهبة، ط1، 1414 هـ، 1993 م، ص174.
(* - يكون حفظ الشيء من جهة العدم بدفع ما يطرأ عليه من الاختلال الواقع أو المتوقع فيه، وبترك، ودفع ما ينعدم به، ومن هنا كانت محاربة الشرك بأنواعه وسيلة لحفظ توحيد الألوهية لأنه يحدث فيه خلل، وقد يعدمه بمرور الزمن كما حصل في الأمم السابقة، ينظر: الشاطبي، الموافقات (18/2)، مبارك المليي الجزائري، رسالة الشرك ومظاهره، ص111.

عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: « قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرِزْقِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي »¹.

ففي هذا الحديث ذم لمن يضيف إنعام الله تعالى إلى غيره ويشركه به، لأن ذلك ذريعة إلى تعظيم تعظيم غير الله الذي يفضي إلى شرك في القصد².

والعبرة بعد ذلك بعموم اللفظ، فالدّاعية الموحد يضيف ما حقّقه من إنجازات دعويّة إلى الله تعالى وحده، والمدعو ينسب ما حصل له من نعمة الهدايّة، والاستجابة إلى الله وحده، فهو الموفق للدعاة، والهادي للمدعوّين.

2. أسلوب التصدي لمظاهر الشرك الماديّة: تُعدُّ الأصنام، والأوثان التي كانت تُعبد من دون الله من أعظم مظاهر الشرك الماديّة؛ لذلك كانت إزالتها من الأولويات الدّعوية التي قام بها النبي ﷺ يوم الفتح، فعن عبد الله ﷺ، قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ وَثَلَاثُ مِائَةٍ نُصِبَ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»³.

وهذا الفعل النبوي يستهدف أبعادا دعويّة كثيرة، فهو يبين ذلة الأصنام وعابديها، ليظهر - بما لا يجعل مجالا للشك - أنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئا⁴.

وبعد ذلك انتقل إلى تطهير البيت من الداخل من التماثيل، والصور التي كانت بداخله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة، أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (121/5)، برقم: 4147، وإبرازا لبعث التوحيد في الحديث، فقد أخرجه البخاري أيضا في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: 85]، (33/2).

² - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (33/8).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: أين رَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الِراية يوم الفتح؟، (148/5)، برقم: 4287، وقد تكرر الحديث في الصحيح في عدة كتب، و قد تضمن أبعادا دعوية أخرى، كتغيير المنكر باليد في كتاب المظالم، باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تحرق الرقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنبورا، أو ما لا ينتفع بحشبه، (136/3)، وبعد أصول الدّعوة في كتاب التفسير، باب ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [الإسراء: 81]، 86/6.

⁴ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (17/8).

فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال النبي ﷺ: « قَاتَلَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، لَقَدْ عَلِمُوا: مَا اسْتَفْسَمَا بِهَا قَطُّ »، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِي الْبَيْتِ، وَخَرَجَ وَلَمْ يُصَلِّ¹.

وفي الحديث دلالة واضحة على أهمية طمس معالم الشرك خاصة في أماكن العبادة؛ لكونها من ذرائع ومقدماته، فقد فُتنت الكثير من الأمم بالصور حتى عبدتها، وانحرف قوم نوح عن التوحيد التوحيد بسببها من أوضح الأدلة التاريخية الشاهدة على خطورتها.²

3. أسلوب التصدي لمظاهر الشرك التجمعية: كان من التحديات الخارجية التي واجهتها الدعوة النبوية بعد فتح مكة وجود تجمعات وثنية محمية خارج مكة، بها معالم يضاهاون بها الكعبة، ولا يخفى دورها في الصد عن الدعوة في المنطقة، فلم يكن بد من القضاء عليها ماديا وبشريا، بعد الفتح مباشرة من خلال بعث البعوث.

فعن جرير، قال: كَانَ بَيْتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلْصَةِ، وَالْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ، وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلْصَةِ»، فَانْفَرْتُ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَاكِبًا فَكَسَرْنَاهُ، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا لَنَا وَلَاخْمَسَ³.

فالحديث يدل على بعد دعوي عقدي تطهيري، وهو غير النبي ﷺ على التوحيد، وكرهيته للشرك، فلم يكن شيئا أتعب لقلب النبي ﷺ، ولدعاة التوحيد من قبله، ومن بعده من بقاء ما

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، (148/5)، برقم: 4288، وقد كرر الإمام البخاري الرواية في الصحيح؛ ليعزز أبعادا دعوية لها، فأخرجها في كتاب الصلاة؛ مشيرا إلى بعد دعوي تشريعي، وفي كتاب الأنبياء؛ منبها على بعد يتعلق بتاريخ الدعوة، ينظر: (88/1)، (139/4)

² - ينظر: عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، أبو الفرج، الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ، 1992 م، (251/1).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: باب غزوة ذي الخلصة، (164/5)، برقم: 4355، وقد ترجم عليه البخاري تراجم كثيرة تدل على أبعاد دعوية مختلفة ومتنوعة، من ذلك قوله: في كتاب الجهاد والسير، باب حرق الدور والنخيل، (62/4)، وهي ترجمة مقاصدية تشير إلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين، وأشار إلى استعمال الأسلوب العاطفي، وضرورة تحلي الداعية بمكارم الأخلاق في كتاب الجهاد والسير، باب البشارة في الفتح، (75/4)، وفي كتاب الأدب، باب التيسم والضحك، (24/8).

يشرك به من دون الله تعالى، لذا شن العلماء والمصلحون حرباً شعواء على مظاهر الشرك، عبر التاريخ، وخير دليل على ذلك الجهود الإصلاحية التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين في الجزائر.¹ فعلى الدعاة في كل زمان الاقتداء برسول الله ﷺ في محاربة الشرك بكل مظاهره وصوره، وأن يحملوا همَّ إزالته، وتطهير البلاد ونفوس العباد منه، فأن ذلك رسالة الموحدين عبر العصور، قال تعالى مخاطباً إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة: 125] [البقرة: 125]، ولا شك أن التطهير عام يطال الشقيين المادّي والمعنوي، فيدخل فيه تطهيره من الأصنام، وعبادة الأوثان فيه، ومن الشرك بالله.²

4. أسلوب التصدي لزعماء الشرك: أن من الأساليب النبوية في محاربة الشرك، والتصدي له السعي في القضاء على حماته، والداعين إليه من الزعماء، والسادة الذين ربما يرضون باتخاذهم أرباباً من دون الله، قال الله تعالى عن بعض الأتباع: ﴿إِتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31].

فجاءت الدعوة الإسلامية لتخلص العباد من عبادة البشر، و التبرؤ من المشركين، وعدم موادتهم موادتهم ومحبتهم، لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 21]، ويبدو ذلك جلياً من قتال رسول الله ﷺ و أصحابه لقومهم، وقرابتهم في الغزوات المختلفة، كبدر وأحد، وغيرها من المشاهد المشاهد التي يبرز فيها الولاء للعقيدة لا غير.³

وقد تبرأ الأنصار من أقاربهم، وأحلافهم المخالفين لهم في الدين المحاربين لله ورسوله، ويظهر ذلك ذلك في موقف عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ إذ تبرأ من حلف بني قينقاع لما نقضوا العهد، وموقف وموقف سعد بن معاذ من بني قريظة وكانوا حلفاؤه، ومواقف عبد الله بن عبد الله بن سلول من من أبيه، فقد كان مستعداً لقتله إذا أُذن له في ذلك.⁴

¹ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (72/8)، مبارك الميلي الجزائري، ص 90.

² - ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، (38/2).

³ - ينظر: محمد بن صامل السلمي، صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، مكتبة روائع المملكة، جدة، ط 1، 1431هـ، 2010 م، ص 240.

⁴ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، (112/5)، رقم: 4121، ابن هشام، السيرة النبوية، (293/2)، (49).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل استمرت الدعوة النبوية في دعوة البشرية إلى التخلص من الشرك البشري بكل الإمكانيات، والوسائل المتاحة، كمراسلة الملوك، والرؤساء، حيث كان أهم مضمون تلك المراسلات، قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً﴾ [آل عمران:63]¹.

من خلال ما سبق يتأكد مدى حضور توحيد الألوهية في المغازي النبوية، في مواقف دعوية مختلفة، وبأساليب، وتمظهرات تناسب كل موقف، مما يؤكد أنه أصل عظيم من الأصول الدعوية العقدية التي لا يمكن للداعية أن يغفلها أو يهملها بحال من الأحوال. والتي أجملتها في قسمين كبيرين: الدعوة إلى توحيد الألوهية من جهة الوجود، والدعوة إلى توحيد الألوهية من جهة العدم.

وفي ختام هذا المطلب يتضح بجلاء حضور الدعوة إلى التوحيد بنوعيه: توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الألوهية في المغازي النبوية؛ باعتبارها من ميادين الدعوة الحيوية على الصعيدين الداخلي والخارجي، تقريراً وتثبيتاً وتربية؛ تظهر من خلالها الحكمة النبوية في الدعوة التي ألفت بظلالها على فعالية وسرعة الاستجابة الدعوية.

¹ - ينظر: محمد علي محمد إمام، كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله، مطبعة السَّلام، ميت غمر، مصر، ط1، 2005 م، (214/1)، البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، (8/6)، ووجه التناسب بين الترجمة والمغازي، من قبيل التناسب بين المقدمات والنتائج، والوسائل والمقاصد، فما كان للدعوة أن تنتشر وتتسع رقعتها خارج الجزيرة إلا بعد الانتصار على قريش، وأحلافها من الأحزاب المتآمرة على الدعوة، فكانت الغزوات ووسائل للتصدي للتحديات والعوائق الدعوية، وكان الانتصار فيها مقدمة لبدء طور جديد للدعوة الخارجية يقول الكوراني مشيراً لمناسبة الترجمة للكتاب: "لما صالح قريشاً وأسلم من الأعراب من أسلم، كاتب الملوك يدعوهم إلى الله؛ لأنه مبعوث إلى النَّاس كافة"، ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، (381/7).

المطلب الثاني: الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالسَّمعيات (*)

بعد أن تطرقت في المطلب الأول إلى محور الإلهيات، فبينت أبعاده الدَّعوية المختلفة المتعلقة بقسميه: توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الألوهية من خلال مرويات المغازي أنتقل إلى إبراز الأبعاد الدَّعوية العقديّة المتعلقة بالسَّمعيات التي تضمنتها مرويات المغازي في صحيح الإمام البخاري، محاولاً الكشف عن المنهج الدَّعوي العقدي النَّبوي وأساليبه التي وظَّفها في تبليغ تلك المضامين، والقضايا الدَّعوية المتعلقة بها، وتفعيلها في ميدان المغازي لاستهداف كل فئات المدعوين على المستوى الداخلي والخارجي.

وليس المراد من بحث تلك القضايا الخوض في تفاصيل الدرس العقدي، وإنما القصد بيان أبعادها الدَّعوية من حيث كونها جزء من مضمون الرسالة الدَّعوية النَّبوية في ميدان المغازي، فما هي الأبعاد الدَّعوية لهذا المضمون العقدي المتعلق بمحوري النبوة والغيبيات؟ وسوف أجيِب عن هذا الإشكال من خلال الفروع التَّالِيَّة:

الفرع الأول: الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالنبوة

تعد النبوة من قضايا الرسالات الدِّينية التي سعى جميع الأنبياء والرسل لإثباتها، وإقناع المدعوين بها، ولا يخفى على المتتبع للحركة النَّبوية ما بذله النَّبي ﷺ لإثبات نبوته وإقناع النَّاس بها، ولا أدلَّ على ذلك من ردود الأفعال العنيفة التي تلقاها من خصوم الدَّعوة قبل، وبعد الهجرة، ورغم هذه التَّحديات إلا أنه استمر في تقرير والدفاع عن هذا الأصل العقدي الكبير، في مواقف دعوية مختلفة، حتَّى التَّحق بالرَّفيق الأعلى.

(*) يتناول مبحث السَّمعيات، مسائل النبوات، والغيبيات التي يسميها بعضهم المعاد، كما نجد من أدرج النبوات مع الإلهيات، كما جعلها البعض الآخر قسماً مستقلاً، ويرجع الاختلاف في التقسيم إلى الاعتبارات التي يلتزمها كل مصنف، والمراد بالسَّمعيات عندهم؛ الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتاً ونفيّاً، ولا طريق للعقل إليها، وقد اخترت إدراج النبوات ضمن السَّمعيات مراعاةً للتناسق المنهجي للرسالة، وإلا فلا مشاحة في الاصطلاح، ينظر: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، الناشر دار المعارف التعمانية، (د.ط)، 1401هـ، 1981م، (12/1)، ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، (د.ط)، 1391هـ، (363/3)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (6/29).

والسؤال الذي يتبادر في هذا المقام، ما مدى حضور الدعوة إلى نبوة النبي ﷺ في المغازي؟ وما المنهج في عرضها، وإثباتها، وتثبيتها في نفوس المدعوين؟ وسيتم التركيز في هذا المطلب على نبوة نبينا محمد ﷺ من جهة إثباتها، وتثبيتها في نفوس أتباعه، ودرء بعض الشبهات حولها، وذلك لما لها من صلة بالعمل الدعوي النبوي وإنجاحه، من خلال ما يلي:

أولاً: الأبعاد الدعوية المتعلقة بإثبات الوحي

يعتبر الوحي من أهم الأصول العقديّة التي تدلّ على نبوة النبي ﷺ وصدقها؛ لذا كان إثباته والدعوة إليه من موضوعات الدعوة الإسلاميّة التي ظلت حاضرة في الحركة الدعوية النبوية. ولما كانت المغازي امتداداً لتلك الدعوة فلا بد أن تكون مروياتها خادمة لها، فقد تعددت فيها طرق إثبات الوحي التي يمكن أن أجمّلها في العناصر التالّية:

1. إثبات الوحي عن طريق مشاهدة آثاره

أن مما يزيد المؤمنين إيماناً، ويقينا بصدق نبوة النبي ﷺ مشاهدتهم للوحي وهو ينزل على رسول الله ﷺ بمشاهدة آثاره عليه، ولم يقتصر ذلك على الحضر فحسب، بل أن نزول الوحي ظلّ مستمراً حتّى في الغزو، وهذا فرع عن خاصيّة استمراريّة الدعوة التي لا تنقطع في حال من الأحوال.

فقد شاهد الصّحابة رضوان الله عليهم نزول الوحي في الغزوات، من خلال معرفة آثاره وعلاماته على رسول الله ﷺ.

فعن يعلى بن ربيعة كان يقول: لَبِيتَنِي أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجُعْرَانَةِ¹ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، مَعَهُ فِيهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مُتَضَمِّخٌ بِطَيْبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بَعْمَرَةَ فِي جُبَّةٍ بَعْدَمَا تَضَمَّمَخَ بِالطَّيْبِ؟ فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلى بِيَدِهِ: أَنْ تَعَالَ، فَجَاءَ يَعْلى فَأَذْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ مُحَمَّرُ الْوَجْهِ، يَغْطُ كَذَلِكَ سَاعَةً، ثُمَّ سُرِّيَ² عَنْهُ.³

¹ - الجعرة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ، لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين، ينظر: ياقوت الحموي، البلدان، (142/2)، ابن حجر، فتح الباري، (98/1).

² - سُرِّيَ: قال النووي: "أزيل ما به، وكشف عنه"، شرح مسلم، (77/8).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (157/5)، برقم: 4329، وقد أشار البخاري إلى بعد إثبات الوحي في الرواية بقوله في كتاب فضائل القرآن: "باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب"، 6/ 17 182.

ووجه دلالة الحديث على هذا البعد، حرصُ الصَّحَابِي على رؤية النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي، وحرص عمر رضي الله عنه على إعانته على إدراك مبتغاه؛ لما لذلك من أبعاد دعويّة، ومما يؤكد ذلك عناية العلماء بجمع الروايات التي تصف آثار نزول الوحي على المصطفى ﷺ، لاسيما علماء علوم القرآن¹.

فتأثير نزول الوحي على جسد النبي ﷺ تأكيد على أنه تلقاه من مصدر خارجي غير معتاد للبشر، وفي ذلك زيادة يقين للمشاهدين، ودليل دامغ للمشككين عبر التاريخ الإنساني.

2. إثبات الوحي عن طريق رؤية الملك

من طرق الوحي إلى رسول الله ﷺ أن يأتيه جبريل عليه السَّلام في صورة مرئية، أو غير مرئية فيراه أصحابه أو يخبرهم به، وهذا مما يعمق الإيمان، ويؤكد النبوة.

وتحقيقا لهذا البعد الدَّعوي العقدي؛ فقد كان جبريل أمين الوحي عليه السَّلام، وغيره من الملائكة الكرام يشهدون الغزوات مع المسلمين، فعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قَالَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ»².

فإخبار النبي ﷺ بنزول جبريل عليه السَّلام، ووجوده في المعركة له عدة أبعاد منها: التذكير بالوحي والنبوة؛ لكونه الملك الموكل بالوحي، وقد عُرف ذلك عندهم منذ بدء البعثة.

¹ - ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1394هـ، 1974 م، (212/1)، وكون هذه المسألة من صميم علوم القرآن لا تعني أنها أجنبية عن الدَّعوة، فإثبات الوحي إثبات لأعظم أصول الدَّعوة، وطريقة إثباته عن طريق الأمارات الجسدية من صميم المنهج الدعوي الحسي التجريبي الذي يعد من المناهج الفطرية الفعَّالة لاستهدافه الحواس التي يمتلكها كل النَّاس وإن تفاوتت قدراتهم العلمية والعقلية، واختلفت مشاعرهم الوجدانية، ينظر: البيانوني، مدخل إلى علم الدَّعوة، ص214.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، (81/5)، برقم: 3995، وأخرجه أيضا في كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (94/5)، برقم: 4041؛ تأكيدا لدور الغزوات في إثبات الوحي من خلال نزول الملائكة في الغزوات، ومشاهدة الصحابة ﷺ لآثارهم، وربما شاهدها غيرهم من المشركين، ينظر: محمد بن يوسف الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ، 1993 م، (40/4).

3. إثبات الوحي عن طريق السنة

كان النبي ﷺ يذكر أصحابه بنبوته عن طريق السنة القولية، والسنة الفعلية التي تأخذ أحيانا شكل المعجزة في الغزوات، وقد تكرر هذا الأمر من حين لآخر تثبيتا، وتأكيذا لهذا الأصل العقدي في جميع الأوقات.

فمن المواقف التي دلت فيها السنة على النبوة بالقول، و الفعل ما جاء في الصحيح أن البراء بن عازب رضي الله عنهما سئل: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: أمّا أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يؤلّ، ولكن عجل سرعان القوم، فرشقتهم هوازن، وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بعنقه البيضاء، يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»¹.

قال ابن الملتن: " وفيه: إثبات النبوة، أي: أنا ليس بكاذب فيما أقول، فيجوز عليّ الانهزام، وإنما وإنما ينهزم من ليس على يقين من النصرة وهو على خوف من الموت، والشارع على يقين من النصرة مما أوحى الله إليه في كتابه وأعلمه أنه لا بد له من كمال هذا الأمر، فمن زعم بعد هذا أنه أنه انهزم فقد رماه بانه كذب وحي الله أن الله يعصمه"².

وقد بالغ النبي ﷺ في تأكيد النبوة بتوظيف القسم؛ لان المقام مقام إنكار، وذلك أثناء كتابة شرط عمرة القضاء³، بقوله في حديث البراء رضي الله عنه عند البخاري: «أنا والله محمد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله»⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كُفِّرْتَكُمْ ﴾ [التوبة: 26-27]،

(153/5)، برقم: 4315، وترجمة البخاري بهذه الآية التي إشارة إلى طريق من طرق إثبات النبوة عن طريق التأييد

بالمعجزات، فقد دلت تتمتها على نزول الملائكة لنصرة المؤمنين.

² - عمر بن علي، أبو حفص، ابن الملتن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث،

دار النوادر، دمشق، ط1، 1429 هـ، 2008 م، (544/17).

³ - أدخل الإمام البخاري عمرة القضاء في المغازي لكونها كانت مسببة عن غزوة الحديبية، واختلف في سبب تسميتها عمرة القضاء، فقيل عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشا، وقيل لأنها قضاء عن العمرة، وقد كانت في ذي القعدة من السنة السابعة، ينظر: السهيلي، الروض الأنف، (156/7)، ابن حجر، فتح الباري، (500/7).

⁴ - ينظر الحديث بطوله: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، (71/5)، برقم: 3184، وقد كرره في غير هذا الموضوع، وترجم عليه تراجم ذات صلة بالدعوة والمغازي، فقد خرج في كتاب جزاء الصيد، وكتاب الصلح، وكتاب الجزية، ينظر، الصحيح، (182/3، 11)، (103/4).

فقوله ﷺ: "أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله" للإشارة أنهما متلازمان لا ينفكان سواء ذكرا جميعا، أو اقتصر على أحدهما، وفي هذا تأكيد للنبوة والرسالة.¹

كانت تلك جملة من أدلة إثبات الوحي الواردة في مرويات المغازي، وقد تنوعت أساليب، ووسائل عرضها؛ تبعا للمواقف، والمناسبات الدعوية، وهذا من شأنه أن يثري أساليب ووسائل الدفاع عن نبوة النبي ﷺ التي تستهدف من قبل أعدائها باستمرار.

ثانيا: الأبعاد الدعوية المتعلقة بشريّة النبي ﷺ

من مقاصد الدعوة إثبات بشريّة النبي ﷺ، وذلك ليتسنى الاقتداء به، فلو اعتقد الناس بعدم بشريّة الرسول لاتخذوا ذلك ذريعة إلى عدم التصديق، وتعذر الامتثال، من أجل ذلك ورد تأكيدها تأكيدها في حق الأنبياء عموما في آي كثيرة من ذلك، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: 08]، ذكر ابن كثير أن الأنبياء كغيرهم من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بضار لهم، ولا ولا ناقص منهم شيئا، عكس ما توهمه المشركون، بل كانوا يعيشون ثم يموتون.²

وقد برزت هذه الخاصية في رسول الله ﷺ في غزواته في عدة مناسبات شاهدها المدعون من الصحابة، وغيرهم؛ أجملها في المظاهر البشريّة التالّية:

1. مظهر التعرض للأذى

من مظاهر الضعف البشري التي ظهرت في شخص النبي ﷺ تعرضه للأذى الذي هو من مقتضيات النفس البشريّة، كالمرض والجروح وغيرها.

فقد أصيب ﷺ في غزواته، وأوذي كما يؤذي البشر دلالة على بشريته ﷺ، فعن أبي هريرة رضي هريرة رضي، قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَّتِهِ³، اشْتَدَّ رَبَاعِيَّتِهِ³»

¹ - علي بن محمد، أبو الحسن، الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م، (2627/6).

² - إسماعيل بن عمر، أبو الفداء، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، (100/6).

³ - قال الرازي: "الرَّبَاعِيَّةُ بوزن الثمانية السن التي بين الثنية والناب والجمع رَبَاعِيَّاتٌ"، الرازي، مختار الصحاح، (267/1).

غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»¹

وفي إصابة النبي ﷺ يوم أحد، بيان للبشرية، فالأنبياء عليهم السلام جميعا بشر يعترفهم في تبليغ دعوتهم ما يعتري الدعاة في كل عصر، من الأذى الجسدي، والاضطهاد، وحتى محاولة القضاء على حياتهم².

وفي تعرض الأنبياء عليهم السلام لشتى أنواع الأذى الجسدي رسالة لأتباعهم من الدعاة، حتى يصبروا على البلاء، والمصائب التي تصيبهم، ويستمروا، ويثبتوا على تبليغ الدعوة، وأن عدم إدراك هذه الحقيقة جعل الكثيرين يتساقطون، ويتكسون عند أول امتحان.

2. مظهر الحاجة إلى الطعام

قد شاهد الصحابة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ يجوع شأنه شأن باقي الناس، ويحتاج إلى الطعام، فيأكل الطعام، فيأكل كما يأكلون، فمن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحْنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ أَنْ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيِّ هَلَّا بِكُمْ»، وفي رواية: "رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَمَصًا شَدِيدًا"³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، (101/5)، برقم: 3845، وقد يكون التعرض للأذى سببا للوفاة التي تعد من أظهر دلائل البشرية النبوية لذا أكد عليها القرآن الكريم في سياق الحديث عن عزوة أحد، في قوله تعالى: ((أَبْـقِيـنَّ مِمَّا تَأْتِيَنَّكَ أَوْ فُتِنًا لَإِنْفَلَبْتُمْ)) [آل عمران:144]، وقد أشار البخاري إلى هذا البعد في كتاب المغازي حين جعل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ضمن أبوابه، وترجم لها بقوله: "باب وفاة النبي ﷺ"، الصحيح، (15/6).

² - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ص230.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، من تكلم بالفارسية والرطانة، (74/4)، برقم: 3070.

ومن ذلك أيضا ما حدث به سويد بن النعمان أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر، فقال: «صَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَزْوَادِ فَلَمْ يُؤْتِ إِلَّا بِالسَّوِيقِ»¹، فَأَمَرَ بِهِ فَتُرِي، فَأَكَلَ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»².

فمشاهدة المدعوين من أتباع الرسل لهم وهم يأكلون، يرسخ في أذهانهم عن طريق الحس أنهم بشر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا البعد في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:20].

وتأكيد القرآن الكريم لهذا البعد البشري للأنبياء غاية في الأهمية، فالقد كان الرسل من البشر ليعيشوا حياة البشر فتكون حياتهم الواقعية مصداق شريعتهم، وسلوكهم العملي نموذجاً حياً لما يدعون إليه الناس³.

3. مظهر الحاجة إلى النكاح

من مظاهر بشريته ﷺ زواجه ومعاشرته أهله كغيره من البشر، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في حق جميع الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:39]

وهذا السلوك البشري قد شاهده الصحابة رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عياناً في الحضر والسفر، فقد تزوج النبي ﷺ جويرية التي كانت من سبي غزوة بني المصطلق، فعن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع، فكتب إلي: «أن النبي ﷺ أَعَارَ عَلِيَّ بِنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُونَ»⁴، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَفَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ»⁵.

¹ - السويق: دقيق القمح أو الشعير أو الذرة أو غيرها من الحبوب، ينظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (112/18).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (130/5)، برقم: 4195، وأخرجه في كتاب الوضوء إشارة إلى بعد تشريعي يتعلق بالوضوء في الرواية، فقال: "باب من مضض من السويق ولم يتوضأ"، (52/1)، قال العيني: "أي هذا باب في بيان حكم من مضض من أكل السويق ولم يتوضأ"، محمود بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، (د، ط)، (د، ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (323/5).

³ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (2368/4).

⁴ - غارون: أخذهم على غرة، ابن حجر فتح الباري، (171/5).

⁵ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً، فوهب وباع وجامع وفدى وسبي الذرية، (148/3).

وتزوج صفية رضي الله عنها في غزوة خيبر، وبنى بها في الطريق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ :
 عنه، أن النبي ﷺ : «أقام على صفية بنت حبي بطريق خيبر ثلاثة أيام، حتى أعرس بها، وكانت فيمن
 ضرب عليها الحجاب»¹.

وإظهار البشرية عن طريق التكاثر في ميدان المغازي له أكثر من دلالة دعوية، من أبرزها التأكيد
 على التوازن والوسطية، والواقعية، فالاشتغال بالدعوة لا يعني إهمال حاجات الجسد المباحة، ولا
 يعني الزهد في الدنيا ترك التمتع بالطيبات.

فهذه المظاهر الحسية التي ظهرت على شخص النبي ﷺ أكدت لمشاهديها الجانب البشري في
 الشخصية النبوية، وتعمد النبي ﷺ إبرازها عمليا في الغزوات؛ حتى يدرك الأتباع إمكانية الاقتداء به،
 وهي في الوقت نفسه رسالة دعوية تُعرف المدعويين المرتقبين بحقيقة الشخصية النبوية.



ثالثا: الأبعاد الدعوية المتعلقة بدلائل النبوة

تأكيدا لنبوة النبي ﷺ فقد أيدته الله تعالى بالدلائل، وهي الأدلة التي تُعرف بها نبوة النبي الصادق،
 وكذب المدعي للنبوة من المتبئين²؛ وظلت هذه الدلائل ترافقه حتى في الغزوات، وقد ظهرت فيها
 بصور مختلفة؛ مما يدل على أهميتها الدعوية.

ولتشعب هذه الأدلة سوف أخصها في العناصر التالية:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (5/135)، برقم: 4212، والرواية ذات أبعاد دعوية كثيرة
 طالت مجالات كثيرة من الرسالة النبوية، كالمعاملات والأنكحة، والأطعمة، والأدب، كما يبدو من خلال تكرره في الصحيح،
 ينظر المواضع التالية منه: (3/84)، (7/21)، (7/24)، (7/70).

² - ينظر: عمر بن سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، دار النفائس، الكويت، ط4، 1410 هـ، 1989 م، ص 119.

1. دليل الإعلام بالغيبيات

قد أخبر النبي ﷺ عن الكثير من الغيبيات التي تحققت بعد ذلك، وشاهدها الناس وفق ما أخبر بها، وهي غيب باعتبار أنها لم تحدث بعد، أو باعتبار كونها حاضرة ولكنها خفية عن الناس. وفيما يلي نماذج من تلك الغيبيات.

أ. دليل الإعلام بغيبيات المستقبل

قد أخبر النبي ﷺ عن أمور تحققت في المستقبل، وقد تضمنت مرويات المغازي طرفا منها، فمن ذلك ما جاء في الصحيح أن سعد بن معاذ قال لأمية بن خلف: "فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَنْهُمْ قَاتِلُوكَ»¹.

والشاهد من القصة أن أمية قتل بيدر، بالطريقة التي أخبر النبي ﷺ، وهذا من معجزاته ﷺ التي شاهدها كل من حضر بدرا، والتي تدل بلا شك على صدق نبوته².

ومن الغيب الذي استشرفه النبي ﷺ وتحقق تصديقا لنبوته، تبشيره لأصحابه بفتح خيبر عند الاقتراب من حصونهم، فعن أنس رضي الله عنه، قال: صَبَحْنَا خَيْبَرَ بُكْرَةً، فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالْمَسَاحِي، فَلَمَّا فَلَمَّا بَصُرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، أَنَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿بَسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الصفات: 177]»³.

ووجه الاستدلال من الحديث أن قوله: «خَرِبَتْ خَيْبَرُ»، قد يحمل على الخبرية، فيكون ذلك من باب الإخبار بالغيب، وإليه ذهب بعض الشراح، وقد يحمل على غير هذا المعنى، كالدعاء والتفاؤل⁴.

¹ - ينظر القصة: في صحيح البخاري، كتاب الصحيح، المغازي، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل بيدر، (71/5)، برقم: 3950.

² - بدر الدين العيني، عمدة القاري، (75/17).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (132/5)، برقم: 4200، و"المساحي جمع مسحاة، وهي الآلة التي يقلع بها الطين ونحوه"، ينظر، ابن حجر، فتح الباري، (188/1)، وقد يستفاد من هذه الجزئية أن الغزوات قد يستفاد منها في الاطلاع ما عند الغير من وسائل وانجازات يمكن نقلها وتوظيفها لخدمة الدعوة إن لم تكن مخالفة لأصولها.

⁴ - ينظر: يحيى بن شرف، أبو زكريا، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث، بيروت، ط2، 1392هـ، (219/9)، ابن حجر، فتح الباري، (468/7)، 1392هـ، (219/9)، ابن حجر، فتح الباري، (468/7).

وفي الحديث أبعاد دعوية كثيرة دلت عليها تراجم الصحيح، فقد تكرر في كتب مختلفة الأغراض الأغراض من الجامع الصحيح، بما يدل مرة أخرى على أهمية التراجم على روايات المغازي في المجال الدعوي¹.

ب. دليل الإعلام بغيبيات الحاضر

قد أخبر النبي ﷺ بأمر حاضرة تخفى على الناس، ولا تدرك إلا بالوحي، وقد تضمنت مرويات المغازي في الصحيح طرفاً من ذلك.

ولعل أوضح مثال دال على هذا البعد إخباره ﷺ بكتاب حاطب بن أبي بلتعة الذي بعثه إلى أهل مكة قبيل الفتح.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَا مَرْثَدَ الْعَنْوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، بَنَ الْعَوَّامِ، وَكُنَّا فَارِسٌ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ²، فَأَنْ يَمَّا امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ»³.

¹ - قد تكرر الحديث في الصحيح، في المواطن التالية: كتاب الصلاة، باب ما يذكر في الفخذ، (83/1)، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، (125/1)، أبواب صلاة الخوف، باب التكبير والغسل بالصباح، والصلاة عند الإغارة والحرب، (15/2)، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، (48/4)، وقد تضمنت التراجم مضامين دعوية تشريعية تتعلق بالصلاة، بما يدل على صلتها العظيمة بالدعوة، والترجمة الأخيرة فيها إشارة قوية إلى مقصد الجهاد الأعظم وهو الدعوة إلى التوحيد، وإخراج الناس من ظلمات الشرك، وتحريرهم من العبوديات المختلفة، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

² - خاخ: موضع بين الحرمين بقرب من حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة بحوالي ثمانية أميال من المدينة، ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ط 2، 1980 م، (200/1)، ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله، الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995 م، (235/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، (145/5)، رقم: 4274، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ﷺ وقصة حاطب بن أبي بلتعة، (1942/4)، برقم: 2494، واللفظ له، والحديث قد تضمن أبعاداً دعوية كثيرة يدل عليها تكرر في الجامع الصحيح، فقد خرج الإمام البخاري رحمه الله في عدم مواطن، فقد أورده في كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، (59/4)، وفي باب إذا اضطرب الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله، وتجردهن، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، (77/5)، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: 1]، (149/6)، رقم: 4890، كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره، (57/8)، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، (18/9)، فهي تراجم، ذات صلة بموضوعات دعوية مختلفة، كالتحديات الداخلية، وأنواع المدعوين، ومراعاة الأولويات، وإنزال الناس منازلهم، وأصول الدعوة، وتاريخ الدعوة، وهذه قضايا يأتي الحديث عن بعضها في مظانها من هذه الرسالة.

فتحقق ما أخبر به النبي ﷺ له آثاره على مستوى المدعو الداخلي فيزداد إيمانه ويقينه، فتزداد بذلك فعاليته الدعوية، أما المدعو الخارجي فلعل مشاهدته لهذه الدلائل تدله على صدق النبوة، وأن الإسلام هو الحق، أو على الأقل تثير في نفسه التساؤل، والشك الذي يدفع للبحث عن الحق.

2. دليل إجابة الدعوة

من دلائل نبوة النبي ﷺ استجابة الله تعالى لدعائه، فقد دعا ﷺ في مواطن من الغزوات، واستجاب الله له فنصره وهزم عدوه، وفيما يلي مواقف أجيبت فيها دعوات النبي ﷺ:

أ. الدعاء على صناديد قريش

من المواقف التي شاهد فيها المدعوون استجابة الله تعالى لدعوة نبيه الصادق ﷺ، موقف إهلاك إهلاك صناديد قريش في بدر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَعْبَةَ، " فَدَعَا الْكَعْبَةَ، " فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ: عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَأَبِي جَهْلٍ هِشَامٍ، فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَخِي، قَدْ غَيَّرْتُهُمُ الشَّمْسُ، وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا " ¹.

في الحديث عُلِّمَ عَظِيمٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ، وذلك باستجابة الله تعالى لنبيه ﷺ فصُرِعَ مِنْ دَعَا عَلَيْهِمْ، كما ظهر أثر هذه الاستجابة على الصَّحَابِيِّ الَّذِي شَاهَدَ بِالْحَسَنِ تَحْقِيقَ الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ. ² ولا يُسْتَبَعَدُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الِاسْتِجَابَةُ الرَّبَانِيَّةُ سَبَبًا لِإِسْلَامِ الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَمَنْ كَانَ يَخْفِي إِسْلَامَهُ .

هذا؛ وإن مثل هذه المواقف ستبقى خالدة في تاريخ الدعوة الإسلامية إلى قيام الساعة، شاهدة على أن العاقبة للمتقين، وإن طال صولة الباطل وأهله.

ب. الدعاء على الأحزاب

وقد دعا النبي ﷺ على الأحزاب حين تألبوا على استئصال الدعوة الإسلامية؛ قادة وأتباعا في غزوة الخندق، حيث حشدوا لذلك عدّة، وعددا لم يعهد من ذي قبل؛ فاستجاب الله تعالى له، فهزمهم، وردهم خائبين، لم يحققوا هدفهم الذي جاؤوا من أجله.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش شيبية، وعتبة، والوليد، وأبي جهل بن هشام، وهلاكهم، (74/5)، برقم: 3960، والترجمة دالة بدقة على بعد تأكيد النبوة بهلاك من دعا عليهم النبي ﷺ، كما تشير إلى مقصد من مقاصد الدعوة وهو التصدي لأعداء الدعوة بكل الإمكانيات المتاحة.

² - ابن حجر، فتح الباري، (352/1).

فَعَن عَبْدَ اللّٰهِ بِنِ اَبِي اَوْفَى رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا، يَقُوْلُ: دَعَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَوْمَ الْاَحْزَابِ عَلَي الْمَشْرِكِيْنَ، فَقَالَ: «اللّٰهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيْعَ الْحِسَابِ، اللّٰهُمَّ اهْزِمِ الْاَحْزَابَ، اللّٰهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».¹

وقد استجاب الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ، فنصر المؤمنين، وردّ الكافرين عن حصار المدينة، وهم يعانون آلام غيظهم، إذ لم ينالوا خيراً من حملتهم الظالمة الآثمة، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَرَدَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنْتَالُوْا خَيْرًا وَكَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللّٰهُ قَوِيًّا عَزِيْزًا﴾ [الأحزاب: 25].²

ولا ريب أن مشاهدة المدعوين لاستجابة الله تعالى لدعاء نبيه تزيد من إيمانهم بصدق الرسالة والرّسول، وهذا ما حملهم على الثبات عليها، والدفاع عنها، والموت في سبيل نشر الدّعوة وتبليغها.

3. دليل المعجزات النبوية

من دلائل نبوّته عليه الصّلاة والسّلام ما أجرى الله تعالى على يديه من المعجزات والخوارق، التي لا تكون إلا لنبي؛ الغرض منها التأييد الإلهي للدّعوة.³

وقد حفلت المغازي بكثير منها، شاهدها من حضرها من المدعوين الحقيقيين والمرتبين، ونظرا لضيق المقام، فسوف أكتفي بإيراد النّماذج التّاليّة:

أ. معجزة تكثير الطّعام

من أمثلة تلك الخوارق ما حصل يوم الخندق من تكثير الطّعام، فقد أكل أهل الخندق جميعا حتّى شبعوا من وليمة جابر رضي الله عنه التي لا تكفي إلا بضعة نفر، وبقي الطّعام، فقال النبي ﷺ لزوجة النبي ﷺ لزوجة جابر: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَأَنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».¹

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (111/5)، برقم: 4115، والحديث فيه أبعاد دعوية أخرى أشار البخاري إلى بعضها في: كتاب الجهاد والسير، باب الدّعاء على المشركين بالهزيمة والزّلة، (44/4)، كتاب الدّعوات، باب الدّعاء على المشركين، (83/8)، و كتاب التّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكِيَّةَ بَشَرًا وَكَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 165]، (142/9)، فالترجمة الأولى فيها إشارة إلى التحديات الخارجية، والثانية الدّعاء وهو مضمون دعوي يعبر عن صلة الدّاعية بالله، والثالثة فيها الإشارة إلى بعض الأبعاد العقديّة كالإيمان بالملائكة وإثبات الوحي، وذكر الأسماء والصّفات.

² - عبد الرحمن بن حسن حنبك الميداني، صراع مع الملاحدة حتّى العظم، دار القلم، دمشق، ط5، 1412 هـ، 1992 م، ص447.

³ - ينظر: أحمد عيساوي، دراسات في تاريخ الدّعوة والدّعاة، دار الكتاب، القاهرة، ط1، 1433 هـ، 2012 م، ص189.

وهذه من المعجزات الباهرة التي أيده الله بها تصديقا لنبوته، وتثبيتا لقلوب أصحابه خاصة في مثل ظروف غزوة الأحزاب التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿لَا جَاءَكُمْ مِّنْ بَوْفِكُمْ وَمِنَ أَسْبَلِ مِنْكُمْ وَادُّ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: 10]².

ب. معجزة نبع الماء

من الخوارق التي حصلت في بعض الغزوات تكثير الماء، فعن البراء رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ تَكْثِيرَ الْمَاءِ، فَعَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالْحَدِيثِيَّةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا، عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ «دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضَمَّ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ أَهَأْ أَصْدَرْتَنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابِنَا»³.

قال ابن الملقن عقب هذا الحديث: "فيه علم من أعلام النبوة، وهو تكثير القليل، توضع الرجال الرجال من فضل بعضهم من بعض، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثيره، وتكثير الطعام معجزات وجدت في مواطن مختلفة وأحوال متقاربة بلغ مجموعها التواتر"⁴.

ج. معجزة إبراء المرضى

ومن الخوارق أيضا علاج بعض الأمراض بطريقة غير معتادة في التطبيب يعجز عنها البشر، فمن ذلك ما جاء في الصحيح عن يزيد بن أبي عبيد، قال: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ، مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْني يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ «فَنَفَثَ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ»⁵.

وقد تكررت المعجزة مرة أخرى مع علي رضي الله عنه في غزوة خيبر فقد اشتكى عينيه فبصق فيهما رسول فيهما رسول الله ﷺ ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع.⁶

¹ - ينظر قصة وليمة جابر بطولها: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (108/5)، برقم: 4102.

² - ينظر: العيني، عمدة القاري، (179/17).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (122/5)، رقم: 4150.

⁴ - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (333/4).

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (133/5)، برقم: 4206.

⁶ - ينظر: البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وألا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، (47/4)، برقم: 2942، والترجمة على وجازتها، فقد تضمنت أبعادا دعوية كثيرة: كمقصد الجهاد العام ومضامين الرسالة، وإثبات النبوة من قبيل عطف الخاص على العام، وتحرير الإنسانية من أشكال العبوديات المختلفة.

فشفاء النبي ﷺ بإذن الله لما أصاب أصحابه بطريقة غير معتادة للبشر من المعجزات الحسيّة التي أيدته الله تعالى بها الدالة على صدق نبوته¹.

والتذكير بصدق النبوة بهذا الأسلوب يرفع المعنويات، ويشحذ همم الأتباع، ويسليهم عما قد يصيبهم من الأذى، وفقد الأحاب في المعركة، ويمكن لهذا الأسلوب الدّعوي أن تكون له أبعاد دعوية خارجية لمن يراها من غير المسلمين.

4. معجزة الظهور والانتصار

إن من علامات صدق نبوة الأنبياء عليهم السلام نصر الله تعالى لهم، وحفظهم وأتباعهم من كيد الأعداء مع قلة عددهم، وعدتهم وعتادهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواطن كثيرة، قال الله سبحانه تعالى: ﴿أَنَا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأُغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۗ أَلِ ٱللَّهُ فَوْقَىٰ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 20].

وأكد ذلك ابن تيمية بعد أن أورد جملة من النصوص الدالة على تأييد الله تعالى لرسوله، وأن ذلك دليل صدق نبواتهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، فقال: "فإن سنة الله أن ينصر رسوله، والذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، وهذا هو الواقع، فمن كان لا يعلم ما يفعله الله إلا بالعادة فهذه عادة الله، وسنته يعرف بها ما يصنع، ومن كان يعلم ذلك بمقتضى حكمته فإنه يعلم أنه لا يؤيد من ادعى النبوة وكذب عليه"².

وقد أثبت الواقع تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ، وكان ذلك من آيات، ودلائل النبوة؛ لقوله تعالى: ﴿فَدَكَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي وَيْتَيْنِ ٱلْتَمَتَا وَيَّةً تَفْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْخُرَىٰ كَٱوْرَةٌ تَرَوْنَهُم مِّنْ أَيْمَانِهِمْ رَأَىٰ لُغَيْنٍ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ ۗ أَلِ فِي ذَٰلِكَ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13].

قال الرازي في تعقيبه على الآية: "واقعة بدر كانت كالدلالة على ذلك؛ لأن الكثرة، والعدة كانت من جانب الكفار، والقلة، وعدم السلاح من جانب المسلمين، ثم إن الله تعالى قهر الكفار، وجعل المسلمين مظفرين منصورين، وذلك يدل على أن تلك الغلبة كانت بتأييد الله، ونصره"³.

¹ - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (364/21).

² - ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن، دار العاصمة، السعودية، ط1419، 2هـ، 1999م، (410/1).

³ - محمد بن عمر، أبوعبد الله، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، ط3، 1420هـ (156/7).

وقد أثبتت مواقف، ووقائع من المغازي تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ، وصحبه الكرام عليهم الرضوان وانتصارهم وظهورهم على أعدائهم؛ أذكر منها على سبيل المثال التماذج التالية:

أ. ظهور الدين يوم الفتح

قد بدا جلياً لكثير من العرب حوالي مكة صدق نبوة النبي ﷺ بعد الفتح الأعظم، وأيقنوا أن وراء هذا الانتصار تأييد إلهي، فقد جاء في الصحيح من حديث عمرو بن سلمة قوله: كَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوُّمًا¹ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اِتْرَكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَأَنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقَعَةُ أَهْلُ الْفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا².

والشاهد من الحديث أن القوم استدلوا على صدق نبوة النبي ﷺ بانتصاره يوم الفتح، فأسلموا واستجابوا لدعوته، وخضعت قريش للإسلام طوعاً أو كرهاً، وأقبل العرب على الإسلام إقبالاً لم لم يعرف قبل ذلك، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا³.

ب. ظهور النبي ﷺ يوم حنين

ومن تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ ما حصل له يوم حنين، فقد جاء في الصحيح، عن البراء رضي الله عنه، قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عُمَارَةَ وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا وَلَى النَّبِيَّ ﷺ، وَلَكِنْ وَلَى وَلَى سَرَعَانُ النَّاسِ، فَلَقِيَهُمْ هَوَازِنُ بِالنَّبْلِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بُنُّ الْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»⁴.

قال الطيبي في تعليقه على الحديث مبرزاً تأييد الله تعالى لنبيه في هذه الواقعة: " فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ إحداهما فعلية والأخرى خبرية، وهو أنه: أخبر بجزيمتهم، ورماهم بالحصيات بالحصيات فولوا مدبرين."¹

¹ - تَلَوُّمٌ: قال ابن الأثير: "أي تَنْتَظِرُ، أراد تَلَوُّمٌ، فحذف إحدَى التَّاءِينِ تخفيفاً"، النهاية، (569/4).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، (150/5)، برقم: 4302.

³ - علي بن عبد الحي، أبو الحسن، الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق، ط12، 1425 هـ، ص462.

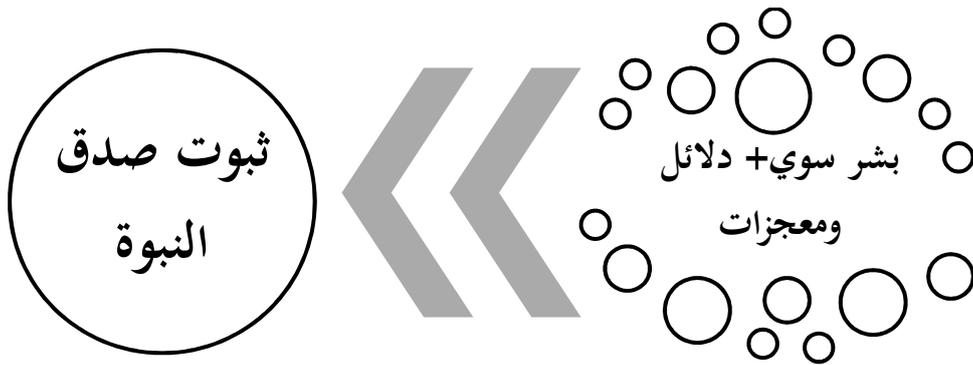
⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب بعلة النبي ﷺ البيضاء، (32/4)، برقم: 2874، ومن فقه الترجمة بيان الظهور والانتصار من خلال الركوب على البعلة البيضاء، ففي الموقف عنصرين من عناصر الإعلام: العلو واللون.

¹ - الحسين بن محمد بن عبد الله، الطيبي، شرح المشكاة، ت: عبد الحميد هنداوي مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1 1417 هـ، 1997 م، (3769/12)، قد وردت زيادة عند مسلم فيها رمي النبي ﷺ للمشركين بالحصيات، ينظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، (1398/3).

ومن ثمّ يتضح أن دلائل النبوة في الغزوات تستهدف عدة أبعاد، أهمها التأكيد على صدق النبوة، وبيان تأييد الله تعالى للدعوة لكونها دعوة حق؛ مما يشحذ فعالية الأتباع في الاجتهاد في بذل أسباب النصر والتمكين لها من خلال الجهاد، وغيره من الوسائل.

وفي نهاية هذا المطلب يتبين بوضوح تعدد الأبعاد الدعوية لإثبات نبوة النبي ﷺ، وتنوع أساليب، ووسائل تثبيتها في نفوس المدعوين؛ ذلك أنها من صميم الفعل الدعوي النبوي المتعلق بالمضمون الرسالي العقدي الذي تحرك معه، وصاحبه في جميع الميادين بما في ذلك ميدان المغازي.

وقد استطعت أن أجمل هذه الأبعاد في ثلاثة محاور متكاملة: محور إثبات الوحي، ومحور إبراز البعد البشري للنبي ﷺ، ومحور دلائل النبوة.



الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالغيبيات

يعد الإيمان بالغيبيات من أصول العقيدة التي قرّرها الكتاب والسنة، ومن موضوعات الدعوة الإسلامية التي دعا إليها النبي ﷺ، وحرص على تثبيتها في نفوس المدعوين منذ بدء الوحي إلى اكتماله بالتحاقه بالرفيق الأعلى، ولما كانت المغازي النبوية من أهم مجالات الدعوة، جاء هذا المطلب لبيح مدى حضور هذا الأصل العقدي فيها؛ مبرزاً أهم أبعاده الدعوية.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق، ما مدى حضور الدعوة إلى الإيمان بالغيبيات في المغازي؟ وما أهم صور هذه الغيبيات؟ وما المسلك المنتهج في طرحها، والاستدلال عليها؟

وللإجابة على هذا الإشكال سوف يتمُّ التركيز على صوّر من الغيبيّات الواردة في مرويات مغازي الصّحيح، من خلال العناصر التّاليّة:

أولاً: الأبعاد الدّعوية المتعلّقة بالنبوات والأمم السابقة

من الغيبيّات التي يجب على المؤمن التّصديق بها التّنبؤات السّابقة، وما يتعلّق بها من الجزئيّات التي أخبر بها الوحي، فهي إذن من مضامين الرّسالة العقديّة للدّعوة الإسلاميّة التي ظلّ النبي ﷺ يدعو إليها.

ولما كانت المغازي من الميادين الدّعوية التي شغلت حيزاً ليس بالقليل من السّيرة النّبوية؛ فقد تضمنت مروياتها جملة من القضايا المتعلّقة بهذا المضمون الدّعوي التي سوف أجمالها في العناصر التّاليّة:

1. الأبعاد الدّعوية المتعلّقة بالأنبياء والرسل عليهم السّلام

قد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن الأنبياء، والرسل عليهم السّلام، فقد ورد ذكرهم تفصيلاً وإجمالاً، فلا تكاد تخلو سورة من سورته من ذكرهم، وقد جاء ذلك أيضاً في السّنة النّبوية، مما يدلّ على البعد الدّعوي العقدي البنائي الذي يقرّر الإيمان بالرسل في نفوس المدعوّين.

ولم تخل مرويات المغازي من التّعرض لهذا المبحث العقدي، فقد برز ذلك في مواقف دعوية منها، فعن عبد الله، قال: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبَرَ»¹.

ففي ذكر قصة موسى عليه السّلام في هذا الموقف بُعد دعوي عظيم، يتعلّق بالتّحديات التي تواجه قادة الدّعوة؛ ليعلّم الدّاعية أن طريق الدّعوة محفوف بالبلاء عبر تاريخ الدّعوات، حتّى يصبر يصبر كما صبروا على ما يناله من الأذى، في سبيل التمكين للدّعوة.²

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (159/5)، برقم: 4336، وقد خرجه البخاري في مواطن كثيرة لعل أقربها إلى بعد الإيمان، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السّلام، (157/4)، وكتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، (25/8)، وكأنّ الموضوع الأول تقرير للأصل العقدي والثاني بيان لبعض آثاره السلوكية التي يحتاج إليها المؤمن داعية ومدعو.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 784.

وفي ذكر قصة موسى عليه السّلام لفت لنظر الدّعاة في كل زمان؛ للاستفادة من تاريخ الدّعوة الضارب في تاريخ الإنسانيّة، الذي يؤكد على وحدة أصول الدّعوات الدّينيّة، والسّنن التي تحكمها.

2. الأبعاد الدّعوية المتعلقة باتباع الرسل

وكما جاء الحديث عن الأنبياء والمرسلين، فقد ورد ذكر أتباعهم من المؤمنين والقرآن شاهد على ذلك، فقد أشار إليهم في مواطن كثيرة منه.

وفي هذا السياق وردت مواقف في الغزوات تبرز تلك العلاقة الرائعة بين الأنبياء عليهم السّلام وأتباعهم.

فمن ذلك ما جاء في الصّحيح عن البراء رضي الله عنه، يقول: حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا: «أُنْهَمُ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَاؤُوا مَعَهُ النَّهْرَ، بِضِعَّةِ عَشْرٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ» قَالَ الْبَرَاءُ: «لَا وَاللَّهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهْرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ»¹.

وفقد دلّت الرواية على الفقه الدّعوي للصحابة رضي الله عنهم من خلال مقارنتهم لأهل بدر مع أصحاب طالوت، وتأكيد البراء على أهم أوجه الشبه، وهو الإيمان؛ باعتباره من أعظم عوامل النّصر، والثبات في الشدائد، والأزمات.

ولا يستغرب هذا الفقه العميق للغزوات من مثل البراء، فقد جمع بين الفقه، وكثرة الرواية، وشهود المغازي، قال الذهبي عنه: " الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري، الحارثي، المدني نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة، روى حديثا كثيرا، وشهد غزوات كثيرة"¹.

ومن ثمّ يتبين الوعي السنني المبكر عند الصحابة رضي الله عنهم؛ مما جعلهم يستمرون على الفعاليّة الدّعوية بعد وفاة النبي ﷺ، وينقلونها عن طريق التورث الدّعوي الفعلي والتطبيقي إلى من يأتي من بعدهم من الدّعاة.

لذلك كانت دعوتهم أقرب الدّعوات إلى الدّعوة النّبوية النّمودجية، لقرب عهدتها بها؛ مما جعلها تصطبغ بصبغتها، وتنهل من خصائصها، ومميزاتها.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، 73/5، برقم: 3955.

¹ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (195/3).

3. الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمكذابين بالرسول

قد أُشير إلى المكذابين من الأمم السابقة في مواقف مختلفة من الغزوات النبوية في مروياتها الصحيحة.

فمن ذلك ما خرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاداً بالدبور»¹.

وكان ذلك في غزوة الأحزاب، إذ نصر الله تعالى المؤمنين بالريح، وقد أشارت إلى ذلك سورة الأحزاب، في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 09]. ومن الأمم المكذبة التي ورد ذكرها في الطريق إلى غزوة تبوك أصحاب الحجر¹، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»². وهذا ميدان من ميادين الدعوة، فالمرور بآثار الظالمين، وبما أصابهم، يبعث على التفكير، والاعتبار وإظهار الافتقار إلى الله تعالى³.

فعلى الداعية أن يستغل مثل هذه المواطن للوعظ، والتذكير، موظفا الأساليب والمناهج الدعوية المناسبة لكل مقام.

ومجمل القول؛ أن مرويات المغازي في الصحيح قد تضمنت الإشارة إلى مضمون عقدي غيبي يتعلق بالنبوات السابقة من خلال ذكر الأنبياء، والرسول عليهم السلام، وأتباعهم، والمكذابين بها لتأكيد أبعاد دعوية أهمها تشابه الدعوات في أصولها، وأبعادها السننية.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، 109/5، برقم: 1035، الصبا: الريح الشرقية، الدبور: الريح الغربية، ينظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (232/21)، وفيه لفت أنظار المدعوين للتأمل الكوني، الذي من شأنه أن يذكر بعظمة الله تعالى، ويديرهم على التفكير في مخلوقاته، وهذا بعد قل الاهتمام به رغم أهميته التي يدل عليها كثرة الآيات الكونية في القرآن الكريم، فهي تفوق آيات الأحكام والأخلاق بكثير، فضلا عما ورد في السنة من ذلك، وتتأكد أهميتها في هذا الزمان الذي تطورت فيه العلوم الكونية الأفقية والنفسية؛ لإبراز أبعاد الإعجاز العلمي المختلفة

¹ - الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (221/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، (7/6)، برقم: 4158.

³ - سعد المرصفي، الجامع الصحيح للسيرة النبوية، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط1، 1430 هـ، 2009 م، (359/2).

وفي ذلك إشارة إلى أهمية الاعتناء بتاريخ الدعوة للاستفادة منه في العمل الدعوي الإسلامي لكثرة القواسم الدعوية المشتركة بين الدعوة الإسلامية، وما سبقها من الدعوات الدينية.

ثانياً: الأبعاد الدعوية المتعلقة باليوم الآخر

يعد اليوم الآخر من الأصول الدعوية العقدية التي شهدت حضوراً مكثفاً في الخطاب الدعوي النبوي في جميع الميادين، ومن ذلك مجال المغازي، ولأهمية هذا الأصل في الاستجابة، والفعالية الدعوية، فقد تنوّعت أشكال، وطرق عرضه أثناء الغزو، فقد ذكرت أحاديث المغازي بعض الأصول العقدية المتعلقة باليوم الآخر، وفيما يلي بيانها مع الإشارة إلى أبعادها الدعوية:

1. الأبعاد الدعوية المتعلقة بالحياة البرزخية

تعد الحياة البرزخية بداية الآخرة، فهي حياة العبد في قبره من الموت إلى البعث؛ يتعرض فيها إلى عذاب القبر ونعيمه، وقد دلّ القرآن والسنة على هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:101]، ذكر المفسرون: أن البرزخ ما بين الدنيا والآخرة.¹ ولأهمية الدعوية لهذا الأصل العقدي، فقد ظل حاضراً في العمل الدعوي النبوي، ولما كانت المغازي من ميادين الدعوة؛ فقد ورد ذكره في بعض مروياتها الصحيحة.

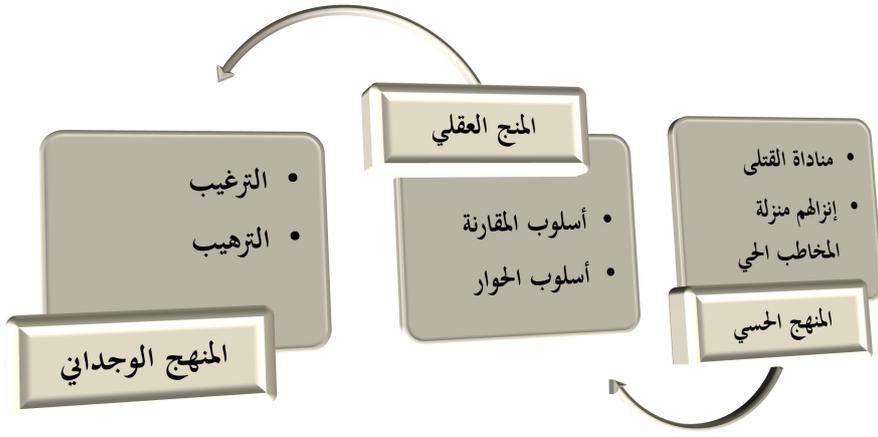
فمن تلك المواقف ما جاءت به رواية أبي طلحة، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرِ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ، بِبِضْعِ وَعِشْرِينَ فَطَرَحُوا فِي طُوى مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ثُمَّ ثُمَّ مَشَى حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْرِ، فَجَعَلَ يُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ: أَيُّ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، أَيُّ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ: «أَيَسُرُّكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَأَنَا وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُكَلِّمُ أَبْدَانَنَا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»¹.

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان، (71/19)، حديث البراء بن عازب الطويل في ذكر عذاب القبر ونعيمه، رواه أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ، 2001 م، (499/30)، ورواه محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 هـ، 1990، (93/1)، وصححه ووافقه الذهبي، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، القيامة الصغرى، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 1411 هـ، 1991 م، ص13.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، (76/5)، برقم: 3976، ورواه أبو سعيد الهيثم بن كليب البُنْكِي، المسند، ت: محفوظ زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط1، 1410 هـ، (18/13)، برقم: 1065، واللفظ له.

إن مناداة الرسول ﷺ لقتلى قريش تستهدف تثبيت حقيقة عقديّة غيبية في قلوب المدعوين، وهي حياة البرزخ التي يتعرض فيها هؤلاء المشركين للعذاب، وفي الوقت نفسه ترهبهم من موجبات موجبات عذاب القبر¹.

والملاحظ الذي يمكن أن نلمحه في الحديث هو تنوع أساليب عرض القضايا العقديّة، وتثبيتها في النفوس، فقد استعمل النبي ﷺ المنهج الحسي، والعقلي، والعاطفي؛ لتقرير الأبعاد الدّعوية للحياة البرزخية في هذا الموقف.



2. الأبعاد الدّعوية المتعلقة بيوم القيامة

قد ورد ذكر القيامة في الكتاب والسنة كثيرا، فلم تخل أحاديث المغازي من الحديث عن هذا اليوم العظيم، لما يتضمنه من أبعاد دعوية أصليّة وتبعية، فمن ذلك: ما رواه جابر رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم واحد، ثم يقول: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن»، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة»، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يُعسلوا، ولم يُصلّ عليهم¹.

¹ - ينظر: الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط7، 1429 هـ، 2008 م، ص415.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، (102/5)، برقم: 4079، والحديث قد تضمن مضامين فقهية كثيرة خاصة ما تعلق منها بباب الجنائز من أجل ذلك كره البخاري في كتاب الجنائز في عدة مواطن بتراجم مختلفة، ينظر: الصحيح، (91/2)، (93/2).

فالمقبرة ميدان مناسب للتذكير بيوم القيام، فعلى الدعاة حضور الجنائز وتذكير الناس فيها، فهي مجال دعوي خصب لإثارة العواطف والمشاعر والانفعالات، التي من شأنها أن تسهّل تغيير السلوك استعدادا لهذا اليوم العظيم، الذي هو أول منازل الآخرة.

ومن المرويات التي جاء فيها ذكر يوم القيامة ما رواه البخاري عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»¹.

فقد استعمل النبي ﷺ عبارة "يوم القيامة"؛ لإفادة التأييد؛ تذكيرا للمدعوين بها، وترسيخا لحضورها في الأذهان، فالشيء إذا تكرّر تقرّر².

وقد ورد ذكر القيامة في موطن آخر من مرويات المغازي، فعن أبي سعيد الخدري، في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا، فأرادوا أن يستمتعوا بهن، ولا يحملن، فسألو النبي ﷺ عن العزل، العزل، فقال: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَانَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَانَتْ»³.

نجد في هذه الأحاديث أن النبي ﷺ يذكر الصحابة بيوم القيامة في مناسبات، وميادين مختلفة تثبيتا للإيمان بهذا اليوم في قلوبهم، فجدير بالعاملين في حقل الدعوة في كل عصر أن يربطوا المدعوين بيوم القيامة بتذكيرهم به من حين لآخر؛ بما يناسب المقام مع استثمار أسماء القيامة التي تعددت في الكتاب والسنة¹.

ولاتخفى الأبعاد الدعوية لاستحضار هذا اليوم في حياة الداعية والمدعو، فقها، وتذكيرا، وتنزيلا، فالعمل للدعوة؛ علما، والتزاما، ودعوة، واحتسابا من أعظم المنجيات من أهوال ذلك اليوم العظيم.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم الغادر للبر والفاجر، (104/4)، برقم: 3189.

² - عاطف رفاعي، صور الإعلام الإسلامي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (د.ط)، 1432 هـ، 2011 م، ص 88.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْبَارِئَ الْمُصَوَّرَ﴾ [الحشر: 24]، 121/9، برقم: 7409، ومناسبة الترجمة، وعنوان الكتاب للبعد الدعوي بينة؛ فالإيمان بيوم القيامة من مقتضيات التوحيد، والبعث يوم القيامة من آثار صفة الخلق، ومن لوازم الأسماء الحسنى (الخالق، البارئ، المصور).

¹ - الأشقر، القيامة الكبرى، ص 20.

3. الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالجنة والنار.

إن من أسمى المطالب التي يسعى المؤمن لتحقيقها، وبلوغها مطلب الفوز بنعيم الجنة، والنجاة من عذاب النار، لذاكثر الحديث عنه في الكتاب والسنة، بالدعوة إليه، وإلى الأعمال التي توصل إليه، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى دينه. ومن ثمَّ كانت الغزوات من أنسب الميادين الدَّعوية لهذه الرسالة العقديَّة، حيث تضمنت رواياتها الصَّحيحة الإشارة إليها، وسوف أبينه فيما يلي:

أ. الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالجنة

قد حفلت مرويات المغازي بالمضمون العقدي المتعلقة بالجنة، فمن ذلك ماجاء عن أنس بن مالك: أن أمَّ حارثة أتت رسولَ الله ﷺ، وقد هلك حارثة يوم بدرٍ، أصابه عَربُ سَهْمٍ، فقالت: فقالت: يا رسولَ الله، قد علمت مَوقِعَ حارثة من قَلْبِي، فإن كان في الجنة لم أُنكِرْ عليه، وإلاَّ سوف ترى ما أصنع؟ فقال لها: «هبلتِ، أجنةٌ واحدةٌ هي؟ أنها جنانٌ كثيرةٌ، وأنه في الفردوسِ الأعلى»¹.

فالحديث يوضح مدى ارتباط الاستجابة الدَّعوية بطلب الجنة ونيلها، وأن ذلك كان من أعظم المطالب المتفق عليها لدى جيل الصَّحابة، وقد دلت الرواية على هذا البعد من وجوه، أذكر منها مايلي:

✓ **الوجه الأول:** حرص حارثة رضي الله عنه على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فقد آثر الجنة على آثر الجنة على التمتع بشبابه ودينه².

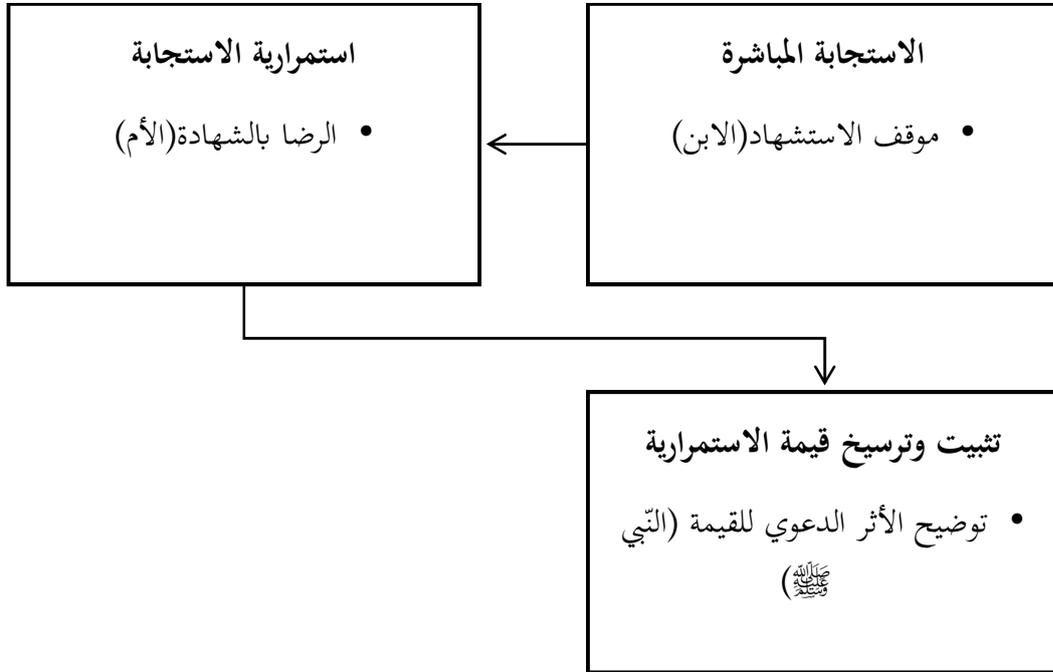
✓ **الوجه الثاني:** حرص الأم³ على معرفة منزلة ولدها في الآخرة، في حين مع الأسف تحرص الكثير من الأمهات على مستقبل الأبناء الدُّنيوي، ولو على حساب ضياع الدين، وهذا ملحظ دعوي ينبغي للدعاة الاهتمام به، مراجعته، وتصحيحه.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (114/8)، برقم: 6567.

² - هو حارثة بن سراقه بن الحارث، من بني عدي بن النجار، أصيب ببدر، أمه الربيع بنت النضر، وهو ابن عمه أنس بن مالك، عرف بجره الشديد لأمه، ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، معرفة الصحابة، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر - الرياض، ط1، 1419 هـ، 1998 م، (740/2).

³ - ما يدل على استمرارية الاستجابة للدَّعوة، مشاركة الربيع بنت النضر في غزوة أحد، وهي التي عرفت أخاها أنس بن النضر بينانه من بين القتلى، ينظر: أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، (230/1).

✓ **الوجه الثالث:** تأكيد النبي ﷺ على فضل الدعوة إلى الله من خلال الجهاد على سبيل الترغيب، وأنها من أعظم طرق نيل أرفع الدرجات في الجنان.



وهذا حدث آخر من حوادث الغزوات يدلّ على الأثر الدعوي للتعلق بمطلب الجنّة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ يوم أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيُّنَ أَنَا؟ قَالَ: قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»¹.

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أثر استحضار نعيم الجنّة على الفعل الدعوي، والدفاع عن الدعوة، وحملتها، فالصّحابي ألقى التمرات مبادرة إلى الشهادة، ودخول الجنّة².

وفيه أيضا بيان ما كان الصّحابة عليه من حب نصر الدعوة، والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله وثوابه³.

وقد ظل هذا الأثر الدعوي الطيّب مصاحبا للدعاة، والفاحين عبر العصور الزاهرة للدعوة الإسلاميّة، وتراجعت وانحسرت حين استُبدل هذا المطلب الأعلى بما هو أدنى.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (77/5)، برقم: 4046.

² - ينظر: علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م، (2534/6).

³ - فيصل بن عبد العزيز، تطريز رياض الصالحين، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1423 هـ، 2002 م، (84/1).

ب. الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالنَّار

لا تقل قضية التحذير من النَّار أهمية في الدَّعوة عن التَّريغيب في الجنَّة؛ لذا وردت في شأنها آيات وأحاديث كثيرة لا يسع المقام لبسطها، ولم يمنع النَّبي ﷺ الجهاد، وقاتل الأعداء من التذكير بالنَّار والتحذير منها ومن أسبابها، وقد جاءت مرويات في المغازي تستهدف هذا البعد أذكر منها ما يلي:

جاء في الصَّحيح عن سهل بن سعد الساعدي، قال: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ يُفَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ عَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى فَتِيحِهِ رَجُلٍ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعَجَلَ الْمَوْتُ، فَقَالَ بِدُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ نَدْيَيْهِ، عَلَيْهِ حَتَّى حَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتْفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسَ، عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»¹.

فقد علل القسطلاني سبب كونه من أهل النَّار فقال: "لنفاقه باطنا"²، فقد تضمن الحديث التحذير من النَّار والأسباب الموجبة لورودها، من قبيل ربط الأسباب بالمسببات زيادة في الإقناع.

فمن أعظم ما تنال به الجنَّة الإيمان والعمل الصالح، وأكثر ما يُدخل النَّار الكفر، وما يتفرع عنه من موبقات، وانحرافات، فحريٌّ بالدَّعاة في كل زمان وتوظيف هذا البعد العقدي الغيبي الذي يجمع بين التَّريغيب والتَّرهيب، لترسيخ العقائد وتعديل وتغيير السُّلوك؛ خاصة في عصر المادِّيات، وكثرة الفتن والشُّبهات، والشَّهوات³.

وبهذا أكون قد بيَّنتُ أن مرويات المغازي قد تضمنت طرفاً من الرسالة العقديَّة المتعلقة باليوم الآخر، وكيف وظفها النَّبي ﷺ في تحقيق أعظم الإنجازات الدَّعوية، حيث تمكَّن من خلالها من تطهير نفوس الأتباع من حُبِّ الدُّنيا وكرهية الموت؛ ليقضي بذلك تماماً على الوهن الدَّعوي .

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (132/5)، برقم: 4202، والحديث قد تضمن بعدين عظيمين: الأول سلوكي، والثاني عقدي؛ أشار إليهما البخاري من خلال: كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم، وما يخاف منها، (103/8)، وكتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، (124/8).

² - القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (362/6).

³ - عبد الحميد، هندراوي، منهج الدَّعوة في واقعنا المعاصر، ص140.

ثالثا: الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالملائكة

أن الإيمان بالملائكة من قضايا العقيدة الغيبيَّة، فقد تواترت النصوص في وجوب الإيمان بها، والتَّصديق بوجدها، وفي سياق الحديث عن الأبعاد الدَّعوية للغيبيات يأتي هذا العنصر لبيان أهم الأبعاد العقديَّة المتعلقة بالملائكة من خلال مرويات المغازي في الصَّحيح، وفق العناصر التَّاليَّة:

1. الأبعاد الدَّعوية لنزول الملائكة في بدر

قد تحدث القرآن الكريم عن غزوة بدر في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ وَأَنَّهُ مُيَدُّكُمْ بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: 09].

وأكدت هذا التَّنزُّل الملائكي السُّنَّة الصَّحيحة، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن رفاة رفاة بن رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: « مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرِ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ »¹.

فالرواية فيها بعد إثبات وجود الملائكة، وبعض وظائفهم، وتشير إلى التفاضل بينها كتفاضل المسلمين، وفي ذلك بعد دعوي اجتماعي يتعلق بتصنيف المدعوين، والأُتباع². وفي الرواية إشارة إلى تقرير مكانة الملائكة وتفاضلهم، وكذا مكانة البدرين، وفضل غزوة بدر عن طريق المنهج المقارن.

2. الأبعاد الدَّعوية لنزول الملائكة في أحد

تعد غزوة أحد من المواطن التي تنزلت فيها الملائكة لتأييد المؤمنين، وقد ورد ذلك في الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى في سياق الحديث عن الغزوة: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عمران: 124].

وتأكَّد هذا الإمداد في مرويات الصَّحيح، فعن سعد بن عبد الله، قال: « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ﷻ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يِقَاتِلَانِ عَنْهُ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ »³.

¹ - البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، (80/5) برقم: 3992.

² - ينظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدَّعوة، مؤسسة الرسالة، ط9، ط1421هـ، 2001م، ص379.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلُوا﴾ [آل عمران: 122]، (96/5) برقم: 4054، وقد خرجه في كتاب اللباس، باب الثياب البيض، (149/7)، برقم: 5826، ولعل الترجمة بالثياب البيض تشير إلى تأكيد بعد إثبات الملائكة، وبيان بعض خصائصهم كالتشكل عن طريق المنهج الحسي، فاللون الأبيض هو أشد الألوان جلبا للانتباه.

فقد سحر الله تعالى الملائكة للدفاع عن رسول الله ﷺ، وحمایته؛ تنبیها للدعاة، والمصلحين أن نجاحهم منوط بمدى اتباعهم، واستقامتهم على نهج رسول الله ﷺ الدعوي، وهذا لا يعني بحال من الأحوال تعطيل، وإهمال أسباب النصر، والتمكين.

3. الأبعاد الدعوية لنزول الملائكة في غزوتي الأحزاب وبنی قریظة

قد أشار القرآن إلى نزول الملائكة في غزوة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿مَدَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 09]، قال الطبري في تفسير الآية: " وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح: الملائكة."¹

وقد ثبت في مرويات المغازي شهود الملائكة الأحزاب وبنی قریظة معا لتواليهما، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاعْتَسَلَ، أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ فَقَالَ: " قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ قَالَ: فإلى أين؟ قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم " ².

ففي الحديث دلالة على أن الملائكة تصحب المجاهدين في سبيل الله، وأنها في عونهم ما استقاموا استقاموا فإن خانوا، وغلوا فارقتهم، وتقاس على ذلك جميع ميادين الدعوة، ففي ذلك ذكرى للدعاة، والمدعوين عبر خط الزمن؛ ترغيبا لهم في الخير وزجرا لهم عن المعاصي، والمخالفات التي تعد تعد من عوائق، وتحديات الفعل الدعوي، وفعاليتها.³

فنزول الملائكة، وتأيدتها للمؤمنين في الغزوات أمر لا مريّة فيه، أثبتته النصوص، والوقائع بل دلت عليه حتى الكتب المقدسة، فقد جاء في بعضها: " إن الله مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيا، وينزل عليه كتابا، ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيدار¹ في

¹ - الطبري، جامع البيان، (217/20).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، (111/5)، برقم: 4117.

³ - ابن الملّقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (401/17).

¹ - قيدار: من أبناء إسماعيل عليه السلام، ينظر: أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ت: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ط2، 1400 هـ، 1980 م، (119/1).

جماعات الشعوب، معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين يوقعون بكم، وتكون عاقبتكم إلى النار¹.

وفي نهاية هذا المبحث أخلص إلى أن المحاور الكبرى للرسالة الدعوية العقديّة، كانت حاضرة في مرويات المغازي الواردة في الصّحيح، فقد غطّت إجمالاً محور الإلهيات، والنبوات، والغيبيات، وهذا ما يؤكّد وفاء مرويات المغازي في الصّحيح للمضمون الدّعوي العقدي. وقد حاولت في هذا المبحث أن أبرز الآثار الدعوية لكل جزئية من جزئيات الرسالة العقديّة من خلال الواقع الدّعوي في ميدان المغازي، وربطها بقدر المستطاع بالواقع الدّعوي الراهن. ومن ثمّ يتضح أن الرسالة الدعوية العقديّة ليست مجرد معارف نظريّة تتوقّف عند المستوى التبليغي، بل ينبغي أن تُفعل في الحياة الدعوية، بتوظيفها التوظيف الأمثل لتحقيق جودّة الإنجازات الدعوية على ضوء المنهج النبوي، وهذا ينطبق على جميع المسائل والجزئيات العقديّة، فضلاً عن الكليات.

¹ - مُجّد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ت: محمّد الحاج، دار القلم، السعودية، ط 1، 1416هـ، 1996م، (374/2).

المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية التشريعية

بعد التعرض لدراسة الأبعاد الدعوية العقدية، في المبحث السابق، يأتي الحديث عن الأبعاد الدعوية التشريعية من خلال إبراز أصولها وما تنطوي عليه من أبعاد دعوية، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنه ليس المراد هو تتبع تفاصيل الجزئيات؛ إذ محلها كتب أصول الفقه الإسلامي. وإنما الهدف هو الإجابة عن الإشكال التالي: ما مدى حضور أصول التشريع الكبرى، باعتبارها من أصول الدعوة في العمل الدعوي النبوي عموماً، وميدان المغازي محل الدراسة خصوصاً من خلال الجامع الصحيح؟ وما مدى انطواء العمل الدعوي على الفعل التشريعي المستمد من تلك الأصول؟

وسوف تقتصر الدراسة في هذا المبحث على الأصول المتفق عليها؛ لكونها أهم مصادر التشريع الدعوي، والتمثيل ببعض التطبيقات الفقهية العملية التي حفلت بها مرويات المغازي، وفق المنهجية التالية:

المطلب الأول: الأبعاد الدعوية لأصول الرسالة التشريعية الأصلية

قد ظلّ الوحي على عهد رسول الله ﷺ أصل التشريع الدعوي النبوي، فكانت حركة الدعوة وفق ما ينزل من القرآن الكريم، أو وفق ما يلقي في روع النبي ﷺ من الوحي غير المتلو، وظل الوحي بشقيه مصاحباً للدعوة إلى أن اكتملت، ولبيان علاقة حضور المصادر الأصلية في الغزوات بالعمل الدعوي، جاء هذا المطلب ليجيب عن التساؤل التالي: ما مدى الحضور الدعوي للمصادر الأصلية في ميدان المغازي من خلال الصحيح؟ وما الأبعاد الدعوية لهذا الحضور؟ وما مظاهره؟

وسوف أعالج هذه الجزئية من البحث؛ من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: الأبعاد الدعوية للقرآن الكريم

لا ريب أن القرآن الكريم أول أصول الدعوة الإسلامية وأهمها، وهو عمدة العمل الدعوي، وأصل أدلته، وإن مصادر الدعوة جميعها ترجع إليه، في استمداد مشروعيتها وحجيتها الدعوية. ولما كانت الغزوات النبوية قد شغلت حيزاً ليس بالقليل من العمل الدعوي؛ فقد تضمنت مروياتها مروياتها الواردة في الصحيح ما يدل على هذه المنزلة العظيمة للقرآن الكريم في أبعاد مختلفة.

وسوف أبرز هذه الأبعاد الدَّعوية لحضور القرآن الكريم كمصدر للتشريع الدَّعوي في ميدان المغازي، وكُمُكُون من مكوّنات الرّسالة الدَّعوية التّشريعيّة في الوقت نفسه، فما هي المنهجية التي عرض بها الإمام البخاري القرآن الكريم من خلال مرويات المغازي، وما أبعادها الدَّعوية؟ وسأحاول الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال ما يلي:

أولاً: البعد المفاهيمي للقرآن الكريم

في مطلع هذه الأبعاد الدَّعوية لا بأس أن أذكر بإيجاز بالبعد المفاهيمي للقرآن الكريم بالتّعرض لتعريفه الجامع لمحددات القرآن الكريم ككتاب سماوي خاتم للرّسالات الدَّعوية. فقد كثرت وتنوعت تعريفاته في كتب علوم القرآن، غير أنّها لا تخرج في مجموعها عن كون القرآن القرآن الكريم، كلام الله تعالى المعجز المنزل على محمّد ﷺ، بواسطة جبريل المنقول بالتواتر المتعبد المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف¹.

وقد أشار الإمام البخاري إلى ضابط مفاهيمي مهم في إحدى تراجم الصّحيح، في قوله: **بَابُ مَنْ مَنْ قَالَ: «لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ»**².

وهي ترجمة تؤكد كون القرآن مكتوب في المصاحف، وأنه لا قرآن إلا ما هو مدون فيها، وكأنه يستشرف ما ستسفر عنه الأيام الحُبلى بالشّبهات التي تستهدف التّشكيك في أصول الدَّعوة، وأطرها المقدسة، بما في ذلك القرآن الكريم.

ثانياً: البعد المصدري للقرآن الكريم

ويتولى هذا العنصر إثبات أن القرآن مصدره سماوي رباني أنزل على النبي ﷺ بطرق الوحي المعروفة؛ تمييزاً له عن غيره من الكلام، ونفي أن يكون مصدره بشري، وقد تعددت طرق إثبات المصدريّة الربانيّة للوحي.

وها هي مواقف من الغزوات تدلّ على هذا البعد الدَّعوي، أجملها في الدّلالات التّاليّة:

¹ - ينظر: عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ط2، (20/1)، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص15.

² - البخاري، الجامع الصحيح، (190/6).

1. دلالة عتاب النبي ﷺ على مصدرية القرآن الكريم⁽¹⁾

قد جاءت آيات في سياق المغازي يعاتب فيها الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ، وفي ذلك إشارة إلى ربانية المصدر؛ فلا يعقل أن يعاتب النبي ﷺ نفسه؛ أذكر منها التماذج التالية:

أ. عتاب النبي ﷺ في بدر: قد أنزلت آيات في سياق غزوة بدر تعاتب النبي ﷺ على إبقائه على الأسرى، في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِتَيْبَةٍ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أُسْرَىٰ لَهُمْ حَتَّىٰ يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 67]، قال البخاري: "يعني: يغلب في الأرض"²

فقد نزلت الآية تعاتب النبي ﷺ؛ لما استشار الصحابة في أسارى بدر، فأشار عليه الصديق أن يأخذ منهم فدية تكون لهم قوة على عدوهم، ويطلقهم لعل الله أن يهديهم إلى الإسلام، في حين حين أشار عليه عمر بن الخطاب بضرب أعناقهم، فرجح رأي أبي بكر³.

ب. عتاب النبي ﷺ في أحد: من آيات العتاب الواردة في سياق الغزوات النبوية قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأَنْهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: 128]، ففي الصحيح عن سالم بن عبد الله كان رسول الله ﷺ "يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ ﴾ إلى قوله - ﴿ فَأَنْهُمْ ظَالِمُونَ ﴾⁴.

وأما البعد الدعوي الذي يستفاد من الآية؛ فهو التذكير بأصلين عظيمين: أصل التوحيد بكون أمر الهدى، والضلال بيد الله، وبأصل النبوة التي يرجع إليها، ويصدر من خلالها القرآن الكريم، من خلال مصاحبة التنزيل للتصرفات النبوية⁵.

¹ - العتاب: من (عتب) ومعناه لوم ومخاطبة الملوم بالإدلال طالبا حسن مراجعته ومذكرا إياه بما كرهه منه، ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، (581/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ﴿ فِيمَا مَتَابَعْدُ وَإِنَّمَا إِذَاءٌ ﴾ [محمد: 04]، (62/4).

³ - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 27، 1415هـ، 1994م، (100/3).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: 128]، (99/5)، برقم: 4070.

⁵ - ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 307/5، ابن القيم، الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص 341.

فالعتاب من الأدلّة القويّة على ربانيّة القرآن الكريم، وأنه لم يكن مـ من تأليف النبي ﷺ،
النبي ﷺ، ولأهميته في تقرير هذا البعد الدّعوي الدفاعي عن مصدر الدّعوة الأول؛ فقد كثرت آيات
آيات العتاب في القرآن الكريم.¹

ومما تجدر الإشارة إليه في مقام العتاب أنه لا ينقص من قدر النبي ﷺ، ولا يسلب عصمته في
تبليغ الرّسالة؛ بل يؤكّد كونه بشرا رسولا مؤيدا وموجّها من قبل الله تعالى.

2. دلالة تكليف النبي ﷺ على مصدرية القرآن الكريم

أن نزول الآيات التي تتضمن الأحكام التكليفية الموجهة للنبي ﷺ؛ بالفعل أو الترك للدلالة على
على ربانيّة المصدر، وأن النبي ﷺ بشر مبلغ عن الله، وداعي إلى دينه، وقد دلت على هذه
الوظيفة النبوية آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الفرقان: 56]، فلا
يُتصور أن يأمر المرء نفسه أو ينهاه، وهذا فيه رد قوي على منكري الوحي المدعين أنه من
من تأليف النبي ﷺ أو أنه وحي نفسي، أو إلهام.²

وفيما يلي ذكر لجملة من الآيات جاءت في سياق المغازي الواردة في الصّحيح؛ ذات الدلالة
التكليفية للنبي ﷺ.

أ. التّكليف بصلاة الخوف في الغزو: فقد بوّب لها الإمام البخاري في الصّحيح بآيات من سورة
النساء في صحيحه؛ إشارة إلى بُعد ربانيّة القرآن الكريم من خلال التّكليف النبوي، وهي قوله
سبحانه تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ بِهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ
فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَّرَائِكُمْ وَلَتَاتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ ﴾
[النساء: 101].³

¹ - ينظر: عويد المطرفي، آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة
الملك عبد العزيز، مكّة المكرمة، ط3، 1426 هـ، 2005 م، ص246، فقد استقرأ فيه الباحث كل آيات العتاب الواردة
في القرآن الكريم، ثم تناولها بالتحليل والرد على الشبهات والتأويلات التي يمكن أن تثار حولها، وتوصل في النهاية إلى أن
العتاب ما هو إلا تصحيح وتوجيه لاجتهاد النبي ﷺ.

² - قد ذكر الزرقاني شبهات منكري الوحي، وفندها في كتابه القيم للتوسع في المسألة ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، (76/1).

³ - ينظر: صحيح البخاري، (14/1).

ثم ذكر روايات تتعلق بصلاة الخوف بالصفة التطبيقية التي أقامها النبي ﷺ، ومشاهدة الصحابة ﷺ لامتهاله ﷺ للخطاب التكليفي القرآن ي، وهذا من شأنه أن يرسخ، ويثبت في قلوبهم هذا البعد العظيم.

ب. التكليف بمصرف الخمس من الغنيمة: قد جعل البخاري رحمه الله آية الأنفال ترجمة من تراجم كتاب الخمس، وهي قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ خُمُسُهُ﴾ [الأنفال: 41]¹. وظلت هذه الآية هي الأصل لتخميس الخمس، وهي نموذج تطبيقي لتنفيذ النبي ﷺ لأحكام القرآن باعتباره مكلفا.

3. دلالة توقف النبي ﷺ في النوازل على مصدرية القرآن الكريم: من القضايا التي تدلّ بوضوح على ربانية الرسالة عموما، والقرآن خصوصا توقف النبي ﷺ في بعض النوازل في ميدان الغزوات انتظارا للوحي الذي قد يكون قرآنا أو سنة، ومن ذلك ما يلي:

أ. التوقف في تقسيم غنائم غزوة بدر: ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْبَالِ فُلِ الْأَنْبَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ بَاتَّفُوا أَللَّهِ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا أَللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 01]، قال ابن جرير في تفسير الآية: "إن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألوا رسول رسول الله ﷺ الأنفال أن يعطيهموها، فأخبرهم الله أنها لله وأنه جعلها لرسوله"².

ب. التوقف في أمر المتخلفين عن غزوة تبوك: فقد هجر النبي ﷺ والصحابة ﷺ المتخلفين عن المتخلفين عن تبوك، ولم يعطوا الهجر إلا بعد نزول توبتهم؛ حينها انقاد المسلمون للقرآن الكريم مقتدين برسول الله ﷺ، الذي كان أول المبشرين لهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَبُوا حَتَّىٰ حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا أَنْ أَلَّهِ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 119]³.

لعل ما ذكرته من الدلالات كان كافيا لإثبات المصدرية الربانية للقرآن الكريم، وأنه من عند الله، فلو كان من عند رسول الله ﷺ - كما يزعم بعض منكري الوحي -؛ لما عاتب نفسه، ولما كلّف نفسه بالتكاليف الشاقة، ولما توقّف في النوازل التي تطرأ عليه انتظارا للوحي.

¹ - ينظر: صحيح البخاري، (14/4).

² - الطبري، جامع البيان، (21/11).

³ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَبُوا﴾ [التوبة: 118]، (3/6)، برقم: 4418.

ثالثاً: البعد الدّعوي الموضوعي للقرآن الكريم:

والمراد بهذا العنصر كون القرآن الكريم تناول الكثير من موضوعات المغازي النبوية، فقد تحدث عن غزوة بدر في سورة الأنفال، وأحد في آل عمران، وتبوك، وحنين في التوبة، وغزوة بني النضير في الحشر، والحديبية في الفتح، وبني المصطلق في سورة المنافقون، وفتح مكة في النصر، وقد عني كُتّاب السير والمغازي والمحدثون بهذا البعد الموضوعي، فقد ضمنوا كتبهم آيات المغازي واستفادوا منها في دراسة وتحليل الوقائع، واستنبطوا منها أبعاداً دعوية كثيرة.

ومن هؤلاء الإمام البخاري، فقد ضمّن كتاب المغازي آيات تتناول جوانب متعددة من الغزوات، مراعيًا المناسبة الموضوعية في كل مرة؛ تبعاً لمنهجها في تراجم أبوابه، وانتقاءً أحاديثه، ويلحظ في إيرادها للآيات أنه مرة يأتي بها في سياق متن الحديث، ومرة يوظفها كتراجم للأبواب.

وفيما يلي نماذج من كل قسم:

1. البعد الموضوعي لآيات المتون: والمراد بذلك آيات المغازي الواردة في الروايات المسندة التي أوردها في كتابه مندرجة تحت أبواب الكتاب، فقد شكّل كثير منها موضوع متون أحاديث الغزوات في الصحيح، ولكثرتها فأكتفي بالتدليل لهذا النوع بالنماذج التالية:

أ. نموذج من آيات متون غزوة بدر: من نماذج متون الروايات التي تضمنت آيات نزلت في سياق سياق غزوة بدر ما جاء في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: نزلت: ﴿ هَذَانِ حُضَمَى حُضَمَى إِيْحَتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: 19]، فِي سِتَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ: عَلِيٍّ، وَحَمْرَةَ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ¹

قال الطبري عقب الآية: "اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله، فقال فقال بعضهم: أحد الفريقين: أهل الإيمان، والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين الذين تبارزوا يوم بدر" ².

ولعل البعد الدّعوي الذي يستفاد من مجموع الرواية وتفسير الآية، أن الدعوة الإسلامية تواجه تحديات خارجية من قبل أهل الباطل بمختلف مللهم ونحلهم في كل زمان.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، (75/5)، برقم: 3748.

² - الطبري، جامع البيان، (587/18).

ب. نموذج من آيات متون غزوة أحد: من أمثلة الآيات الواردة في متون غزوة أحد، ما رواه جابر، قال: " نزلت هذه الآية فينا: ﴿لَا هَمَّتْ طَائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: 122]، بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: 122]¹. والآية الكريمة بتمامها: ﴿لَا هَمَّتْ طَائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: 122]، تشير إلى بعد دعوي غاية في الأهمية والفعالية، يتعلق بتقوية الصلة بالله خاصة في مواطن الشدة، وتكالب الأعداء بتحقيق التوكل الذي هو من مقامات الإيمان، وأن التصرة تكون بحسب قوة تلك الصلة.²

ج. نموذج من آيات متون غزوة بني النضير: مما ورد من الآيات الكريمة بشأن غزوة بني النضير ما تضمنته هذه الرواية التي رواها ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «حَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ» فَنَزَلَتْ: ﴿مَا فَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْبَلْغَمَ﴾ [الحشر: 05]³.

قال الرازي عقب الآية: "روي أنه عليه الصلاة والسلام حين أمر أن يقطع نخلهم، ويحرق، قالوا: قالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء، فنزلت هذه الآية، والمعنى أن الله إنما أذن في ذلك حتى يزداد غيظ الكفار، وتتضاعف حسرتهم بسبب نفاذ حكم أعدائهم في أعزّ أموالهم."⁴ يفهم من كلام الرازي أن الآية جاءت لترد على شبهة حرق النبي ﷺ للنخيل التي تبدو في الظاهر فساد، ورد مثل هذه الشبهات التي تثار حول الدعوة، وقادتها، وحملتها من الأبعاد الدعوية الضرورية في حماية العمل الدعوي، ومواجهة التحديات التي تستهدفه من الداخل والخارج.

2. البعد الدعوي الموضوعي لآيات التراجم: والمراد بالتراجم عناوين الأبواب التي يعنون لها البخاري بصيغ مختلفة، ومن هذه الصيغ جعل الآية أو مجموعة من الآيات عناوين للباب.¹

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ﴿لَا هَمَّتْ طَائِفَتٌ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: 122]، (96/5)، برقم: 3825.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 145.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (88/5)، برقم: 4033.

⁴ - الرازي، مفاتيح الغيب، (505/29).

¹ - ابن حجر، فتح الباري، (14/1).

فقد جعل كثيرا من آيات المغازي عناوين لتراجم الكتاب، ولضيق المقام أكتفي بإيراد النماذج التالية:

أ. نموذج من تراجم غزوة أحد: من الآيات الكريمة التي جعلها ترجمة لأحد أبواب غزوة أحد قوله قوله تعالى: ﴿أَنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْأَجْمَعِينَ أَنْمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَاقَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَاقِبُ الْعَاقِبِينَ﴾ [آل عمران: 155] ¹.

فالأية مناسبة للمقام؛ إذ تشير إلى أن المعصية وتعدي حدود الله سبب من أسباب الهزيمة يوم أحد حتى يحذرنا الدعاة في كل زمان، وكل ميدان من تعدي حدود الله، والوقوع في المخالفات. ²

ب. نموذج من تراجم غزوة حنين: فقد ترجم الإمام البخاري لغزوة حنين بآيات من سورة التوبة، التوبة، فقال رحمه الله: "باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتُمْكُمْ كَقُرَّتْكُمْ فَلَمْ تَغِيْبْ عَنْكُمْ شَيْئاً وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِحِينَ﴾ [التوبة: 25] - إلى قوله - ﴿عَبُورَ رَجِيمٍ﴾" ³.

وأما البعد الموضوع لهذه الترجمة فهو ذو صلة بالترجمة السابقة، كما يوضحه ابن القيم بقوله: "وقد كسر الصحابة رضي الله عنهم يوم أحد بذنوب أولئك الذين عصوا رسول الله ﷺ، وأخلوا وأخلوا مركزهم، وانهمزوا يوم حنين لما حصل لبعضهم من الإعجاب بكثرتهم، فعمت عقوبة ذلك ذلك الإعجاب، وهذا عين العدل والحكمة، لما في ذلك من المصالح التي لا يعلمها إلا الله تعالى" ⁴.

وعليه فليحذر الداعية مهما آوت من إمكانيات، وقدرات من الاغترار بنفسه، فلا ينقطع عن الاعتماد على الله، والثقة به والتوكل عليه، وليوقن أن النصر والنجاح من عنده سبحانه، وما القوى القوى المادية إلا أسباب ¹.

¹ - ينظر: صحيح البخاري، (98/5).

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 153.

³ - صحيح البخاري، (153/5).

⁴ - ابن القيم، مختصر الصواعق المرسل على الجهمية والمعتلة، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط 1، 1422هـ، 2001م، ص 251.

¹ - عبد الرحمن بن حسن حنبك الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص 447.

ج. نموذج من تراجم غزوة تبوك: فمن التّراجم القرآن يّة التي ترجم بها الإمام البخاري لغزوة تبوك في الصّحيح قوله رحمه الله تعالى: باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلِّفُوا﴾ [التوبة: 118].¹

وفي التّرجمة بهذه الآية الكريمة أبعاد دعويّة كثيرة منها: ضرورة حرص الدّاعية على حثّ المدعوّين المكروبين على التّقوى، والصبر، والثبات، والصدق، ويبين لهم أن الاعتصام بهذه القيم الإيمانيّة، والمقامات السلوكيّة هو المخرج من المحن.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تعليقه على موقف الصّحابة الثلاثة بقوله: "فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله، وثبتوا حتّى فرّج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم، وأنه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة، ثمّ تاب الله عليهم، فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم لهم وتوبة عليهم، ولهذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّفُوا لِلَّهِ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 120]، أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجا من أموركم أموركم ومخرجا".²

ويستفاد منها كذلك ضرورة المرافقة الدّعوية للمذنبين، وبحثهم على التوبة مهما عظم الذنب، وترغيبهم فيها بتذكيرهم بالأسماء والصفّات المناسبة لمقامها؛ تقويّة لصلتهم بالله بالتوبة وغيرها من الأعمال الصالحة.³

وأحسب أني بهذا أكون قد بيّنتُ منهج البخاري رحمه الله في استثمار آيات المغازي في إبراز الأبعاد الدّعوية للقرآن الكريم، التي تجلّت في بعدين كبيرين: البعد المصدري الذي دلت عليه دلائل كثيرة، والبعد الموضوعي الذي تجلّى في آيات المتون، وآيات التّراجم، حيث تبين من خلال مرويات المغازي في الصّحيح، والتّراجم القرآنيّة عليها أن القرآن الكريم مصدره رباني سماوي، وأن آيات المغازي تحمل مضامين دعويّة مختلفة الأبعاد.

الفرع الثاني: الأبعاد الدّعوية للسنة النبوية

¹ - صحيح البخاري، (03/6).

² - ابن كثير، التفسير القرآن العظيم، (203/4).

³ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 354.

بعد بيان الحضور الدَّعوي للقرآن الكريم في الغزوات من خلال صحيح البخاري؛ باعتباره الأصل الأول للدَّعوة الإسلاميَّة، فيما سبق؛ يأتي الحديث عن الحضور الدَّعوي للسنة النَّبوية لكونها المصدر الثاني للدَّعوة بعد القرآن الكريم، وفي الوقت نفسه تشكّل جزءاً من مضمون الرسالة الدَّعوية من جهة أخرى، وسوف أحاول إبراز أهم الأبعاد الدَّعوية لهذا الأصل من خلال مرويات المغازي في الصَّحيح، والتي يمكن أن أجملها في العناصر التَّالِيَّة:

أولاً: البعد المفاهيمي للسنة النَّبوية¹

ليبان البعد المفاهيمي للسنة باعتبارها من أهم أصول التَّشريع الدَّعوي، لا بدّ من التعرُّض لتعريفها من الناحية اللغويَّة والاصطلاحية، وبيان أدلة حجيتها من القرآن والسُّنَّة، والإجماع. وقد جاء هذا العنصر وفق ما يلي:

1. تعريف السُّنَّة:

أودُّ في البداية إبراز البعد المفاهيمي للسنة النَّبوية، بان أضبط تعريفها من الناحية اللغويَّة والاصطلاحية؛ بإيجاز يتحقق منه المراد.

أ. تعريف السُّنَّة في اللغة: السُّنَّة من مادة سن التي تعني جريان الشيء واطراده، ومنه قيل للسنة الطريقة².

ب. تعريف السُّنَّة في الاصطلاح: عرفت السُّنَّة اصطلاحاً بعدة تعريفات منها: أنها هي الطريقة المسلوكة في الدِّين من غير افتراض ولا وجوب، وأيضاً ما صدر عن النَّبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير على وجه التَّأسي، وزادت بعض التعاريف أو صفة خلقية أو خلقية وهي تُنسب للمحدثين¹.

والتَّعريف الثاني هو الذي سوف أعتمده في الدِّراسة لانه الأنسب والأشهر، فموضوع المتن لا يخرج عن كونه: قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً.

¹ - تعمدت التفصيل في هذا العنصر المتعلق بالسنة النَّبوية؛ لما له من أهمية لا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشبهات المثارة حول السنة وحجيتها...، ولا شك أن ذلك من الأبعاد الدَّعوية المهمة الرامية إلى مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها الدَّعوة الإسلاميَّة في استهداف مصادرها.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، (60/3)، مُجَّد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ت، مُجَّد مرعب، دار إحياء التراث، بيروت ط 1، 2001م، (210/12).

¹ - ينظر: الجرجاني، التَّعريفات، (12/1)، محمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي، التَّعريفات الفقهيَّة، دار الكتب العلميَّة، ط 1، 1424هـ، 2003م، ص 116، نور الدين محمَّد عتر، منهج النقد في علوم الحديث، (27/1).

2. حجية السنة

أجمع المسلمون على وجوب طاعة النبي ﷺ، والعمل بسنته، قال الإمام الشافعي: "وكل ما سن فقد أزمنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العنود عن اتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقا، ولم يجعل له من أتباعسن رسول الله مخرجا".¹

وقال ابن تيمية: "وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها"²، والأدلة على وجوب أتباع السنة كثيرة، أذكر منها ما يلي:

أ. دلالة القرآن الكريم على حجية السنة

قد دلت آيات كثيرة على حجية السنة، ومنزلتها، ومكانتها التشريعية من عدّة وجوه أخصها فيما يلي:

الوجه الأول: الأمر بطاعة الرسول ﷺ : قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ إِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاکمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله"³.

ولا يمكن أتباع الشرع، واقتفاء أحوال المصطفى ﷺ التي تنال بها طاعة الله ومحبيته إلا بالاعتراف والإقرار بحجية السنة كمفتاح ومدخل منهجي ضروري للعمل بها بعد ذلك.

الوجه الثاني: التحذير من مخالفة النبي ﷺ : قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 61]، قال ابن القيم عقب الآية: "وهذا يعرّض كل م خالف بلغه أمره ﷺ إلى يوم القيامة، ولو كان ما بلغه لم يفده علما لما كان متعرضا بمخالفة ما لا يفيد علما للفتنة والعذاب الأليم، فإن هذا إنما يكون بعد قيام الحجّة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر"⁴.

¹ - الشافعي، الرسالة، ت: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ، 1940م، (88/1).

² - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (85/19).

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (32/2).

⁴ - ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلّة، ص181.

فإضافة لبيان ابن القيم رحمه الله لخطورة مخالفة السُّنَّة النَّبَوِيَّة التي يلزم منها مخالفة الرَّسول ﷺ، فقد أشار إلى بعد دعوي ضروري، وخطير، وهو أهميَّة التأكيد على استمراريَّة الدَّعوة إلى السُّنَّة، والتحذير من مخالفتها إلى قيام الساعة عن طريق أسلوب الترهيب.

الوجه الثالث: وجوب التحاكم إلى الرَّسول ﷺ: قال تعالى: ﴿ تَنْزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ بَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: 58]، قال الطبري في تفسير الآية: " فإن لم تجدوا إلى علم ذلك في كتاب الله سييلا، فارتادوا معرفة ذلك أيضًا من عند الرَّسول إن كان حيًا، وإن كان ميتًا فمن سنته"¹.

فالطبري يبين من خلال تفسيره للآيَّة وجوب التحاكم إلى السُّنَّة بصريح العبارة، وتأكيدَه على أنَّها تأتي في المنزلة الثَّانيَّة تالِيَّة للقرآن الكريم.

فعلى الدَّاعية أن يسلك هذا المسلك الوجداني لتقرير، وتثبيت اتباع السُّنَّة، والانقياد لها في نفوس المدعوِّين، من خلال التذكير بان اتباعها آيَّة من آيات الإيمان، وأنه أولى من أتباعهوى، والنفوس الأمارة بالسوء.

من خلال الآيات السالفة يتضح بجلاء مدى دلالة القرآن الكريم على حجِّيَّة السُّنَّة، ومكانتها وأهميتها التَّشريعيَّة، والدَّعوية بأساليب مختلفة.

ب. دلالة الحديث النَّبوي على حجِّيَّة السُّنَّة

أن المتأمل في الكتب الحديثيَّة يجدها زاخرة بالمرويات الدال على حجِّيَّة السُّنَّة، ومكانتها في التَّشريع، كما نجد أن المحدثين قد خصصوا لها أبوابا في كتبهم، وأفردوا لها أجزاء حديثيَّة، ونظرا لضيق المقام لسرد كل ما يدل على ذلك، يكفي الاستدلال على حجيتها بما يلي:

الحديث الأول: من الأحاديث الدالة على حجِّيَّة السُّنَّة حديث العرياض بن ساريَّة رضي الله عنه قال: قام قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقليل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد، فقال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَأَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي

¹ - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (50/8).

الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ مُحَدَّثَةٌ بِدَعَةٍ، وَكُلَّ بِدَعَةٍ ضَلَالَةٌ»¹.

قال السندي رحمه الله عقب الحديث: "أراد به الجد في لزوم السنَّة، كفعل من أمسك الشيء بين بين أضراسه، وعضَّ عليه منعا من أن ينتزع"².

فالحديث لا يدلُّ على حجِّيَّة السنَّة فحسب، بل يؤكِّد على ضرورة التمسك بها، وعدم مفارقة العمل بها، مع الإشارة إلى أنها صمام أمان للأمة من الافتراق والهلاك.

الحديث الثاني: جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ، أَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»³.

فكل ما نهى عنه النبي ﷺ من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة، وجب تركه، والكف عنه، امتثالا وطاعة لله ورسوله؛ مما يدلُّ على حجِّيَّة السنَّة ومكانتها في التشريع الدَّعوي⁴.

ج. دلالة الإجماع على حجِّيَّة السنَّة:

ومع هذه النصوص الدالة بصراحة على حجِّيَّة السنَّة، فقد أيد ذلك إجماع الأمة، وهذا بين في في أقوال أهل العلم، فمن أهمها قول الشافعي: "لم اسمع أحدا نسبه النَّاسَ، أو نسب نفس إلى علم علم يخالف في أن فرض الله عز وجل أتباعاً رسول الله، والتسليم لحكمه بان الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا، وعلى من بعدنا، وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله واحد لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ"¹.

¹ - ابن مُجَدِّد بن يزيد، أبو عبد الله، بن ماجه القزويني، السنن، أبواب السنة، باب أتباع سنة الخلفاء، ت: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ، 2009 م، (28/1)، وقال المحقق: "حديث صحيح بطرقه وشواهده".

² - مُجَدِّد بن عبد الهادي، أبو الحسن، السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، (20/1).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (94/9)، برقم: 6858.

⁴ - ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بحجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط4، 1423 هـ، ص163.

¹ - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، جماع العلم، دار الآثار، ط1، 1423 هـ، 2002 م، ص03.

فالشافعي رحمه الله من أهل الاستقراء التام لإمامته؛ فدلّ قوله على أن السُّنَّة حجة بإجماع من يعتد بإجماعهم عبر العصور، ولا تنقضه الآراء المخالفة لعدم الاعتداد بأصحابها. فالسُّنَّة إذا أصل من أصول التَّشريع، ونوع من أنواع الوحي، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة، والإجماع، فلا بدّ على الدَّاعية أن يعتني بها إثباتاً وعملاً ودفاعاً. لذا حرص النبي ﷺ على ذلك في دعوته في كلِّ الميادين بما في ذلك الغزو؛ ترسيخاً لهذا الأصل في قلوب أتباعه، كما يتّضح من خلال العناصر التَّالية.

ثانياً: البعد المصدري للسنة النبوية

قد دلّت مواقف كثيرة حدثت في الغزوات أن السُّنَّة النبوية وحي، وأنها من مصادر التَّشريع التي قد تستقل بتشريع الأحكام، وسوف أذكر ما يدلّ على ذلك من خلال ما يلي:

1. دلالة الإعجاز على البعد المصدري للسنة¹: قد أيد الله تعالى نبيه ﷺ بجملة من المعجزات المادّية في ميدان الغزوات، وقد بينتُ ذلك عند حديثي عن دلائل النبوة، فهي كما تدلّ على صدق النبوة تدلّ على حجّية السُّنَّة؛ لكون المعجزة قد تعرض عن طريق القول أو الفعل، فمن الإعجاز القولي إخباره بالغيبيات.

ولا بأس أن أذكر بها بهذا النموذج من مرويات غزوة مؤتة، فعن أنسٍ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نعى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»².

فقد بين البخاري دلالة الحديث على البعد الدَّعوي المتعلق بإثبات مصدرية السُّنَّة بترجمته عليه بقوله: "علامات النبوة في الإسلام".

قال ابن حجر في تعليقه على التَّرجمة: "العلامات جمع علامة، وعبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخصّ؛ لأنه يشترط فيها أن يتحدى

¹ - وتجدد الإشارة إلى أن الإعجاز في السنة النبوية لا يقتصر مجاله على الإخبار بالغيبيات، فمجاله أوسع يتعدى إلى الإعجاز العلمي وغيره، ولا شك أن وجود هذا الإعجاز في المغازي يؤكد على الأهمية الدَّعوية للإعجاز بمختلف أنواعه، خاصة الإعجاز العلمي المناسب للوقت الراهن.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، (143/5)، برقم: 4262، وقد أشار البخاري في ترجمته على الحديث إلى هذا البعد، فقال في كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، (205/4).

النبي من يكذبه، بان يقول إن فعلت كذلك أتصدق بأبي صادق أو يقول من يتحداه لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن، وسميت المعجزة¹.

وبعض النظر عن الفرق بين العلامة والمعجزة، فإن الحادثة دالة على كون السنة النبوية ذات مصدر رباني، فهي نوع من الوحي، وصاحبها ﷺ لا ينطق عن الهوى.

فإخبار النبي ﷺ الصحابة ﷺ بهذين الخبرين، وغيرها من الأخبار المشابهة لها في مواقف مختلفة، وتحققها في الواقع وفق ما أخبر يزيد تعميق الإيمان بالسنة، وإدراك قيمتها وأهميتها؛ باعتبارها الأصل الرباني الثاني للرسالة الدعوية التشريعية.

2. دلالة التشريع على البعد المصدري للسنة

من الدلالات القوية على المصدريّة الربانيّة للسنة النبوية ورود الكثير من أحكام الشريعة عن طريقها مستقلة عن القرآن الكريم، وسلّم لها الصحابة، وامثلوها على الفور؛ لإدراكهم أنها من عند الله بمجرد صدورها عن رسوله ﷺ.

وقد حصل شيء من هذا في الغزوات؛ باعتبارها من ميادين الدعوة العظيمة، فقد جاء تحريم المتعة المتعة ولحوم الحمر بالسنة المستقلة في غزوة خيبر؛ فامتنع عنها الصحابة ﷺ بمجرد بلوغ الحكم، بلوغ الحكم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «نَهَى عَنِ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ يَوْمٍ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ حُمُرِ الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ»².

وهذا النوع من الأحكام التي اختصت بها السنة النبوية، والتزمها الصحابة عليهم الرضوان، وانقادوا لها دون تردّد كثيرة، وسوف أشير إلى نماذج أخرى عند الحديث عن الفعل التشريعي في نهاية هذا الفصل.

كانت تلك جملة من الدلالات القوية الدالة على المصدريّة الربانيّة للسنة النبوية، فاتضح من خلالها أنها قسم من أقسام الوحي.

ثالثاً: البعد الدعوي الموضوعي للسنة

أن السنة النبوية - كما سلف - تنقسم باعتبار متنها إلى: قولية، وفعلية، وتقريرية، فموضوعاتها لا تخرج هذه المجالات الثلاثة.

¹ - ابن حجر، فتح الباري، (586/6).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (135/5)، برقم: 4216.

وتقسيم السُّنَّة بهذا الاعتبار وَفَرَّ تنوعاً في العرض الدَّعوي لمضامينها الرساليَّة، فمرة تعرض بأسلوب القول، ومرة بالفعل، وأحياناً بالتقرير، ولما كانت الغزوات من ميادين الدَّعوة فقد كانت السُّنَّة حاضرة فيها بأنواعها الثلاثة؛ وهذا ما سأبينه من خلال ما يلي:

1. البعد الموضوعي للسنة القولية¹: لم تكن الغزوات معارك حربيَّة لا تسمع فيها إلا صوت السلاح، وحديث الحرب، بل كان يتخللها عمل دعوي من حين لآخر على حسب مقتضى الحال، ومن وسائل الدَّعوة القول الصادر عن المصطفى ﷺ، وقد تعددت طرق عرض موضوعات موضوعات السُّنَّة القولية، والتي يمكن أن تقسم تبعاً لأسلوب عرضها إلى ثلاثة أقسام:

أ. السُّنَّة القولية الخبريَّة: من نماذج هذا الأسلوب إخباره ﷺ بمشاركة الملائكة في غزوة أحد، فعن فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ يوم أحد: «هَذَا جَبْرِيْلُ، آخِذْ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ»²، قال ابن الملقن عقب الحديث: "فيه استعمال الأداة في الحرب"³.

ففي هذا القول النبوي أبعاد دعويَّة كثيرة منها الإشارة إلى اتخاذ الأسباب التي هي أصل استعمال، وتوظيف الوسائل الدعوية المتاحة لإنجاحها.

وغيرها من الأبعاد كتقرير الإيمان بالملائكة باعتباره من موضوعات الدَّعوة، واستعمال أسلوب البشارة الذي يعد من الأساليب العاطفيَّة، وهو أسلوب مناسب جداً لمقام الأزمات وحالات العسر.

وعليه فالدَّاعية الناجح هو من يحسن استعمال القول المناسب للمقام، من حيث المضمون وأسلوب العرض، ولا شك أن أعظم ما يعينه على ذلك تدبير، وتأمّل الأقوال التَّبويَّة باستمرار، والحرص على فقهاها، وتنزيلها على الواقع الدَّعوي .

ب. السُّنَّة القولية الإنشائيَّة: من أغراض الأسلوب الإنشائي الواردة بكثرة في السُّنَّة غرض الدُّعاء، ومن أمثله في الغزوات دعاءه ﷺ لأصحابه ﷺ، يوم غزوة الخندق، فعن أنس رضي الله عنه، قال: أنس رضي الله عنه، قال: حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ فِي عَدَاةٍ بَارِدَةٍ،

¹ - السنة القولية: هي إخبار النبي ﷺ بأمر من الأمور في مختلف الأغراض الدِّينيَّة والدنيويَّة، ينظر: الحسين آيت سعيد، السنة النبويَّة وحكي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص4.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (94/5)، برقم: 4041.

³ - ابن الملقن، التوضيح شرح الجامع الصحيح، (150/21).

فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَيْدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَهْمُ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ» فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:
نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا ... عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا¹.

ففي هذا القول النبوي الذي جاء في سياق الدُّعاء أبعاد، ودلالات دعويّة كثيرة منها: الثناء على المدعوّين، الترغيب في الآخرة، وفيه مشاركة وتفاعل وجداني؛ يظهر من خلال الانسجام العفوي للقول النبوي مع ما كان يرتجزه الصّحابة، تأكيداً على مشروعيّة توظيف الشعر للترويح والتنفيس لا سيما في أوقات الأزمات.

يؤكد الصلابي هذا التوازن بين الجد والترويح بقوله: "لقد كان الجيل الأول لهذه الأمة يفهم الحياة الحياة كلها على أنها عبادة تشمل الصلّاة والنسك، وتشمل العمل كله، وتشمل لحظة الترويح كذلك، فلا شيء في حياة الإنسان كلها خارج من دائرة العبادة، وإنما هي ساعة بعد ساعة في أنواع مختلفة من العبادة، كلها عبادة وإن اختلفت أنواعها ومجالاتها"².

ج. السُّنَّة القوليّة الجامعة للأسلوبين: وأعني بذلك أن القول النبوي ليس بالضرورة أن يكون إما خبرياً أو إنشائياً، فقد يقتضي الموقف الدّعوي أن يوظف أكثر من أسلوب، وأكثر من غرض في آن واحد، كما يظهر في هذا الموقف من غزوة تبوك، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألاً» «ألاً تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»³.

هذا القول في هذا الموقف له أبعاد دعويّة متعددة منها: بيان منزلة علي رضي الله عنه بأسلوب مقنع يتأصل من خلال مقارنة منزلته من النبي ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليهما السّلام، مع التأكيد على انقطاع النبوة بوفاة النبي ﷺ؛ قطعاً للطريق أمام الانحراف والعلو في علي رضي الله عنه.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (107/5)، برقم: 4099.

² - علي الصلابي، تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط 1، 1422 هـ، 2001 م، ص 220.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، (03/6)، برقم: 4416.

وفي الرواية بعد دعوي استشرافي خفي يشير إلى ما سيحصل من فتن بعد فترة النبوة، كظهور المتبوعين، والفرق المنحرفة عن منهاج النبوة؛ وهذا من شأنه أن يؤسس لصناعة علم المستقبل مبكراً¹.

فالملاحظ من هذه النماذج حضور السنّة القوليّة بأساليب متنوعة، فالأول أسلوب خبري، والثاني أسلوب إنشائي طلي غرضه الدُّعاء، والثالث أسلوب جامع، فقد تضمن أسلوب استفهام استفهام غرضه التحضيض، وأسلوب خبري غرضه النفي².

وفيما سبق أسوة للدعاة، فالدّاعية النّاجح يحرص على تحيّر الأسلوب القولي المناسب لكل مقام، ومن هنا تأتي أهميّة العناية باللغة، والأدب والتحكم في ناصية البيان في حياة الدّاعية، وهذا لا يمكن أن يقتصر على البيان العربي فقط، بل يجب أن يطال جميع اللُّغات.

2. البعد الموضوعي للسنّة الفعلية³: من وسائل نشر الدّعوة الممارسة الفعلية التطبيقية، فأحيانا لا يمكن تبليغ الفكرة أو المعلومة إلا عن طريق المحاكاة، والدّاعية الحكيم هو من يحسن توظيف الوسيلة والأسلوب المناسب للمقام، وقد وقفت على نماذج تطبيقية فعلية من الفعل النبوي في المغازي، كان لها الأثر الفعّال في تحقيق أبعاد الدّعوة.

ونظرا لتعدد الأبعاد الموضوعية للفعل النبوي؛ فسوف أكتفي بإيراد الأبعاد العامة التالية، مع التمثيل لكل بعد بمثال من مرويات المغازي:

أ. البعد الاجتماعي للسنّة الفعلية: أن مكانة النبي ﷺ، وعلو قدره لم يمنعه من المشاركة الاجتماعية، حتى يكون أسوة للدعاة من بعده، ومن النماذج التي تدلّ بوضوح على هذا البعد نموذج مشاركته ﷺ في حفر الخندق بنقل التراب، وغيرها من الأفعال البدنية.

فعن البراء بن عازب قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقَيْنَا، أَنْ الْأَلَى قَدْ بَعَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةَ أَبِينَا»¹.

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى منهاج الدّعوة، ط1، 2014م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص41.

² - عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ، 1996م، (1/296).

³ - السنّة الفعلية: هي أن يفعل النبي ﷺ أمرا من الأمور، فينقل إلينا أصحابه كيفية ذلك الفعل، كوضوئه، وصلاته بهم، وحجه، وما إلى ذلك، ينظر: الحسين آيت سعيد، السنّة النبوية وحي، ص4.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، (4/26)، برقم: 2837.

فهذا الفعل النبوي في هذه الغزوة العظيمة له أبعاد دعوية متعددة، كالمساهمة في تقوية وتماسك الجبهة الداخلية، وهو بعد دعوي نفسي، واجتماعي فعال، فعمل رسول الله ﷺ مع الصحابة بهمة عالية لا تعرف الكلل، أعطى القدوة الحسنة لأصحابه حتى بذلوا ما في وسعهم لإنجاز حفر حفر ذلك الخندق¹.

ب. البعد التعليمي للسنة الفعلية: من مظاهر الفعل النبوي في الغزوات إقامة الشعائر، وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومن أهمها الصلاة، فقد كان النبي ﷺ يحرص على إقامتها سفرا وحضرا، مع تعليم الصحابة ما يستجد من جزئياتها، ونوازلها بسبب الطوارئ كأحكام صلاة السفر، وأصحاب وأصحاب الأعداء، فمن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه، قال: «أَفَمْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرًا نَقَصُرُ الصَّلَاةَ»².

وهذا بعد دعوي آخر يستفاد من الفعل النبوي، فقد تعلم الصحابة خاصة المسلمين الجدد أحكام صلاة السفر بالمنهج الحسي العملي، وهو منهج فطري يستوعبه كل الناس.

ج. البعد التواصلية للسنة الفعلية: أن الداعية الناجح هو الذي يسعى للتعرف على نفسيات المدعوين، ويتواصل معهم بالتمط التواصلية المناسب، ففي حالة إحساس الداعية بتردد المدعو في تنفيذ الأمر لسبب من الأسباب، عليه في هذه الحالة أن يبادر هو لتنفيذه، وتطبيقه عمليا أمامه، وهو يشاهده.

ومن الأفعال النبوية التي شاهده الصحابة في الغزو فطره ﷺ في الطريق إلى غزوة حنين؛ ليقتدى به به في الأخذ برخصة الفطر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَمَضَانَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ، فَصَائِمٌ وَمُفْطِرٌ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ، دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ أَوْ مَاءٍ، فَوَضَعَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ، أَوْ عَلَى رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ الْمُفْطِرُونَ لِلصُّوَامِ: أَفْطِرُوا"³.

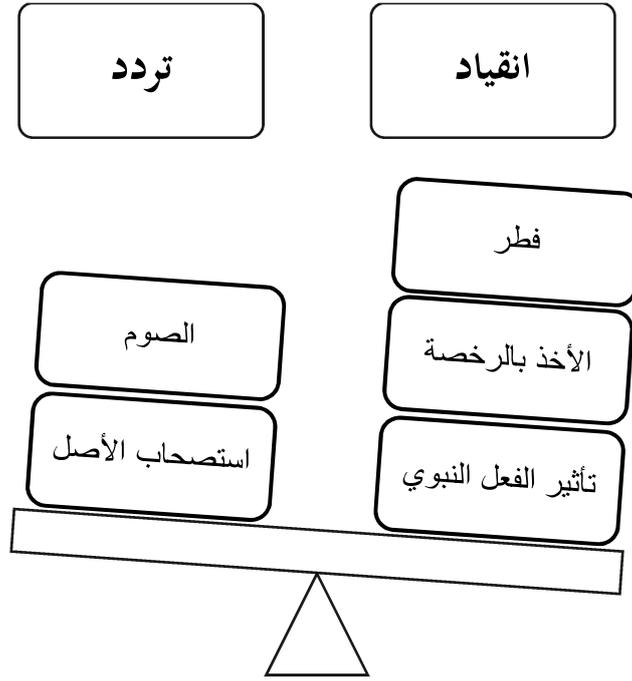
ففعله ﷺ بهذه الكيفية كان في غاية المناسبة لإزالة الارتباب في مشروعية الأخذ بالرخصة، مما يدل على حكمته البالغة في إدارة المواقف الدعوية، قال زكريا الأنصاري: " ويحتمل أنهم مختلفون في أنه ﷺ صائم أو مفطر"¹.

¹ - الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، 596.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، (150/5)، برقم: 4313.

³ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان، 146/5، برقم: 4277.

¹ - زكريا الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، (394/7).



فاقتضى الأمر أن يُظهر النبي ﷺ فعل الرخصة إظهاراً بينا على الراحلة؛ ليراه كل الناس حتى يقتدوا به، ويزول الخلاف في أوساطهم، فعلى الداعية أن يأتي بالفعل بالكيفية المناسبة، وبالطريقة التي تحقق الهدف الدعوي بفعليّة وجودة عالية.

3. البعد الموضوعي للسنة التقريرية¹: تعد السنة التقريرية من أنواع السنة التي يثبت بها التشريع عموماً، والتشريع الدعوي خصوصاً، والسنة التقريرية ما دامت بهذه المكانة، ظلت حاضرة في الغزوات بأساليب متنوّعة بحسب مقتضى الحال، ويظهر ذلك من خلال النماذج التالية:

¹ - السنة التقريرية: هي أن يقر النبي ﷺ قولاً أو فعلاً وقع أمامه، أو بلغه ولم ينكره، بل سكت عنه، أو أظهر استحسانه، فكل ذلك يدل على أن ذلك الفعل سنة، ممدوح فاعله، لأنه لو كان منكراً لأنكره، إذ لا يقر أحداً على باطل، وتستمد السنة التقريرية حجيتها من أمور:

أولاً: لا يجوز في حقه ﷺ تأخير البيان عن وقت الحاجة إذ سكوته يدل على جواز ذلك بخلاف سكوت غيره.
ثانياً: أن من خصائص الرسول ﷺ وجوب إنكار المنكر، لا يسقط عنه بالخوف على نفسه لقوله سبحانه و تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: 69].

ثالثاً: إجماع المسلمين على أن ما صدر من الرسول ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير وكان مقصوداً به التشريع والاقتداء، ونقل إلينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه يكون حجة على المسلمين، ومصدراً تشريعياً يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين، ينظر: الحسين آيت سعيد، السنة النبوية وحي، ص 4، رقية بنت نصر الله نياز، السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والبيان والعمل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص 54.

أ. نموذج الإقرار لمصلحة: قد تقتضي الحكمة، ومصلحة الدعوة أن يُعرض النبي ﷺ عن القول والفعل، ويكتفي بالإقرار، فمن ذلك إقراره للعباس استثناء الإذخر، ففي الصحيح عن مجاهد، أن أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال: «أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي قط إلا ساعة من الدهر، الدهر، لا يُنقَرُ صيدها، ولا يُعضد شوكتها، ولا يُحتلى خلاها، ولا تحل لقطنها إلا لمنشيد». فقال بن عبد المطلب: إلا الإذخر¹ يا رسول الله، فإنه لا بُدَّ منه للقين²، والبيوت، فسكت ثم قال: «إلا الإذخر فإنه حلال»³.

قال ابن الملقن مبينا وجه الإقرار على استثناء الإذخر: "ويجوز أن الله تعالى أعلم رسوله بتحليل بتحليل المحرمات عند الاضطرار، فلما سأل العباس ذلك أجاب به"⁴.
ويؤخذ من ذلك ضرورة فقه الداعية لقضايا الضرورات وتنزيلها على واقع الناس، حتى لا يوقعهم في العسر والحرج، الذي قد يكون من موانع الاستجابة، والإعراض عن اتباع الحق، مع التنبيه على ضرورة تقييد المصلحة بالضوابط الشرعية، فينبغي للداعية أن يحذر التساهل في الإقرار غير المنضبط حتى لا تتميع الدعوة بدعوى المصلحة، والتيسير، وغيرها من الدعاوى.

ب. نموذج عدم الإقرار على المخالفة: إذا كان النبي ﷺ يُقرُّ على المعروف، ففي الوقت نفسه لا يُقرُّ على مخالفة الشرع مهما كان فاعله، وهذا ضابط ضروري يقوي حجية السنة التقريرية، و من من أمثلة ذلك: ما رواه علي بن إبي طالب، قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم الأنصار وأمرهم أن يُطيعوه، فعُضِب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تُطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قال: فأجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: اذخلوها، فهتموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى حمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»¹.

¹ - الإذخر: حشيشة معروفة طيبة الريح توجد بالحجاز، ابن حجر، فتح الباري، (76/1).

² - القين: هو الحداد، والصائغ، ينظر، ابن الأثير، النهاية، (228/4).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، 150/5، برقم: 4313.

⁴ - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (574/3).

فالحديث لم يُقر أمير السريّة على فعله، كما لم يقر أصحابه لو أطاعوه فيما أمرهم به، بل أقرهم على عدم موافقتهم لأمرهم، فيما هو خارج دائرة المعروف؛ إرساء لقواعد، وأسس السياسة الشرعيّة التي تنظم علاقات الراعي بالرعيّة المختلفة، وقد أشار البخاري إلى هذا البعد الذي يضبط هذه العلاقة، في ترجمته على الحديث بقوله: "باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية".
ويؤخذ من الحديث كذلك أن العلاقة بين الدّاعية، والمدعو ينبغي أن تنضبط بهذا الضّابط، فعلى المدعو أن يكون على مستوى من الوعي، يعصمه من الأتباع الأعمى للدّاعية مهما كان قدره، إذا كان ما يدعو إليه مخالفا لأصول الدّين، وقواعده الكليّة.

من أجل ذلك ذم الله تعالى النصارى جراء اتباع أحبارهم في كفرهم وضلالهم، فقال: ﴿إِتَّخَذُوا إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، قال ابن جريج في تفسير الآية: "ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله"، يقول: لا يطع بعضنا بعضا في معصية الله. ويقال إن تلك تلك الربوبيّة: أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة، وإن لم يصلوا لهم"².

د. نموذج الإقرار باستحسان الفعل: فقد يقتضي الموقف الدّعوي أحيانا تأكيد الإقرار فلا يكتفى فيه بمجرد السكوت، فيعزز بأمر، كالدّعاء فقد استحسّن حذاء عامر الذي قال فيه:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما أبقين ا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينه علين ا ... إنا إذا صيح بن ا أبين ا

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ هَذَا السَّائِقُ» قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ، قَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ».³

قال القسطلاني عقب الحديث بما يبين استحسان النبي ﷺ لشعر عامر رضي الله عنه، واقاراه على فعله: "لأنه ﷺ ما كان يدعو لأحد بالرحمة يخصه بها إلا استشهد."¹

¹ - البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة، (161/5)، برقم: 4340، وقد أخرجه البخاري أيضا في كتاب الأحكام، وترجم عليه بقوله: "باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية"، (63/9)، فهي تحدد أهم ضابط من ضوابط طاعة ومتابعة أولي الأمر من الأمراء والعلماء، فالمدعو لا بد أن تكون استجابته واعية، وللدّاعية مسؤولية في توعيته بهذا الأصل العظيم.

² - الطبري، جامع البيان، (488/6).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (130/5)، برقم: 3960.

¹ - القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (91/9).

د. نموذج الإقرار بالسكوت على الفعل: مما ورد في هذا النوع حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ¹، فدلّ سكوته على إقرار الفريقين على اجتهادهم في فهم الخطاب النبوي².

ومن ثمّ ينبغي للداعية، والمربي أن يحسن استعمال أسلوب الإقرار في الدعوة والتربية بالقدر المناسب، وبالكيفية الملائمة للموقف الدعوي، ومن هنا ندرك الأهمية الدعوية للسنة التقريرية، وضرورة الاهتمام بها تتبعا، وفقها، وتنزيلا...³.

وفي ختام هذا العنصر المتعلق بالأبعاد الدعوية الخاصة بالسنة أتوصل إلى أنها تتمحور حول بعدين دعويين رئيسين: البعد المصدرى الذي يستهدف إثبات كون السنة جزء من الوحي، والبعد الموضوعي الذي يثبت من خلاله أن السنة النبوية تساهم بفعالية في إثراء موضوعات الرسالة الدعوية، وأساليبها ومناهجها، أما البعد الثانوي؛ فيتعلق بالبعد المفاهيمي الذي عرفت من خلاله حقيقة السنة، ومنزلتها.

من خلال ما سبق؛ يتبين جليا أن أصول التشريع الدعوي الأصلية المتمثلة في الكتاب والسنة بأنواعها حاضرة في الغزوات، باعتبارها من الميادين الدعوية المهمة؛ التي شغلت حيزا كبيرا من الحركة النبوية في العهد المدني، مما يؤكد أن الداعية لا يمكنه أن يستغني عنها في جميع المناحي، والمجالات الدعوية، غير أنه عليه أن يوظفها، ويعرضها بأسلوب الحكيم الذي يناسب المواقف الدعوية المختلفة، ولا شك أن مما يعينه على ذلك تبُّع المنهج النبوي، والاسترشاد به.

المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية لمصادر التشريع التبعية

¹ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف، (14/1)، برقم: 942.

² - نعمان جعيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس، الأردن، ط1435، 1 هـ، 2014 م، ص175.

³ - ينظر: أحمد عيساوي، منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، دار الكتاب، القاهرة، ط1، 1433 هـ، 2012 م، ص38.

بعد الحديث عن المصادر الدعوية الأصلية المتمثلة في الكتاب والسنة، وعن مدى حضورها في المغازي النبوية، يأتي الكلام عن مصادر التشريع الدعوي الأخرى التي تستمد حجيتها من المصادر الأصلية، والتي يطلق عليها المصادر التبعية.

ولكثرهما سوف يتمّ الاقتصار على مصدرين مهمين؛ ألا وهما الإجماع والقياس؛ لكون القصد من ذلك بيان أن مصادر الدعوة غير قاصرة على الوحيين، مما يجعل الاجتهاد الدعوي مستمرا عبر الزمن، وفق آليات يضمنها التنوع والثراء المصدري، باعتبار أن النصوص منتهية، والوقائع، والنوازل الدعوية متجددة.

ولأهمية هذه القضية فقد بدأت بذورها، والتأسيس لها منذ زمن النبوة، ولما كانت الغزوات من أهم ميادين العمل الدعوي، فقد شهدت حضورا لهذه المصادر التشريعية، ولو على سبيل الإيماء إليها، وبيان ذلك فيما يلي:

الفرع الأول: الأبعاد الدعوية للإجماع

يعتبر الإجماع من مصادر التشريع المهمة، التي لا يستغنى عنها في معالجة القضايا الدينية الحاصلة في الأمة بعد وفاة النبي ﷺ؛ فيما لا نصّ فيه، ولأهميته فقد ورد في المغازي ما يؤسس له، فقد كان النبي ﷺ يجمع أصحابه، ويتشاور معهم فيما لا نصّ فيه ليتفق معهم في النهاية على أمر ما؛ إعدادا، وتدريباً لهم على ممارسة الاجتهاد الجماعي الذي يُعدّ الإجماع أعلى مراتبه، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: تعريف الإجماع

قبل التّعرض للأبعاد الدعوية للإجماع في الغزوات يحسُن بيان ماهيته اللغوية والاصطلاحية، وفق ما يلي:

1. الإجماع لغة: يُطلق على العزم، ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: 71]، ويُراد به كذلك الاتفاق، ومنه قولهم: أجمع القوم على كذا؛ أي: اتفقوا عليه¹.

2. الإجماع اصطلاحاً: والإجماع في اصطلاح الأصوليين هو: "اتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة محمد ﷺ بعد وفاته على أمر ديني"¹.

¹ - ينظر: الزبيدي، تاج العروس، (463/20)، ابن فارس مقاييس اللغة، (24/3).

¹ - محمد الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، (156/1).

ثانيا: نماذج من الإجماع في الغزوات

عند التأمل في التعريف يُلاحظ أن الإجماع في عهد النبوة لا ينعقد لفقده لقيّد "الوفاء"، غير أن هذا لم يمنع من وجود اتفاق بين النبي ﷺ، وأصحابه على ما ليس فيه نص، الذي أخذ طابع الشورى، فكثير ما كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه فيما لا نصّ فيه، من الكتاب والسنة تدريبا تدريبا لهم على التفكير، وتربيتهم على الشعور بالمسؤولية، وتعويد الأمة على ممارستها¹.

وقد تجسّد الإجماع بهذه الصورة المبدئية التأسيسية بواقعية في الغزوات، وسوف أكتفي بموقفين بارزين في مرويات الصحيح:

1. الشورى في غزوة أحد: من المواقف التي شاور فيها النبي ﷺ أصحابه الخروج إلى أحد، قال البخاري: "وَشَاوَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْمَقَامِ وَالخُرُوجِ، فَرَأَوْا لَهُ الخُرُوجَ، فَلَمَّا لَبَسَ لَأُمَّتَهُ لَأُمَّتَهُ وَعَزَمَ قَالُوا: أَقِمْ، فَلَمْ يَمَلْ إِلَيْهِمْ بَعْدَ العَزْمِ، وَقَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ يَلْبَسُ لَأُمَّتَهُ² فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ»³.

وقد عزز البخاري قيمة الشورى التي تضمنتها الرواية بالترجمة عليها بآيات، تحت النبي ﷺ على المشاورة في سياق قصة الغزوة في آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

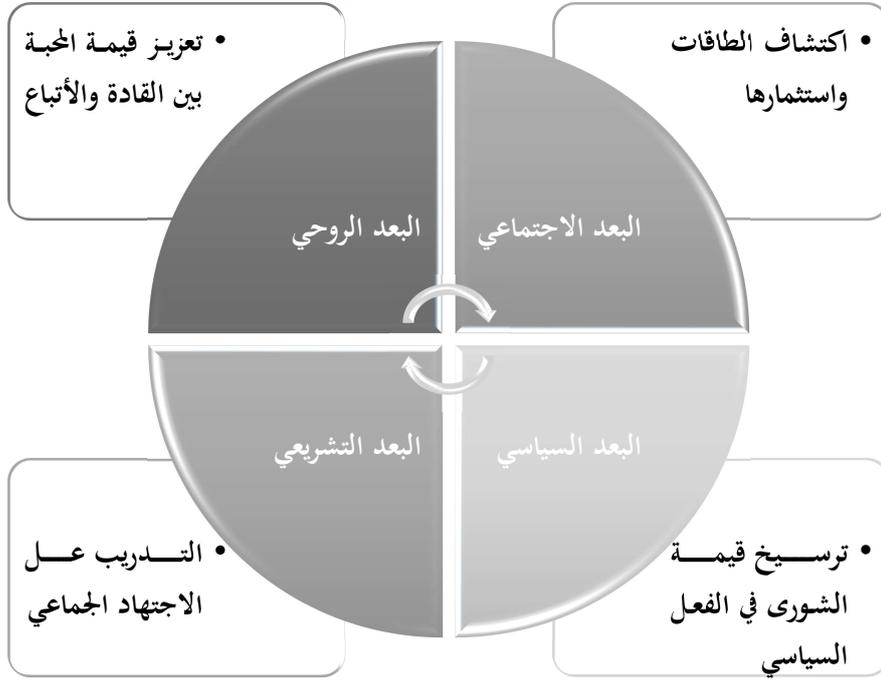
وقد ذكر المفسرون أبعادا دعوية تستفاد من هذه المشورة في هذه الغزوة أجملها في المخطط التالي⁴:

¹ - ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (360/2).

² - قال ابن حجر: "لأُمَّتِهِ بسكون الهمزة هي الدرع وقيل الأداة بفتح الهمزة وتخفيف الدال وهي الآلة من درع وبيضة وغيرهما من السلاح" الفتح، (341/13).

³ - رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، (112/9)، معلقا، قال ابن حجر: "وصله أحمد والحاكم والطبراني بتمامه والنسائي وابن ماجه مختصرا من حديث ابن عباس ووصله أحمد أيضا والدارمي والنسائي من طريق جابر"، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (70/1)، ابن حجر، تعليق التعليق على صحيح البخاري، ت: سعيد عبد الرحمن موسى الفزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، ط1، 1405، (330/5).

⁴ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (408/9).



2. استشارته ﷺ في فتح مكة: فقد استشار النبي ﷺ الصحابة في قتل ذراري المشركين، يوم الفتح، ففي حديث مروان بن الحكم، قال ﷺ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذُرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوْنَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهَ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «امضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ»¹.

ففيه دلالة واضحة على ممارسة الشورى التي يعقبها اتفاق على الأمر الذي ينقاد له الجميع، وينقذوه بعد ذلك، و على حسن أدبه ﷺ في إدارة القضايا مع أصحابه بعدل، وإنصاف؛ فقد

¹ -رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي باب غزوة الحديبية، (126/5)، برقم: 4178، وقد أخرج الحديث في كتاب الشروط، وترجم له بترجمة مناسبة لقيمة الشورى ومبحث الإجماع، فقال: "باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط" (193/3)، ووجه المناسبة أن الحاكم الراشد لا يبرم أمراً يتعلق بالسياسة الخارجية ذا بال إلا بعد الرجوع إلى الشورى، وهذا السلوك السياسي الراشد هو الذي خلد ذكر ملكة سبأ، فكان من عاقبة أمرها ما كان، لما قالت: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَكُ أَفْتُونِي بِعِ أَمْرِي مَا كُنْتُ فَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾ [النمل:32]، أما فرعون لما حاد عنه، وسلك مسلك الاستبداد فصار إلى مصيره المعروف، وذلك حين قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:29].

أصغى للجميع دون استثناء، ودون تعيين، وهذا بعد دعوي إداري ينبغي أن يلتفت إليه الدعاة ولا يهملوه¹.

ولعل ترجمة البخاري على الحديث في كتاب الشروط- كما هو مبين في التخريج- بقوله: "باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط"، تشير إلى الإجماع، فعقد المصالحة بين غير المسلمين يأتي بعد اتفاق المسلمين على عقده ولا يستبد الحاكم بعقده دون الرجوع إلى أهل الحل والعقد².

من خلال هذين المثالين من المشاورة النبوية في ميدان المغازي التي انتهت بالاتفاق، والإجماع يتبين أن التأسيس للإجماع الذي ينطلق من الحوار والتشاور، قد بدأت بوادره في العهد النبوي، مما يؤكد أهميته كمصدر للتشريع للنوازل التشريعية عموماً، بما في ذلك قضايا الدعوة عبر العصور.

الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية للقياس

لا يقلُّ القياس أهمية عن المصدر السابق-الإجماع- في معالجة القضايا الدعوية، والتفاعل مع مستجداتها؛ إذ يعد من أهم آليات الاجتهاد التي تكفل مع مصادر التشريع الأخرى استيعاب النوازل والحوادث اللامتناهية؛ مما جعل النبي ﷺ يوظفه من حين لآخر في ميادين مختلفة؛ بما في ذلك الغزو؛ إعداداً لأمته من بعده على الاجتهاد بإعمال العقل، والقياس فيما لا نص فيه، وفيما يلي بيان ذلك في هذه العناصر:

أولاً: تعريف القياس: بدايةً سوف أتناول تعريف القياس في اللغة والاصطلاح، قبل بيان أبعاده الدعوية من خلال نماذج من المغازي على النحو التالي:

- 1. تعريف القياس لغة:** القياس في اللغة من قاس، نقول قاس الشيء أي قدره والمقياس المقدار³.
- 2. تعريف القياس اصطلاحاً:** القياس في الاصطلاح هو الجمع بين مشتبهين لاشتراكهما في حكم ما الذي يشهد به كل واحد منهما، ولا يخلو كل واحد منهما من أن يشهد بمثل ما شهد به الآخر أو نظيره¹.

¹ - محمد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة مكتبة العبيكان، ط5، 1424 هـ، 2004 م، (164/3).

² - أهل الحل والعقد: هم أهل الرأي والتدبير، ينظر: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، ص38.

³ - الأزهرى، تهذيب اللغة، (179/9).

من خلال هذا التعريف يتبين أن القياس يفتح باب التفكير، والتأمل، والاجتهاد لا في التشريع فحسب، بل هو منهج عقلي يصلح لجميع مناحي الحياة من خلال المقارنة بين الحوادث والمواقف الدَّعوية السابقة، والمستجدات الرَّاهنة، حتى يتوصل الدَّاعية إلى اكتشاف ما فيها من سُنن ونواميس دعوية؛ ليستفيد منها، ويفعلها في العمل الدَّعوي.

ثانيا: نماذج من القياس في الغزوات

قد حفلت حركة الغزوات بمواقف دعوية كثيرة لها نظائر في تاريخ دعوات الأنبياء عليهم السَّلَام؛ لكون الدَّعوة النَّبوية ما هي إلا حلقة من حلقات تلك الدَّعوات التي تتَّحدُّ في مصدرها، وأهدافها، ومقاصدها الكليَّة العامة، وسوف أقتصر في هذا المقام على بعض النَّماذج مبرزاً دلالتها على القياس الذي يعد أصلاً من الأصول التَّشريعية والدَّعوية الضامنة لاستمرارية المواكبة للمستجدات، والنَّوازل الدَّعوية.

1. نموذج قياس المشركين على آل فرعون: قال تعالى مبينا تساويهم في العاقبة لاتحاد العلة بين النّظيرين، وهي الموت على الكفر: ﴿ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ أَلَمْ يَأْتِ اللَّهَ فَوْقَ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 53]، وقد بين الرازي دلالة الآية على القياس بقوله: " والمعنى: عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم، فجوزي هؤلاء بالقتل، والسَّبي كما جوزي أولئك بالإغراق."²

فكما أهلك الله تعالى آل فرعون، وغيرهم من الطُّغاة عبر تاريخ الرسالات، أهلك صنديد قريش في بدر بجامع علة الكفر ومحاربة الأنبياء، وأذية أتباعهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: " استقبل النبي ﷺ الكعبة، " فدعا على نفرٍ من قريش: على شيبَةَ بنِ ربيعة، وعُتْبَةَ بنِ ربيعة، والوليد بنِ عُتْبَةَ، وأبي جهل بنِ هشام، فأشهدُ بالله، لقد رأيتهم صرعى، قد غيرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً"¹.

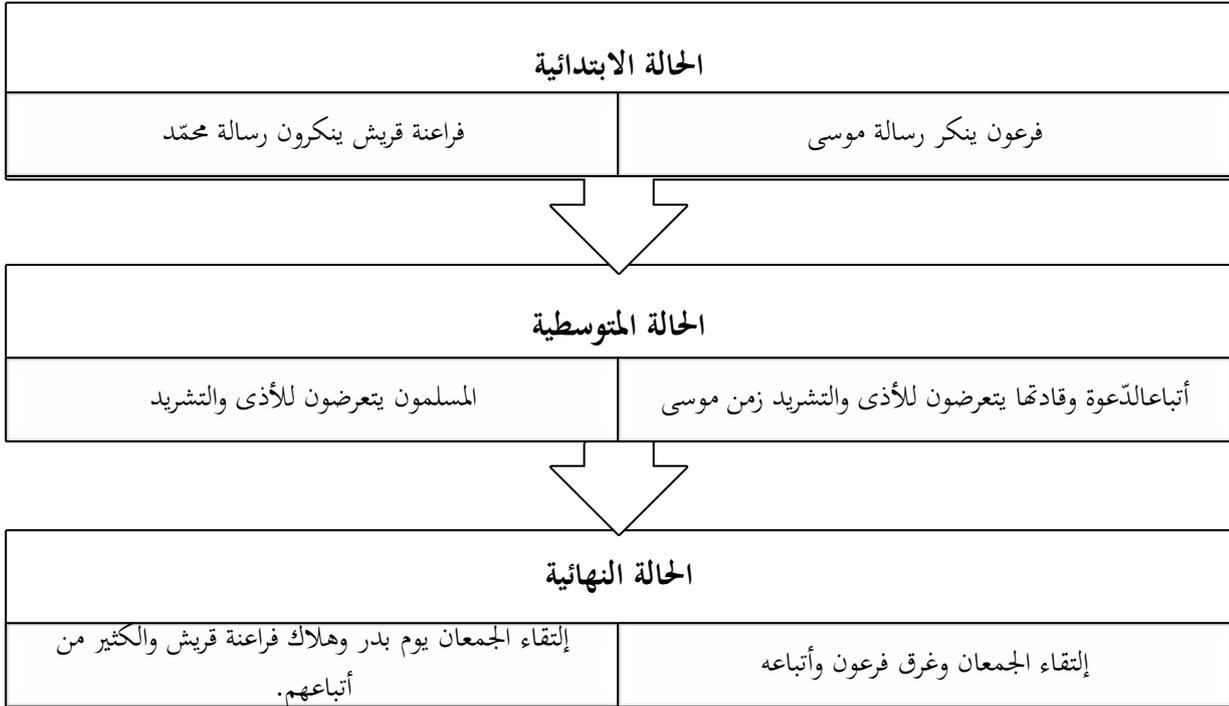
¹ - ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م، (433/1).

² - الرازي، مفاتيح الغيب، (495/15).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش شيبَةَ، وعُتْبَةَ، والوليد، وأبي جهل بن هشام، وهلاكهم من الجراح يوم أحد، (74/5)، برقم: 3960.

فقد حلم الله تعالى على آذى هؤلاء لنبيه وأتباعه، ثم انتقم منهم انتقاماً أهلكتهم فيه على كفرهم كما فعل بمن سبقهم من أمثالهم¹.

وعليه ينبغي للداعية أن يوظف قصص المكذبين، وما حل بهم من النقم وسوء المآل حتى يتعظ جمهور المدعوين، ويحذروا من سوء العاقبة. ولعل هذا التخطيط يوضح المثال بشكل أفضل:



2. نموذج قياس أبي جهل على فرعون: لما مات أبو جهل استبشر رسول الله ﷺ، وأصحابه ﷺ استبشار موسى عليه السلام، وقومه بغرق فرعون، الذي بقي ظاهراً يراه كل الناس بجسده على الماء قال تعالى: ﴿بِالْيَوْمِ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَأَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ-إِيْتِنَا لَعَلُّوْنَ﴾ [يونس: 92].

ونفس المشهد يكاد يتكرر مع أبي جهل، فقد حرص النبي ﷺ أن يرى كل الناس ويتيقنوا من هلاكه، ومن أجل ذلك عقد البخاري باباً عنون له بـ: "باب قتل أبي جهل"¹، ثم أورد أحاديث مقتله منها حديث عن أنس رضي الله عنه، «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ» فانطلق ابن مسعود،

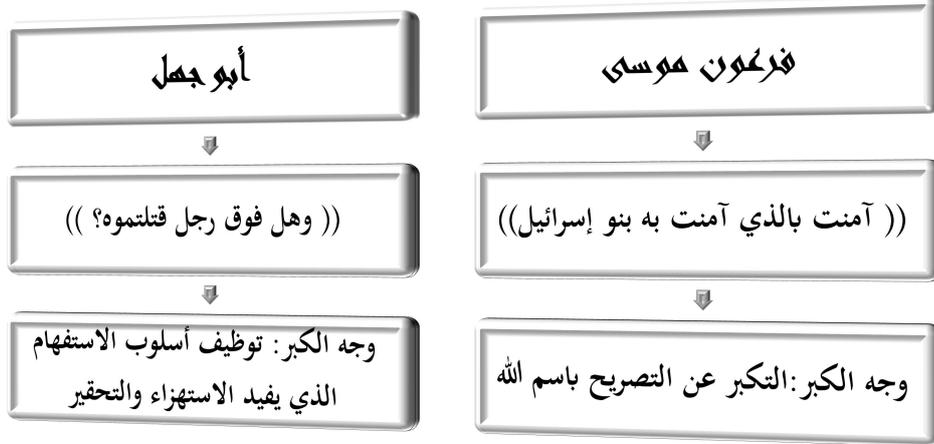
¹ - يحيى بن محمد، أبو المظفر، ابن هُبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، 1417هـ، (33/2).

¹ - صحيح البخاري، (74/5).

فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنًا عَفْرَاءً¹ حَتَّى بَرَدَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ²، وقد ورد التصريح بتشبيهه بفرعون في كتب السير³.

وقد بين ابن عاشور وجه المماثلة بين فرعون موسى وأبي جهل فرعون هذه الأمة بقوله: " في قصة قصة موسى، وفرعون آية للذين يخافون العذاب الأليم، فيجتنبون مثل أسباب ما حل بفرعون، وقومه من العذاب، وهي الأسباب التي ظهرت في مكابرة فرعون عن تصديق الرسول الذي أرسل أرسل إليه، وأن الذين لا يخافون العذاب لا يؤمنون بالبعث، والجزاء لا يتعظون بذلك؛ لانهم لا يصدقون بالنواميس الإلهية ولا يتدبرون في دعوة أهل الحق فهم لا يزالون معرضين ساخرين من عودة رسولهم متكبرين عليه، مكابرين في دلائل صدقه، فيوشك أن يحل بهم من مثل ما حل بفرعون، وقومه، لان ما جاز على المثل يجوز على المماثل، وقد كان المسلمون يقولون: أن أبا جهل فرعون هذه الأمة."⁴

ولعلي أمثل بوجه من وجوه التشابه بين فرعون موسى وأبي جهل فرعون هذه الأمة، وهو الكبر الذي استمر معهم إلى آخر رمق، كما يلي:



¹ - وهما معوذ، وعوف بنا الحارث بن رفاعة الأنصاري، وأمهم عفراء بنت عبيد بن ثعلبة، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (359/2).

² - البخاري كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، (74/5)، برقم: 3744.

³ - ينظر: الواقدي، المغازي، (91/1).

⁴ - محمد الطاهر، بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، (11/27).

3. نموذج قياس التحديات الراهنة على التحديات السابقة: أن ما تعرّضت له الدعوة الإسلامية من تحديات له نظائر في الدعوات الدينية السابقة عبر تاريخها الطويل؛ لذلك ناسب أن يذكر المؤمنون عقب غزوة أحد، بقوله سبحانه: ﴿فَدَخَلْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ سَنَنْ بَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ ظَرُّوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: 137]، فهو موقف يحتاج إلى هذا التذكير عن طريق القياس، فقد استشهد في الغزوة خيار الصحابة، وأوذي فيها الرسول الكريم ﷺ أذى شديداً، فقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَّتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَفْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»¹.

قال ابن القيم في بيان دلالة الآية على القياس: "قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك ما كان من تكذيبهم بآيات الله ورسوله، وهم الأصل وأنتم وأنتم الفرع، والعلة الجامعة للتكذيب، والحكم الهلاك."²

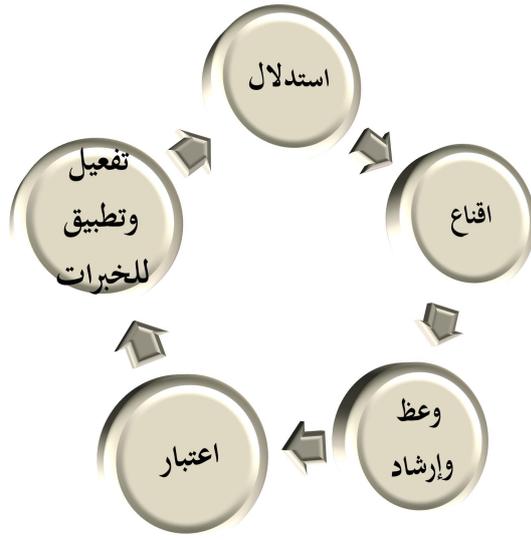
فيؤخذ مما سبق أن على الداعية، تذكير المدعويين بان علة هلاك الأمم التكذيب بآيات الله، والإعراض عنها حتى يعتبروا، ويستجيبوا لدعوة الحق، وقد يوظفه في استشراف وتوقع الحوادث الحوادث المستقبلية، لا سيما في مجال التحديات الدعوية، وتوقع المآلات³.

يتضح من هذه النماذج التي أشرت إليها أهمية أعمال الداعية للقياس، وتوظيفه في مجالات متعددة:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، (101/5)، برقم: 3845.

² - محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م، (104/1).

³ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ط1، 2014م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص52.



فأهم ما يمكن أن أستخلصه بعد تناول الأبعاد الدعوية للمصادر التَّبعية، أنها كانت حاضرة في الفعل الدعوي النبوي من خلال الصَّحيح، وقد نبهت على أن أهم أبعادها التَّأسيس لاجتهاد مستدام يضمن للدعوة التجدد، والاستمرار، وقد اكتفيت بالإجماع والقياس، باعتبارهما أهم أصول الاجتهاد، فالجتهاد في النوازل الدعوية لا يمكن أن يستغني عنهما بعد المصادر الأصلية؛ لتجدد، وتطور قضايا الدعوة تبعاً لمتغيرات الزمان، والمكان.

المطلب الثالث: الأبعاد الدعوية للفعل التشريعي في الغزوات

بعد التطرق إلى حضور أصول التشريع الأصلية الممثلة في الكتاب والسنة، ومصادره التبعية المتفق عليها؛ الإجماع والقياس فيما سبق، تجدر الإشارة إلى التنزيل الفقهي التطبيقي في الغزوات، وما انطوى عليه من أبعاد دعوية، التي أبرزها الإمام البخاري في الصحيح من خلال استثماره لمرويات المغازي لاستنباط الأحكام الفقهية في أبواب الفقه المختلفة بمعناها عند الفقهاء، وقد حصلت على أمثلة كثيرة من الفروع الفقهية مفرقة على كتب وأبواب الصحيح؛ لذا سأكتفي بإيراد نماذج منها بما يحقق المراد، وفي الغرض في هذا العنصر، وقد قسّمْتُها إلى ثلاثة فروع، كل فرع تضمن محورا من المحاور الفقهية تبعا لما يلي:

الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالفعل التشريعي التعبدية

إذا أُطلقت العبادات في مجال الفقه فأفها يراد بها أركان الإسلام غير الشهادتين: الصلاة والزكاة والصوم والحج، وكل شعيرة من هذه الشرائع الكبرى قد أفرد لها الإمام البخاري كتابا أو أكثر، وكل كتاب قد ضمنه أبوابا تحمل فقهه، واستنباطاته من المرويات التي يوردها. وفيما يلي إيراد لأمثلة من مرويات المغازي من الصحيح تتضمن مسائل من العبادات في أبواب مختلفة.

أولا: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالطهارة والصلاة:

ظلت الصلاة حاضرة بكثافة في غزوات النبي ﷺ، ولم يتوقف الأمر عند الحث على إقامتها بل تعدى إلى تعليم مسائلها ونوازلها، والحرص على تطبيقها التطبيق الصحيح، ولما كان الغرض تقصُّد الأبعاد الدعوية لا استقصاء المسائل الفرعية، يكفي التمثيل بالنماذج لتاليّة:

1. نموذج نواقض الوضوء:

قال الإمام البخاري: "من لم ير الوضوء إلا من المخرجين: من القبل والدبر... ويذكر عن جابر: «أن النبي ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَرُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ، فَنَزَفَهُ الدَّمُ، فَرَكَعَ، وَسَجَدَ وَمَضَى فِي صَلَاتِهِ»

1.

¹ - البخاري، الجامع صحيح، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين: من القبل والدبر، (1/ 46)، قد رواه معلقا في هذا الموضع وهو موصول عند غيره، ينظر: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الدم، (1/ 141)، برقم: 198، وحسنه الأرناؤوط، فهو ليس على شرط الصحيح، لذلك أورده معلقا.

فقد استطاع البخاري أن يستنبط من هذا الحدث حكم فقهي دقيق خفي، وهو أن الوضوء لا ينقضه إلا ما خرج من القبل أو الدبر، وبغض النظر عن الاختلاف في الحكم، فإن الأهم هو اهتمام المسلمين بالتفقه في الدين، ولو تعلق الأمر بنواقض الوضوء، التي قد يتساهل فيها الكثير من الناس أو يجهلها في حالات السلم، والستراء فضلا عن حالات الحرب والبأساء، ومن هنا فإن إثارة مثل هذه الجزئيات الفقهية من خلال الغزوات من شأنه أن يشحذ العزائم، ويُعلي الهمم، ويؤكد على طبيعة الجهاد الذي ينطلق من مبدأ إعلاء كلمة الله ظاهرا وباطنا.

2. نموذج صلاة الخوف:

ومن مسائل الصلوة التي تدل على حرص النبي ﷺ على إقامتها، كيفية صلاة الخوف فقد علمها علمها لأصحابه تطبيقيا في الغزوات، فقد روى البخاري بسنده عَمَّنْ شَهِدَ " رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ: أَنْ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وَجَاهَ الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِأَلْتِي مَعَهُ رُكْعَةً، ثُمَّ ثَبَّتَ قَائِمًا، وَأَمُّوا لِأَنفُسِهِمْ ثُمَّ انصَرَفُوا، فَصَفُّوا وَجَاهَ الْعَدُوَّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِنَّ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ ثَبَّتَ جَالِسًا، وَأَمُّوا لِأَنفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِنَّ " ¹

وصلاة الخوف بهذه الصفة، وفي هذه الظروف تكشف عن مدى الأهمية البالغة للصلوة، فهي عدّة في الخوف والشدة، فلا تُترك في ساعة الخوف البالغ، ومن ثمَّ يؤديها المحارب في الميدان، والسيف في يده، والسيف على رأسه ².

وفي هذا بعد دعوي تطبيقي تدريبي عظيم، فإذا تدرّب المدعو على القيام بالطاعة في أصعب الظروف فإنه سهل عليه بعد ذلك المحافظة عليها في الظروف العادية.

3. نموذج صلاة الطالب والمطلوب:

قال البخاري: " باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء " ¹، فصلاة الطالب والمطلوب صفتها أن يصلي طالب العدو الذي يخشى فواته بالإيماء، ولو ماشيا إلى غير القبلة، ويلحق به من خاف على نفسه أو أهله أو ماله من عدو أو لص أو حيوان مفترس، وكلّ هرب مباح من سيل أو حريق ².

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، (113/5)، برقم: 4129.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، (258/1).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (15/2).

² - سيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1397 هـ، 1977 م، (282/1).

ومما أورده الإمام البخاري تحت الترجمة السابقة، حديث ابن عمر، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدِّ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعْتَفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ¹.

ووجه الاستدلال من الحديث على صلاة الطالب؛ هو قياس صلاة الطالب على تأخير وقت الصلاة، قال ابن بطلال: "فكذلك سَوَّغَ للطالب أن يُصَلِّي في الوقت راكبا بالإيماء، ويكون تركه تركه للركوع والسجود المفترض كترك الذين صلوا بيني قريظة الوقت الذي هو فرض"².

فالبخاري رحمه الله قد استفاد الحكم الوارد في ترجمته على الحديث عن طريق القياس، كما بين ابن بطلال، فهو فقه دقيق، ومن ثم يتأكد في كل مرة للقارئ القيمة الدعوية للصحيح، ومرويات المغازي، فهي ليست روايات تروى، ولا ملاحم تُقص.

ثانيا: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالزكاة والصوم:

الأمثلة الفقهية التطبيقية المتعلقة بالزكاة، والصيام قليلة في مرويات المغازي الصحيح خاصة الزكاة، مقارنة بالطهارة والصلاة، وذلك لخصوصية كل عبادة، فالصلاة تتكرر خمس مرات في اليوم، والزكاة والصوم عبادات حولية، ورغم هذا لم تخل أبواب الصحيح من مسائل تتعلق بالباين، من ذلك:

1. نموذج خرص الثمر:

لم يفوت البخاري فائدة فقهية من فقه الزكاة تضمنها حديث من أحاديث المغازي، فقال: "باب خرص الثمر"¹، و مسألة خرص الثمار، أي تقدير مقدارها بالظن².

وقد استفادها من حديث أبي حميد الساعدي، قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِي الْقُرَى إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَخْرُصُوا»، وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ لَهَا: «أَخْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا»³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف، (14/1)، برقم: 942.

² - ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، (543/2).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (125/2).

² - ينظر: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، ص 86.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب لزكاة، باب خرص الثمر، (125/2)، برقم: 1481.

فلم يمنع النبي ﷺ الاهتمام بغزوة تبوك، وهي من الغزوات العظيمة العسيرة أن يطبق مسألة من مسائل الزكاة، وهي إحصاء ثمر الزكاة، وتدريب الصحابة على تقدير مال الزكاة بالتخمين، ولم تحرم المرأة صاحبة الحديقة من هذا التدريب على الحساب والتقدير؛ لأهميته في إدارة أموال الزكاة.

وهكذا ينبغي للداعية أن يستثمر كل الفرص الممكنة للتبليغ والتدريب والتعليم، والمتابعة، مستهدفاً أوسع نطاق من فئات المدعوين¹.

فقد تجلت كل هذه المستويات الدعوية في هذا الموقف الموجز؛ تعليماً، وتدريباً، ومتابعة، وتقويماً.

التبليغ	• التذكير بالزكاة
التعليم	• كيفية حساب مقادير الزكاة
التدريب	• تكليف الصحابة بالحرص
التقويم والمتابعة	• مقارنة الحساب النبوي بحساب الصحابة
تطبيق الحكم	• أمر المرأة بحساب مقدار زكاتها وإخراجه

2. نموذج وقت إفطار الصائم:

إن النبي ﷺ لا يترك موقفاً دعوياً إلا واستغله تبليغاً أو تربيّةً أو تطبيقاً، بما يناسب المقام وتقتضيه حاجة المدعو، فقد استغل موقف وقت الغروب في غزوة من الغزوات ليطبق عملياً بدء وقت إفطار الصائم، ومنه استنبط البخاري الترجمة التالية، فقال: "باب الصوم في السفر والإفطار"¹. فعن ابن أبي أوفى، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال لرجل: «انزِلْ فَاجِدْ لي¹»، قال: يا رسول الله، الشَّمْسُ؟ قال: «انزِلْ فَاجِدْ لي»، قال: يا رسول الله الشَّمْسُ؟ قال: «انزِلْ فَاجِدْ لي»،

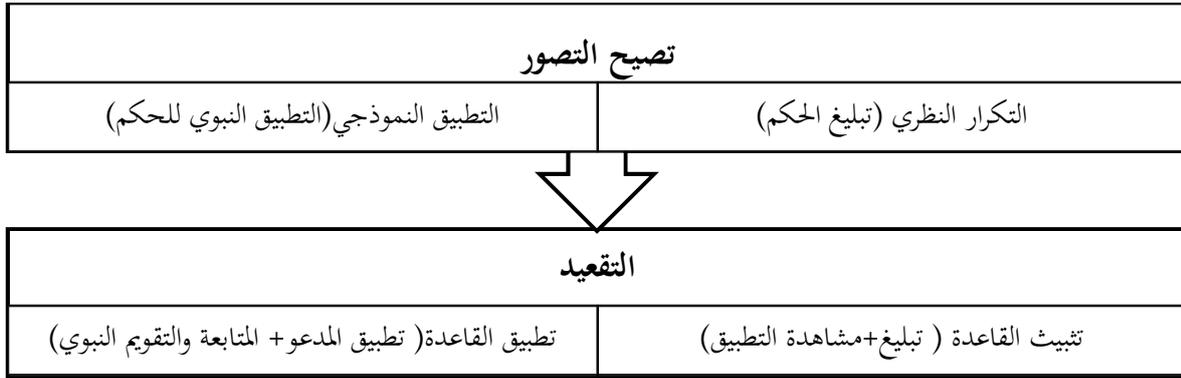
¹ - الطيب برغوث، الفعالية الحضارية، والثقافية السننية، ص202.

¹ - صحيح رواه البخاري في صحيحه، (33/3).

فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ رَمَى بِيَدِهِ هَا هُنَا، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».²

وفي هذا الحديث بعد دعوي تقويمي تربوي، وهو تصحيح بعض التصورات والأخطاء لدى المدعويين، قال الكوراني في شرح عبارة "ثم رمى يده ههنا": "قيل: الشرق، الرمي مجاز عن الإشارة؛ الإشارة؛ وإنما أشار إلى نحو الشرق بيانا لخطأ الرجل، فإنه ظن أن معرفة دخول الليل يكون من طرف المغرب"³.

وما لفت انتباهي في الحديث حُسن توظيف النبي ﷺ لأساليب الإقناع، وتقرير الحقائق، فقد صحح المسألة في ذهن الصَّحابي، بالتركرار، ثم بمباشرة للفعل أمامه، ثم أعطاه قاعدة عامة تمكنه من تطبيق الحكم بنفسه، وبهذا يكون قد بلغ المسألة وعلمها وطبقها في واقع الحياة، وفق ما يوضحه هذا المخطط:



ثالثاً: الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالحج والعمرة

قد وظف الإمام البخاري بعض مرويات المغازي لاستنباط بعض الأحكام المتعلقة بالحج والعمرة؛ والعمرة؛ ليدل ذلك من جديد على الثراء الفقهي لمرويات المغازي وتنوع الأبعاد الدَّعوية فيها، إلى جانب ما في فريضة الحج وشعيرة العمرة من أبعاد إعلامية ودعائية¹.
وفيما يلي نذكر بعضها منها:

1. نموذج الإحصار في العمرة

¹ - الجدح: أن يخاض السويق بالماء ويجرك حتى يستوي، والمجدح: العود الذي تخاض به الأشربة لترق وتستوي، وهو يشبه الملعقة، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (1/243).

² - صحيح رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار، (3/33)، برقم: 1941.

³ - أحمد بن إسماعيل الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، (4/289).

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدَّعوة، ص 198.

والإحصار هو أن يمنع من شرع في الحجّ أو العمرة بإتمامهما، بمرض أو بعدو، أو غيرها من الموانع¹، وقد أشار الإمام البخاري إلى هذا الحكم، بقوله: "باب إذا أحصر المعتمر"².
 ومما أورده من مرويات المغازي تحت هذه الترجمة³، قول ابن عمر رضي الله عنهما: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مُعْتَمِرِينَ، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ دُونَ الْبَيْتِ، فَخَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُدْنَهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ»⁴.
 ففي الرواية يتبين أثر المنهج الدعوي النبوي في تعليم أحكام الشريعة، فتحلل النبي ﷺ من عمرته، على مشهد من الصحابة بعدما لم يتمكن من إتمامها لصد قريش له يوم الحديبية أثمر فقها رصينا لدى الصحابة، بل صنع منهم فقهاء، وأئمة هدي يسترشد بهم في النوازل.
 وبهذا يكون النبي ﷺ قد مارس بعدا دعويا غاية في الأهمية، وهو البعد التوريثي⁵، فقد ورث عنه الصحابة أحكام الحج والعمرة وغيرها من الأحكام الشرعية، مما مكنهم من توريثها لمن جاء من بعدهم.

2. نموذج الترتيب بين النحر والحلق في التحلل

يتحلل المحصر بالنحر والحلق، ولكن هل هذا الترتيب معتبر أم أن المحصر مخير؟ وللإجابة على هذا الاستشكال الفقهي عقد البخاري الترجمة التالية، فقال: "باب النحر قبل الحلق في الحصر"¹، فالترجمة تشير إلى أن هذا الترتيب يختص بحال من أحصر، وأنه لا يجب في حال الاختيار².
 واستدل لمراعاة الترتيب بحديث المسور رضي الله عنه، " أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يحلق، وأمر أصحابه وأمر أصحابه بذلك"³.

¹ - محمد بن أحمد، أبو الوليد، ابن رشد الأندلسي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 1425هـ، 2004 م، (119/2).

² - البخاري، الصحيح، (8/3).

³ - الإحصار: "هو المنع عن المضي في أفعال الحج والعمرة بعد الإحرام، سواء كان بعدو أو بالحبس أو بالمرض، أو هو عجز الحرم عن الطواف والوقوف"، البركتي، التعريفات الفقهية، (19/1).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب المحصر، النحر قبل الحلق في الحصر، (9/3)، برقم: 1812.

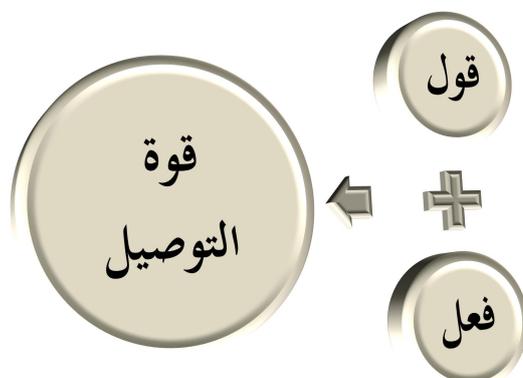
⁵ - التوريت: مصطلح دعوي يقصد به: "هو ما يتركه السابق للأحق من خبرة أو تجربة أو لوائح أو طرائق في مجال الدعوة خاصة"، محمد بن موسى الشريف، التوريت الدعوي، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422 هـ، 2002 م، ص20.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (9/3).

² - ابن حجر، فتح الباري، (10/4).

³ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب المحصر، باب النحر قبل الحلق في الحصر، (9/3)، برقم: 1811.

وهذا الترتيب الذي استنبطه البخاري من الحديث، إنما أخذه الصحابة من قول رسول الله ﷺ وفعله، ونقلوه إلى من بعدهم، ومن ثمَّ يظهر أثر تعزيز وسيلة القول بالفعل في توصيل الرسالة الدَّعوية الفقهية.



ومن مظاهر جودة هذا الاتصال أنه لم يتوقف عند جمهور المتلقين المباشرين، بل تعديه إلى الجيل الجليل الذي جاء من بعدهم، كما في هذا الحديث فالمسور رضي الله عنه من صغار الصحابة¹، فقد يكون أخذ هذا الحديث عن كبارهم¹، والملفت أنه رواه وكأنه ممن حضر الواقعة. فهذه نماذج من مسائل تشريعية تضمنتها مرويات المغازي في الصحيح وبعض تراجمه عليها، في أبواب العبادات المختلفة؛ مما يثبت حضور المنهج الدعوي النبوي التعبدية في الغزوات.

الفرع الثاني: الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بالفعل التشريعي المعاملاتي

بعد أن فرغت من تقديم نماذج من الفعل التشريعي التعبدية أشعر في تناول نماذج أخرى من الفعل التشريعي النبوي المعاملاتي في شقيه المالي، والأسري من خلال مرويات المغازي الواردة في الصحيح؛ معرجا على ما تضمنته من أبعاد دعوية التي تظهر في الكثير من الأحيان في فقه البخاري الذي حفلت به تراجمه.

¹ - المسور بن مخزوم من صغار الصحابة، وكان مولده بعد الهجرة بستين، وقدم المدينة بعد الفتح سنة ثمان، روى عن الخلفاء الأربعة، وعمرو بن عوف القرشي، والمغيرة وغيرهم، روى عنه سعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وعوف بن الطفيل، وعروة، وآخرون، توفي سنة أربع وستين، ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1415 هـ، (95/6).

¹ - مرسل الصحابي: هو إسقاط الصحابي لصحابي آخر ويحدث مباشرة عن رسول الله ﷺ، وهو مقبول عند أكثر محدثين، وقد حكى بعضهم في ذلك الإجماع، ينظر: الصنعاني، توضيح الأفكار، (287/1).

وسوف أجمل الفعل التشريعي النبوي المتعلق بالمعاملات المالية والأسرية في عنصرين، وفق ما يلي:
أولاً: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمعاملات المالية

قد استفاد الإمام البخاري من مرويات المغازي أحكاماً فقهية تتعلق بالمعاملات المالية، ضمنها تراجمه على هذه المرويات، مما يؤكد حضور الفعل التشريعي المتعلق بهذا المجال في الغزوات، وفيما يلي نماذج عن هذا النوع من الفعل التشريعي:

1. نموذج القبض في البيع: قال البخاري رحمه الله: "باب شراء الدواب والحمر، وإذا اشترى دابة دابة أو جملاً وهو عليه، هل يكون ذلك قبضاً قبل أن ينزل وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ لعمر: «بعنيه» يعني جملاً صعباً"¹

وهي ترجمة دقيقة تشير من طرف خفي إلى الخلاف في كون القبض شرط لصحة البيع، فقد اشترطه مالك وأحمد، وجعله أبو حنيفة والشافعي من تمام العقد القبض².

وقد استنبط فقه هذه المسألة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: عَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ أَتَبِيعُهُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، عَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالْبَعِيرِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَهُ¹

وفي الحديث مسائل تشريعية كثيرة غير مسألة القبض في البيع، ففيه: النكاح، وآدابه، كملاعة ومداعبة الأهل، والصلاة حين القدوم من السفر²، والهبة، وإيفاء الكيل، وكل هذا تأكيد للحضور

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (63/3)

² - ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (227/6).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض، باب من اشترى بالدين وليس عنده ثمنه، أو ليس بحضرتة، (115/3)، برقم: 2385، ينظر القصة كاملة: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمر، وإذا اشترى دابة أو جملاً وهو عليه، هل يكون ذلك قبضاً قبل أن ينزل وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ لعمر: "بعنيه" يعني جملاً صعباً، (62/3)، برقم: 2097.

² - وهي سنة القدوم من السفر كان يواظب عليها النبي ﷺ، ويدعو إليها أصحابه، كما في هذا الحديث، وعند مسلم وغيره من حديث كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ «كَانَ لَا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالسُّجُودِ، فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ»، رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدمه، (496/1)، برقم: 716.

وفي هذه البداية بالمسجد دلالات كبيرة منها أهمية تعلق المسلم والداعية على وجه الخصوص ببيوت الله، ومما يؤسف له تفریط وتقصير الكثير من المشتغلين بالدعوة والإرشاد والتعليم... في جنب عمارة بيوت الله، وهذا في تقديري من أعظم مؤشرات الوهن والتداعي الدعوي المعاصر.

المكثف للفعل التشريعي المتكامل في الغزوات، بتوازن عجيب لا يطغى فيه جانب عن جانب، وهذا الذي ينبغي أن ينتبه إليه الدعاة، وتبناه الحركات الإصلاحية، والدعوة.

2. نموذج اتخاذ الأجير

قد استدلل البخاري لمسألة اتخاذ الأجير عموماً، وهي من مسائل باب الإجارة، وفي الغزو خاصة خاصة بحديث من أحاديث الغزوات، فقال: "باب الأجير في الغزو"¹، واستدل للترجمة، بحديث يعلى بن أمية رضي الله عنه، قال: غزوت مع النبي ﷺ جيش العسرة؛ فكان من أوثق أعمالي في نفسي، نفسي، فكان لي أجير، فقاتل إنساناً، فعض أحدهما إصبع صاحبه، فعَضَّ أَحَدُهُمَا إِصْبَعَ صَاحِبِهِ، صَاحِبِهِ، فَأَنْتَزَعَ إِصْبَعَهُ، فَأَنْدَرَ ثَنِيَّتَهُ، فَسَقَطَتْ، فَأَنْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَهْدَرَ ثَنِيَّتَهُ، وَقَالَ: « أَفِيدَعُ إِصْبَعَهُ فِي فَيْكِ تَقْضُمُهَا - قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ - كَمَا يَقْضُمُ الْفَخْلُ »².

ووجه الجواز ظاهر من إقرار النبي ﷺ ليعلى بن أمية على هذا الفعل، قال العيني: " فالجهاد، وإن كان القصد به تحصيل الأجر، فلا ينافي ذلك الاستعانة بالخدام، خصوصاً لمن لا يقدر على معاطاة الأمور بنفسه"³.

3. نموذج المال غير المتقوم

من الأسس التي تقوم عليها المعاملات المالية أن يكون المال المتداول بين المتعاملين متقوم شرعاً، فجمهور الفقهاء يشترطون في المال أن يكون الانتفاع به مباحاً ليصح التعامل به، فإن المعتبر في التقويم إنما هو مراعاة المشروعية، والمنفعة التي أذن الشارع فيها، وما لا يؤذن فيه فلا عبرة به، فلا فلا تعتبر قيمته؛ لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً¹.

وقد أشار الإمام البخاري رحمه الله إلى هذه القاعدة من خلال الفعل التشريعي النبوي في غزوة خيبر، فقال: "باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تحرق الزقاق، فإن كسر صنماً، أو صليبا، أو طنبوراً، أو ما لا ينتفع بخشبه"².

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (89/3).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب الأجير في الغزو (89/3)، برقم: 2265.

³ - العيني، عمدة القاري، (82/12).

¹ - ينظر: أبو عمر بن محمد الديبان، المعاملات المالية المعاصرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1432 هـ، (279/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، (136/3).

فقد أشار إلى عدم قيمية ما لا ينتفع بها شرعا، بذكر أمثلة، قاسها على عدم قيمية لحوم الحمر الإنسية بعد نزول تحريمها، بجامع علة عدم حلية الانتفاع¹.

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى نيراناً تُوقدُ يومَ حَيْبَرَ، قَالَ: «عَلَى مَا تُوقَدُ هَذِهِ تُوقَدُ هَذِهِ النَّيرانُ؟»، قَالُوا عَلَى الحُمْرِ الإنْسِيَّةِ، قَالَ: «أَكْسِرُوهَا، وَأَهْرِقُوهَا»، قَالُوا: أَلَا نُهْرِيقُهَا، وَنَغْسِلُهَا، قَالَ: «اغْسِلُوا»².

وفي الحديث من الأبعاد التشريعية غير ما تقدم، كأحكام الأطعمة، والطهارة، والأشربة، إضافة إلى أبعاد دعوية تبعية قد تستفاد منه، كتوظيف أسلوب الحوار، وأسلوب الاستفهام، والاستماع للمدعو، والأخذ بمشورته، والرفق به، ومراعاة أحواله.

وفيه أيضا بعد دعوي أصولي وهو تطبيق قضية النسخ عمليا؛ لترسيخها وتقريرها في الأذهان وفق وفق منهج حسي تطبيقي؛ لكونها من الأبواب المهمة في التشريع، لذا كانت محل اهتمام الأصوليين، والفقهاء، والمفسرين، والمحدثين، وكانت لها آثار في الاختلاف بين العلماء في مسائل كثيرة¹.

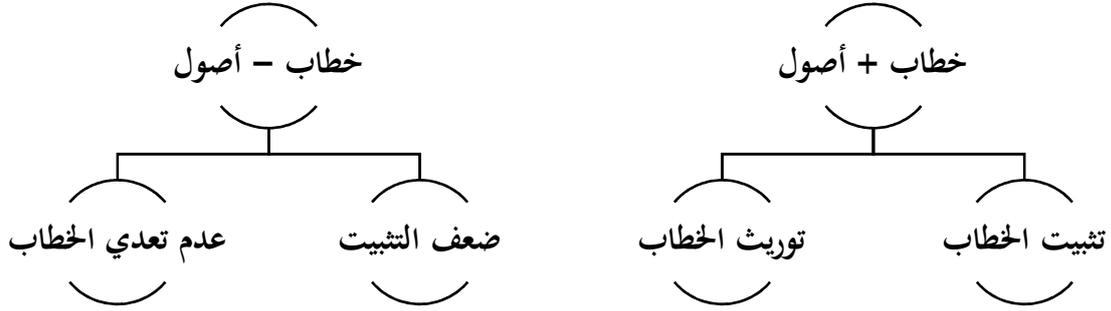
وفي هذا السياق أشير إلى أن من أخطاء العمل الدعوي المعاصر إغفال الكثير من الدعاة لأصول، وقواعد التشريع، خاصة في الخطاب المسجدي الجماهيري بحجة مراعاة مستوى العامة، وهذا تبرير غير صحيح، فالمشكلة في نظري تكمن في طريقة وأسلوب عرض وتبسيط الرسالة الدعوية الأصولية.

ويمكن أن أوضح علاقة الأصول والقواعد بجودة الخطاب كما يلي:

¹ - كانت لحوم الحمر الإنسية جائزة في بداية الأمر، ثم نسخ هذا الحكم زمن خيبر، ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، التأسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، ت: محمد المدبفر، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1418 هـ، 1997 م، ص75.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تحرق الزقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنورا، أو ما لا ينتفع بخشبه، (3/136)، برقم: 2477.

¹ - ينظر: محمد مصطفى الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1427 هـ، 2006 م، (92/1).



ثانيا: الأبعاد الدَّعوية المتعلقة بعقود التبرعات

من الأبواب الفقهيَّة التي شغلت حيزا في التَّشريع الإسلامي، عقود التبرعات، وهي من العقود التي لا يريد منها منشؤها عوضا وربحا ماديا بل يكون قصده ابتغاء الأجر، وتقديم المساعدة، والخدمة للغير دون مقابل، وهي كثيرة، وفي الجامع الصَّحيح كتبنا وأبوابا تتناول هذا الموضوع، وقد استثمرت مرويات المغازي لإثراء بعض مسأله، ليشهد ذلك على حضور هذا الفعل التَّشريعي في ميدان المغازي، وفيما يلي بعض نماذج هذه العقود التي أطرتها مرويات المغازي:

1. نموذج عقد الهبة: وهي من عقود التبرعات التي يتم بموجبها تملك المالك مال بلا عوض لمن وهبه له، ويقال لفاعله واهب، ولذلك المال موهوب، ولمن قبله الموهوب له¹.

وقد أشار البخاري إلى هذا العقد فيما ما ورد في قوله: "باب من ملك من العرب رقيقا، فوهب وباع وجامع وفدى وسبي الذريرة"¹، وقد استفاد الإمام البخاري من الحديث أن الرقيق يوهب إلحاقا للهبة بغيرها من التصرفات المشروعة كالجماع، والبيع، باعتبار أنه ملك لصاحبه، آخذاً ذلك من حديث أبي سعيد الذي قال فيه: "خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فأصبنا سبيا من سبي العرب، فاشتبهنا النساء، فاشتدت علينا العزبة، وأحببنا العزل²، فسألنا رسول الله ﷺ، فقال: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا مَا مِنْ نَسَمَةٍ³ كَانَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَانَتْ»¹

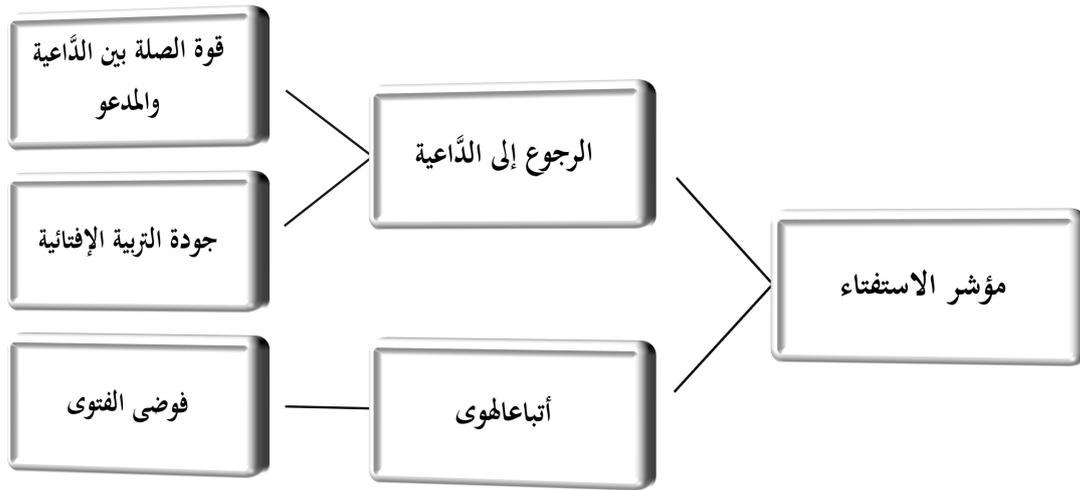
¹ - ينظر: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التَّعريفات الفقهيَّة، ص241.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (148/3).

² - المراد بالعزل صرف الماء عن النساء حذر الحمل، ينظر: ابن الأثير النهاية في غريب الحديث، (230/3).

³ - نَسَمَةٌ: قال ابن الأثير: "وكلُّ دابةٍ فيها رُوحٌ فهي نَسَمَةٌ وإنما يريد النَّاسَ"، النهاية، (119/5).

وهذا الحديث هو الآخر قد تضمن أبعادا تشريعية كثيرة غير ما تقدم، فالعزل من قضايا التشريع المتعلقة بالنكاح، وفيه الإشارة إلى الفعل الإفتائي في الغزوة، الذي يدل على قوة الاتصال بين الداعية وأتباعه، وهي مؤشر صحي على الجودة الدعوية، يمكن أن أوضحه كما يلي:



¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب العتق باب من ملك من العرب رقيقا، فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية (148/3)، برقم: 2542.

كل ذلك تأكيد على أن المغازي ميدان من ميادين الفعل التشريعي الذي تكاملت فيه أصوله وفروعه.

2. نموذج عقد الوقف

من أعظم عقود التبرعات التي تميزت بها الأمة الإسلامية، عقد الوقف وهو من العقود الخيرية التي التي يخرج فيها المال من ملك أصحابه لتحبس ثمراته ومنافعه على جهات الخير ابتغاء مرضاة الله، ولا شك أن أولى ما يوقف وينفق فيه المال الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى سبيله¹.

وقد أشار البخاري إلى هذا العقد واستدل له برواية من المغازي، فقال: "باب إذا وقف² أرضاً أو بئراً، واشتراط لنفسه مثل دلاء المسلمين"³، ثم أورد أن عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنْشُدْ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟ فَجَهَّزْتُهُمْ»⁴.

فالاستدلال على مشروعية الوقف بتجهيز عثمان لجيش العسرة، تنبيه على بعد دعوي استراتيجي يتعلق بتمويل الدعوة، فكما تحتاج الدعوة إلى تقوية وسائل الدفاع تحتاج إلى تغطية نفقات الدعوة المختلفة، فلا يتوقف الوقف على الدعوة بتوقف الجهاد وتعطله، فالجمال يبقى مفتوحاً والدعوة لا تزال بحاجة للتمويل، سواء تعلق بنفقات الدعوة، أو بالوسائل والميادين، أو غيرها من الجوانب.

¹ - ينظر: يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط1، 1415هـ، 1995م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص396.

² - وهي بئر وقيل عين اشتراها بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً، من رجل من بني غفار عين، ويقال إنها كانت عين تجري إلى بئر فوسعها عثمان أو طواها فنسب حفرها إليه، ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري، (28/5).

³ - رواه البخاري في صحيحه، (13/4).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشتراط لنفسه مثل دلاء المسلمين، (13/4)،

ثالثاً: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالنكاح

لا يقل باب النكاح أهمية عن باب المعاملات المالية، فهو يرتبط به ويتكامل معه في بناء التشريع والفعل الفقهي، ويتكاملان أيضاً في إمداد الدعوة، بالإعدادات والاستعدادات والطاقت المادية والبشرية؛ لتغطية حاجياتها واحتياجاتها المختلفة.

من أجل ذلك؛ فقد ظلت الحفاوة بالنكاح، والاهتمام بمسائله وقضاياها ملازمة للحركة الدعوية النبوية في الحضر والسفر، وفي السلم والحرب، فقد عرفت المغازي العديد من التشريع الفقهي المتعلق بالنكاح، وقد جاءت تراجم الصحيح على مرويات المغازي شاهدة على ذلك وفق ما تبينه هذه النماذج:

1. نموذج نكاح الثيب

في العادة أن الشاب البكر يرغب في الزواج ممن لم يسبق لها زواج، وهو الأصل الذي جرت عليه عليه العادة، غير أنه قد تقتضي المصلحة الحيدة عن هذا الأصل، وقد أشار البخاري إلى ذلك في إحدى تراجمه من كتاب النكاح، فقال: "باب تزويج الثيبات"¹، وقصد من هذه الترجمة بيان حكم نكاح الثيبات وهي المرأة التي سبق لها زواج².

وقد استدلل لهذا الحكم بما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه قال: عن جابر بن عبد الله، قال: قال: فقلنا مع النبي ﷺ من غزوة، فتعجلت على بعير لي فطوف، فلحقتي راكب من خلفي، فحس بعيري بعزّة كانت معه، فانطلق بعيري كأجود ما أنت راء من الإبل، فإذا النبي ﷺ، فقال: «ما يُعجلك» قلت: كنت حديث عهد بعريس، قال: «أبكر أم ثيباً؟»، قلت: قال: «فهلأ جارية ثلأعبها وثلأعبك»، قال: فلما ذهبنا لندخل، قال: «أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً - عشاءً - لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة»³

والحديث قد تضمن مسائل تتعلق بالنكاح غير التي ذكرت في الترجمة، فقد أشار إلى بعض الآداب والحقوق الزوجية، كمداعبة الزوجة، وعدم مباحنة الأهل ليلاً، وفيه حث للزوجة على التجميل لزوجها.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (5/7).

² - زكريا الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، (334/8).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، (5/7)، برقم: 5079.

وكل ذلك يدلّ على اهتمام الإسلام بشأن الأسرة، باعتبارها هي المدرسة الأولى لتكوين الدُّعاة، والمصلحين، فإذا أدركنا موقعها ودورها الفعّال في خدمة الإسلام ونشر الدّعوة والدفاع عنها لم نستغرب أن يهتم النبي ﷺ بهذه الجزئيات في خضم خوض المعارك والحروب. وهكذا يربي النبي ﷺ أصحابه على الإسلام الصّحيح الوسطي المتوازن بعيدا عن التطرف والغلو، والغلو، ففي الغزو أشدّاء على الكفار، وفي بيوتهم رحماء بأهلهم معاشرين لهم بالمعروف¹.

2. نموذج تحريم الخلوة

حفاظا على الأسرة وسدا لذرائع الفساد فقد حرم الشرع الخلوة بالمرأة، وقد أشار إلى ذلك البخاري، بقوله: "باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة"²، ثم استدللّ لهذه التّرجمة ببحث من مرويات المغازي، فعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَتِي حَرَجَتْ حَاجَةً، وَاسْتَبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «ارْجِعْ فَحُجِّ مَعَ امْرَأَتِكَ»³.

فالحديث يدلّ بقوة على حرص الإسلام على المحافظة على المرأة والأسرة، إذ من أجل صيانتها رجح الخروج معها إلى الحجّ على الخروج في الغزو، إعمالا لقاعدة: "درء المفسد أولى من جلب المصالح"، ومراعاة لفقّه الأولويات، فالواجب العيني مقدم على الواجب الكفائي⁴.

الفرع الثالث: الأبعاد الدّعوية للفعل التّشريعي الجنائي

قد سجل الفعل التّشريعي الجنائي هو الآخر حضورا في مرويات المغازي في الصّحيح، ولا يهمني في هذا المقام كثرة وقلة التّماذج والأمثلة؛ لانه ليس الغرض من هذا البحث استقصاء المسائل الفقهيّة لكل باب، وإنما الهدف هو إبراز البعد التّشريعي الدّعوي الممتد في أبواب الفقّه المختلفة، ومما حصلت عليه من مسائل الجنايات المستمدة من مرويات المغازي ما يلي:

¹ - ينظر: يوسف القرضاوي، جيل النصر المنشود، ط3، 1412هـ، 1992م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص45.

² - رواه البخاري في صحيحه، (37/7)

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة، (37/7)، برقم: 5233.

⁴ - ينظر: يوسف القرضاوي، فقّه الأولويات، 1416هـ، 1996م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص29، 139.

أولاً: الأبعاد الدعوية للحدود

من نماذج الحدود التي أقامها النبي ﷺ حد السرقة، فقد أقامه النبي ﷺ على امرأة في غزوة الفتح، الفتح، فعن عروة بن الزبير، «أن امرأة سرقت في غزوة الفتح، فأتي بها رسول الله ﷺ، ثم أمر بها، ففقطعت يدها»، قالت عائشة: فحسنت توبتها، وتزوجت، وكانت تأتي بعد ذلك، فأزفح حاجتها إلى رسول الله ﷺ¹.

فقد استغل النبي ﷺ هذا الموقف التشريعي ليعلم الصحابة أحكام إقامة حد السرقة، حتى يتدربوا على إقامة الحدود بطريقة صحيحة من بعده، ويستفيدوا من الأبعاد الدعوية التي تتجلى في تطبيق هذا الحد التي يمكن أن أجملها فيما يلي:

1. البعد الاجتماعي: وتظهر مراعاة البعد الاجتماعي في الحدود من خلال اتسامها بخاصية المساواة؛ حيث تتجلى هذه القيمة في الحدود بوضوح، فالحد يتساوى فيه الجميع الشريف والوضيع، والذكر والأنثى، لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]، وقوله سبحانه في حد الزنى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: 02].

فأحكام الحدود المستمدة من الكتاب والسنة قائمة على خاصية العدل القضائي الذي يجعل الناس سواسية أمام القانون، ف" هذا هو الدين الذي قامت عليه حضارتنا، ليس فيه امتياز لرئيس، لرئيس، ولا لرجل دين، ولا لشريف ولا لغني"².

2. البعد الإصلاحي: لا أريد بيان أن باب التوبة مفتوح أمام العصاة مهما عظم الذنب، وهذا قد دلت عليه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، ولكني أردت أن أشير من خلال الحديث السابق إلى دور الدعاة في إعانة المذنب على إصلاح نفسه بالتوبة والاستقامة، ومن ثم صلاح المجتمع، فلم تمنع السرقة المرأة من الزواج، ولم تمنعها من التعامل مع الصديقة، بل كانت تكرمها وترفع قضيتها إلى رسول الله ﷺ، ولم تمنع رسول الله ﷺ من قضاء حاجتها.

بهذا الوعي ينبغي أن يتعامل الدعاة مع أهل الذنوب والمعاصي، حتى تحقق العقوبات أبعادها الاجتماعية والإصلاحية على المستوى الفردي والجماعي.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، (171/3)، برقم: 2648.

² - مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1420 هـ، 1999 م، ص 75.

وإبراز هذه الأبعاد الدَّعوية للفعل التَّشريعي المتعلق بالحدود من الأهمية بمكان، خاصة في عصر كثرت الاتهامات والشبهات الموجهة من قبل أعداء الدَّعوة من الداخل والخارج إلى العقوبات والحدود الشرعيَّة.

ثانيا: الأبعاد الدَّعوية للقصاص

وهذا موقف جديد من المواقف التَّشريعيَّة المتعلقة بالجنايات، تطلعنا عليه رواية من روايات المغازي المغازي في الجامع الصَّحيح، فعن يعلى رضي الله عنه قال: «خَرَجْتُ فِي غَزْوَةٍ، فَعَضَّ رَجُلٌ فَاَنْتَزَعَ ثِيْبَتَهُ، ثِيْبَتَهُ، فَأَبْطَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ».¹

وفي الحديث إشارة إلى باب الجنايات فيما دون النفس، وهي السن، ولما كان الرجل لم يتعمد إسقاط سنه لم يثبت حق القصاص لصاحبها، وعند التأمل في الحديث أجده يتضمن أمرين غاية في الأهمية يستهدفان مراعاة إقامة قيمة العدل في القصاص:

1. البعد الإنساني: قد راعى النبي ﷺ حق الجاني باعتباره إنسانا، وأن الجنايَّة لا تنزع منه الكرامة الكرامة من خلال حكمه بإبطال ضمان سن الرجل التي انتزعت منه؛ لكون الحادثة وقعت في معرض الدفاع عن النفس، وهذا ما يطلق عليه عند الفقهاء دفع الصائل، قال القرابي: " فكل صائل إنسانا كان أو غيره فمن خشى من ذلك فدفعه عن نفسه فهو هدر حتى الصبي والمجنون إذا صالاً أو البهيمة لانه ناب عن صاحبها في دفعه والمدفوع عنه كل معصوم من نفس أو بضع أم ومال"².

2. البعد التَّفسي: لم يكتف النبي ﷺ بالحكم القضائي فحسب، بل زيادة على ذلك حاول إرضاء صاحب السن من خلال قبول اعتراضه والاستماع له، ثم أقنعه بالدليل العقلي الذي يسلم يسلم له كل عاقل، ففي رواية أبي داود من حديث أبي يعلى قال: قاتل أجير لي رجلا فعض يده، يده، فانتزعها، فندرت ثيبتة، فأتى النبي ﷺ، فأهدرها، وقال: « أَتُرِيدُ أَنْ يَضَعَ يَدُهُ فِي فَيْكَ تَقْضِمُهَا كَالْفَحْلِ؟ »³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب إذا عض رجلا فوقعت ثناياه، (8/9)، برقم: 6893.

² - أحمد بن إدريس، أبو العباس، القرابي، الذخيرة، ت: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994 م، (262/12).

³ - رواه أبوداود في سننه كتاب الديات، باب في الرجل يقاتل الرجل فيدفعه عن نفسه، (642/6)، برقم: 4584.

وهكذا ينبغي أن يكون الدّاعية الناجح، فلا يشغله مجال عن مجال، فالنبي ﷺ في هذا الموقف لم يشغله ميدان الغزوة، عن الحكم بين المتخاصمين بالعدل، وما يقتضيه ذلك من الاستماع، والانصات لهما.

وبعد عرض هذه النماذج من الفعل التشريعي النبوي في ميدان الغزوات من خلال مرويات المغازي في الجامع الصحيح، والتي شملت أهم محاور التشريع الإسلامي؛ محور العبادات، والمعاملات، والعقوبات، تبين لي أن الغزوات لم تكن معارك حربية فحسب، بل هي جزء لا يتجزأ من الدّعوة النبوية، وما الغزوة إلا حركة بالدّعوة بكل أركانها، مما يؤكد أن الدّعوة الإسلامية تظل مستمرة ومصاحبة للدّاعية والمدعو في جميع الظروف والأوقات.

وهذا الذي ينبغي أن يعيّه المسلمون دعاة ومدعوّين، فليست الدّعوة قاصرة على دور العبادة، وحلق التدريس، والوعظ ثمّ إذا غادرها مرتادوها، وتفرقوا في شعب الحياة سعوا في الأرض غير مبالين بتطبيق الشريعة، وتحكيمها في تصرفاتهم، وهذا ما تنبأ به رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ»¹.

فالغزوات من أعظم الميادين الدّعوية التي أبرز فيها النبي ﷺ الأبعاد التشريعية، من خلال تعريفهم تطبيقيا بأصول التشريع الدّعوي الكبرى المتمثلة في القرآن الكريم الذي هو أصل أصولها والسنة النبوية بجميع أنواعها، كما عرفت الغزوات إشارات إلى أصلين عظيمين من أصول التشريع وهما الإجماع والقياس، ولا تخفى أهميتهما الدّعوية تأصيلا وتفصيلا.

وليس هذا فحسب فقد ظلت المغازي ميدان تشريعا ثريا متنوعا، في تكامل وتناغم عجيب لا يدلّ إلا على النجاح الباهر للدّعوة النبوية، والطرز العالي للمستجيبين لها من الصحب الكرام عليهم الرضوان.

وفي ختام هذا الفصل أخلص إلى أن الغزوات النبوية، باعتبارها ميدانا من الميادين الدّعوية؛ قد شهدت حضورا للبعد الأصولي في شقيه العقدي من خلال حضور أصول الاعتقاد الكبرى التي تشكل الخلفية العقدية للدّعوة الدينيّة عموما، والدّعوة الإسلامية خصوصا؛ تبليغا وتثبيتا، وتربيّة.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال، (55/3)، برقم: 2059.

وشهدت حضوراً لأصول التشريع التي تشكل مصادر التشريع الدعوي التي تستمد منها الدعوة الإسلامية مادتها وموضوعاتها؛ بما يضمن استمراريتها، وتطورها، ومواكبتها لكل مستجدات، ومتغيرات الدعوة ومواجهة تحدياتها الداخلية والخارجية.

وقد تخلل الغزوات فعلاً تشريعياً طال جميع المحاور الكبرى للتشريع الإسلامي، ليدل ذلك على تميز قل نظيره في المعارك التي يغلب عليها الطابع العسكري البحت، والهدف المادي الصرف، فلا يلتفت فيها إلى إقامة شعائر الله إلا قليلاً؛ جنوحاً إلى الأخذ بالرخص، والتراخيص في أحسن الأحوال.

ومن ثم نعلن للعالم من خلال أصح كتاب بعد كتاب الله -صحيح البخاري- أن مغازي رسول الله ﷺ ليست كغيرها من الحروب، والمعارك التي لا هم لأصحابها إلا الدنيا، فهي دعوة متحركة منضبطة بأصول هذا الدين العقديّة، والتشريعية لا تحيد عنها قيد أنملة، غرضها ومقصدها الأسمى حماية الدعوة ومنجزاتها، والسعي للتمكين لدين الله في الأرض؛ وتحقيق الشهود الحضاري للأمة.

الفصل الثاني الأبعاد الدعويّة السلوكيّة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأبعاد السلوكيّة المتعلقة بالدّاعيّة
المبحث الثاني: الأبعاد السلوكيّة المتعلقة بالمدع و

بعد أن بينت فيما مضى أن الغزوات النبوية قد كانت ميدانا دعويا ممتازا لممارسة الفعل الدعوي النبوي في أبعاده العقديّة والتشريعيّة؛ حيث كانت آثاره بارزة لا تخفى على من تتبعها في مرويات المغازي الصحيحة.

فقد ظل النبي ﷺ في كل غزواته يرسخ، ويثبت أصول العقيدة، والشريعة الكبرى في نفوس أصحابه تبليغا، وتطبيقا، وتعلّما في ميدان المعارك؛ مما كان له أعظم الأثر على المدعوين المستجيبين من الصحابة رضي الله عنهم، ظهرت ثمراته الدعويّة في مواقف كثيرة من الغزوات، وما في محيطها.

ها أنا أصل إلى تناول جانبنا من جوانب الأبعاد الدعويّة في الغزوات يتعلّق بركنين من أركان العمليّة الدعويّة عليهما مدار الفعل الدعوي في كل الدعوات الدينيّة، فيتعلّق الأمر بالداعيّة والمدعو، فهما طرفا المعادلة الدعويّة، باعتبار طبيعتها التواصليّة، التي تنطلق من الداعيّة، وتستقر عند المدعو.

غير أن هذه العمليّة لا يمكن لها أن تنجح إلا بتوفر متطلباتها، ومستلزماتها على مستوى الإرسال والاستقبال.

فقد تحققت إنجازات دعويّة عظيمة على مستوى الإرسال، والانطلاق؛ بفضل ما يمتلكه الداعيّة الأعظم ﷺ، وأتباعه من الدعاة الذين تلقوا التدريب، والتأهيل الدعوي على يديه نظريا، وتطبيقيا على مر السنين، التي قد تمتد إلى المرحلة المكّيّة.

فقد كان النبي ﷺ في هذا الميدان الدعوي الحساس أسوة الدعاة ومثالهم الأعلى؛ لتمثله لمعايير الداعيّة النّاجح الفعال، العلميّة والأخلاقيّة والقياديّة.

ولا ريب أن النجاح الدعوي لن يحصل، ولن يكتمل ما لم يراع الداعيّة الطرف المستقبل؛ وهو المدعو بمراعاة كل ما يتعلّق به من قضايا من شأنه أن تؤثر على استجابته الدعويّة سلبا وإيجابا.

ولما كانت الدّعوة ذات طابع تواصلي يهدف إلى تغيير سلوك الأفراد والأمم من خلال مضامين الرسالة الدعويّة، جاء هذا الفصل من هذه الدراسة الأبعاد الدعويّة المتعلقة بكل من الداعيّة والمدعو، في مبحثين:

المبحث الأول: الأبعاد السلوكيّة المتعلقة بالداعيّة

المبحث الثاني: الأبعاد السلوكيّة المتعلقة بالمدعو

المبحث الأول: الأبعاد السلوكية المتعلقة بالداعية(*)

يعدّ الداعية هو المحرك الفاعل في العملية الدعوية بمراحلها ومستوياتها المختلفة على مستوى التبليغ والتعليم والتربية والتطبيق، مما يستوجب تزوده بجملة من القيم السلوكية والاستعدادات والمهارات الدعوية المكافئة، واللازمة لتحقيق الإنجاز الدعوي المطلوب.

ولما كان النبي ﷺ هو أسوة الدعاة في سلمه وحرابه، وكانت غزواته هي مدار البحث الدعوي في هذه الرسالة، يأتي هذا المبحث منها ليستلهم منها أهم الأبعاد المتعلقة بالداعية، مقسما إياها إلى مطلبين:

المطلب الأول: الأبعاد الدعوية العلمية المتعلقة بالداعية.

المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية الأخلاقية والقيادية المتعلقة بالداعية.

(*) - يراد بالسلوك في الجملة سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، فيطلق بذلك على السلوك الحسن والسيء، ويطلق على الاستجابة التي يبديها الفرد إزاء موقف يواجهه، ومن الناحية الدينية يقسم إلى قسمين: سلوك مع الله تعالى، ويسمى بالتركيبية، والتصوف، وأما القسم الآخر، وهو سلوك مع الناس ويسمى المعاملات، ينظر: المعجم الوسيط، (1/445)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر، ص352، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (2/148).

ومن ثمة فإني سوف أعتد المصطلح بدلالته الواسعة التي تشمل العلاقة بين الداعية وربه، والداعية، ونفسه، والداعية والمدعو، وما يترتب على تلك العلاقات من آثار دعوية إيجابية، وسلبية تبعاً لنوع الاستجابة ودوافعها.

المطلب الأول: الأبعاد الدعوية العلمية المتعلقة بالداعية

يحتاج الداعي إلى الله للنجاح في العمل الدعوي إلى عدة علمية دعوية؛ وتأتي أهمية هذه العدة من طبيعة الرسالة الإسلامية العلمية التي أعلنت عنها طلائع الوحي في غار حراء. ومن ثم كانت العدة العلمية للداعية من الاستعدادات، التي تشكل له الأرضية الصلبة المتينة التي ينطلق منها، ويرتكز عليها حتى يتسنى له صناعة جودة الدعوة، والتصدي لكل الإكراهات والتحديات الداخلية، والخارجية التي تحول دون بلوغ الأهداف. ونظرا لأهمية وحساسية هذا البعد جاء هذا المطلب في الطليعة لبيان أثر تحصيل الداعية للعدة العلمية اللازمة في العمل الدعوي من خلال تتبع الفعل الدعوي النبوي في المغازي، وفق الفروع التالية:

الفرع الأول: فضل العلم وحاجة الداعية إليه

لقد دلت روايات المغازي في الصحيح على فضل العلم، وحاجة الداعية إلى العدة العلمية اللازمة، والكافية التي يتطلبها الموقف الدعوي، ويظهر ذلك من خلال العناصر التالية:

أولا: دلالة روايات المغازي على فضل العلم

كان النبي ﷺ يعتمد معايير علمية في اختيار قادة البعوث والسرايا، والمراد بالعلم هاهنا العلم التخصصي الذي يمكن القائد من إدارة المهمة التي كلف بها بمهارة، وفعالية ونجاح، وتحقيق الأهداف الدعوية المبتغاة منها، وفي ذلك إشارة إلى أهمية العدة العلمية التخصصية، فالقيادة الحربية تختلف عن القيادة التربوية، وتختلف عنهما القيادة السياسية.

وهذا ما ينبغي أن يراعى في إعداد وتوجيه القادة، والدعاة، وأن إغفال هذا المعيار بهذا المنهج النبوي الحكيم يُدخل الدعوة في التخبط والعشوائية؛ مما يفوت عليها الكثير من الإنجازات، ويوقعها في الفشل والإخفاقات. وعند تتبع سير قادة السرايا والبعوث الذين كان يتدبهم النبي ﷺ للقيام بمهام حربية ودعوية مختلفة، ندرك تمام الإدراك أنه كان يختارهم بدقة، وعناية مراعيًا توفر العدة العلمية في الشخص المكافئة للمهمة التي كلف بها.

فعند تتبع هؤلاء المنتدبين في روايات المغازي في الصحيح نجد منهم: خالد بن الوليد، زيد بن حارثة، عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي، أبو موسى الأشعري، معاذ بن جبل، علي بن أبي طالب، عمرو بن العاص، جعفر بن أبي طالب، ابن رواحة، أبو عبيدة بن الجراح، وأبو بكر الصديق عليهم الرضوان¹.

¹ - ينظر، رواه البخاري في صحيحه، (5/ 141-165).

وهؤلاء جميعا قد حققوا الشرط الانتقائي المتعلق بالعدة العلميّة المكافئة كما يبينه هذا الجدول، الذي حاولت إنجازَه انطلاقاً من تراجم وسير القادة من أصحاب رسول الله ﷺ، مبرزاً الاستعدادات والقدرات القياديّة لدى كل قائد من أولئك القادة، تبعاً لما يلي¹:

القائد	تعريف موجز بالشخصيّة	نوع الاستعداد
خالد بن الوليد	فارس العرب في الجاهليّة، و سيف الله وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام، الأمير الكبير، القائد، شهد المشاهد، والفتوح زمن النبوة، وفي خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قائداً وجندياً.	حربي
زيد بن حارثة	الأمير، الشهيد، النبوي، المسمى في سورة الأحزاب، أبو أسامة الكلبي، ثم المحمدي، سيد الموالى، وأسبقتهم إلى الإسلام، وحب رسول الله ﷺ وأبو حبه ولم يسم الله في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد	حربي
عبد الله بن حذافة	أحد السابقين، هاجر إلى الحبشة، و نفذه النبي ﷺ رسولا إلى كسرى	دبلوماسي
أبو عبيدة	أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة؛ لكمال أهليته عند أبي بكر، شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسماه: أمين الأمة، وغزا غزوات مشهودة.	سياسي
ابن رواحة	أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا، والمشاهد، وكان شاعر النبي ﷺ.	حربي، دبلوماسي
علقمة بن مجزز المدلجي	استعمله النبي ﷺ على بعض جيوشه، وولاه الصديق حرب فلسطين، وحضر الجابية مع عمر، ثم سيره عمر في جيش إلى الحبشة في ثلاثة مائة، فغرقوا كلهم، وقيل: كان ذلك في أيام عثمان بن عفان.	حربي
أبو موسى الأشعري	الإمام الكبير، الفقيه المقرئ أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين، استعمله النبي ﷺ ومعاذاً على زيد وعدن، ولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة، وغزا وجاهد مع النبي ﷺ، وحمل عنه علماً كثيراً.	دعوي
معاذ بن جبل	الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، وشهد المشاهد كلها، كان من أجمل الرجال.	دعوي
علي بن أبي طالب	أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فرث في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ومناقبه كثيرة.	دعوي-حربي.
ابن العاص	داهية قريش، ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم.	حربي-سياسي
جعفر بن أبي طالب	السيد، الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، هاجر المهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة	حربي، دبلوماسي

¹ - أنجزتُ الجدول من خلال: سير أعلام النبلاء للذهبي، الإصابة لابن حجر، وحرصت أن أحافظ على أسلوبهم بتصرف.

تبين هذه النماذج القيادية أن كل قائد قد اختاره النبي ﷺ؛ بناء على ما عنده من العدة العلمية التخصصية المناسبة للمهمة في الوقت المناسبة، فلا يضع صاحب العدة الدعوية قائدا حربيا، ولا يستعمل في الدبلوماسية الخارجية إلا من يصلح لها بما علم عنده من المؤهلات. ولما كانت الخبرة مظنة تحصيل العدة العلمية فقد كان يختار أهل السبق في الإسلام في مواقف ملائمة لمكائنتهم العلمية التي نالوها من طول الصحبة النبوية. لأن المواقف تختلف فقد لا تكفي العدة العلمية وحدها أحيانا؛ بل قد تقتضي الحكمة تقديم الأدنى في بعضها، وهذا يرجع إلى حكمة مدير القادة، وبعد نظره.

ثانيا: الاهتمام بالتعليم ونشر العلم أثناء الغزو

لم تكن الغزوات ميدانا للقتال فحسب بل هي ميدان من الميادين الدعوية التي يمارس فيها العمل الدعوي بكل أبعاده، ومن ذلك البعد التعليمي، فالنبي ﷺ لا يشغله الغزو عن تعليم، وتفقيه أصحابه في دينهم، فقد كان يخبرهم بالمستجدات ويجهيهم عن تساؤلاتهم، وفيما يلي نماذج شهادة من واقع الغزوات:

1. نموذج تعليم صلاة الخوف

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم ليتعلموا صفة صلاة الخوف إلا في الغزوات، فقد روى البخاري بسنده عنم البخاري بسنده عنم شهد "رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف: أن طائفة صفت معه، وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائما، وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا، فصفوا وجاه وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا، وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم" ¹.

فقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم هذه الصلاة من خلال التطبيق النبوي، وفي الوقت نفسه أراد رسول نفسه أراد رسول الله ﷺ أن يرسخ في الأذهان "خطورة هذه العبادة في الدين، ومقامها عند رب العالمين" ².

2. نموذج النهي عن المتعة والحمر الأهلية

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، (113/5)، برقم: 4129.

² - فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية؛ من أجل إبصار آليات الطريق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1430 هـ، 2009 م، ص118.

ومن أمثلة التّعليم النبوي في إخبار الصّحابة عن مستجدات التشريع في حينها، فقد تمّ تبليغهم النهي عن نكاح المتعة، والنّهي عن لحوم الحمر الإنسيّة زمن خيبر .
ففي البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «نَهَى عَنِ مُتَعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ حُومِ الحُمُرِ الإنسيّة»¹.

ومن الموافقات في هذا التبليغ المتعلق بالنهي عن زواج المتعة أن يرويه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ليكون أدمغ حجة للشيعة الذين يرون مشروعيّة هذا النكاح، بل يعدونه من أخص من أخص خصوصياتهم، ومن أعظم القربات التي يتقرب بها إلى الله بزعمهم².

3. نموذج تعليم مناسك الحج

قد كان النبي ﷺ يعلم الناس المناسك، ويوجب عن أسئلة الحجاج، فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يُسألُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى، فيقول: «لَا حَرَجَ» فسأله رجلٌ فقال: حَلَقْتُ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُذْبِحَ، قال: «أَذْبِحْ وَلَا حَرَجَ» وقال: رَمَيْتُ بَعْدَ مَا أَمْسَيْتُ، فقال: «لَا حَرَجَ»³.
وأورد الإمام البخاري حجة النبي ﷺ ضمن كتاب المغازي، ولعل مناسبة ذلك لموضوع المغازي أن هذه الحجة من آثار النجاح في الغزوات؛ خاصة بعد فتح مكة، وقد تضمنت هذه الحجة أبعاداً دعوياً تعليمية عظيمة، فقد تعلم المسلمون من خلالها منسك النبي ﷺ، ونقلوا ركن الإسلام الخامس للأمة.

قال ابن العطار مبرزاً بعض الفوائد المتعلقة بالبعد التعليمي في الحديث: "ومنها: التنبيه على التأسّي به ﷺ في جميع الحالات في المناسك وغيرها، ونقل ذلك وتبليغه، ومنها: التعلم بالرؤية للفعل من غير قول، والأخذ به من غير قول، وتبليغه"⁴.

وفي هذا الحديث من أحاديث الحج في تلك الحجة بيان لمنهج النبي ﷺ في التّعليم، وحرصه على تعليم المدعوين، وتفقيهم في دينهم بأيسر، وأفضل هدي، متحينا كل الفرص، والميادين.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (135/5)، برقم: 4216.

² - ينظر: أبو المعالي محمود شكري الألوسي، السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة، ت: مجيد الخليفة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1429 هـ، 2008 م، ص 683.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب إذا رمى بعد ما أمسى، أو حلق قبل أن يذبح، ناسيا أو جاهلا، (175/2)، برقم: 1735.

⁴ - علاء الدين ابن العطار، العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1427 هـ، 2006 م، (1062/2).

4. نموذج تشريع التيمم في الغزو

ومما تعلمه الصَّحابة رضي الله عنهم من العلم، والفقهاء علمهم إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبليغا وتطبيقا الرخصة الرخصة الشرعية، كرخصة التيمم عند فقد الماء التي نزلت في إحدى الغزوات، فقد روى البخاري البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أنها استعارت من أسماء قِلَادَةً فَهَلَكَتْ " فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَاسًا مِنْ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَذْرَكْتَهُمُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم شَكَّوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيْمُمِ.¹

فهذه النماذج التعليمية، وغيرها مما مر في الفصل الأول عند الحديث عن الأبعاد العقدية، والتشريعية في الغزوات تدل على مدى عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم، والتعليم في جميع مجالات الدعوة متى دعت الحاجة أو اتاحت له فرصة، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية، مما يستدعي منه أن يكون متزودا دائما بالزاد الكافي، والمكافئ لميدانه الدعوي الذي يتحرك فيه، فعلى الأقل أن يحصل الحد الأدنى من ثقافة الداعية، في مجال تخصصه الدعوي.

فقد بدا واضحا مما سبق أن العدة العلمية هي المعيار الأساسي الذي يعول عليه في اختيار قادة الدعوة، وقياس الجودة الدعوية، فتغيبها في المجالين يؤدي بالضرورة إلى مشكلات دعوية يصعب علاجها، وربما أدت إلى المرض، والوهن الدعوي، من أجل ذلك كان العلم منطلق كل الدعوات والحركات الإصلاحية.

الفرع الثاني: فقه الداعية لمقتضيات الدعوة ومتطلباتها

إضافة إلى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الغزوات عن كتب من خلال أقواله، وتصرفاته الدعوية أن الداعية يجب أن يظل متمتعا بالزاد والعدة العلمية الكافية، تمكنه من ممارسة الدعوة على المستوى القيادي، وعلى المستوى الميداني، فقد رفع من وعيهم الدعوي من خلال نقلهم إلى مستوى آخر من مستويات الفقه الدعوي.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب فضل عائشة، (29/5)، برقم: 3773، وقصة فقد العقد كان بعد قصة الإفك الذي كان سببه فقد العقد أيضا، وهذا ما حققه محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية في زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ، 1994م (231/3)، مستدلا بما رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "لما كان من أمر عقدي ما كان قال أهل الإفك ما قالوا فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أخرى فسقط أيضا عقدي..."، الطبراني، المعجم الكبير، (121/23)، برقم: 19113 .

ويتعلق الأمر بضرورة العلم بما يحيط بالدعوة من متعلقات ومقتضيات؛ بما يحقق استمراريتها، وقدرتها على التغلب على المشكلات، والتحديات الداخلية والخارجية.

كل ذلك قد مارسه رسول الله ﷺ في ميدان الغزوات، إعدادا وتعلّما وتدريباً للصحابة رضي الله عنهم؛ باعتبارهم ورثة الدعوة من بعده، كما تبرزه هذه العناصر:

أولاً: فقه ما يحيط بالدعوة من تحديات

أن مؤشرات يقظة الداعية أن يكون مدركاً لما يحيط بالدعوة من تحديات؛ حتى يتمكن من التصدي لها بمواقف وقرارات مناسبة، ولعل من ميادين السيرة النبوية التي برز فيها هذا البعد الدعوي بوضوح ميدان المغازي، ومن أهم تجلياته ما يلي:

1. إدراك مخططات العدو

قد جاءت روايات، وحوادث من واقع الفعل النبوي في الغزوات؛ تدل على أهمية معرفة الداعية لمخططات العدو، وكيد الخصوم، فهي من التحديات الخارجية للدعوة الإسلامية، التي كان يحسب لها حسابها، وتعد لها عدتها المكافئة لصدها.

فقد كان النبي ﷺ مستشرفاً للخطر المتوقع من يهود خيبر، بناء على المعطيات المتوفرة لديه حول الشخصية اليهودية المعادية لجميع النبوات فضلاً عن رسالة الإسلام، فكان لا مناص من غزوهم، للقضاء عليهم نهائياً في المدينة المنورة للتخلص من أقوى أعداء المسلمين في المنطقة الشمالية منها، بعد تطهيرها من إخوانهم من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة.¹

ومن العلم بمخططات الأعداء، العلم بقوة الأحزاب التي أحاطت بالمدينة، فتصدى لها بحفر الخندق الذي أشار به عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه، وعلمه بكيد الروم الذي جابهه بجيش العسرة بجيش العسرة الذي أعد لغزوة تبوك.²

ومما يؤكد الاهتمام بكيد الأعداء، ذلك التخوف من الغزو الرماني الذي ظل يراود المسلمين، ففيه في الصحيح عن عمر رضي الله عنه: "ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان، ذكر لنا أنه يريد أن يسير أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه."¹

¹ - ينظر: محمود شيت خطاب، الرسول القائد، دار الفكر، بيروت، ط7، 1422 هـ، ص293.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، (25/4)، وكتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، (2/6).

¹ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب، ﴿تَبَتَّغِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحریم: 01]، (156/6)، برقم: 4913.

فقول عمر رضي الله عنه يدل على مدى اهتمام المسلمين، وعنايتهم بمخططات العدو والحرص على تتبعها من أجل مجابتهما، والتصدي لها بما يكافئها من الاستعدادات المادية والمعنوية، ففي ضوء ما توفر من معطيات كافية حول العدو كان الاستعداد لغزوهم بتجهيز جيش العسرة العظيم.

قال السباعي: "وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء لتجهيز جيش العسرة، فجاءوا بأموال كثيرة؛ جاء جاء أبو بكر بماله كله، وجاء عمر بنصف ماله، وتصدق عثمان يومئذ بمال كثير، وجهاز ثلث الجيش، حتى دعا له"¹.

فالداعية ينبغي أن يكون حذرا من مخططات العدو التي تحاك في الظلام للقضاء على الدعوة قادة وأتباعا، مسخرين كل الإمكانيات والاستعدادات، وهذه سنة الله في خصوم الدعوة التي لن تتبدل ولن تتغير، وإن غفل أو تغافل عنها المسلمون في زمن الفتور و الوهن الدعوي، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة:14]. .

قال سيد قطب في إبراز استمرار كيد الأعداء لا سيما اليهود في تعليقه على الآية: "الفعلة الخائنة، والنية الخائنة، والكلمة الخائنة، والنظرة الخائنة.. يحملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة «خائنة»؛ لتبقى الخيانة وحدها مجردة، تملأ الجو، وتلقي ظلالها وحدها على القوم، فهذا هو جوهر جبلتهم، وهذا هو جوهر موقفهم، مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع الجماعة المسلمة"².

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم بما للعدو من عدة، وقوة حتى يتصدى له بالقوة والخطة المناسبة، في الوقت المناسبة، وهذا من علوم الدعوة الاستشرافية الضرورية التي يلزم الأمة أن تهتم بها وتطورها، وتحينها وفق المعطيات الحضارية المتسارعة خاصة في ظل التحولات التكنولوجية الراهن.

2. إدراك إمكانيات خصوم الدعوة

أن علم الداعية بإمكانات الخصم يمكنه من إعداد الخطة المناسبة للتصدي له، فإغفال هذا الجانب لعله من أسباب فشل الكثير من الدعاة في الدفاع عن قضايا الدعوة.

¹ - مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، ط3، 1405 هـ، 1985 م، ص104.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، (859/2).

والمتتبع لغزوات النبي ﷺ يدرك مدى اهتمامه بمعرفة إمكانات العدو، فقد كان يبعث الطلائع الاستكشافية لهذا الغرض، ومن فقه الإمام البخاري، فقد عقد إحدى تراجم كتاب الجهاد والسير والسير لهذا المقصد الدعوي العظيم، فقال: "باب: هل يبعث الطليعة وحده؟"¹، قال ابن حجر: "في الحديث جواز استعمال التجسس في الجهاد"².

والحديث الذي استنبطت منه الإمام البخاري الترجمة هو حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: نَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ قَالَ صَدَقَهُ أَظُنُّهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَأَنْ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ »³ ..

وتحديات أعداء الدعوة لا يمكن حصرها، فهي في تطور مستمر ومتجدد؛ لذا كان لزاما على الدعاة متابعة حركتها والتصدي لها؛ حماية للدعوة، وأتباعها وإنجازاتها، وقد تستدعي الضرورة الدعوية التخصص الدقيق في هذا الفرع من فروع الدعوة.

ثانيا: استيعاب الواقع الدعوي

من الأمور التي ينبغي مراعاتها لإنجاح العمل الدعوي، استيعاب الداعية لرسالته الدعوية، وعلمه بالمتطلبات والإمكانات الدعوية المتوفرة لديه، ومدى كفايتها لإنجاز العمل الدعوي المراد تحقيقه، في المواقف والميادين الدعوية المختلفة، وقد كان للاستيعاب الدعوي آثار ونتائج في حركة الغزوات التي يمكن بعد ذلك أن تسقط على الواقع الدعوي في كل العصور. وفيما يلي بيان بعض آثار ومظاهر الاستيعاب الدعوي في الغزوات:

1. التدرج في الفعل الدعوي تبعا للإمكانات

أن من سيمت الداعية الناجح مراعاة سنة التدرج في الفعل الدعوي، وإنجاز المشاريع الدعوية، ومن مظاهر التدرج البدء بإنجاز المشاريع الصغيرة المكافئة للإمكانات المتوفرة لدى الداعية بالتدرج، وهذا ما يلحظ في الجهاد النبوي؛ فالغزوات الأولى كانت حول المدينة، ولما توفرت الإمكانات أخذت في التوسع تدريجيا تبعا للإمكانات خارج المدينة، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا التوسع بعد غزوة الأحزاب.

¹ - ينظر: صحيح البخاري، (27/4).

² - ابن حجر، فتح الباري، (53/6).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: هل يبعث الطليعة وحده؟، (27/4)، برقم: 2847.

ففي الصحيح عن ابن صُرْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «نَغْزُوهُمْ، وَلَا يَغْزُونَنَا»¹.
فالحديث يشير إلى تغير خطة حركة المغازي من الدفاع إلى الهجوم، ودخول الدعوة طورا
جديدا.²

ولا يمكن للداعية أن يمارس الحركة التدريجية بالدعوة بما يحقق نجاحها، ويمنعها من التصادمات مع
التحديات الداخلية والخارجية إلا إذا كان مستوعبا لواقع الدعوة من الداخل والخارج.

2. العلم بإمكانات الأتباع واستثمارها

أن المتبع لغزوات النبي ﷺ يجده يستثمر قدرات، وإمكانات أتباعه، فيستعمل الرجل المناسب
المناسب في المكان المناسب، وهذا من شأنه أن ينمي القدرات الإبداعية لدى الأتباع.³

فلما كانت الراية في الغزوات تحتاج في حملها إلى قوة شخصية وشجاعة، فكان النبي ﷺ يكلف
يكلف بها الشجعان من الصحابة، فقد أعطى الراية يوم خيبر علي رضي الله عنه.⁴

حيث كان يراعي الملكة الدعوية في البعث الدعوية، والمهارات الدبلوماسية عند إرسال السفراء
السفراء والكتب للأمرء والملوك، فقد اختار عبد الله بن حذافة السهمي لحمل كتابه إلى كسرى،
كسرى، كما ذكر البخاري في الصحيح، فقد روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، " أن
أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ " فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ
الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَرَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنْ ابْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: «فَدَعَا
عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»⁵.

وهذه بعض مناقبه التي تدل على أهليته لمهمة السفارة، قال الذهبي في ترجمته: " أبو حذافة
السهمي أحد السابقين، هاجر إلى الحبشة ونفذه النبي ﷺ رسولا إلى كسرى، وله رواية يسيرة،

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (110/5)، برقم: 4110.

² - العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين، (238/1).

³ - ينظر: الطيب برغوث، حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الاجتماعية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1425هـ، 2004م،
ص140.

⁴ - انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (135/5)، وقد عقد المقرئ فيصل لحملة الرايات من
الصحابة الشجعان ذكر منهم: أبو بكر الصديق، سعد بن عباد، عمار بن ياسر، أسيد بن حضير، مصعب بن عمير،
الحباب بن المنذر، سعد بن معاذ، الزبير، سعد بن أبي وقاص، أبو نائلة، أبو لبابة بن المنذر، هلال بن أمية، المقرئ، إمتاع
الأسماء، (7/ 165-168).

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، (8/6)، برقم: 4424.

يسيرة، خرج إلى الشام مجاهدا فأسر على قيساريّة وحملوه إلى طاغيتهم فراوده، عن دينه فلم يفتتن¹.

فقد كان في النبي ﷺ الأسوة الحسنة لقادة الدّعوة في اكتشاف مواهب، واستعدادات الأتباع ثم توظيفها الأمثل في المواقف الدعويّة المناسبة بعد تنميتها، وترقيتها من خلال المتابعة، والتدريب وإتاحة فرص المشاركة والتجريب².

وأن إغفال هذا البعد بقصد أو بغير قصد يعود بلا شك على الفعل الدعوي، والفعاليّة الدعويّة بالسلب، وربما يعرضها للتلاشي والزوال، فكم من تجارب دعويّة وإصلاحية ماتت بموت قادتها.

ثالثا: فقه المضامين الدعويّة

أن أعظم ما يتزود به الدّاعيّة إلى الله عز وجل أن يكون على علم مستمد من كتاب الله تعالى، و السنة الصحيحة، والتجارب الإنسانيّة، فلطالما حذر الشارع من الدّعوة بغير تمكن علمي؛ لأنها خلاف دعوات الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108].

¹ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (3/346)، وقدر روى ابن عسكر قصة ثباته أمام فتنة ملك الروم، وها أنا أوردتها هنا لدلالاتها على أهليته الدبلوماسية النابعة من متانة تكوينه وتربيته الدعويّة، فقال: " وعن أبي رافع قال: وجه عمر بن الخطاب جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة، من أصحاب النبي ﷺ فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: أنّ هذا من أصحاب مُجَدِّ فقال له الطاغية: هل لك أن تنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ قال له عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع مملكة العرب على أنّ أرجع عن دين مُجَدِّ ﷺ طرفة عين ما فعلت، قال: إذا أقتلك قال: أنت وذاك، قال: فأمر فصلب، وقال للرملة: ارموه قريبا من يديه، قريبا من رجله، وهو يعرض عليه وهو يأبي، ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر، فصب فيها ماء حتى احترقت ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقى فيها، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبي، ثم أمر به أنّ يلقي فيها، فلما ذهب به بكى، فقبل له: إنه قد بكى، فظن أنه جزع فقال: ردوه، يعرض عليه النصرانية فأبي، قال: ما أبكاك إذا؟ قال: أبكايني أني قتلت فهي نفس واحدة تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب، فكنت أشتهي أنّ يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله، قال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ قال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؛ قال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله فأقبل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين، لا أبالي، فدنا منه فقبل رأسه، قال: فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر، فأخبر عمر بخبره، فقال: حق على كل مسلم أنّ يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبداً فقام عمر فقبل رأسه"، ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ت: رويّة النحاس، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط1، 1402 هـ، 1984 م، (12/106).

² - ينظر: الطيب برغوث، الفعاليّة الحضاريّة، والثقافية السننيّة، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1425 هـ، 2004 م، ص202.

فالدّاعية يدعو إلى الله تعالى على بصيرة من دينه، أي: على علم ويقين من غير شك فيما يدعو إليه.¹

ولما كانت الغزوات يغلب عليها المضمون الجهادي الدعوي، فالتأمل فيها يجدها ميدانا لتعليم أحكام الجهاد، عن طريق رسول الله ﷺ من خلال أفعاله وأقواله أو فيما ينزل عليه من القرآن من آيات تتضمن أحكام الجهاد.

ومما يدل على ضرورة العلم بالمضمون الدعوي الجهادي تذكير النبي ﷺ لقادة السرايا والبعوث بالمضامين الدعوية المتعلقة بالجهاد فقها وتنزيلا، ومن خلال كل هذا استطاع العلماء استنباط أحكام الجهاد.

وفيما يلي بعض النماذج لتلك الأحكام التي دلت عليها مرويات المغازي في الصحيح:

1. نموذج طاعة القائد

من المضامين الدعوية التي تضمنتها مرويات المغازي طاعة القادة في المغازي والسرايا والبعوث، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: « السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُمْرَ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ ».²

وهذا أصل من الأصول الدعوية العظيمة، له آثار، ومقاصد دعوية لا تحفى، قال عبد الكريم زيدان: " والمقصود من اتخاذ الأمير أو الرئيس للجمع القليل أو الكثير، جريان أمور المجتمعين على على نسق واحد، ولا يتحقق هذا المقصود إلا بطاعة الجماعة للرئيس عند اختلاف الآراء، وإلا لم يكن للإمرة معنى ولا فائدة"³.

غير أن كل الأتباع سواء كانوا مدعويين أو جنود في معركة، أو محكومين في ولاية سياسية ينبغي أن تكون طاعتهم على بصيرة، فلا تكون الطاعة ذريعة لمخالفة شرع الله الصريح.

فالطاعة الواعية محصورة بين طرفين، كما يلي:

2. نموذج إذن الوالدين في الجهاد

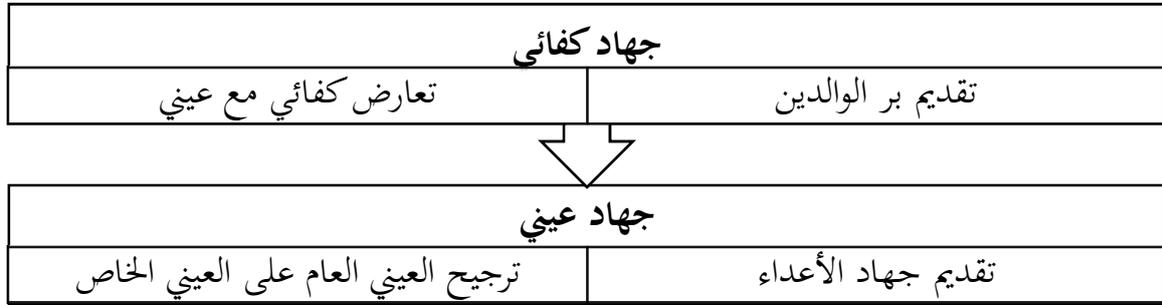
¹ - ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 406.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة للإمام، (49/4)، برقم: 2955.

³ - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص 465.

من المسائل التي تطرق في باب الجهاد؛ والتي استمدت من المغازي النبوية مسألة استئذان الوالدين الوالدين في الخروج إلى الغزو، ففي الصحيح من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، يقول: «يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحْيِي وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»¹.

قال ابن بطال في التعليق على الحديث: " وهذا إنما يكون في وقت قوة الإسلام، وغلبة أهله للعدو، وإذا كان الجهاد من فروض الكفاية، فأما إذا قوى أهل الشرك وضعف المسلمون، فالجهاد فالجهاد متعين على كل نفس، ولا يجوز التخلف عنه وإن منع منه الأبوان"² وفي هذه الجزئية بيان لأهمية فقه الأوليات في العمل الدعوي، وضرورة معرفة مراتب الأعمال، وإدارتها عند تزامنها بحكمة، وبعده نظر؛ بما يحقق المقاصد الشمولية للدعوة.



3. نموذج النهي عن قتل النساء والصبيان في الحرب.

من أحكام الحرب في الإسلام التي تدل على طبيعتها الأخلاقية، تحريم قتل غير المحاربين، ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، «فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»³.

وهذا مضمون دعوي اتصالي دقيق، فمن الأولويات الدعوية تحديد الفئة المستهدفة بالدعوة، ومعرفة طبيعتها والطريقة والأسلوب المناسب لها، فحتى لو كان المقام مقام معركة إلا أنه ينسحب على كل الميادين والمواقف الدعوية.

فلما وجه النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن علمه طرائق الدعوة ومنهجها إذ عرفه أولاً عرفه أولاً بالمدعوين الذين سيدعوهم، وبين له بعد ذلك مراتب الدعوة، وأولوياتها¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، (59/4)، برقم: 3004.

² - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (191/9).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، (61/4)، برقم: 3015.

4. نموذج النهي عن التعذيب بالنار

ومما يتعلق بالجهاد من أحكام، تحريم تعذيب العدو بالنار، وهو حكم يعبر عن خاصية الرحمة في
في الدعوة الإسلامية، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: بَعَثْنَا
بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: «أَنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَخْرِفُوهُمَا بِالنَّارِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ حِينَ

¹ - ينظر: عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة، العدد 128، 1425هـ، ص 345.

أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: «أني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وأن النار لا يُعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فأقتلوهما»¹.

ذكر ابن حجر أن التحريق بالنار منسوخ، فأعلم النبي ﷺ أصحابه بالحكم المحكم قبل تنفيذ الحرق، فقال: "وأما حديث الباب فظاهر النهي فيه التحريم وهو نسخ لأمره المتقدم سواء كان بوحى إليه أو باجتهاد منه"².

ويؤخذ من ذلك أن الدّاعيّة في أي ميدان من ميادين الفعل الدعوي مطالب بالتثبيت والتحري وبذل الوسع في إدراك الحكم قبل تنزيله.

هذه بعض الأحكام المتعلقة بالجهاد، التي علمها النبي ﷺ لصحابته وطبقها في غزواته، لنستفيد منها أن الدّاعيّة لا يقتحم مجالاً من مجالات الدّعوة إلا بعد الإحاطة، والتمكن من الأحكام الشرعيّة المتعلقة به.

رابعاً: فقه الواقع والاستفادة منه

أن الدّاعيّة لا ينجح في دعوته إلا إذا علم الواقع والمحيط الذي يتحرك فيه، حتى يتمكن من مسانيرة ما يطرأ على محيط الدّعوة من مستجدات، والتصدي لما يعترضها من تحديات، وهذا الواقع له مجالات متعددة، فقد يكون واقع جغرافي، واقع سياسي، واقع عسكري، واقع حضاري...

وقد استطاع النبي ﷺ أن يستفيد من الواقع خدمة للدّعوة في ميدان الغزوات كما تبرزه مروياتها في الصحيح.

فمن تلك الاستفادة الواقعيّة ما يلي:

1. الاستفادة من الواقع السياسي

من صور الاستفادة من الواقع السياسي استثمار صلح الحديبيّة، ف" بعدما أتم المسلمون صلح الحديبيّة أخذت الحركة بالدّعوة صوراً كثيرة، ونشطت في أماكن متعددة، واستفادت بكل الوقائع الوقائع المتاحة"³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، (61/4)، برقم: 2853، قد ذكرت بعض أحكام الجهاد من خلال كتاب الجهاد والسير للتمثيل، للاستزادة انظر: كتاب الجهاد والسير من الجامع الصحيح، (4/ 14-77)، وقد تضمن ما يقارب مئتي باب، وكل باب تضمن حكماً من أحكام الجهاد.

² - ابن حجر، فتح الباري، (6/150).

³ - أحمد غلوش، السيرة النبويّة والدّعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1424هـ، 2004م، ص567.

فمن الإنجازات الدعوية التي تحققت باستغلال هذا الواقع السياسي الاستراتيجي، نشر الدعوة عن طريق مكاتبه الملوك، وأما الجانب العسكري فكان أنهم ما قام به غزوة خيبر لتطهير المدينة من خطر اليهود.¹

ومن الإنجازات التي تحققت كما تدل عليها تراجم البخاري في كتاب المغازي، أداء العمرة في العام الموالي وهي عمرة القضاء.²

فهي تمهيد وإرهاص للحج الأكبر بعد ذلك، ورسالة إعلامية دعوية قوية لأهل مكة تحمل دلالات نجاح الدعوة النبوية التي استطاعت أن تتحرك بالأتباع المعتمرين من المدينة إلى مكة رغم التحديات والمخاطر.

2. الاستفادة من الواقع الحضاري المادي

أن الداعية الناجح يستفيد من منتجات الحضارة ويحسن استغلالها في العمل الدعوي والمتبع للغزوات النبوية وما يحيط بها يجد النبي ﷺ يستثمر ويوظف منتجات الحضارة الإنسانية التي لا تتعارض مع الشرع في العمل الدعوي، ومن أمثلة ذلك:

أ. الاستفادة من حفر الخندق

استعمال الخنادق للدفاع عن المدن من خطة فارسية، أشار بها سلمان الفارسي في المنطقة الشمالية من المدينة ليربط بين طريقي حرة واقم وحره الوبرة³، ولم يعترض أحد على خطة الدفاع عن المدينة.

والخندق يشكل حاجزا يمنع الالتحام المباشر بين الغزاة والمسلمين، ويمنع اقتحام المدينة، ويوفر للمسلمين موقعا دفاعيا جيدا، فيكبدون الغزاة الخسائر برشقهم بالسهام من خلفهم.

وفي هذا أكبر دليل على أن الحكمة هي ضالة المؤمن، وأن الدعوة الإسلامية لا تمنع الاستفادة من الحضارات الإنسانية إذا لم يكن هناك مانع شرعي⁴.

¹ - ينظر: خطاب، الرسول القائد، ص 197، المباركفوري، الرجيق المختوم، دار الهلال، بيروت، ط 1 ص 319.

² - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، (71/5).

³ - ينظر: العيني، عمدة القاري، (43/24).

⁴ - ينظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (420/2).

ب. الاستفادة من استعمال الختم في الرسائل

ومن الاستفادة الحضارية الاستفادة من الروم في ختم الرسائل، فعن أنس رضي الله عنه، قال: لما أراد قال: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم، قيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا أن يكون محتوما، فاتخذ خاتما من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه مُخَد رسول الله.¹

وهذا الحديث يؤصل للمرونة في الإفادة من الوسائل والرسوم المعاصرة ما دامت لا تتعارض مع أحكام الشريعة وروحها العامة، لا سيما إن كانت تحقق أبعادا دعوية².

وختمه ﷺ في حد ذاته رسالة دعوية تتضمن مضمون دعوي عظيم، لما فيه من التنبيه على إثبات نبوة النبي ﷺ، وبشريته، عن طريق وسيلة دعوية مكتوبة ومرسلة عبر البريد المحمول.

3. الاستفادة من الواقع الاقتصادي

أن من أهم قضايا الدعوة قضية التمويل الدعوي، فكثير من المشاريع الدعوية تفشل بسبب نقص التمويل، وعدم كفايته، وتذبذب استمراريته؛ لذا كان الاهتمام بالاقتصاد من أهم قضايا الدعوة، وقد أفرزت المغازي واقعا اقتصاديا استفاد منه النبي ﷺ في خدمة الدعوة.

فمن مظاهر الاستفادة من الواقع الاقتصادي المرتبط بالمغازي، الاستفادة من اليد العاملة المختصة قصد تحقيق مردود أفضل، وإنتاج أوفر؛ ولأجل هذا المقصد أبقى النبي ﷺ يهود خيبر على خدمة الأرض عن طريق المزارعة والمساقاة.

وقد حصلت آثار ظاهرة لهذا الاستثمار في اليد العاملة اليهودية التي يشهد لها الواقع التاريخ بالتفوق الاقتصادي، فقد درت خيبر بفضل الاستفادة من هذا الواقع الاقتصادي خيرات كثير على أتباع الدعوة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: « مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ »³.

والاستفادة الدعوية المثلى من الواقع الاقتصادي ينبغي أن تُولى العناية الكافية، حتى تضمن الدعوة موارد مالية ثابتة، ومستدامة يعول عليها في إدارة شؤونها المختلفة، وهذا يتطلب بلا شك

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتلون عليه، (45/4)، برقم: 2938.

² - ينظر: أكرم ضياء، العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (459/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (140/5)، برقم: 4243.

شك تخصصاً علمياً، أشبه ما يكون بعلم اقتصاد الدعوة، فلا يمكن للدعوة الطامحة للشهود أن تبقى عالية على نفقات المحسنين، - وإن كانت مجدية-؛ لأنها لا تصنع الموارد الدعوية المستدامة. ومن الآليات التمويلية المستدامة المبكرة ذات الصلة بالمغازي آية الوقف، فقد بدأت مبكراً عند صحابة رسول الله ﷺ، وإقراره، رغبة منهم في الأجر وعموم النفع، واستمرت بعد ذلك. فقد جاء في صحيح البخاري أن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصَبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ مِنْهُ؟ قَالَ: «أَنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»¹.

فالوقف من محاسن الشريعة الإسلامية الغراء، التي اختصت به دون سائر الأنظمة الوضعية حيث حيث أثبت الواقع التاريخي أنه أنجح وسيلة لاستمرار المؤسسات الدعوية في أداء وظيفتها ورسالتها².

ومع تطور وسائل الدعوة في الوقت الراهن، وزيادة متطلباتها، فهي بأمر الحاجة إلى مؤسسات وقيية تضمن لها التمويل المستمر والمستدام.

4. الاستفادة من الواقع الثقافي

لم يهمل النبي ﷺ الواقع الثقافي لتلك الحقبة الزمنية، ولعل من أبرز مظاهر عنايته بهذا المجال استفادته من الشعر، فقد كان للشعر حضور في الغزوات كوسيلة فنية ترويجية، أو كوسيلة إعلامية دفاعية، أو غير ذلك من الأبعاد.

فمما قيل في الغزو من الحداء قول عامر بن الأكوع في الطريق إلى خيبر:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتفينا ... وثبت الأقدام أن لاقينا

وألقين سكينه علين ... إنا إذا صيح بنا أتينا³

قال ابن الملقن: "وكذلك ارتجز هذا الرجز؛ ليذكرهم ما يعملون ولمن يعملون ذلك، ويعرفهم أن أن الأمر أعظم خطراً من ابتداهم وتعبهم"⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (143/8)، معلقاً، ووصله في كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، (198/3)، برقم: 2737.

² - ينظر: شحاتة محمد صقر، شريعة الله لا شريعة البشر، (د.ط)، (د.ت)، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، ص186.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، (34/8)، برقم: 6148.

⁴ - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (237/18)

فهذه الأبيات جمعت بين البعد الترويجي والبعد الموضوعي، وهكذا ينبغي للداعية أن يستفيد حتى من الترويح والفن لخدمة رسالته الدعوية، فالداعية المبدع من يصنع من المواقف البسيطة الإنجازات العظيمة، تماما كالنحلة التي تصنع من الرحيق البسيط العسل المصفى الذي فيه شفاء للناس.

فالشعر الترويجي من الوسائل الدعوية التي ينبغي أن تستثمر في خدمة الدعوة، بإيجاد شعراء دعاة يختصون في هذا النوع من أدب الدعوة؛ بحيث يجمعون بين التخصص الدعوي والأدبي، فالدعوة بحاجة إلى التكامل المعرفي مع جميع العلوم التي تتقاطع معها.

ولم يكن الشعر الترويجي هو الغرض الوحيد في مجال الغزوات، فإلى جنبه وجدت أغراض أخرى ذات بعد دفاعي كغرض الهجاء الذي يوظف كوسيلة إعلامية لهجاء المشركين، فكان الهجاء من أغراض الشعر التي كانت تستخدم للدفاع عن الدعوة في الغزوات.

فكان لرسول الله ﷺ شعراء يدافعون عنه بشعرهم ويهجون كفار قريش، وأشهرهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، فعن البراء بن عبيد، أن النبي ﷺ قال لحسان بن حسان بن ثابت: «اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»¹.

وقد كلف النبي ﷺ حسان بهذا الغرض الشعري لبروزه فيه، وتمكنه منه؛ جريا على المنهج الدعوي النبوي في الاستفادة المثلى من إمكانات الأتباع².

قال أبو عبيدة: "كان المخبل القريني أهجى العرب... ثم كان بعده حسان بن ثابت رضي الله عنه ثم الحطيئة، والفرزدق، وجريز، والأخطل، هؤلاء الستة، الغاية في الهجاء، وفي غيره. لم يكن في يكن في الجاهلية، ولا في الإسلام، لهم نظير"³.

فقد ظل الشعر بأغراضه المختلفة مصاحبا لغزوات النبي ﷺ فمن شعر حسان في غزوة بني النضير ما جاء في صحيح البخاري ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «أَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَطَعَ»، وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ، وَهَذَا يَقُولُ حَسَّانُ:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، (36/8)، برقم: 6153، ينظر: المقرئ، إمتاع الأسماع، (42/10).

² - ينظر: أحمد عيساوي، دراسات في تاريخ الدعوة والدعاة، ص50.

³ - أبو عبيدة معمر بن المثنى، شرح نقائض جريز والفرزدق، ت: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1998م، (1121/3).

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ¹.

قال ابن حجر في تعليقه على قول حسان رضي الله عنه: "وقوله سراة بفتح المهملة وتخفيف الراء جمع سري الراء جمع سري وهو الرئيس، وقوله حريق بالبويرة مستطير أي مشتعل وإنما قال حسان ذلك تعبيراً تعبيراً لقريش لأنهم كانوا أغروهم بنقض العهد، وأمروهم به، ووعدوهم أن ينصروهم أن قصدهم قصدهم النبي ﷺ"²

ففي الحديث هجاء واضح لقريش وفي نفس الوقت كشف وفضح للتأمر القرشي اليهودي ضد الدعوة الإسلامية.

مما سبق يتبين بوضوح أهمية العدة العلمية الكافية، والملائمة للمجال والميدان الدعوي، فلم يكن للميدان الدعوي الجهادي أن يحقق ما حقق من الإنجازات الباهرة على مستوى المغازي أفقياً وعمودياً لولا الروح العلمية التي سادت الفعل الدعوي فيها في كل مراحلها وجزئياتها وتفصيلها.

فقد كان النبي ﷺ يرسخ من خلال أقواله، وتصرفاته أثناء الغزو أن الداعية لا يمكن له أن يستغني عن العلم طرفة عين، وفي الوقت نفسه يدرهم على التنزيل الصحيح للفقهاء الدعوي على الواقع الدعوي؛ حتى يصطبغ سلوك الدعاة من أتباعه وقادته بالطابع العلمي المستمد من أصول الدعوة الأصيلة.

ورغم أهمية العدة العلمية الدعوية المتخصصة في جودة السلوك الدعوي إلا أنها تبقى محتاجة إلى عدة أخرى وهي العدة الأخلاقية والقيادة التي سأحدث عنها في العنصر الموالي.

المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية الأخلاقية والقيادية المتعلقة بالداعية

أن الداعية كما يحتاج إلى عدة علمية دعوية متينة يحتاج أيضاً إلى مواصفات أخلاقية، ومهارات قيادية، فالريادة والجودة الدعوية، لن تتحقق إلا بتمتع الداعية بشخصية دعوية قوية تركز على

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قطع الشجر والنخل، (104/3)، برقم: 2326، سراة بني لؤي: أشرف قريش، حيث كانوا وعدوا بني النضير المساعدة والنصرة فلما وقع بيني النضير ما وقع خذلتهم قريش فقال حسناً هذه الأبيات تويخا لهم، البويرة: مكان بمنطقة بني النضير، مستطير: منتشر، ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري، (176/4)، موسى شاهين، فتح المنعم بشرح مسلم، (108/7).

² - ابن حجر، فتح الباري، (333/7).

مواصفات، تمكنه من ممارسة الفعل الدعوي، الذي يمكنه من نقل الرسالة الدعوية بفاعلية إلى المدعو.

ولما كانت الغزوات من الميادين الدعوية التي مارس فيها النبي ﷺ الفعل الدعوي بلا شك، وتمثل خلالها أخلاق، وصفات الداعية النموذجي؛ تبليغا، وتطبيقا، وتربية، وتدريباً، وإعداداً لدعاة المستقبل؛ فإني أحاول في هذا المطلب إبراز أهم تلك الصفات النبوية التي تعد العدة الأخلاقية والقيادية للدعاة من بعده، من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: الأبعاد الدعوية الأخلاقية الذاتية المتعلقة بالداعية

وسأبدأ الحديث عن الأبعاد الدعوية الأخلاقية للداعية بالصفات الذاتية؛ حيث تعتبر أسس الصفات التي تصوغ الشخصية الدعوية الكاملة؛ المؤثرة في استجابة المدعويين. وسوف أركز أهم صفات الكمال الذاتي في الشخصية النبوية التي برزت في ميدان الغزوات؛ وفق العناصر التالية:

أولاً: الأبعاد الدعوية لخلق الصدق

فهذه أول الصفات الذاتية التي سيتم التعريف بها وبيان فضلها وحضورها في شخصية الداعية الأولى ﷺ في ميدان الغزوات.

1. مفهوم الصدق وفضله

قبل التطرق لصفة الصدق كصفة ذاتية في شخصية الداعية، أمهد بالتعريف لها من خلال اللغة والاصطلاح وبيان فضلها ومكانتها في الكتاب والسنة.

أ. تعريف الصدق

الصدق في اللغة أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، وهو خلاف الكذب، والصديق: الملازم للصدق ومنه صداق المرأة، سمي بذلك لقوته وأنه حق يلزم.¹

وفي الاصطلاح: فقد عرف بعدة تعريفات متقاربة، فقد عرفه السيوطي بقوله: "الصدق: تحري الصواب في القول والعمل"²، ويستفاد من التعريف أن الداعية ينبغي أن يتحرى الصدق في قوله، وفعله، أي في جميع سلوكه الظاهر حيث لا يخرج عن مجال القول والفعل.

¹ - ينظر: الجوهري، الصحاح، (4/1505)، ابن فارس، مقاييس اللغة، (3/339)

² - السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، (1/26).

وعرفه البركتي بقوله: " الصّدق: نقيض الكذب: وهو مطابقة الحكم للواقع، والفرق بين الصواب والصدق والصدق والحق: أن الصواب: هو الأمر الثابت في نفس الأمر الذي لا يسوغ إنكاره، والصدق: هو الذي يكون في الذهن مطابقاً لما في الخارج، والحق: هو الذي يكون ما في الخارج مطابقاً لما في الذهن، والصدق في الإخلاص: هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة".¹

وهذا التعريف فيه شيء من التفصيل، حيث ذكر ألفاظ ذات صلة بالصدق، كما أضاف مجالا ثالثا للصدق، وهو صدق القلب.

فقد عرفه ابن القيم في مدارج السالكين بقوله: " الصدق: اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولا ووجودا، الصدق: هو حصول الشيء وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه"².

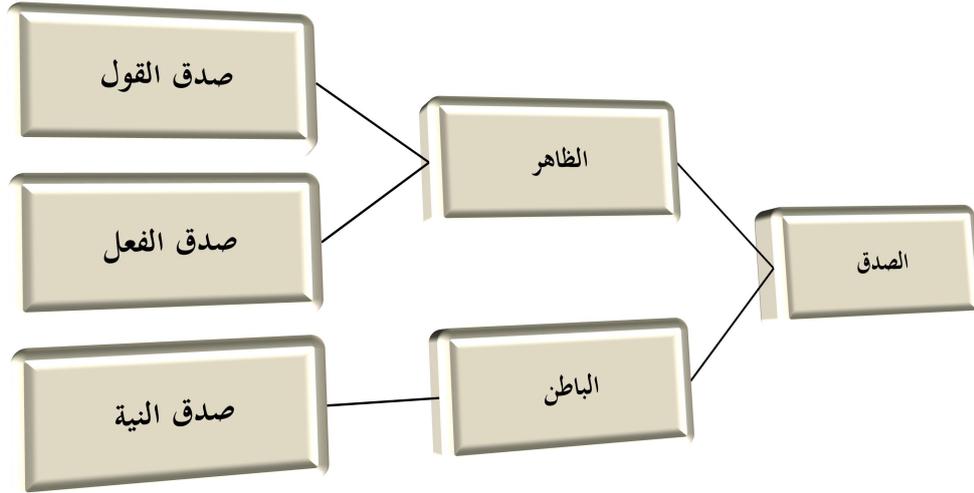
وعرفه ناصر السعدي قائلاً: " الصدق، هو: استواء الظاهر والباطن في الاستقامة على الصراط المستقيم، والكذب بخلاف ذلك"³.

والتعريف الأخير هو المناسب للصفات الذاتية للداعية الأمّوزج؛ إذ الدّاعية الصادق هو الذي اقتنع برسالته، ففقهها، وامتثلها، ودعا إليها، فلا انفصام عنده بين ما يدعو إليه وما يطبقه، بل يكون فعله يسبق قوله، وهو شان أصدق الدعاة ﷺ.

¹ - ينظر: أبو الوليد سليمانّ الباجي، الحدود في الأصول، ت: مُجّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ط1، 1424 هـ، 2003 م، ص116، البركتي، التعريفات الفقهيّة، ص127.

² - ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ت: مُجّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت ط3، 1416 هـ، 1996 م، (267/2).

³ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص943.



ب. فضل الصدق

لفضل الصدق وأهميته وردت في الحث عليه، ومدح أهله نصوص كثيرة، من ذلك مدح الله تعالى للصادقين والصادقات، قال تعالى: ﴿أَنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْفَنَاتِ وَالْفَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَمِيزِينَ وَالْحَمِيزَاتِ وَالذَّكِرِينَ وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْرَبَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35]

قال سيد قطب في بيان دلالة الآية على فضيلة الصدق، وأثره في بناء الشخصية الدعوية، وهذه الصفات الكثيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة¹.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 120]، قال ابن عاشور: "والأمر بـ "كونوا مع الصادقين"، أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: اصدقوا، ونظيره واركعوا مع الراكعين"².

والآيات في فضل الصدق، والأمر به كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، وفي هاتين الآيتين كفاية للدلالة على المراد.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (5/ 2862).

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (54/11).

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة تحث على الصدق وتنفر من نقيضه الكذب، فقد دلت السنة على أن الكذب ليس من صفات المؤمنين، وهو من علامات المنافقين، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِنَ خَانَ»¹، فإخبار النبي ﷺ أن الكذب من صفات المنافقين من شأنه أن ينفر منه المؤمنين، فالنفس المؤمنة تنفر من النفاق وأهله وصفاتهم².

ومع التنفير من الكذب، فقد جاءت أحاديث ترغب في الصدق، فعن عبد الله ﷺ، عن عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَأَنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَأَنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَأَنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»³.

وأولى الناس بتحري الصدق، والالتزام به والبعد عن الكذب الدعاة، فهو شعار الأنبياء عليهم السلام، وورثتهم من العلماء والصالحين.

2. المجالات الدعوية للصدق

وبعد هذه التوطئة أنتقل إلى مجالات الصدق في حياة الداعية وسلوكه من خلال النموذج النبوي في ميدان الغزوات.

أ. المجال القلبي للصدق

ويظهر هذا المجال من مجالات الصدق جليا في المغازي والجهاد، وكان أعظم الناس تحقيقا لهذا المقام رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد وردت مرويات في المغازي تؤكد حضور هذا المجال فيها، فعن أبي موسى ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلدَّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ كَلِمَةِ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا⁴ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، (16/1)، برقم: 33.

² - ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (583/6).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ائْتَفُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 120] وما ينهى عن الكذب، (25/8)، برقم: 6094.

⁴ - قال ابن حجر: "قال ابن أبي جمرة ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما انضاف إليه، ويدل على أنّ دخول غير الإعلاء ضمنا لا يقدح في الإعلاء إذا كان الإعلاء هو الباعث الأصلي"، ابن حجر، فتح الباري، (29/6).

فالمجاهد الصادق " إنما يقاتل في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولتمكين منهجه من تصريف الحياة، ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج، وعدله المطلق بين الناس مع ترك كل فرد حراً حراً في اختيار العقيدة التي يقتنع بها في ظل هذا المنهج الرباني الإنساني الإسلامي العام"².

ب. المجال القولي للصدق

إذا كان الصدق من أعظم الصفات التي ترفع قدر الإنسان العادي وأن الكذب يحطه، فإن الداعية أولى الناس بالتزام الصدق والبعد عن الكذب، فمن أجل ذلك حرص عليه النبي ﷺ حتى حتى أصبح هيئة راسخة فيه شهد بها الأعداء، ويدل على ذلك شهادة أبي سفيان قبل إسلامه على صدقه حين سأله هرقل: "هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله"³.

قال الصالحى عقب القصة: " فهذه شهادة خصوم: بعضهم أسلم بعد خصومة شديدة وبعضهم وبعضهم مات على كفره ولكن الجميع حتى في أشد حالات الخصومة كانوا مؤمنين أن محمداً ﷺ صادق"⁴.

ومن صور الصدق الرائعة صدق كعب ابن مالك ومصارحته للنبي ﷺ بسبب تخلفه وعصمه الله الله من الكذب الذي وقع فيه المنافقون، ففي الصحيح أنه قال: " فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا"⁵. فصدق كعب ﷺ ما هو إلا أثر من آثار صدق الصادق المصدوق الذي اصطبغ منهجه الدعوي بصبغة الصدق، وهي صبغة رسالات الله عبر تاريخ الدعوة الطويل التي لن تجد لها تبديلاً.

ج. المجال العملي للصدق

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (20/4)، برقم: 2810.

² - منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، جامعة أم القرى، مكة، ط3، 1413هـ، 1992 م، ص 395.

³ - ينظر الحديث بطوله: البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، (45/4)، برقم: 2941.

⁴ - الصالحى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (12/1).

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة: 119]، (71/6)، برقم: 4678.

وصدق العمل هو بذل الجهد فيه، بتلقي أوامر الله بالعزم و الجد، قال تعالى: ﴿يَيِّحِي خُذِ
الْكِتَابَ بِفَوْقٍ﴾ [مريم: 12]¹.

وهذا المجال من الصدق ظاهر في الغزوات، فلم تمنع النبي ﷺ حالة الحرب والقتال، من الصدق
في العمل والاجتهاد فيه كإقامة الشعائر، والاجتهاد في قتال العدو نصره لدين الله، فمن أمثلة ذلك
صدق أنس بن النضر في القتال يوم أحد.

فَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ، فَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، لَعِنَ
أَشْهَدِنِي اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرِيَنَّ اللَّهُ مَا أُجِدُّ، فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَهَزَمَ النَّاسُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنِي أَعْتَدِرُ
أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ» فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ
بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، أَنِي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى فُقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفْتُهُ
عَرَفْتُهُ أُحْتَهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِنَانِهِ، وَبِهِ بَضْعٌ وَتَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ².

يقول أبو الحسن الندوي في التعليق على القصة مبينا أثر الصدق على الدعوة: "ولقد بعث
الإيمان بالآخرة في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة وحنينا غريبا إلى الجنة واستهانة نادرة
بالحياة، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كان هم يرونها رأي عين، فطاروا إليها طيران حمام
حمام الزاجل لا يلوي على شيء."³

فلولا رسوخ مقام الصدق في قلوبهم لما أقدموا على الموت في سبيل الله ومسارة للقائه،
فكانجهادهم واستشهادهم في الغزوات آية على الصدق العملي الذي شهد له الله تعالى في كتابه
الكريم وأنعم بها من شهادة، فقال سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَبِمَنَّهُمْ
مَسَّ قَضِي نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

وهي الآية التي ترجم بها الإمام البخاري على حديث استشهاد سعد بن معاذ في غزوة أحد،
إشارة إلى أثر قيمة الصدق وفعاليتها الدعوية المستمرة، فقد جمع بين غزوتي أحد والأحزاب من
خلال الحديث والترجمة تأكيدا على الاستمرارية.

ثانيا: الأبعاد الدعوية لخلق الأمانة

¹ - ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (468/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (95/5)، برقم: 4048.

³ - علي بن عبد الحي، أبو الحسن، الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ص90.

لا تقل صفة الأمانة أهميّة عن صفة الصدق في بناء الشخصية الذاتيّة للداعيّة، فغالبا ما تذكر بعدها عند تعداد المناقب؛ لذا رأيت من المناسبة أن أتحدث عنها بهذا الترتيب، متناولا مفهومها ومجالاتها الدعويّة في المغازي من خلال شخصيّة الأمين ﷺ، كالتالي:

1. مفهوم الأمانة

سأركز بإيجاز على بيان تعريف الأمانة في اللغة، والاصطلاح، والتعرض شيء من فضلها من خلال الكتاب والسنة.

أ. تعريف الأمانة.

الأمانة في اللغة من (أمن) التي تدل على أصلين: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والرجل الأمين من حافظ على عهده وصان ما أوّتمن عليه، عكسه الخائن ونقول استودعته مالا فأمن عليه رجل أمين السر بمعنى يوثق به.¹

وأما الأمانة في الاصطلاح؛ فقد عرفت بعدة تعريفات، تدل في مجملها أن الأمانة خلق ثابت في في النفس يمنع الإنسان عن أخذ ما ليس له به حق، وأن توفرت له ظروف الخيانة دون أن يكون يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس.²

فالأمانة إذا عامة لا تختص بالأموال المادية فحسب بل تتعدى إلى غيرها، وقد تشمل البر والفاجر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 57].

قال ابن كثير: " وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله، عز وجل، على على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله، عز وجل، بأدائها."³

ب. فضل الأمانة وأهميتها

قد جاءت في فضل الأمانة والتأكيد على أهميتها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، فمما ورد في في القرآن بشأنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، فقد روى الطبري عن سعيد بن جبیر، قال: " الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد"⁴

بهذا المعنى الذي ذكره الطبري تحدد مصير العبد، فمن أقام ما افترضه الله عليه نجا وأفلح، ومن قصر وفرط خاب وخسر، ولا ريب أن الدعوة إلى الله والسعي لإعلاء كلمته بالجهاد واللسان من الفرائض والأمانات.

¹ - ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (133/1)، معجم اللغة العربية المعاصرة، (122/1).

² - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (40/13).

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (338/2).

⁴ - الطبري، جامع البيان، (197/19).

لذا جاء التحذير من تضييعها صريحا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]، وقد استوعب الدعوة والمصلحون عبر تاريخ الدعوة أهميّة الأمانة وخطورة تضييعها من خلال هذه الآيات وما في معناها من الأحاديث.

فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ الْأَمَانَةَ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»¹.

فقد أشار الحديث إلى أهميّة الأمانة في حفظ كيان الأمة من الانهيار، فإذا ضيعت يتمكن من ليس أهلا للمسؤوليّة من الخونة وقليلي الخبرة ضاعت مصالح الناس، وانتشرت الفوضى، وعم الظلم، وتفشّت العداوة والبغضاء، فيؤدي ذلك إلى القضاء على الأمة².

2. المجالات الدعويّة للأمانة

عند تتبع الغزوات نجده ﷺ يحرص على أداء الأمانات في جميع المجالات؛ وهذا مظهر ومؤشر قوي على القوة القياديّة الدعويّة النبويّة³. وسوف أتطرق إلى بعضها على النحو التالي:

أ. المجال التعبدي للأمانة

أن النبي ﷺ وهو في غزواته لا يفرط في أداء الفرائض، ولعل من أبرز ما يدل على ذلك حرصه حرصه على أداء الصلاة في وقتها جماعة، فقد تأسف حين شغله الأحزاب عن أداء صلاة العصر، العصر، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخُنْدَقِ: «مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، (88/8)، برقم: 6496.

² - ينظر: حمزة: محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، مكتبة دار البيان، دمشق، 1410 هـ، 1990 م، (156/1).

³ - ينظر: الطيب برغوث، قواعد المنهج في الحركة الحضاريّة ليوסף عليه السلام، دار قانة، الجزائر، ط1، 2008م، ص132.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، (110/5)، برقم: 4111.

وفي هذا درس دعوي فعلى الداعية أن يحرص على أداء الفرائض ويدعو غيره إلى ذلك مهما كانت الظروف فالصلاة لا تسقط بأي حال، ومما يؤسف له تفریط وتقصير بعض الدعاة في الصلاة، وغيرها من الشعائر، والأدهى ربما يفعل ذلك بحجة أنه مشغول بالدعوة!

ب. المجال الحقوقي للأمانة

وأما أمانة أداء حقوق العباد؛ فقد اتخذت صوراً كثيرة ومتنوعة، فمنها العامة والخاصة والمادية والمعنوية، لذا سأقتصر على نماذج منها وقفت عليها من خلال تتبع غزواته ﷺ، فمن ذلك:

■ الحرص على شؤون الرعية:

أن مظاهر حرصه على شؤون الرعية كثيرة، وما يلفت النظر حرصه ﷺ على شؤون المخلفين من النساء، والأطفال، وأهل الأعدار، فقد كان يستخلف نائبا عنه يقوم على شؤون هؤلاء، ففي كل مرة يخلفه أحد من الصحابة، ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون ممي بمنزلة هارون⁽¹⁾، من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»².

قال الكرمانى: "ضرب المثل باستخلاف موسى وهارون على بني إسرائيل حين خرج إلى الطور، ولم يرد به الخلافة بعد الموت؛ لان هارون مات قبل موسى، وإنما كان خليفته في حياته في وقت خاص"³.

وقد ذكرت كتب المغازي والسير جمع من الصحابة استخلفهم النبي ﷺ، منهم سعد بن عبادة، وزيد بن حارثة وسباع بن عرفطة الغفاري، ابن أم مكتوم، وبشير بن عبد المنذر، وأبا ذر الغفاري وعثمان ابن عفان، سعد بن معاذ، وغيرهم.

ولا تخفى حكمة وجود الأمير في سياسة دنيا الناس، وإقامة شعائر الله وأعظمها إقامة الصلاة، ورفع شعيرة الأذان.

¹ - فقد استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام لما ذهب لميقات ربه سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، (3/6)، رقم: 4416.

³ - الكرمانى، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، ت: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 1433 هـ، 2012 م، (436/6).

■ أداء الأمانات المادية

من المواقف التي تدل على اتصاف النبي ﷺ بالأمانة، وتربية أتباعه عليها، رده لمفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مُردفاً أسامة بن زيد، ومعه بلال، ومعه عثمان بن طلحة من الحجة، حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت ففتح، ودخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة، وبلال، وعثمان، فمكث فيها نهاراً طويلاً، ثم خرج»¹.

ولم يرد في الرواية رد المفتاح غير أنه ورد في روايات أخرى، ففي رواية عبد الرزاق بسنده قال: دَعَا قَالَ: دَعَا النَّبِيَّ ﷺ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ بِمِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ، فَأَقْبَلَ بِهِ مَكْشُوفًا حَتَّى دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، اجْمَعْ لِي الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ»، فَدَعِيَ لَهُ، فَدَفَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ، وَسَتَرَ عَلَيْهِ قَالَ: فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلُ مَنْ سَتَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوهُ يَا بَنِي طَلْحَةَ لَا يَنْتَزِعُهُ مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ»².

وفي القصة إشارة إلى أهمية مراعاة التخصص، فقد كان عثمان بن طلحة مختصاً في الحجابة حتى حتى أصبحت وصفاً ملازماً له، قال الذهبي رحمه الله في ترجمته: "الحجبي، حاجب البيت الحرام، الحرام، وأحد المهاجرين"³.

فمن الأمانات الدعوية أن يراعي قادة الدعوة عنصر التخصص، والكفاءة الدعوية في الأتباعواستثمارها لصالح الدعوة، ولا يحملنهم غير ذلك في وضع الرجل في مالا يصلح له، أو في مكان من هو أول منه، ولو كانوا أولي قرى وفضل، فمصلحة الدعوة أسمى من كل الاعتبارات الشخصية الضيقة.

■ الأمانة المتعلقة بالأسرة

تعد الزوجة أمانة عند زوجها ينبغي إكرامها ورعايتها، ومن مظاهر هذا التكريم العدل بين الزوجات، فقد كان النبي ﷺ يعدل بين زوجاته حتى في حالة السفر والغزو بهن، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهنها خرج بها

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة، (148/5)، برقم: 4289.

² - عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، (85/5)، وحسنه الحافظ ابن حجر، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (18/8)، ولعل اكتفاء البخاري بالرواية السابقة؛ لقصور رتبته عن شرط الصحيح، فهو لا يخرج الحديث الحسن فيه.

³ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (10/3).

النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَا أُنزِلَ الْحِجَابُ»¹.

قال ابن الملقن: "العدل بين النساء فريضة إذا قلنا أن القسم يجب في حقه، فلو خرج بواحدة من من أزواجه دون قرعة لم يكن ذلك عدلا بينهما وكانميلا، فكانت القرعة فضلا في ذلك وحكما يرجع إليه، كما يحكم بها في كثير مما يشكل أمره من أمور الشريعة."².

وفي هذا السياق ألفت نظر الدعاة إلى ضرورة الاهتمام بزوجاتهم، وأحذرهم من إهمالهنّ بدعوى بدعوى الانشغال بالدعوة، فالداعية لا بد أن يكون قدوة في جميع المجالات، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال قال لي النبي ﷺ: «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟» قُلْتُ: أُنِي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: «فَأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنَكَ، وَنَفِهْتَ³ نَفْسَكَ، وَأَنْ لِنَفْسِكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَتَمَّ»⁴.

ف " حاصل الكلام: أن الكمال ليس في الاجتهاد فقط، بل في رعاية الحقوق ومراعاة الجوانب، فعلمه أن يعمل بما هو الأعلى والأولى، ومن الطبائع النازلة من يعد الكمال في سهر الليالي وصيام الدهر فقط وإن فاتت عنه الحقوق"⁵.

من خلال ما سبق يتضح لنا مدى حضور صفة الأمانة في حياة النبي ﷺ على مختلف المستويات، حتى في مجال الغزو؛ من أجل أن يحرص الدعاة على امتثالها في الفعل الدعوي.

ثالثا: الأبعاد الدعوية لخلق الإخلاص

ومن الصفات الذاتية العظيمة التي ينبغي أن يتصف بها كل مسلم فضلا عن الدعاة، صفة الإخلاص، ولإبراز أهميتها الدعوية، وأثرها على سلوك الداعية.

سوف أقوم بتعريفها، وبيان بعض فضائلها، وتحليلاتها في الفعل الدعوي النبوي في الغزوات؛ على النحو التالي:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، (33/4)، برقم: 2879.

² - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (566/17).

³ - نفهت: قال ابن فارس: " (نفه) النون والفاء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إعياءٍ وضعف. منه نفهت النفس: أعيتت وكَلَّت. وهو نافهٌ ونُفَّةٌ "، مقاييس اللغة، (456/5).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، (54/2)، برقم: 1102.

⁵ - الكشميري، فيض الباري على صحيح البخاري، (573/2).

1. مفهوم الإخلاص

لتعريف صفة الإخلاص لابد من التعرض لمدلولها اللغوي والاصطلاحي، فالإخلاص في اللغة من من خلص ومنه خلص الشيء إذا كان قد نشب، ثم نجا وسلم، وخلص فلان إلى فلان وصل إليه، إليه، والتخليص: التنحية من كل منشب.¹

وأما الإخلاص اصطلاحاً فقد عرف بعدة تعريفات: قال الجرجاني: "الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله. وقيل: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات. وقيل: الإخلاص: ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله."²، وقال السيوطي: "الإخلاص: أن يقصد بما يفعله وجه الله متعرياً عن الالتفات إلى غيره."³

وعليه فالإخلاص هو إرادة وجه الله تعالى بالعمل وحده لا شريك له، فهو من الصفات التي يحتاج إليها الداعية في كل الميادين بلا شك.

قال الطيب برغوث: "ينبغي للداعية المسلم أن تكون له نية خالصة في كل شيء، حتى في أكله وشربة ومركوبه وسائر حركاته وسكناته"⁴.

وهذا ما سنلاحظه، ونعيش آثاره من خلال تجسده في شتى المجالات على العهد النبوي في ميدان المغازي.

2. المجالات الدعوية للإخلاص

لا يرتاب أحد في إخلاص النبي ﷺ وإخلاص، وأصحابه عليهم الرضوان في جهادهم ودعوتهم، ويلحظ ذلك من خلال تجليات وأحوال سلوكية يقف عليها من تتبع مرويات المغازي، ومن تلك المظاهر، ما يلي:

أ. مظهر الزهد في الدنيا

لا يمكن للداعية أن يستغني عن الإخلاص في عمله الدعوي، فيكون عمله كله لله، لا يداخله غرض آخر من أعراض الدنيا، وأن يبحث في كل أقواله وأعماله وأحواله عن مراد الله، وتوجيهه وتوجيهه فيما سيقوم به، وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ، الذي عاش عمره للدعوة، ولم ينظر

¹ - ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (64/7).

² - الجرجاني، التعريفات، ص 14.

³ - السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 209.

⁴ - الطيب برغوث، القدوة الإسلامية، دار الشهاب، الجزائر، ط1، 1984م، ص10.

لشيء آخر، فقد عرض عليه كفار مكة المال، والملك، والسلطان، والمرأة ليترك الدعوة، فكانرده واضحا بأنه لن يتركها ولو ملكوه قوى الكون وأعطوها له في يده، وتحت تصرفه¹.

وظل على ذلك فكانفي غزواته يحرص على الهداية، ولم يكن هدفه المغنم، فقد قال لعلي عند فتح خيبر: « فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »²، فالداعية المخلص لا يريد متاع الدنيا الفاني بل يريد أن يحمل رسالة الخير للإنسانية لينال أجور من كان سببا في هدايتهم³.

وقد كان ذلك منهج الأنبياء، والمرسلين، والمصلحين عبر تاريخ الدعوة الطويل، فقال الله تعالى في معرض الحديث عن رسالة نوح عليه السلام وهي فاتحة الرسالات: ﴿ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ مِّنْ آجْرٍ أَوْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَآمِرْتُ أَنْ أُكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: 72].

وفي هذا السياق كان يعطي المؤلفة قلوبهم تثبيتا للإسلام في أفئدتهم، فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «أني أُعْطِي قُرَيْشًا أَتَأَلَّفُهُمْ، لَأَنْهُمْ حَدِيثٌ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ»⁴. والتعليل الدعوي في الحديث واضح؛ لكون ذلك من أساليب الترغيب بالإحسان التي تؤثر في تثبيت الإيمان في قلوب المسلمين الجدد، وترغب نظراءهم الذين لم يسلموا بعد، فهي رسالة دعوية دعوية وجدانية للمدعو المستجيب والمرتب⁵.

ب. مظهر الحرص على الشهادة

للإخلاص أثر بالغ على نجاح الدعوة، وفي المقابل يعد الركون إلى الدنيا والافتتان بزخرفها من معوقات الدعوة، فلا شك أن حب الصحابة للشهادة، والجهاد من مظاهر الإخلاص التي أثرت إقبالا منقطع النظير على الموت في سبيل الله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ رَجُلًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي

¹ - ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، ص 586

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (134/5)، برقم: 4210.

³ - ينظر: الميداني، الحضارة الإسلامية، ص 135.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم، (93/4)، برقم: 3146.

⁵ - ينظر: حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، (133/4).

سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»¹.

قال ابن بطال في بيان دلالة الحديث على الإخلاص: " فيه من الفقه: أن رسول الله كان يتمنى من أعمال الخير ما يعلم أنه لا يعطاه حرصاً منه ﷺ على الوصول إلى أعلى درجات الشاكرين، الشاكرين، وبذلاً لنفسه في مرضات ربه وإعلاء كلمة دينه، ورغبة في الازدياد من ثواب ربه، ولتتأسى به أمته في ذلك، وقد يثاب المرء على نيته"².

ومما يدل على حب الشهادة هذا الموقف من غزوة أحد، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ أَنْ قُتِلْتُ فَأَيُّنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ تَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»³.

وقد ذكر أهل السير أن القصة حدثت في غزوة بدر، ولا يُستبعد تكرار الواقعة؛ مما يؤكد استمرار استمرار هذا المستوى من الإخلاص عند جيل الصحابة ﷺ⁴.
ومن هنا يتضح جلياً أن الإخلاص من مقومات نجاح الدعوة، فعلى الداعية حمل نفسه عليه والحذر من الركون إلى الدنيا.

فتذكر الدار الآخرة، والتعلق بها، والرغبة فيما أعده الله للدعاة المخلصين، من أعظم ما يشحذ الهمم ويرفع من فعالية العطاء الدعوي.

ج. مظهر تحمل المشاق

لقد تحمّل رسول الله ﷺ، وأصحابه مشاقاً كبيرة أثناء الغزوات وهم يجاهدون في سبيل الله، فهي مظاهر تدل دلالة واضحة على إخلاصهم، وهذا ديدن الدعاة الصادقين عبر تاريخ الدعوة والدعاة¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة، (17/4)، برقم: 2797.

² - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (16/5).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (77/5)، برقم: 4046.

⁴ - ينظر: السهيلي، الروض الأنف، (88/5).

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، دراسات في تاريخ الدعوة والدعاة، ص72.

وقد مرت معنا مواقف كثيرة تدل على تحملهم للمشقة كتحمل شدة الجوع، والخوف في غزوة الأحزاب، وتحمل مشقة السفر في غزوة تبوك، وتحمل مشقة المشي حفاة في غزوة ذات الرقاع، وتحمل مشقة الصد عن البيت يوم الحديبية¹.

فالإخلاص أكبر معين على الاستمرار في الدعاة رغم ما يعترضهم من مشاق وتحديات، ما داموا محتسبين ذلك لله رب العالمين، فهو الذي مكن النبي ﷺ وأصحابه من مواجهة التحديات الكبرى والمخاطر العظيمة التي قل نظيرها في التاريخ.

وقد أدرك من جاء من بعدهم من الدعاة والفاحين أثر الإخلاص في تحقيق الإنجازات الدعوية العظيمة، فلم تكن الدعوة أن تصل إلى ما وصلت إليه لولا إخلاص حملتها.

كانت تلك أهم الصفات الذاتية التي حرص النبي ﷺ على تفعيلها في ميدان الغزوات، لتكون درسا تطبيقيا للدعاة، وقد اقتصر على ثلاث صفات لا يستغني عنها الداعية، وهي الصدق، والأمانة، والإخلاص.

الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية الأخلاقية الاجتماعية المتعلقة بالداعية

بعد بيان أهمية الصفات الذاتية في نجاح العمل الدعوي من خلال الغزوات، أنتقل إلى الحديث عن نوع آخر من الصفات الدعوية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية، ويتعلق الأمر بالصفات الاجتماعية المتعدية.

وسوف أركز على الصفات التألفية؛ لكونها صفات تمكن الداعية من التواصل الفعال والإيجابي مع المدعو وتؤثر في استجابته بسرعة وفعاليتها.

وسيتم دراسة هذه الصفات الاجتماعية في ميدان الغزوات الواردة في الصحيح من خلال العناصر التالية:

أولا: الأبعاد الدعوية لخلق الحلم

لإبراز أهمية صفة الحلم كصفة دعوية اجتماعية تألفية لا بد من البدء بتعريفها وبيان فضلها، كمدخل أساسي لدراسة أثرها الدعوي من خلال المغازي. وهذا ما سوف تتم معالجته في العناصر التالية:

¹- ينظر تفصيل هذه المشقات: صحيح البخاري، كتاب المغازي، (121/4، 113، 107)، (3/6).

1. مفهوم الحلم وفضله

في البدايةً أبين مفهوم الحلم كصفة دعويةً من خلال تعريفها من الناحيتين: اللغوية والاصطلاحية.

فالحلم في اللغة باختصار من حلم، وهو ترك العجلة، والحلم خلاف الطيش، يقال حلمت عنه أحلم، فأنا حلِيم¹.

وأما في الاصطلاح؛ فقد عرفه الجرجاني بقوله: "الحلم: هو الطمأنينة عند سؤرة الغضب، وقيل: وقيل: تأخير مكافأة الظالم².

فمن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتبين أن الحلم صفة متعدية، ففي ميدان الدعوة هي صفة دعويةً متعدية تنطلق من الداعية وتستقر عند المدعو بالصبر عليه وتحمل آذاه، والتعامل مع ردود أفعاله برزانة وعدم تسرع، بما يؤثر في رد فعل المدعو.

وقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تدعو إلى التزام هذه الصفة؛ مما يدل على فضلها وأهميتها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْأَحْسَنُ وَلَا الْأَسْيِئَةُ إِذْ بَعَثَ إِلَيْهِ هِيَ أَحْسَنُ وَإِذَا أَلَيْكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَ هُوَ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾ [فصلت: 33]، وقوله سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، وقوله تعالى: ﴿بَاعِفْ عَنْهُمْ وَأَصْبِحْ أَنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 14].

فالداعية أحوج الناس لخلق الحلم حتى يكسب المعركة النفسية مع المدعو الذي قد ينفر من الخطاب الدعوي للوهلة الأولى، بل قد يتحول النفور إلى عدوان، ومناصبة عدا³.

وأما في السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة تحت على الحلم، وتدعو إليه منها قوله ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، أَمَّا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»¹، والداعية هو أولى الناس بالحلم والتحكم في نفسه عند الغضب؛ فالغضب قد يكون في بعض المواقف مانعا من الاستجابة الدعوية.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، (93/2).

² - الجرجاني، التعريفات، ص 92.

³ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (3121/5).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (28/8)، برقم: 6114.

وسأكتفي بهذا الحديث لدلالة الفعل النبوي وهو من السنة الفعلية العملية كما سأبينه في العنصر الموالي.

2. نماذج من الحلم النبوي

عند تتبع الغزوات نجد أن خلق الحلم حاضرا فيها ليدل على أهميته في الدعوة، فمن مواقف الحلم في الغزوات:

أ. نموذج الحلم على الأعرابي

فعن جابر رضي الله عنهما، أنه غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتِظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ لَا يَشْعُرُ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ قُلْتُ اللَّهُ فَشَامَ السَّيْفَ فَهِيَ هُوَ ذَا ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ»¹.

فقد حلم النبي ﷺ على من أراد قتله مع سبق الإصرار والترصد؛ رجاء أن يؤثر فيه هذا الخلق فيسلم، فالداعية أكثر الناس هضما لحظوظ نفسه، وأبعد الناس عن الانتصار لها، ومبلغ اهتمامه هداية الخلق، ونصرة دين الحق، وقد كان هذا منهج الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين عبر تاريخ الدعوات.

ب. نموذج الحلم على ذي الخويصرة⁽²⁾.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم غنيمة بالجعرانة، إذ قال قال له رجل: اعدل، فقال له: «لَقَدْ شَقِيتُ أَنْ لَمْ أَعْدِلْ»³.

فقد آذى هذا الرجل النبي ﷺ أذى شديدا؛ إذ اتهمه بعدم العدل ومع هذا فقد حلم عليه لمصلحة الدعوة.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستغلال بالشجر، (52/10)، برقم: 2697.

² - ذو الخويصرة: هو حرقوص بن زهير، صحابي، من بني تميم، شهد صفين مع علي، وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، كآذ من رجالات وقعة الخوارج بحروراء، وكآذ فقتل فيمن قتل بالنهروان ينظر: ابن حجر، الإصابة، (2/343)، الزركلي، الأعلام، (2/137).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين، (4/91)، برقم: 3138.

ج. نموذج الحلم على عبد الله بن أبي بن سلول.

قد حلم النبي ﷺ على المنافقين حلما جميلا، خاصة مع زعيم النفاق عبد الله بن أبي الذي لا يترك فرصة مناسبة للأذى إلا واستغلها لمحاربة الدعوة، وأذية قادتها، وأتباعها، ففي إحدى الغزوات الغزوات سعى في إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار، وأساء الأدب مع رسول الله، فتلفظ بكلام بكلام جارح، بقوله: " لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْحَيْثُ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»

1.

فقد حلم النبي ﷺ على رأس المنافقين رغم محاولته لإثارة فتنة عظيمة بين المهاجرين والأنصار التي تحمل في طياتها الأذية المبطنة لقائد الدعوة ﷺ، فلو تعجل النبي ﷺ وقاتله في بداية الأمر لحدثت ردود أفعال غير مرغوبة، لا تخدم مصلحة الدعوة، وهذا بعد دعوي استشرافي مبني على قاعدة دعوية مقاصدية عظيمة: "درء المفاسد أولى من جلب المصالح"².

فهذه نماذج من الغزوات قد مارس فيها النبي ﷺ خلق الحلم مع فئات مختلفة من المدعويين، حتى يكون أسوة للدعاة في كل الأزمان والميادين، فالحلم من أهم الصفات الخلقية التي تشكل العدة التأثيرية لدى الداعية.

ثانيا: الأبعاد الدعوية لخلق التواضع

من الصفات التألفية التي ينبغي أن يحرص عليها الدعاة صفة التواضع، ولبيان أهميتها السلوكية، وأثرها على الفعل الدعوي، فسوف أتعرض لمفهومها وتجلياتها في الغزوات النبوية في هذا العنصر كالتالي:

1. مفهوم التواضع وفضله

قبل الحديث عن مواقف التواضع النبوي في الغزوات أخرج باختصار على مفهومه وفضله من خلال نصوص من الكتاب والسنة.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، (183/4)، رقم: 3530.

² - ينظر: مصطفى الزرقا، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، ط2، 1409هـ، 1989م، ص205.

أ. تعريف التواضع

التواضع في اللغة من الفعل الثلاثي (وضع) الذي يدل على الخفض للشيء وحطه¹، وكانا للتواضع يحط من نفسه ويخفضها، وهذا مناسب لمقام الداعية، فالداعية يخفض ويحط من نفسه في سبيل إنجاح دعوتة.

والتواضع في الاصطلاح عرف بعدة تعريفات منها:

قول السيوطي "التواضع: استعظام ذوي الفضائل من دونه في المال والجاه... و الرضا بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته"²، وعرفه المجددي بقوله: "التواضع: ضد التكبر فهو أتباعالضعة وإظهار المسكنة، بان يرى نفسه دون غيره في صفة الكمال، فمن تأخر عن أمثاله فهو متواضع، ومن تكبر عن أمثاله فهو متكبر"³.

فالداعية ينبغي أن يظهر هذه الصفة التي مقتضاها ألا يظهر للمدعو أنه أرفع منه وأكمل، وإن كان في حقيقة الأمر أرفع منه منزلة، أو أكثر منه علما.

ب. فضل التواضع

يدل على فضل التواضع ما ورد فيه من الآيات، والأحاديث التي تدعو إليه، وتشيد بالمتصفين به، به، فمن الآيات الواردة في التواضع، قوله تعالى: ﴿بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ بَطْلاً غَلِيظاً أَلْقَلْبِ لَأَنبَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكُفَرِيِّنَ﴾ [المائدة: 54]، "أي: هؤلاء الأقسام يكونون متواضعين للمؤمنين"¹.

وأما الأحاديث الدالة على فضل التواضع فهي كثيرة منها، ما رواه عياض بن حمار، أنه قال: قال رسول الله: «أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، (117/6).

² - السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 203.

³ - محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، ص 63.

¹ - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط 1، 1393هـ، 1973 م، (1096/2).

عَلَى أَحَدٍ»¹، وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»².

ولعل من مظاهر رفعة الله تعالى للدعوية المتواضع أن يبارك الله تعالى له في عمله الدعوي، فيكثر أتباعه ومحبه، وتنتشر آثاره وجهوده في حياته وبعد مماته، فها هم الأنبياء سادة المتواضعين رفع الله قدرهم وخلد ذكرهم ومآثرهم في كتابه إلى يوم الدين.

2. مظاهر التواضع النبوي

ظل خلق التواضع كغيره من الأخلاق مصاحبا للنبي ﷺ في كل الميادين، فكل الغزوات تجلت فيها مظاهر تواضع النبي ﷺ.

وهذه نماذج دالة على حضور هذا الخلق العظيم، والصفة الدعوية التألّفية في شخصية النبي ﷺ الدعوية، صفة التواضع، فقد جاءت بها مرويات المغازي في الصحيح، أجملها فيما يلي:

أ. خروج النبي ﷺ في الغزوات وحرصه على ذلك.

فقد كان بإمكانه ﷺ البقاء في المدينة وتكليف الصحابة بالجزو، ولكن لتواضعه وحرصه على الدعوة كان يخرج بنفسه حتى لو كانت الغزوة شاقة وبعيدة، وقد أشار البخاري إلى هذا البعد فأورد حديث عدد الغزوات في كتاب المغازي، فعن أبي إسحاق، قال: سألت زيد بن أرقم رضي الله عنه: كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة، قلت: " كم غزا النبي ﷺ؟ قال: تسع قال: تسع عشرة"³

وليس هذا فحسب بل تمنى النبي ﷺ أن لا يتخلف وراء سرية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَحَدٌ مَا أَحْمَلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»¹.

¹ - رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التواضع، (2265/7)، برقم: 4895، قال العراقي في تحريج الإحياء رجاله رجال الصحيح، ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، (195/2).

² - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأدب، باب في استحباب العفو والتواضع، (2001/4)، برقم: 2588.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كم غزا النبي ﷺ؟ (16/6)، برقم: 4471.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة، (17/4)، برقم: 2797.

ففي الحديث دلالة واضحة على مدى إخلاص النبي ﷺ في وأصحابه في طلب المعالي لنيل أرفع الدرجات، قال ابن القيم: "لقد حرَّك الداعي إلى الله، وإلى دار السلام النفوس الأبيّة، والهيمم العالِيّة" ¹

ب. مشاركة الصّحابة في بعض الأعمال

لم يكتف النبي ﷺ بالخروج فحسب، بل كان يشارك الصّحابة في بعض الأعمال؛ إضافة إلى القيادة كمشاركته ﷺ في حفر الخندق وحمله التراب، فعن البراء رضي الله عنه، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ أَنْ لَا قَيْنَا، أَنْ الْأَلَى قَدْ بَعَوْا عَلَيْنَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا» ².

فلم يمنع مقام النبوة، ولا مقام القيادة النبي ﷺ أن ينزل نفسه منزلة بقيّة أصحابه فيحمل معهم التراب، وقد كان لتلك المشاركة النبويّة أثر بالغ ظهر في تفانيهم في العمل واستمرارهم فيه حتى تمّ الإنجاز ³.

وتوّقي هذه المشاركة أكلها، وتعطي ثمارها الدعويّة الياصرة؛ لما تزرع في تربة الصدق، وتسقى بماء الإخلاص، وتجتث من فوق الأرض إذا أصابتها جائحة الرياء، والمباهاة، وما أسرع انتشار هذه الجوائح في زمن وسائل الإعلام، ومواقع التواصل.

ج. مخالطة ومداعبة الصّحابة

من مظاهر تواضعه ﷺ مخالطته للصّحابة، ومداعبتهم، والترويح عنهم، فمن ذلك محادثته لجابر لجابر رضي الله عنه أثناء الرجوع من الغزوة، ففي الصحيح عنه، قال: قُلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ، غَزْوَةٍ، فَتَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي، فَخَسَّ بَعِيرِي بَعْنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَأَنْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجُودٍ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنَ الْإِبِلِ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا يُعْجَلُكَ» قُلْتُ: كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: «أَبْكَرًا أَمْ ثَيِّبًا؟»، قُلْتُ: ثَيِّبًا، قَالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا وَتَلَاعِبُكَ»،

¹ - ابن القيم، زاد المعاد، (76/3).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، (26/4)، برقم: 2837.

³ - ينظر: الطيب برغوث، القدوة الإسلاميّة، ص18.

قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلْ، قَالَ: «أَمْهَلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا - أَيْ عِشَاءً - لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعْثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ»¹.

ومن هنا يتأكد أن التواضع أحد الصفات الأساسية التي تساعد الداعية على كسب القلوب، لأنه يمكنه من المعاشرة الحسنة، فالتواضع لا يعيش لنفسه فقط شأن ما يفعله المتكبر، بل يعيش لنفسه وللناس، والداعية قد يعيش أحياناً للناس أكثر من نفسه، وولده، كما هو شأن النبي ﷺ سيد الدعاة المتواضعين.

ثالثاً: الأبعاد الدعوية لخلق الجود

بعد أن تكلمت عن صفتي الحلم، والتواضع يأتي الحديث عن صفة من الصفات التألفية الاجتماعية، وهي صفة الجود، فأتعرض لمفهومها، وفضلها وأبين أبعادها الدعوية من خلال نماذج من المواقف النبوية في الغزوات، على النحو التالي:

1. مفهوم الجود وفضله

سوف أسلك مع هذه الصفة نفس المسلك الذي اتبعته مع الصفات الأخرى، فأبين مفهومها وأثارها الدعوية السلوكية من خلال نماذج دعوية من واقع مرويات المغازي في الصحيح.

أ. تعريف الجود

فبدائية أعرف الجود من الناحية اللغوية والاصطلاحية، فالجود في اللغة من (جود) وهو أصل يدل يدل على كثرة العطاء، والجود: المطر الغزير، والجواد: الفرس السريع، والجمع جواد². وفي الاصطلاح عرف الجرحاني الجود بأنه: "صفة، هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا بعوض"³، وعرفه الكفوي بقوله: "الجود: هو صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق ولا بالسؤال"¹. فالداعية الجواد وهو من رسخت فيه صفة الجود فأصبح كثير العطاء، والبذل من غير أن يكون ذلك واجبا عليه، ومن غير أن يسأل.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، (5/7)، برقم: 5079، وقد أورد القصة بطولها في عدة مواطن، من ذلك كتاب الجهاد والسير، باب من ضرب دابة غيره في الغزو، (30/4)، برقم: 2185.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، (493/1).

³ - الجرجاني، التعريفات، ص 79.

¹ - أيوب بن موسى، أبو البقاء الكفومي، كتاب الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، 1998م، ص 353.

ب. فضل الجود وأهميته

جاءت آيات قرآنية كثيرة تحث على الجود وتمدح أهله، من ذلك قول الله تعالى عن إبراهيم عليه عليه السلام: ﴿فَرَاعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِيحٍ﴾ [الذاريات: 26]، ومن الأحاديث ما رواه ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»¹.
فلاية والحديث يبينان مظهرين من أعلى مظاهر الجود في شخصية إمامين من أئمة المرسلين، وهما إبراهيم عليه السلام، وخاتم النبيين ﷺ.

وتأكيدا على أهمية الجود وفضله، فقد مدح أهله ودم البخلاء بأبشع الصور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من حديد من تديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت² أو وفرت على جلده، حتى تخفي بئانه وتغفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع»³.

2. المجالات الدعوية للجود

وقد تعددت مظاهر الجود في غزوات النبي ﷺ كما تدل عليها مرويات المغازي في الصحيح، ويكفي لبيان حضورها، وأثرها الدعوي السلوكي أن أمثل لها بالتماذج التالية:

أ. نموذج الجود بالنفس والمال

قد حث النبي ﷺ على الجود بالنفس، والمال في سبيل الله، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يا رسول الله، يا رسول الله، يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»، قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب⁴ من الشعب يتقي الله، ويدع الناس من شره»⁵.
فالجود بالنفس أعلى أنواع الجود؛ لذلك كان لمن يجود بنفسه في سبيل الله حظ الشهادة، وكان للمقاتل في هذا السبيل من الضمان الرباني أن يدخله الله الجنة، وأن ينال ما لا يوصف من

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (08/1)، برقم: 6.

² - سبغت: من سبغ الذي يدل في اللغة على تمام الشيء وكماله، ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (129/3).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، (115/2)، برقم: 1443.

⁴ - اعتزال الناس ليس مرغبا فيه على الإطلاق، بل هو مقيد بأحوال مخصوصة كزمن الفتن، والخوف على الدين، فيفر العبد حفظا لدينه، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (70/1).

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، (15/4)، برقم: 2786.

أجر عظيم عنده، أو يعود إلى أهله نائلاً ما نال من غنيمة وأجر، وهذا بلا شك أكبر محفز للجهد وأعظم مقوم من مقومات نجاح الدعوة¹.

ب. نموذج الجود على المؤلفة قلوبهم

لما كان الجود من وسائل الاستعطاف فقد وظفه النبي ﷺ لتأليف القلوب، فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناساً، أعطى الأقرع مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أرى مد بهذه القسمة وج ه الله، فقلت: لأخبرن لأخبرن النبي ﷺ، قال: «رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»².

والجود في هذا المقام من الأساليب الدعوية السلوكية، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وإنما كان يعطي يعطي المؤلفة قلوبهم لما في قلوبهم من الهلع والجزع ليكون ما يعطيهم سبباً لجلب قلوبهم إلى أن يحبوا يحبوا الإسلام فيحبوا الله فكانت قصوده بذلك دعوة القلوب إلى حب الله عز وجل وصرافها عن ضد ضد ذلك ولهذا كان يعطي أقواماً خشية أن يكبهم الله على وجوههم في النار"³.

ج. نموذج الجود على الأسرى

من عظمة هذه الدعوة الإحسان إلى الأسير، والجود عليه، فعن جابر رضي الله عنهما، قال: لما لما كان يوم بدر أتى بأسارى، وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه⁴.

فلا ريب أن الجود من صفات الداعية الناجح؛ ذلك أن النفس في الغالب مجبولة على حب من أحسن إليها، فعلى الداعية أن يكون جواداً كريماً محسناً، وبهذا أن شاء الله يجذب قلوب المدعوين، المدعوين، فيقبلون على دعوته⁵.

وبهذا أكون قد أتيت على أهم الصفات الاجتماعية التآلفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية؛ قولاً وفعلاً وحالاً، وهي الحلم والتواضع والجود.

¹ - ينظر: عبد الرحمن حبنك الميداني، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، ص418.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (5/159)، برقم: 4336.

³ - ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة، ت: حماد سلامة، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1407هـ، ص46.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، (4/60)، برقم: 3008.

⁵ - سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1421هـ، (1/144).

الفرع الثالث: الأبعاد الدعوية للصفات القيادية المتعلقة بالداعية

أن الداعية الناجح لا يكتفي بتحقيق العدة الأخلاقية الذاتية والاجتماعية، بل يطمح لتكميل العدة الدعوية الأخلاقية باكتساب صفات قيادية؛ وذلك لأهميتها التأثيرية في المدعويين؛ فحتى ينجح في قيادتهم وتوجيههم لا بد أن يتصف بها التزاما وتنزيلا.

ولن يجد الدعاة في كل زمان نموذجا دعويا يستلهمون منه هذه الصفات؛ ليحذوا حذوه مثل نموذج النبي ﷺ، ولعل أبرز ميدان تجلت فيه صفاته القيادية الدعوية النبوية هو ميدان الغزوات، مع حضورها في كل المواقف من سيرته العطرة.

وسوف أبرز أهم الصفات الدعوية القيادية من خلال مرويات المغازي في العناصر التالية:

أولا: الأبعاد الدعوية لصفة المخالطة

في مطلع هذه الصفات الدعوية القيادية أتحدث عن صفة المخالطة من حيث مفهومها، وتطبيقاتها في المغازي النبوية على النحو التالي:

1. مفهوم المخالطة

في مقدمة الحديث عن هذه الصفة القيادية لا بد من تعريفها بإيجاز من حيث اللغة والاصطلاح، فالمخالطة في اللغة مصدر من (خلط): وتدل في اللغة على الممازجة والمشاركة، وهي ضد المفارقة¹.

وأما تعريفها الاصطلاحي، فقد أشار إليه الغزالي وغيره مقترنة بالعزلة، ولم يذكروا لها تعريفا غير أنه غير أنه يمكن استفادته ضمنا بأنها معايشة الناس، وعدم الانعزال عنهم قصد الإفادة والاستفادة². فهي صفة هامة للداعية، تجعله يعيش حياة الناس؛ ليشعر بشعورهم، وينفعل مع آرائهم وحياتهم، وحياتهم، ويتداخل في كافة شئوهم بصدق وفهم وتحليل، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلا شكلا عاما بمعنى تواجدها تلقائيا مع الجميع بلا تفرقة بين غني وفقير، أو رئيس ومرؤوس، ورفيع أو ورفيع أو وضع؛ لكي يصل بالدعوة إلى الجميع³.

من أجل هذه الأهمية جاءت نصوص من الكتاب والسنة تحث عليها، فقد أمر الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ بمجالسة أصحابه، ونهاه عن الإعراض عنهم، فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

¹ - ينظر: أبو المكارم المطرزي، المغرب، دار الكتاب العربي، ص151، نشوان بن سعيد اليميني، شمس العلوم، ت: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر بيروت، ط1، 1420 هـ، 1999 م، (3/1906).

² - ينظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (2/221)، ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص110.

³ - أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، ص596.

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيَّةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ [الكهف:28]، وقد جاءت أحاديث في هذا السياق من أشهرها، ما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»¹.

وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ حتى في غزواته، وفي كل الميادين الدعوي، حيث كان ذلك جزء من منهجه في إيصال الدعوة².

وهذا ما سأبينه في العنصر الموالي من خلال نماذج مأخوذة من مرويات المغازي الواردة في الصحيح.

2. المجالات الدعوية لصفة المخالطة

أن المتبع لغزوات النبي ﷺ يجده لا ينزل عن الصحابة، فقد كان حاضرا معهم يشاركهم في كل شؤونهم، ولكثرة مظاهر المخالطة النبوية، وتعدد مجالاتها أكتفي بذكر النماذج التالية:

أ. نموذج المخالطة في الترويح

قد يحتاج الجد شيء من الترويح عن النفس بالحداء وغيره فكانا للصحابة يصدر منهم ذلك فيشاركهم النبي ﷺ، أو قد يصدر منه ما يروح به عنهم، فعن البراء رضي الله عنه، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ أَنْ لَا قَيْنَا، أَنْ الْأُلَى قَدْ بَعَوْا عَلَيْنَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا»³.

وهذا بعد دعوي سلوكي غاية في الأهمية، ينبغي أن يحظى بالعناية والرعاية الدعوية المنضبطة؛ حتى حتى يفهم الدعاة أن الحياة كلها عبادة، وتشمل لحظة الترويح كذلك، فلا شيء في الحياة يخرج عن دائرة العبادة، وإنما هي ساعة بعد ساعة في أنواع مختلفة من العبادة، وأن اختلفت أنواعها ومجالاتها⁴.

فالداعية الناجح يستطيع أن يستفيد من وسائل الترويح والترفيه، بتوظيفها في صناعته الدعوية، ولكن مع مراعاة الضوابط الشرعية، والجودة التقنية، والجمالية الفنية.

¹ - رواه أحمد في مسنده، (486/4)، رقم: 5022، وقال أحمد شاعر: إسناده صحيح.

² - ينظر: أحمد عيسوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ص131.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، (26/4)، رقم: 2837.

⁴ - علي محمد الصلابي، تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتتمكين، ص220.

ومن ثم تأتي أهمية الاستعانة بأهل التخصص في هذا المجال الحيوي والحساس في نفس الوقت؛ مما يؤكد ضرورة التكامل بين أهل الدعوة المختصين، وعموم الدعاة من أصحاب التخصصات الأخرى ففي إنجاح، وترقية وتطوير العمل الدعوي باعتباره وظيفة الأمة الخيرية بكل مكوناتها.

ب. نموذج المخالطة في المركوب.

من صور المخالطة الرائعة ما كان يحصل من الارتداد في الغزو بين النبي ﷺ والصحابة، أو بين بين الصحابة فيم بينهم ﷺ، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ «رَكِبَ عَلَى ﷺ «رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَاْفٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، وَأَزْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ»¹.

وفي هذه المخالطة بعد دعوي لا يخفى فالنبي ﷺ مع علو مرتبته، وجلالة منزلته لم يكن يرفع نفسه عن أن يحمل ردفا معه على دابته، ولكنه كان يردف لتتأسى به في ذلك أمته، فلا يانفوا مما مما لم يانف منه ولا يستنكفوا مما لم يستنكف منه².

ولعل من التحديات الدعوية المعاصرة المتعلقة بالدعاة؛ ترفع بعض المحسوبين على الدعوة عن المدعو بشكل من الأشكال.

وإضافة إلى الدلالة الواضحة لهذه المخالطة على التواضع، فهي رسالة إلى الدعاة بان يستغلوا وسائل النقل، وتحويلها إلى ميادين دعوية، خاصة في هذا العصر الذي توفرت فيه تقنيات العرض الدعوي، بفضل تطور تقنيات الإعلام والاتصال.

ج. نموذج المخالطة في الطعام

كان النبي ﷺ يشارك الصحابة طعامهم، فيأكل معهم، ويأكل ما يأكلون، فعن سويد بن النعمان أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر، فقال: «صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَزْوَادِ فَلَمْ يُؤْتِ إِلَّا بِالسُّوَيْقِ، فَأَمَرَ بِهِ فَشَرِبِي، فَأَكَلَ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»¹

¹ - رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار، (55/4)، برقم: 2825، الارتداد: وهو أن يركب الراكب شخصاً خلفه، الإكاف: هو البرذعة، ينظر: محمد بن عبد الهادي السندي المدني، حاشية السندی على صحيح البخاري، (25/4).

² - ينظر، ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (148/5).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (130/5)، برقم: 4195، وأخرجه في كتاب الوضوء إشارة إلى بعد تشريعي يتعلق بالوضوء في الرواية، فقال: "باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ"، (52/1)، قال العيني: "أي هذا باب في بيان حكم من مضمض من أكل السويق ولم يتوضأ"، بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، (د، ط)، (د، ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (323/5).

قال ابن بطال عقب الحديث: "المضمضة بعد الطعام سنة مؤكدة، وكان النبي ﷺ يواظب على على فعل ذلك ويحض أمته على تنظيف أفواههم وتطبيها لأنها طرق القرآن"¹.

وهذا من فوائد مخالطة المدعوين فالداعية يستغل حتى مجلس الطعام، ويجعله ميدانا للدعوة، كما يمكن لأصحاب المطاعم، والمحلات التي تشهد تجمهر الناس أن يساهموا في الدعوة ببث مضامين دعوية عن طريق وسائل الإعلام التقليدية، والوسائط الحديثة.

وذلك أن الدعوة مسؤولية الجميع، وليست قاصرة على فئة دون أخرى، فكل فرد من أفراد الأمة ينبغي أن يؤدي دوره الدعوي من موقعه، وبحسب قدراته المتاحة.

ففي هذه النماذج الثلاثة التي ذكرتها على سبيل التمثيل لا الحصر؛ تنبيه للدعاة في كل عصر أن يستغلوا كل المناسبات الزمانية والمكانية بالمخالطة الفعالة لتحقيق الأهداف الملائمة لكل موقف.

ثانيا: الأبعاد الدعوية لصفة تنزيل الناس منازلهم

بعد التطرق لصفة المخالطة وبيان أبعادها الدعوية القيادية من خلال الغزوات أنتقل للحديث عن صفة قيادية فعالة، وهي صفة التنزيل، ببيان مفهومها، وتطبيقاتها في المغازي النبوية وفق التالي:

1. مفهوم صفة التنزيل وفضلها

قبل دراسة صفة التنزيل من الناحية الدعوية من خلال الغزوات يحسن البدء بتعريفها وبيان فضلها، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أ. مفهوم صفة التنزيل

للتعرف على مفهوم صفة التنزيل لابد من التعرض لدلالاتها اللغوية ابتداء، فالمنزلة في اللغة المرتبة المرتبة والمكانة، والتنزيل ترتيب الشيء ووضعه في مكانه اللائق به¹. أما المعنى الاصطلاحي لصفة التنزيل فهو لا يخرج عن المعنى اللغوي، فتنزيل الناس منازلهم معاملة الشخص وفق مقتضى مكانته ومنزلته، التي هو فيها، وقد تكون المنزلة دينية أو اجتماعية، أو سياسية.

¹ - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (504/9).

¹ - ينظر: شمس العلوم، نشوان الحميري اليمني، (6557/10)، ابن فارس، مقاييس اللغة، (417/5)، أحمد عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (2197/3).

وقد أشار النووي إلى هذا بقوله: "توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم"¹.

ب. أهمية إنزال الناس منازلهم

للأهمية الدعوية لهذه الصفة جاءت أحاديث وآثار تدل عليها، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا وَيَرْحَمِ صَغِيرِنَا»². فالحديث يشير إلى مراعاة مراتب، ومنازل الناس، فيعامل الكبير بما يتناسب مع سنه والصغير بما يناسب صغره، وتلحق بذلك الاعتبارات الأخرى كالجنس، والمكانة السياسيّة والاجتماعيّة وغيرها من الاعتبارات.

وسوف أبين مراعاة النبي ﷺ لمراتب الناس وإنزالها وفقها في الغزوات، في العنصر الموالي.

2. المجالات الدعوية لتنزيل الناس منازلهم

قد تتعدد مجالات التنزيل النبوي للمدعوين في الغزوات، وما في يحيط بها من حوادث وملابسات، وذلك لتنوع طبيعة المدعوين، والأتباعفي هذا الميدان الدعوي. ونظرا هذا التنوع في طبيعة المدعوين المستهدفين بالتنزيل سوف أقتصر على هذه الأنواع من التنزيل النبوي.

أ. مراعاة المكانة الدينيّة

أن من مظاهر تنزيل الناس منازلهم مراعاة المكانة الدينيّة للشخص وسابقته في الاستقامة والتقوى، ومراعاة ماله من فضائل، ومناقب وسابقة في فعل الطاعات والأعمال الصالحة. ومما يدل على مراعاتها ما ورد في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حين أرسل رسالة يخبر فيها يخبر فيها قريش عن مقدم النبي ﷺ، فقد عفى عنه النبي ﷺ وعلل هذا العفو بما كان له من المنزلة الدينيّة، فقد كان من البدرين، فقال عنه ﷺ: "إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"¹.

¹ - يحيى بن شرف، أبو زكريا، النووي، رياض الصالحين، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ، 1998م، ص139.

² - رواه أحمد في مسنده، (403/6)، والحديث صححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، ينظر: سنن، أبي داود، (299/7).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، (77/5)، برقم: 3762.

ومعنى ذلك أن " هذا كناية عن كمال الرضى، وصلاح الحال، وتوفيقهم للخير لا الترخص لهم في كل فعل"¹.

ولعل في هذا الموقف النبوي المتزن رسالة لمن يسقط العلماء والدعاة بمجرد الخطأ في الاجتهاد أو في موقف ما، ولا يلتفت إلى سابقته وبلائه الحسن في خدمة الدعوة.

ب. مراعاة المنزلة الاجتماعية

على الداعية أن يهتم بكل طبقات وفئات المجتمع، إما بدعوتهم أو بالاستعانة بهم في الدعوة، ولما كان العرب يفتخرون بالأنساب ويجعلونها معيارا للتفاضل، جاءت الدعوة الإسلامية لتصحيح المفهوم، نظريا وتطبيقيا من خلال إسناد مهام دعوية جليلة للموالي ما داموا أهلا لها.

فقد أمر النبي ﷺ زيد بن حارثة وابنه أسامة من بعده رغم صغر سنه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أنكر بشدة فيمن يطعن في إمارتيهما باعتبار من الاعتبار.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: «أَنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ كَانَ خَلِيفًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ بَعْدَهُ»²

وهذا لا يعني إهمال مراعاة المنزلة والمكانة الاجتماعية، فهي معتبرة، ولكن ليس ذلك على حساب القيم والمبادئ.

فالرواية السابقة تشير إلى مراعاتها، فزيد وأسامه رضي الله عنهما لا تخفى مكانتهما في المجتمع بسبب قربهما من رسول الله ﷺ، وشدة محبته لهما، ومع هذا كانا حقيقين بالإمارة¹.

ج. مراعاة المنزلة السياسية

من مظاهر المراعاة للمكانة والمنزلة مراعاة منزلة من له مكانة سياسية ودبلوماسية، فقد كان يراعيها النبي ﷺ؛ لعظم أثرها الدعوي؛ فاستجابة صاحب المكانة السياسية كزعيم القبيلة، أو رسول ملك أو رئيس؛ فقد يكون سببا للاستجابة الجماعية.

ومن مظاهر هذه المراعاة الاحتفاء بالوفود، والتجمل لاستقبالهم والحرص على إكرامهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: وجد عمر حلة إستبرق تباع في السوق، فأتى بها رسول

¹ - العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415 هـ، (64/12).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة زيد بن حارثة، (141/5)، برقم: 4004.

¹ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (114/1).

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ابتع هذه الحلة، فتجمل بها للعيد وللوفود، فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذه لباس من لا خلاق له، أو إنما يلبس هذه من لا خلاق له» فلبث ما شاء الله، أرسل إليه النبي ﷺ بجبة ديباج فأقبل بها عمر حتى أتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، قلت إنما هذه لباس من لا خلاق له أو إنما يلبس هذه من لا خلاق له، ثم أرسلت إلي بهذه، فقال: «تبيعها أو تصيب بها بعض حاجتك»¹، قال ابن بطال: " فيه أن من السنة المعروفة التجمل للوفد والعيد بحسن الثياب؛ لان في ذلك جمالا للإسلام وأهله، وإرهابا على العدو، وتعظيما للمسلمين. وقول عمر: (تجمل بها للوفد) يدل أن ذلك من عادتهم وفعلهم."²

ومن دلائل مراعاة النبي ﷺ لمنزلة الزعيم السياسي، ما رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بِنُ عَدِي حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»³.

فالمطعم بن عدي من سادات قريش ابن عم جد رسول الله ﷺ، فأحب أنه كان حياً فكافأه عليها بذلك؛ تطيباً لقلب ابنه جبير وتأليفه على الإسلام، فقد كان من أكابر قريش، وعلماء النسب، وقد كان من آثار تلك المكانة سعيه في نقض الصحيفة الجائرة التي تم بموجبها محاصرة النبي ﷺ وآله في الشعب⁴.

د. مراعاة مكانة المرأة

لا يمكن للداعية أن يغفل دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى عز وجل، فمن حكمة الداعية ومن صفاته القيادية أن يستثمر في الطاقة النسوية، من حيث الكمونات والحركة، وذلك بدعوتها وبإعدادها لنشر الدعوة الإسلامية والحركة بها، وهذا لم يغفله النبي ﷺ في غزواته، فأنزل المرأة منزلتها باعتبارها زوجة لها حق الخروج في السفر بالعدل مع ضرائرها؛ لكون العدل قضية محورية في محورية في الحياة الاجتماعية والفردية¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب التجمل للوفود، (70/4)، برقم: 2889.

² - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (215/5).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، (86/5)، برقم: 3799.

⁴ - ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ت: عادل معوض، (570/1).

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ص 166.

ولا شك أن هذا كاف لتصحيح بعض التصورات الخاطئة المصوبة تجاه المرأة التي تحصر مجالها داخل البيت، وتحرمها من المشاركة في الدعوة¹.

فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها سهمها خرج بها النبي ﷺ، فأقرع بيننا في غزوة غزاهما، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع النبي ﷺ بعد ما أنزل الحجاب»².

وقد أنزلها كذلك منزلتها باعتبارها مكلفة بالمشاركة في الدعوة بما يليق بمكانتها وكرامتها، بما تقدر تقدر عليه من أعمال كسقي العطشى ومداواة الجرحى وتمريضهم في الغزو، فعن أنس رضي الله عنه، قال: " عنه، قال: " لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن النبي ﷺ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، بكر، وأم سليم وإهما لمشمرتان، أرى خدم³ سوقهما تنقزان القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملاهما، ثم تحيئان فتفرغانها في أفواه القوم"⁴. فرغم أن الجهاد ليس واجبا على المرأة، ولكن من أجل احترام المرأة وإنزالها منزلتها الدعوية لم يمنعهم الشرع من المشاركة على سبيل التطوع⁵، بما يقدرن عليه من الخدمة، فعن الربيع بنت معوذ، قالت: «كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة»⁶.

¹ - ينظر: الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الامتياز، الجزائر، ط1، 1990م.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، (33/4)، برقم: 2879.

³ - الخدم: الخلاخيل: ينظر: ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (567/17).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال، (33/4)، برقم: 2724.

⁵ - ينظر: نادبة شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط9، 1422هـ، 2001م، ص293.

⁶ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، (34/4)، برقم: 2882.

وأنزلت المرأة أيضا منزلة جمهور المدعوين في الغزوات من خلال الرحمة بها والنهي عن قتالها؛ باعتبار أن الرحمة من أعظم أساليب الدعوة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي⁽¹⁾ رسول الله ﷺ، «فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»²، فالداعي المحروم من الرحمة الغليظ القلب لا ينجح في عمله، ولا يقبل الناس عليه وإن كان ما يقوله حقا وصدقا³.

فهذه المواقف النبوية المختلفة تدل بتنوعها على حرص النبي ﷺ على العناية بصفة التنزيل؛ مما يؤكد جدواها وفعاليتها في مجال القيادة الدعوية، لما لها من تأثير على استمالة المدعوين وتغيير سلوكياتهم ومواقفهم تجاه الدعوة وقادتها.

وبهذا أكون قد أتيت على بيان العدة العلمية، والأخلاقية، والقيادية التي يحتاج إليها الداعية كزاد دعوي ضروري في بناء الشخصية الدعوية الفعالة التي تقدر على تغيير سلوك الأفراد، والجماعات على ضوء الفعل الدعوي النبوي؛ حيث ظل النبي ﷺ في الغزو وغيره من الميادين الدعوية يؤسس ويثبت تلك الأبعاد في نفوس أتباعه باعتبارهم دعاة الغد قولاً وفعلاً وتطبيقاً...

وقد أعطت تلك العدة الدعوية التي اصطبغت بها الشخصية الدعوية للنبي ﷺ نتائج دعوية آنية وبعديّة ظهرت في تحولات كبيرة شاهدها الصحابة رضوان الله عليهم على مستوى المدعوين أفراداً وجماعات، ولعل ذلك يتضح أكثر من خلال المبحث الموالي الذي يتولى دراسة الأبعاد المتعلقة بالمدعو.

¹ - ذكر ابن حجر أنّ ذلك كان زمن فتح مكة، قلت: وهذا يؤكد إحكام النهي وتعد تطرق النسخ إليه؛ لتأخر تاريخ الغزوة، ومثل هذه الجزئيات المتعلقة بتاريخ التشريع، وبعض القواعد الأصولية ينبغي للداعية الحرص على الإحاطة بها؛ للاستفادة منها في العمل الدعوي، ينظر، ابن حجر، فتح الباري، (291/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، (61/4).

³ - زيدان، أصول الدعوة، ص358.

المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمدعو

بعد الحديث عن الأبعاد الدعوية المتعلقة بالداعية لا بد من الحديث بعدها عن الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمدعو باعتباره طرف المعادلة الدعوية التي بها تكتمل، حيث لا يتصور عمل دعوي بدون حضور المدعو، بل المدعو هو محور العملية الدعوية كما يشهد على ذلك تاريخ الدعوة الطويل، فكثيرا ما تطالعنا آيات القصص القرآن ي عند حديثها عن أتباع الأنبياء وخصومهم مشكلة بإجمال أصناف المدعويين العامة التي تتجدد عبر خط الزمن الدعوي الذي استمر إلى الرسالة الخاتمة، كمحطة متميزة ليواصل المسير ما بقيت الدعوات.

ولما كانت السيرة النبوية جزء لا يتجزأ من الدعوة النبوية، فلا ريب أن الغزوات سوف تشهد حضورا واهتماما بهذا الركن الدعوي الكبير، وحتى لا تتشعب هذه الاهتمامات رأيت أن أحصرها في مطلبين؛ كما يلي:

المطلب الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعويين

المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين

المطلب الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعو(*)

من الاهتمامات الأولوية التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية العناية بحقوق المدعويين التي تعد من الواجبات والفروض الدعوية التي ينبغي أن يؤديها، مؤتسماً في ذلك بأصحاب الدعوات من الأنبياء والمرسلين، وبسيرة خاتمهم ﷺ، وفيما يلي بعض هذه الحقوق التي دلت عليها روايات المغازي في الصحيح.

الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحق تبليغ الدعوة

أن من الوظائف الأساسية للنبي ﷺ تبليغ الدعوة، من أجل ذلك سلك النبي ﷺ كل الطرق والسبل في تبليغها وإيصالها لكافة الناس، ومن الوسائل المغازي والسير وما في محيطها من عهود وبعوث ووفود، وفيما يلي نبين دور المغازي وما في محيطها في تبليغ الدعوة:

أولاً: دور الغزوات في تبليغ الدعوة

لم يقتصر دور الغزوات على البعد العسكري فحسب، بل كان لها دور كبير في تبليغ الدعوة وإيصالها للمدعويين، ويتجلى ذلك من خلال ما يلي:

1. تعريف الناس بالإسلام

لقد ظلّ النبي ﷺ حريصاً على الالتزام بتعاليم وأخلاق الإسلام في كل المواطن، والمواقف؛ ليرزها للناس كافة، المسلم، وغير المسلم عن طريق المنهج الحسي التطبيقي. وتظهر ثمرة هذا الفعل النبوي بجلاء في التأثير في زعماء قريش الذين تأكدوا، وتيقنوا بأن الدين حق، وأن محمدًا نبي مرسل من عند الله، فأبو سفيان رغم عدائه الشديد يسلم يوم الفتح¹، وليس هذا فحسب بل يحسن إسلامه ويجاهد في سبيل الله فيما بعد يقول الذهبي: "وشهد قتال الطائف فقلعت عينه حينئذ ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يومئذ قد حسن إن شاء الله إيمانه فإنه كان يومئذ يحرص على الجهاد"².

(*) يراد بالمدعويين جمهور المستهدفين والمستقبلين بكل مكوناتهم ومستوياتهم الذين يتوجه إليهم الدعاة بمضامين الرسالة الدعوية سالكين المناهج الملائمة، وموظفين الأساليب المناسبة، و مسنعملين الوسائل المتاحة، ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج البحث الدعوي، ط1، 2018م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص75.

¹- ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، (146/5)

²- الذهبي، سير أعلام النبلاء، (406/3).

وهند بنت عتبة تسلم وقد كان منها ما كان في عداء رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: " عنها، قالت: " جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِבَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذُلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، قَالَ: «وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ أَبَا سَفِيَانَ رَجُلٌ مَسِيكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرْجٌ أَنْ أُطْعِمَ مَنْ الَّذِي لَهُ عِيَالَتَانَا؟ قَالَ: «لَا أَرَاهُ إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ»¹.

2. إزالة الحواجز أمام الضعفاء

كثير ما يقف الزعماء، والساسة في وجه الضعفاء فيمنعونهم من الاستجابة للدعوة الدينية بدافع المحافظة على المصالح، وهذا أمر يكاد يطرد في التاريخ البشري، والأمثلة على ذلك كثير، وقد سجل القرآن بعضها منها، كحديثه عن فرعون فقال تعالى: ﴿أَنْ يَرْعُونَ عَلَاً فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَدَّبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [القصص: 03]، وحديثه عن أصحاب الأخدود، فقال سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: 08]، وأصحاب الكهف، فقال جلا وعلا: ﴿أَنْهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَأْتُمْ﴾ [الكهف: 20]

فكان من الواجبات الدعوية إزالة هذه الحواجز، والموانع الاستجابية بالجهاد حتى يصل الحق إلى إلى البشرية، لقوله تعالى: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [البقرة: 193]، قال الطبري: "أي: لا يفتن مؤمن عن دينه"².

فقد كان في مكة مثلاً كثير من المؤمنين لم يستطيعوا إشهار دينهم خوفاً من بطش قريش، وفتنتهم في دينهم، وقد أشارت إلى ذلك سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ بَتُّصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ عَٰلِمٌ لِّئَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح: 25].

فمن أظهر إيمانه كان مصيره الاضطهاد كما حصل لأبي جندل، فقد جاء في قصة الحديدية، "فَجَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ يَجُجُلُ فِي قُبُودِهِ، فَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ"¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة رضي الله عنها، (40/5)، برقم: 3613.

² - الطبري، جامع البيان، (593/13).

¹ - ينظر القصة بتمامها: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين، (185/3)، برقم: 2553، قال الذهبي: "حبسه أبوه وقيده"، السير، (192/1).

ثانيا: دور البعوث في التبليغ

من الوسائل التي وظفها النبي ﷺ في التبليغ والتربية، والتعليم إرسال البعوث، فقد كان يبعث برسول أو كتاب لمن لم يسلم، فقد بعث إلى ملوك عصره يدعوهم إلى الإسلام، ولأهميّة ذلك فقد عقد له البخاري بابا في صحيحه، فقال: " ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحدا واحدا بعد واحد"¹، ثم أورد جملة من الأحاديث التي ذكرت بعضها في النشاط الدبلوماسي، وقد حفظت كتب المغازي والسير البعوث التي بعثها.

وفيما يلي نماذج من البعوث التبليغيّة وبعض آثارها الدعويّة:

1. نماذج من سفراء الدّعوة

وقد عقد المقرئي فصلا ذكر فيه الرسل الذين بعثهم النبي ﷺ إلى ملوك عصره، فمما ذكر:

- ✓ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر.
- ✓ شجاع بن وهب إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني.
- ✓ دحيّة الكلبي، إلى قيصر ملك الروم.
- ✓ سليط بن عمر إلى هوزة بن علي الحنفي، وإلى ثمامة بن أنال وهما رئيسا اليمامة.
- ✓ عبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك فارس.
- ✓ عمرو بن أمية بن خويلد إلى النجاشي ملك الحبشة.
- ✓ العلاء بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين².

عند تأمل هذه النماذج

ومما أعجبنى في الكتاب أنه ذكر ردود الملوك على البعوث بعد هذا الفصل، وهو بعد دعوي

استجابي يبين جدوى الوسيلة الدعويّة، ويبان ذلك في الجدول التالي:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (89/9).

² - المقرئي، امتاع الأسماع، (304/1).

المدعو	رد الفعل	التحليل الدعوي
المقوقس	قبل كتاب رسول الله ﷺ، وأهدى إليه أربع جوارى، منهن مارية القبطية.	-رد فعل إيجابي: الاعتراف بالدولة، والاستعداد للتواصل.
قيصر	قبل الكتاب، واعترف بالنبوة بتحفظ خوفا من قومه	-رد فعل إيجابي: الاعتراف بالدولة، الاعتراف بالدعوة. -رد فعل سلبي: عدم اعتراف قاعدة المجتمع بالدعوة.
الحارث الغساني	التصريح بإعلان الحرب على المسلمين	-رد فعل سلبي: عدم الاعتراف، الاغترار بالقوة.
كسرى	مزق الكتاب	-رد فعل سلبي: عدم الاعتراف والغرور.
هوزة بن علي	تعليق الإسلام بشرط أن يصير الأمر إليه بعد النبوة	-رد فعل سلبي: عدم الاستجابة بسبب التعلق بالدنيا.
المنذر بن ساوي	أسلم، وأسلم أهل البحرين.	-رد فعل إيجابي: الإسلام الجماعي

ومن هنا تظهر الأهمية الدعوية للغزوات وما يتعلق بها من أنشطة دعوية في إيصال الدعوة إلى جمهور المدعويين، بإزالة الموانع والحواجز أمامهم؛ تمهيدا لتعريفهم بالدعوة بعمق من خلال إيفاد بعثات دعوية، فتكون المغازي بذلك قد حققت أبعادا دعوية أفضى، وعمودية.

الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحق العناية بكل الفئات

أن الدعوة إلى الله عامة لجميع البشر، وليست خاصة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة فعلى الداعي أن يفقه عموم دعوته إلى الله، ويحرص على إيصالها لكل إنسان يستطيع الوصول إليه¹، وهذا ما يلحظ في دعوة النبي ﷺ.

ولما كانت الغزوات من ميادين الدعوة وجزء لا يتجزأ منها يلح فيها هذا الملمح، ويتضح ذلك من خلال العناصر التالية:

¹ - زيدان، أصول الدعوة، ص373.

أولاً: العناية بفئة المشركين

أن المتتبع للدعوية النبوية يلمح بوضوح العناية بفئة المشركين من خلال حركة الغزوات، والسرايا والسرايا والعهود والمواثيق، فمن الغزوات التي استهدفت هذه الفئة غزوة العشيرة، وغزوة بدر، وأحد، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة بني المصطلق، وصلح الحديبية، وغزوة الفتح¹. فالغزوات من وسائل تبليغ الإسلام للمشركين، وغيرهم من الفئات؛ لما تتضمنه من أبعاد دعوية دعوية داخلية، وخارجية².

ولا أدل على ذلك من النتائج التي حققتها الدعوة بعد الغزوات تفصيلاً؛ فكل غزوة لها نتائجها نتائجها الدعوية، وإجمالاً التمكن للدعوة الإسلامية الذي من مظاهره توافد الوفود³، والحركة بالدعوة في مختلف الاتجاهات خاصة بعد فتح مكة.

ثانياً: العناية بفئة أهل الكتاب

من الفئات المستهدفة بالدعوة الإسلامية فئة أهل الكتاب، فقد خوطبوا بآيات كثيرة، من ذلك قوله سبحانه تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 63]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ فَمَا جَاءَكُمْ رُسُلُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: 19].

والاستهداف الدعوي لأهل الكتاب ينبغي أن يبرز بقوة حتى تفند الشبهات التي تثار حول عالمية الدعوة، لذا حرص النبي ﷺ على تبليغ الدعوة لهذه الفئة من خلال حركة الغزوات، وما صاحبها من بعوث وسرايا، وعهود، ...

فقد وجهت غزوات لليهود والنصارى، وطبعاً كان الهدف، والمقصد الأصلي نشر دعوة الإسلام، الإسلام، لقوله ﷺ وهو يحدد الهدف من الجهاد لصحابي سأله عن طبيعة القتال في الإسلام،

¹ - ينظر، رواه البخاري في صحيحه، (72/5-145).

² - المراد بالأبعاد الداخلية ما يكون داخل الغزوة أثناء القتال بين النبي ﷺ، والمستجيبين للدعوة من الصحابة ﷺ، والأبعاد الخارجية يراد بها أثر الفعل الدعوي النبوي في الغزوة على المدعويين المرتقبين من المقاتلين وغيرهم ممن يصلهم الصدى الإعلامي للغزوات.

³ - ينظر: الجامع الصحيح، (168/5-174)، محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1410 هـ، 1990 م، (222/1).

فَعَن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلدَّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ اللَّهُ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا (1) فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»².

فالحديث يدل بدلالة قاطعة على أن الجهاد النبوي لم يشرع إلا لنشر الدعوة، لا كما يظنه بعض بعض المغرضين، الذين يفسرون الغزوات تفسيراً مادياً³.

فكانت غزوة بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وخيبر تستهدف اليهود، وغزوة مؤتة، وتبوك تستهدفان النصارى، وكما مر آنفاً أن هذه الغزوات لا تخلو من أبعاد، ونتائج دعوية تظهر في العاجل والآجل.

فما توسع الفتوحات، وانتشار الإسلام في المعمورة بعد النبوة إلا ثمرة من ثمرات هذه العناية بهذه الفئة وغيرها من فئات المدعوين.

ثالثاً: العناية بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة

أن معيار التفاضل في الدعوة الإسلامية هو التقوى، بعيداً عن المعايير المادية والجاهلية؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنَا خَلَقْتَكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْتَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۗ أَن اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

وعلى هذا الأساس كانت لذوي الاحتياجات الخاصة مكانتهم، وحظهم من الخطاب الدعوي، فرغم أن هؤلاء لا يمكنهم المشاركة في الدعوة من خلال الغزوات إلا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد التفت إليهم،

ورفع معنوياتهم بأسلوب عاطفي رائع، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي غَزَاةٍ (1)، فَقَالَ: «أَنْ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»².

¹ - قال ابن حجر: "قال ابن أبي جمرة ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما انضاف إليه، ويدل على أن دخول غير الإعلاء ضمناً لا يقدح في الإعلاء إذا كان الإعلاء هو الباعث الأصلي"، ابن حجر، فتح الباري، (29/6).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (20/4)، برقم: 2810.

³ - ينظر: حسين بن عبد الله العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، (249/1).

فالالتفات إلى ذوي الاحتياجات الخاصة من الأساليب الدعوية الوجدانية المؤثرة، لذا نجد غير المسلمين يستعملونها للدعاية لدياناتهم، ومذاهبهم، شان النصرى، فقد خصصوا منتديات تستهدف ذوي الاحتياجات الخاصة لأجل تعليمهم العقائد والطقوس والروحانيات³.

رابعاً: الاهتمام بفئة النساء والأطفال

قد اهتم النبي ﷺ بفئة النساء و الأطفال - حتى وأن كانوا نساء أو أبناء المشركين-؛ لأنهم دعاة دعاة المستقبل، فهو يستشرف أن يكونوا من أمته، وهذا الأسلوب يكاد يطرد في هديه الاتصالي الدعوي⁴.

وهذا الاستشراف واضح في جوابه لملك الجبال حين آذاه قومه من أهل الطائف، حين عرض عليه أن يطبق عليهم الأخسبين، وذلك بقوله ﷺ: « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »⁵.

"وما هي إلا سنوات قلائل، وتفتح مكة على يد النبي ﷺ، في السنة الثامنة من الهجرة وتتحقق وتتحقق دعوته ﷺ، ويُسلم بقية أهل مكة بعد أن عفا عن كل من ناصبه العدا، ثم تأتي ثقيف فتدخل في الإسلام، ويعم الخير العظيم هاتين القبيلتين"⁶.

من أجل هذا المقصد الدعوي العظيم نهي النبي ﷺ عن قتل النساء والأطفال في الحرب، فعن عبد الله ﷺ، أخبره: أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، «فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»⁷.

¹ - كان ذلك في غزوة تبوك، قال العيني في تعليقه على الحديث: " وفيه من حبسه العذر من أعمال البر مع نية فيها يكتب له أجر العامل بما كما قال فيمن غلبه النوم عن صلاة الليل إنه يكتب له أجر صلاته وكأنّ نومه صدقة عليه "، عمدة القاري، (283/21).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، (26/4)، برقم: 2684.

³ - مُجَدِّدُ المَجْمُوعِي، التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1433هـ، ص79.

⁴ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ط1، 2014م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص62.

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، (113/4)، برقم: 3059.

⁶ - مُجَدِّدُ العَوَاجِي، أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص21.

⁷ - رواه البخاري في صحيحه، الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، (61/4)، برقم: 2851.

ف لقد اتسمت حياته ﷺ بالإنسانية، الفائقة حتى مع الكفار والأعداء، مما يعكس سمة الرحمة الرحمة بوضوح في دعوته، والمواقف في هذا السياق لا يمكن حصرها¹.
أما اهتمام النبي ﷺ بأطفال المسلمين فظاهر للعيان؛ لإدراكه أنهم حملة مشعل الدعوة من بعده، ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى.

ومن أمثلة هذه العناية عنايته ببيتمى المسلمين، فمن ذلك ما حصل مع ابنة حمزة يوم عمرة القضاء، فقد روى البخاري عن البراء قال: فَتَبِعْتُهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ، تُنَادِي يَا عَمَّ يَا عَمَّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدَيْهَا، وَقَالَ لِطَائِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: دُونَكَ ابْنَةُ عَمِّكَ حَمَلَتْهَا²، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي. فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ خَالَتَهَا، وَقَالَ: «الْحَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ»³.

قال العيني: " وفيها دلالة أن للخالة حقا في الحضانة فقال الخالة بمنزلة الأم"⁴.
وكل ذلك مراعاة لمصلحة اليتيم، خاصة إذا كانت أنثى، ومما ينبغي تسجيله في هذا الموقف تغيير الإسلام الجذري للنظرة تجاه الأنثى، فبعدما كانت تهون على والدها فيئدها وهي حية أصبح الرجال يتنافسون على كفالتها بما يضمن لها الحياة الكريمة.

ومن المواقف التي تدل على العناية بالطفولة عدم تجنيد الأطفال، واستغلالهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ: عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه، وعرضه يوم يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة، فأجازه⁵.

كانت تلك مواقف دعوية نبوية تدل على حرص النبي ﷺ على إيصال الدعوة إلى جميع الفئات دون استثناء وبالأسلوب والطريقة التي تناسب طبيعة كل فئة؛ حتى يكون أسوة لمن يأتي من بعده من الدعاة، والفتاحين.

الفرع الثالث: الأبعاد الدعوية لحق المتابعة المستمرة للمدعوين

¹ - محمد أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ط8، 1427 هـ، (629/2).

² - قال ابن حجر: " وكان الفاء سقطت قلت، وقد ثبتت في رواية النسائي من الوجه الذي أخرجه منه البخاري، وكذا لأبي داود من طريق إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل، وكذا لأحمد"، فتح الباري، (505/7).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، (141/5)، برقم: 4005.

⁴ - العيني، عمدة القاري، (146/26).

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (93/5)، برقم: 3871.

أن الدعوة لا تقتصر على التبليغ فحسب، بل تتعدى إلى التربية، والتكوين، فالنبي ﷺ ظل يتابع أتباعه متابعة مستمرة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المتابعة الدعوية في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 128].

فقد تبين من خلال السيرة النبوية اهتمامه ﷺ بمن استجاب للدعوة، والعمل على تركيتهم، وتربيتهم على هدى الإسلام، وذلك عن طريق تعليمهم دينهم وتطبيق الإسلام في حياتهم، وتعميق وتعميق معاني الإخوة فيما بينهم وحثهم على تحمل الأذى، والصبر في سبيل الدعوة¹. ولما كانت المغازي، وما في محيطها من ميادين التربية الدعوية الكبيرة، فقد تعددت مجالات المتابعة النبوية للمدعوين فيها، ويمكن إجمال مظاهر المتابعة المستمرة للمدعوين خلالها في العناصر التالية:

أولاً: التقويم الدعوي المستمر

لا يشك أحد أن الصحابة على جلاله قدرهم، وعظيم فضلهم أنهم بشر غير معصومين، فنصدر عنهم أخطاء بمقتضى هذه البشرية، فقد صدرت عنهم أخطاء في الغزوات بشكل فردي أو شكل جماعي، إلا أنهم لا يستمرون على الخطأ بعد بيان الحق عن طريق الوحي، بل يسارعون إلى الاعتراف بالخطأ، والحرص على جبره بما يمكن أن ينجبر به.

وقد تعددت الأساليب النبوية في المتابعة المستمرة للمدعوين في ميدان الغزوات، أجمالها في النقاط التالية:

1. التصحيح عن طريق بيان الصواب

من أساليب التربية النبوية في التقويم المستمر التصحيح عن طريق بيان الصواب، فإذا وقع الصحابي في الخطأ في موقف من المواقف بينه النبي ﷺ ودله على الصواب.

فمن ذلك ما رواه علي رضي الله عنه، قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمْرُكُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْفِدُوا نَارًا، فَأَوْفَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ

¹ - إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط1، 1417هـ، ص120.

بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَزْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى حَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»¹.

فالنبي ﷺ صحح اعتقاد الأمير بأن الطاعة مطلقة فقيدها النبي ﷺ بقيد المعروف، قال زكريا الأنصاري عقب الحديث: "أشار به إلى أن الأمر المطلق لا يعم جميع الأحوال؛ لأنه ﷺ وأن أمرهم أن يطيعوا الأمير فالأمر فيه محمول على ما لا معصية فيه"².

2. التصحيح عن طريق الإنكار

ومن أساليب التقويم النبوي كذلك التصحيح عن طريق إنكار الخطأ، فقد يخطئ الصحابي في بعض المواقف فيبين له النبي ﷺ أنه أخطأ عن طريق الإنكار.

ومثال ذلك ما حصل في موقف لأسامة رضي الله عنهما، إذ يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه، قال: لا قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري قطعته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ، فقال: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله»، قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم³.

قال ابن التين: "في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد"⁴.

ثانيا: المكافأة على الإنجاز الدعوي

من التوازن التربوي أن يجمع الداعية، والمرمي بين التصحيح والتقويم، والمكافأة ورفع المعنويات، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ في غزواته وما في محيطها، وقد كان لهذا الأسلوب عدة مظاهر أذكر منها:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال: إنها سرية الأنصار، (161/5)، برقم: 4085.

² - زكريا الأنصاري، تحفة الباري، (429/7).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، (144/5)، برقم: 4021.

⁴ - ابن حجر، فتح الباري، (196/12).

1. الإشادة بالإنجاز

من وسائل المكافئة المعنوية الإشادة بالإنجاز، فعلى القائم على شؤون الدعوة أن يشيد بالمواقف الإيجابية التي تصدر من المدعوين، والدعاة؛ لشحذ الهمم والافتداء والتسليّة وغيرها من الأغراض الدعوية.

فقد كثر هذا الأسلوب في السيرة النبوية لما له من تأثير على النفسيات، فمن أمثلة ذلك إشادة النبي ﷺ ببطولات قادة غزوة مؤتة، ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نعى زيداً، وجعفرًا، وابن رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ حَبْرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»¹.

فهذه مواقف بطولية تستحق الإشادة والتنويه، فقد كان القادة الثلاثة في قمة البطولة والفداء، وأثبتوا شجاعة نادرة حيث قاوموا بثلاثة آلاف مقاتل مسلم ما يزيد على مائتي ألف من جنود الأعداء، فأعطوا بذلك مثلاً للثبات، والصمود والسيطرة على الموقف العصيب².

2. الشناء على صاحب الإنجاز

أن مما يعد من وسائل المكافأة المعنوية كذلك الشناء على صاحب الإنجاز، فقد كان النبي ﷺ يثني على صاحب الموقف الصحيح بأنواع مختلفة من الشناء بما يحقق الهدف المبتغى من الموقف الدعوي.

فمن ذلك ثناءه على عامر بن الأكوع لعذوبة صوته بالحداء، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكانعامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلين ما

فاغفر فداء لك ما أبقيننا ... وثبت الأقدام أن لاقينا

وألقين سكينه علينا ... إن إذا صيح بنا أبين ا

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة، (17/4)، برقم: 2645.

² - ناديّة العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص 316.

وبالصياح عولوا علينا، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ هَذَا السَّائِقُ» قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ، قَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ»¹، فهذا ثناء ضمني عن طريق الدعاء.

ومن وجوه الثناء ذكر ثواب وأثر الإنجاز الدعوي، فقد حصل ذلك لعثمان رضي الله عنه، ففي الصحيح ففي الصحيح أن أن عثمان رضي الله عنه حين حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنشُدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنشُدْ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ؟» فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟» فَجَهَّزْتُهُمْ²، وفي طرق أخرى خارج الصحيح تأكيد لهذا الثناء، فقد جاء عند الطبراني بصيغة: «لا يضر عثمان ما عمل بعد اليوم»³.

كانت تلك أمثلة من واقع المغازي شاهدة على المتابعة النبوية المستمرة للمدعوين التي تقوم على ثنائية التقويم المستمر والمكافئة على الإنجاز؛ تأكيداً على أهمية هذا البعد في ترشيد الفعل الدعوي، وشحذ فعاليته، وضمان استدامته واستمراريته.

الفرع الرابع: الأبعاد الدعوية لحق التدريب الدعوي

أن الداعية الناجح لا يقنع بالاستجابة الدعوية القاصرة على المدعو، وهذا ما يلحظ في الدعوة النبوية، فقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم أن الدعوة مسؤولية الجميع، فالكامل مطالب بما بقدر ما لديه من استعدادات، وإمكانات دعوية، ولعل عدم الإدراك والوعي لهذا البعد الدعوي المهم - باعتباره من ضمانات الاستمرار الدعوي -، جعل الكثير من التجارب الدعوية تفسل، وتموت بموت أصحابها.

وتظهر العناية بالتدريب والتأهيل الدعوي من خلال المغازي في صور متعددة؛ يمكن أن أخصها في العناصر التالية:

أولاً: التدريب على تحمل المسؤولية الدعوية

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (130/5)، برقم: 3960.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، (13/4)، برقم: 2778.

³ - أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، (231/18)، قال ابن حجر: "إسناده حسن مع كونه مراسلاً"، فتح الباري، (111/8)، فالرواية ليست على شرط البخاري لذلك اقتصر على ما ذكرنا.

أن التدريب على تحمل المسؤولية الدعوية من الأمور الضرورية في تقديري لنجاح التدريب الدعوي، فتربية المدعويين على استشعار المسؤولية الدعوية التي تبدأ بالدخول في الإسلام، وبلوغ وبلوغ سن التكليف من القضايا الدعوية التي لا ينبغي أن تغفل¹.

قال الطيب برغوث: " أن كل هذا الاندفاع في سبيل الله، وهذا الحماس لنشر الدعوة الإسلامية، الإسلامي، والتفاني في خدمة الإسلام والدفاع عنه أوجده الإحساس القوي بالمسؤولية على هذا الدين"².

وقد نبه الذكر الحكيم على هذه المسؤولية بقوله سبحانه تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ آلِي الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 104]، قال أحمد عيساوي: "الشعور بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق الدعاة تمثل الركن الرئيس لنجاح مشروعه الدعوي"³ فالعمل الدعوي لاستئناف الحياة الإسلامية في أمتنا واجب شرعي، وهذا لا يمكن إلا بوجود الأمة التي تدرب على تحمل المسؤولية الدعوية التي هي منطلق وأساس الاستمرارية الدعوية⁴. وقد حرص النبي ﷺ على إشعار أتباعه بالمسؤولية ودرهم عليها من خلال التكليف ببعض المهام في الغزوات، كقيادة سرايا وحمل الرايات والحراسة في الغزو، فكلها تدريب لهؤلاء على استشعار المسؤولية.

ومما يزيد في تعميقها التدريب على احتسابها في سبيل الله وابتغاء بها الأجر، وهذا بين في كثير من الأحاديث.

فعن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: « رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي اللَّهِ أَوْ الْعِدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا »⁵.

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، ص50، الطيب برغوث، الفعالية الحضارية، والثقافية السننية، ص202.

² - الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي المعاصر، ص37.

³ - أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج البحث الدعوي، ص190.

⁴ - أبو بكر أحمد السيد، رسالة إلى المدرسين والمدرسات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1410هـ، ص26.

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، (35/4)، برقم: 2735.

وقد كان لهذا الترغيب أثره فيما بعد، قال ابن حجر: "الرباط بكسر الراء وبالموحدة الخفيفة ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم... ومن ثم أختار كثير من السلف سكنى الثغور"¹.

ثانيا: التدريب على ممارسة العمل الدعوي

عند متابعة المغازي، وما يتعلق بها من بعوث، ووفود لا نجد النبي ﷺ ينفرد بإدارتها لوحده، إذ أسند مهام كثيرة ومسؤوليات كبيرة لأصحابه تدريبا لهم على الاستمرار الدعوي من بعده، ويظهر ويظهر ذلك في السرايا والبعوث التي قادها الصحابة ولم يكن فيهم النبي ﷺ، كغزوة زيد بن حارثة، وغزوة مؤتة²، وسريّة عبد الله بن حذافة³، وغيرها.

ومن مظاهر التدريب النبوي تدريب الأتباع على الاجتهاد في النوازل الدعويّة التي لا نص فيها، ولا شك أن الاجتهاد أمر ضروري في التدريب يضمن استيعاب قضايا الدعوة الإسلاميّة التي ستتجدد بعد وفاته ﷺ.

فمما يدل على ذلك تكليف رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يحكم في بني قريظة، فعن أبي سعيدٍ سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ»، خَيْرِكُمْ»، فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ، قَالَ: «قَضَيْتَ قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ»، وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ الْمَلِكِ»⁴.

وفي هذا التكليف بعد دعوي، يوضحه أكرم العمري بقوله: "وبذلك تبرأ سعد بن معاذ من حلف حلف بني قريظة ولم يقع في نفوس الأوس شيء رغم تحالفهم مع بني قريظة وقرب عهدهم بالإسلام، فسيدهم سعد هو الذي حكم فيهم"⁵.

¹ - ابن حجر، فتح الباري، (85/6).

² - قد تعاقب على قيادة غزوة مؤتة، كل من زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، فلما استشهدوا تولى القيادة خالد بن الوليد ﷺ، ينظر: السهيلي، الروض الأنف، (164/7)، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 357.

³ - ينظر: صحيح البخاري، (141، 143، 161/5).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، (112/5)، برقم: 3895.

⁵ - أكرم ضياء العمري، السيرة النبويّة الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوي، (315/1).

ومن التدريب النبوي إقراره ﷺ لبعض اجتهادات أصحابه ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عنهما، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَيْتِي قَرْيَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ¹.
قال ابن حجر في تعليقه على الحديث الشريف: "فما عَنَّفَ أحدا منهم من أجل الاجتهاد المسوغ والمقصد الصالح"².

ثالثا: التدريب على استثمار الطاقات

أن استبداد بعض الزعماء، والقادة؛ خوفا على مناصبهم، يحول دون إتاحة الفرص لظهور أصحاب القدرات والمؤهلات، في حين نجد أن أصحاب الرسالات الإصلاحية، وأصحاب النفوس الكبيرة لا يهتمهم إلا ظهور الحق ونجاح الدعوة، لذا يتركون المجال لكل صاحب قدرة أو فكرة تخدم الدعوة.

وهذا ما نلمحه عند تتبع وقائع السيرة النبوية، فكان النبي ﷺ يستثمر المؤهلات الدعوية التي عند الأتباع، وينميها ويشجع عليها.

ويشهد لذلك أمثلة كثيرة من الغزوات، وما في محيطها، أجملها في النماذج التالية:

1. نموذج التدريب على استثمار الطاقات القيادية: من أبرز الأمثلة على هذا النموذج في ميدان الغزوات نموذج خالد بن الوليد رضي الله فرغم تأخر إسلامه⁽³⁾، إلا أن ذلك لم يمنع النبي ﷺ من استثمار قدراته القيادية والقتالية ليدربه مبكرا على القيادة الجهادية الدعوية، فجعله من قادة غزوة مؤتة، وكان من القادة يوم فتح مكة، ففي الصحيح: "وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، ودخل النبي ﷺ من كداء، فقتل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذ رجالان"⁴.

2. نموذج التدريب على استثمار الموارد البشرية: من النماذج الرائعة على استثمار الموارد البشرية، وتوظيف طاقاتها الإنتاجية لصالح الدعوة استثمار النبي ﷺ القدرات الزراعية ليهود خيبر،

¹ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف، (14/1)، برقم: 942.

² - ابن حجر، فتح الباري، (209/1).

³ - أسلم خالد بن الوليد ﷺ في السنة الثامنة للهجرة، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (366/1).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ (146/5)، برقم: 4030.

خير، فكونهم غير مسلمين، هذا لم يمنع من الاستفادة من قدراتهم الزراعيّة، فممكنهم من مزارعة أرض خيبر، التي استفادت الدّعوة بعدها من غلاتها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "ما شبعنا⁽¹⁾ حتى فتحنا خيبر"².

وفي ذلك تدريب مبكر للأمة على استثمار الطاقات البشريّة، ولو من غير المسلمين في خدمة الدّعوة الإسلاميّة حتى تواكب المسارات الحضاريّة للأمم.

¹ - قد امتازت خيبر بتنوع المنتج ووفرتة، فإضافة إلى التمر فقد كانت تنتج القمح والشعير، ينظر: السهيلي، الروض الأنف، (133/7).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (140/5)، برقم: 4000.

3. نموذج التدريب على استثمار الطاقات البيانية: لما كانت طاقة الشعر، والبيان كامنة في الكثير من الأتباع من الصحابة رضي الله عنهم، فقد اقتضت الحكمة النبوية استثمارها بتدريب أصحابها بتفجير طاقاتهم البيانية في خدمة الدعوة.

فقد استثمر النبي ﷺ الطاقات البيانية والأدبية للشعراء على غرار حسان بن ثابت، و عبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وغيرهم متيحا لهم مجال المساهمة بتجارهم الشعرية في مجال شعر الفتوح؛ ليتدربوا على هذا النوع من الشعر الدعوي الإسلامي.

فقد ظل الشعر بفضل هذا الاستثمار النبوي لطاقاته مصاحبا للغزوات بأغراضه المختلفة كوسيلة كوسيلة دعوية تستثمر للدفاع والترويح وشحذ الهمم¹.

وبهذا يكون النبي ﷺ قد مارس التدريب الدعوي على المستويات المختلفة؛ تحسيسا، وتفعيلا، واستثمارا.

ومما سبق يتضح أن المدعو قد أخذ قسطه الحقوقي بجودة عالية في ميدان المغازي وما في محيطها تبليغا، ومتابعة، وتدريباً.

المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين

أن الدعوة الإسلامية بطبيعتها الشمولية تتناول جميع أصناف المدعوين دون استثناء؛ وقصد حصر هذه الأصناف يمكن أن أقسمهم باعتبار الاستجابة للدعوة إلى مدعوين مستجيبين، وغير مستجيبين، فيمثل الفئة الأولى الصحابة رضي الله عنهم، والفئة الثانية يمكن أن تقسم إلى فئتين: فئة أعلنت عدم استجابتها للدعوة وناصبها العداة علانية، ويظهر ذلك عند المشركين واليهود، وفئة أظهرت الاستجابة ظاهرا، وأبطنت العداة وهم فئة المنافقين.

وسأكتفي في هذا العنصر بتناول فئة المدعوين غير المستجيبين، مبرزا أهم أسباب عدم استجابتهم وكيفية تعامل النبي ﷺ مع كل فئة في سياق الفعل الدعوي النبوي في المغازي وما في في محيطها وفق ما يلي:

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، أبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، ص50، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، (36/8)، المقريري، إمتاع الأسماع، (42/10).

الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بصنف الملاء

أن عموم أفراد المشركين، واليهود تبع لزعمائهم وأشرفهم، وفق ما يقتضيه نمط الحكم القبلي، فالأتباع لا يُبدون أي معارضة في الغالب لما يقرره هؤلاء الزعماء الذين يطلق عليهم الملاء؛ لذلك ستمحور الدراسة حولهم من خلال هذه العناصر.

أولاً: مفهوم مصطلح الملاء

للتوصل للمدلول الدعوي لمصطلح الملاء لا بد من تعريفه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، تبعا لما يلي:

1. تعريف الملاء

الملاء في اللغة الجماعة، وهو الخلق أيضا وتمألؤوا على الأمر اجتمعوا عليه، والملاء جماعة يجتمعون على رأي، فيملئون العيون رواء ومنظرا، والنفوس بهاء وجلالا، يقال: فلان ملء العيون، أي: معظم عند من رآه، كأنه ملاء عينه من رؤيته، ومالآته: معاونته وصرت من ملته.

وفي القرآن الكريم وردت كلمة "الملاء" في عدة مواضع، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي أَنَا لِزَيْبِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأعراف: 60]، وقوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ ﴾ [القصص: 38]، وقوله جل وعلا: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَنتِ الْفٰئِنِي إِلَيَّ كِتٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: 29].

والمراد بها في السياق القرآن ي لا يخرج عن المعنى اللغوي، فتطلق على وجوه القوم، والأشراف والأشراف والرؤساء، والسادة، وذوي الرأي¹.

2. الدلالة الدعوية لمصطلح الملاء: والملاء كمصطلح دعوي يطلق على أصحاب النفوذ في المجتمع، الذين يعتبرهم الناس أشرافا، وسادة، باعتبار المعايير السائدة، تمكنهم من القيادة، والرئاسة، و الزعامة، والتأثير في الجمهور².

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان، (291/5)، الزمخشري، الكشاف، (113/2)، أبوحيان، البحر المحيط في التفسير، (559/2)

² - ينظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص 380.

ثانيا: التحديات الدعوية المتعلقة بالملاء

يُعدّ عداءُ الملاء من التحديات التي واجهتها الدعوات عبر تاريخ الإنسانية الطويل، تكاد تكون سنة مطردة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثِرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:22].

وفي الوقت نفسه قد يعدون من مكاسب الدعوة؛ لقوة تأثيرهم في أتباعهم في حالة استجابتهم للدعوة، ولما كانت الدعوة الإسلامية حلقة من حلقات تلك الدعوات لا بد أن تواجه تحديات أولئك الملاء في كل مراحلها.

وهذا ما سيقف عليه القارئ من خلال تأثير أصناف من الملاء في سياق روايات المغازي، وما في محيطها، فيما يلي:

1. التحديات الدعوية المتعلقة بالملاء القرشي

لم يتوقف الملاء القرشي عند تحدي الدعوة الإسلامية بعد الهجرة، بل استمرت عداوتهم لها، وهذا ما يتضح من قتالهم للمسلمين، وتأليب كل القوى ضدهم، فقد كانت لهم مواقف، وكان لهم تأثير على أتباعهم يظهر من خلال الأمثلة التالية من الغزوات النبوية:

أ. تأثير الملاء في تأليب الأتباع ضد الدعوة

أن الملاء القرشي، وعلى رأسهم أبو جهل هم الذين حرضوا عوامهم على قتال المسلمين في بدر، بدر، ففي الصحيح: " فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيركم؟ فكره أمية أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد سيد أهل الوادي، تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني، فوالله لأشتريين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزني، فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال قال لك أخوك اليشربي؟ قال: لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا منزلا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر "1.

ويتضح تأثيره أكثر في رواية ابن إسحاق: " ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا- وكان بدر موسمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به

¹ - رواه البخاري في صحيحه، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر، (71/5)، برقم: 3734.

به سوق كل عام-فنقيم عليه ثلاثا، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا"¹.
وقد استمر الملاء القرشي في تأثيره على الأتباع، والمستضعفين إلى فتح مكة، فقد ظل يسوق الأتباع، ويجندهم لمحاربة الدعوة في الغزوات المختلفة.

ب. حرص الملاء على تشويه صورة الدعوة

لم يكتف الملاء من قريش بالتأثير في أتباعهم تجاه الدعوة فحسب، بل سعوا إلى تشويه صورتها في الخارج، فمن أمثلة ذلك محاولة أبي سفيان تشويه صورة النبي ﷺ عند هرقل، فعن عبد الله بن عباس، أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مآد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقرهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كان كذبي فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذبا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة"².

فلم يفوت أبو سفيان هذه الفرصة لتشويه الدعوة بمحاولة النيل من قائدها وأتباعه، فقد حاول اتهامه ولو بالشيء المحتمل؛ ويتعلق الأمر بصلح الحديبية، لكونه أمرا مغيبا أمن أبو سفيان أن ينسب في ذلك إلى الكذب ولهذا أورده بالتردد³.

¹ - ابن هشام، السيرة النبوية، (618/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (08/1)، برقم: 07.

³ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (36/1).

والحق أن تشويه صورة الدّعوة قد بدأ مع الجهر بالدّعوة في العهد المكي، ليستمر كتحدي يظهره الملأ القرشي كلما سنحت لهم فرصة .

ومن هنا يتضح جليا خطر الملأ القرشي في صد الناس عن الدّعوة التّبويّة بمختلف الوسائل والأساليب على الصّعيدين الداخلي والخارجي، كان أهما التّأليب ضد الدّعوة، ومحاولة تشويهها، وهما صورتان تتكرران في خضم سنة التّدافع عبر تاريخ الدّعوة العام، والخاص.

2. التّحديات الدّعويّة المتعلّقة بالملأ اليهودي

كان للملأ اليهودي أثر بارز على أتباعهم، وعلى الدّعوة الإسلاميّة، فقد سخروا كل إمكاناتهم، وقدراتهم الماديّة، والمعنويّة لتنفيذ مخططاتهم العدائيّة، وسوف أبرز أهم تلك التّحديات التي يمارسها الملأ منهم من خلال المواقف التّاليّة:

أ. التّأثير في الاستجابة الدّعويّة لدى الأتباع

يظهر أثر الملأ اليهودي في أتباعهم جليا حيث لم يسلم منهم إلا القليل، وهذا ما تؤكده هذه الرواية من روايات المغازي في الصحيح.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَفَرِيظَةُ، فَأَجَلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ فَرِيظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ فَرِيظَةَ، فَكَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لِحُقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَمْنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجَلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ»¹.

وقد فصلت كتب السير ما أجملته رواية البخاري من تأثير الملأ على الأتباع، فمن ذلك تأثير حيي بن أخطب زعيم بني النضير، فهو الذي دبر مكيده قتل النبي ﷺ التي كانت سببا لإجلائهم، فقدر روى الواقدي قوله: "يا معشر اليهود، قد جاءكم مُجَدُّ في نفر من أصحابه لا يبلغون عشرة-ومعه أبو بكر، وعمر، وعلي، والزبير، وطلحة، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عباد-فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه، فلن تجدوه أخلى منه الساعة! فإنه أن قتل تفرق أصحابه، فلحق من كان معه من قريش بجرمهم، وبقي وبقي من هاهنا من الأوس والخزرج حلفاءكم، فما كنتم تريدون أن تصنعوا يوما من الدهر فمن الآن"².

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (88/5)، برقم: 3804.

² - الواقدي، المغازي، (364/1).

وقد انتهى هذا التأثير على الأتباع أن حرم اليهود من الدخول في الإسلام، فأجلى منهم من أجلي، وأبيد منهم من أبيد وهم يهود بني قريظة، ولم يزل هذا التأثير قائما، والتآمر ضد الدعوة مستمرا إلى أن سقطت خيبر التي آوى إليها الملأ من اليهود بعد إجلائهم من المدينة.

ب. إثارة الفتن

كان من كيد الملأ اليهودي إضافة إلى التأثير في استجابة أتباعهم، وتسبيهم في إجلائهم الاستمرار في إثارة الفتن، والتحالف مع الأعداء للقضاء على الدعوة الإسلامية، ويظهر ذلك في بعض المواقف والحوادث التي سجلتها كتب المغازي والسير.

فقد تحالف بني قريظة مع الأحزاب ونقضوا العهد، فخرج إليهم، النبي ﷺ بعد غزوة الأحزاب، الأحزاب، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: " قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ " ¹

وكان هذا النقض بتأثير الملأ اليهودي على بني قريظة، فلم يزل حبي بن أخطب النضري، وهو من أشرفهم بكعب بن أسد القرظي حتى أقنعه بضرورة نقض العهد، والتحالف مع الأحزاب الأحزاب للقضاء على المسلمين ².

ومن الفتن ما كان يثيره كعب بن الأشرف الشاعر اليهودي، وهو من وجهاء يهود بني النضير الذي وظف شعره لحرب الدعوة، وإثارة الفتن والمشاكل، فهو الذي قدم على أهل مكة بعد بدر، وجعل يحرضهم على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار، ويكي أصحاب القلب من قريش، الذين أصيبوا ببدر، فمما قال:

طحنت رحي بدر لمهلك أهل هه *** ولمثل بدر تستهل وتدمع

قتلت سراة الناس حول حياضهم *** لا تبعدوا أن الملوك تصرع ³.

ومن آذاه أنه كان يتعرض لنساء المؤمنين في شعره، مما جعل التخلص منه، وتطهير المدينة من فتنه من مقتضيات الدعوة، فبعث محمد بن مسلمة وأبا نائلة للقضاء عليه، فعن جابر عن النبي

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، (111/5)، برقم: 4117.

² - العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (2/427).

³ - ينظر: الواقدي، المغازي، (1/121).

ﷺ، قَالَ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ»، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: قَالَ: فَأَذَّنْ لِي، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»¹.

وفي هذا السياق بُعث رهط للقضاء على أبي الحقيق اليهودي لما كان يصدر منه من جهر بالعداء بالعداء للدعوة، وأتباعها، فعن البراء بن عازب، رضي الله عنهما، قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ بَيْتَهُ لَيْلًا فَقَتَلَهُ وَهُوَ نَائِمٌ»².

قال ابن إسحاق: "وكان سلام بن أبي الحقيق، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول رسول الله ﷺ" ³

ومن خلال ما سبق يظهر دور الملائم من المشركين واليهود في تشكيل تحدي دعوي تمثل في صد الأتباع من الاستجابة للدعوة الإسلامية، وقد كانت لهم مواقف في هذا السياق تستهدف توسيع دائرة الصد عن الدعوة، من خلال أساليب متنوعة ومتجددة.

3. الأبعاد الدعوية المتعلقة بموانع الاستجابة لدى الملائم

أن الملائم المعادين للدعوة تحكّمهم نفس السنن التي قررها القرآن الكريم، فالأسباب التي صدّتهم عن الاستجابة تكررت عبر التاريخ، ولعل من أهمها:

أ. الأبعاد الدعوية المتعلقة بالموانع النفسية

تشكل الموانع النفسية تحديات تحول دون الاستجابة الدعوية، وكان من أهم وأخطر هذه الموانع مانعين تكرر ذكرهما في تاريخ الدعوات الدينية، ويتعلق الأمر بالكبر والحسد.

فأول هذه الموانع النفسية الكبر، فهو يعد من الأخلاق المذمومة، فقد ذمه الله تعالى في مواضع من كتابه، وذم كل جبار متكبر فقال تعالى: ﴿سَاءَ صَرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146]، فالآية دالة على أن الكبر من الموانع الصادة عن الهداية⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الفتك بأهل الحرب، (64/4)، برقم: 3032، وقد جاءت القصة

مطولة في كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، (90/5)، برقم: 3811.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، (91/5)، برقم: 3812.

³ - ابن هشام، السيرة النبوية، (273/2).

⁴ - ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، (336/3).

وقد دلت مواقف من المغازي على أثر الكبر في الاستجابة، فمن ذلك كبر أبي جهل الذي استمر
استمر معه إلى آخر رمق من حياته، فعن عبد الله رضي الله عنه: " أنه أتى أبا جهل وبه رمق يوم بدر،
يوم بدر، فقال: أبو جهل: هل أعمد من رجل قتلتموه " ¹.

قال ابن حجر: " معنى أعمد أعجب وقيل بمعنى أغضب وقيل معناه هل زاد على سيد قتله
قومه " ².

فقد لازم الكبر أبا جهل إلى آخر رمق من حياته، فقد ظل محتقرا لغيره من أتباع الدعوة، ومعتدا
بنفسه إلى النهاية، مما يؤكد أن الكبر من أعظم الموانع التي تحرم العبد من الاستجابة لدعوة الحق.

ومن أمثلة الكبر الصادة عن الاستجابة، ما رواه ابن عباس رضي الله عنه، " أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: بَعَثَ بِكِتَابِهِ
بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُذَافَةَ السَّهْمِيِّ " فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ
عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَرْقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنْ ابْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: «فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ أَنْ يَمْزُقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ» ³

وأما المانع الثاني، فهو الحسد فقد دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على كونه مانعا
لقبول الحق والانقياد له، وأكثر من عرف به صنف اليهود، قد ثبت في كتب المغازي و السير أن
اليهود لم يسلم منهم إلا القليل، رغم علمهم بان نبوة النبي ﷺ حق، فأن حسدهم حملهم عدم
الاستجابة.

وهذا من أخلاقهم التي دل عليها القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ
يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: 108].

فحملهم الحسد على تشويه حقائق الدعوة الإسلامية، والتحالف مع أعداءها، ومحاولة قتل النبي
النبي ﷺ، وسعى في ذلك حتى النساء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ
أُهِدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمَّ» ⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، (74/5)، برقم: 3744.

² - ابن حجر، فتح الباري، (294/7).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، (23/1)، برقم:
64.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخير، (141/5)، برقم: 4003.

ومن هنا تأتي أهمية العناية، والمرافقة النفسية للمدعوين، فالأمراض النفسية تشكل في كثير من الأحيان حواجز، وموانع تحول دون تحقيق الاستجابة الدعوية.

ب. الأبعاد الدعوية المتعلقة بالموانع الاجتماعية

قد تشكل الموروثات الاجتماعية هي الأخرى عوائق استجابية لدى المدعوين، فالعوائد التي اعتادها الناس إذا تصادمت مع حقائق الدعوة كانت من أهم أسباب صدهم عن الاستجابة للحق، لا سيما إذا كانت عوائد اعتقادية.

وفي القرآن الكريم إشارة واضحة إلى الأثر السلبي للتمسك بالعوائد على الاستجابة الدعوية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ يَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: 20]، قال السعدي: "فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فأباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق"¹.

فهذه الشبهة ظلت قريش متمسكة بها تقاتل من أجلها، وهي التي منعتها من أتباع الدعوة الإسلامية، فقد أعلن ذلك صراحة أبو سفيان في غزوة أحد، بقوله في نهاية المعركة: «اعلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُ " قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُزَى وَلَا عُزَى لَكُمْ².

فهذا نموذج من تأثير العوائد، والموروثات الاجتماعية على استجابة الملاء، وأتباعهم للدعوة، لا سيما العوائد العقديّة والفكرية؛ مما يستدعي المسارعة لتطهير المجتمعات منها³.

فموانع الدعوة المتعلقة بالشبهات أكثر تأثيرا على المدعو من موانع الشهوات؛ مما يلفت نظر الدعاة، والمصلحين إلى ضرورة الإحاطة بالواقع الاجتماعي للمدعو بأبعاده و مستوياته المختلفة.

ومن ثم تتجلى أهمية الاعتناء بدراسة هذا الصنف من المدعوين، بمعرفة طبيعتهم والتوصل إلى أهم الموانع النفسية، والاجتماعية التي حالت دون استجابتهم للدعوة، ومن الضروري أيضا الإحاطة بمواقفهم وخططهم المعادية للدعوة، فهي من التحديات الكبرى التي تواجهها الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان، في سياق سنة التدافع بين الحق، والباطل، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

¹ - السعدي، تيسير الكريم المنان، ص81.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزو أحد، (94/5)، برقم: 3817.

³ - ينظر: الطيب برغوث، قواعد المنهج في الحركة الحضارية ليوسف عليه السلام، ص118.

الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بصنف المنافقين

إذا كان الملام من المشركين، واليهود، ومن تبعهم من الأتباع يشككون التحدي الخارجي للدعوة، فإن صنف المنافقين يشكلون تحدياً أخطر؛ لكونهم يعيشون داخل المجتمع المسلم ويعملون لصالح أعداء الدعوة في الخفاء، وقد كان للغزوات أثر في كشف وفضح مخططاتهم، من أجل ذلك كان هذا الصنف من المدعوين جدير بالدراسة؛ لتجدد حركة النفاق واستمرارها، عبر تاريخ الدعوة الإسلامية.

وسوف أبرز أهم معالم هذا الصنف من المدعوين وبعض صفاتهم، ومواقفهم من خلال الغزوات، وفق ما يلي:

أولاً: مفهوم مصطلح النفاق

يحسن في بداية هذا العنصر التعرض لتعريف النفاق من الناحية اللغوية والاصطلاحية؛ ولكونه لا يخفى على كثير من الناس فضلاً عن الباحث والمثقف؛ فسوف أقتصر على ما يلي:

1. تعريف النفاق في اللغة

النفاق في اللغة من (نفق)، قال ابن فارس: "النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه"¹، والمعنى الثاني هو المراد لإخفاء المنافق للشر والكفر.

2. تعريف النفاق اصطلاحاً

عرف النفاق بعدة تعريفات متقاربة مفادها أنه: "إظهار الإسلام والخير، وإبطال الكفر والشر، وهو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار القول باللسان، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد، أي: هو إظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ مع إباطه وجحده بالقلب، فهو مظهر للإيمان ومبطن للكفر"².

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، (454/5).

² - عبد الله بن عبد الحميد، الإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1424 هـ، 2003 م، ص253.

ثانيا: أبعاد النفاق في العهد النبوي

ينقسم النفاق إلى قسمين رئيسيين، وهما النفاق الأكبر، والنفاق الأصغر، ونكتفي في هذه الدراسة بتناول النفاق الأكبر باعتباره النفاق الذي ظل يشكل التحدي الدعوي زمن النبوة، في حين أن النفاق الأصغر كان نادرا ولم يكن خطيرا مخرجا من الملة.

وهو الذي يقصده ابن تيمية بقوله: "فمن النفاق ما هو أكبر ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار؛ كنفاق عبد الله بن أبي وغيره؛ بان يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به أو أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه أو المسرة بانخفاض دينه أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك: مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله، وهذا القدر كان موجودا في زمن رسول الله ﷺ وما زال بعده"¹.

فحقيقة النفاق هي إبطان الكفر وإظهار الإسلام، لذا يسميه العلماء النفاق الاعتقادي، فلا فرق بينه وبين الكفر، إلا الظهور والخفاء، وهو المراد في الدراسة. وعند التأمل في تعريف ابن تيمية السابق يمكن أن أحصر مظاهر النفاق الذي كان على عهد النبوة- بما في ذلك ميدان الغزوات محل الدراسة- في بعدين:

1. البعد العقدي للنفاق في العهد النبوي

لما كان المنافق يبطن الكفر، ويظهر الإسلام فمن الطبيعي أن تظهر آثار هذه العقيدة في سلوكه وتصرفاته.

ولعلي أجمل أهم المظاهر النفاقية التي صدرت من منافقي عهد النبوة في النقاط التالية:

أ. تكذيب الرسول ﷺ

قد اتخذ تكذيب المنافقين للرسول ﷺ أشكالا مختلفة، منها الاعتراض على شرع الله الكوني والشرعي كما حصل منهم في غزوة أحد. فقد جاء هذا المظهر النفاقي في أحد آيات غزوة أحد التي جعلها البخاري ترجمة لأحد أبواب كتاب المغازي².

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (434/28).

² - ينظر: صحيح البخاري، (99/5).

فقال سبحانه كاشفا هذا المظهر النفاقي الخبيث : ﴿ وَطَائِفَةٌ فَدَاهَمْتُهُمْ وَانفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلِ أَنْ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: 154]، قال الطبري في تفسير الآية: " ثم أظهر نبيه ﷺ على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم، والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد، فقال فقال مخبرا عن قيلهم الكفر، وإعلانهم النفاق بينهم، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا"¹.

ومن آثار مظهر التكذيب استهزاؤهم بالأحكام الشرعية التي جاء بها النبي ﷺ، فعن أبي مسعود² قال: " لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنَصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرِ مِنْهُ، فَقَالَ الْمِنَافِقُونَ: أَنْ اللَّهَ لَعَنِي عَنْ صَدَقَةٍ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِثَاءً، فَنَزَلَتْ: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 80] "³.

يقول سيد قطب عقب الآية: " والقصة المروية عن سبب نزول هذه الآية، تصور نظرة المنافقين المنحرفة لطبيعة الإنفاق في سبيل الله وبواعثه في النفوس"⁴.

فهو اعتراض على الهدى النبوي الذي يحث على الإنفاق ولو بالقليل، ففي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»⁵.

وفي هذا السياق ينبغي أن ينبه الداعية المدعويين من الوقوع في بعض صفات المنافقين ولو من دون قصد، فقد يطلق البعض لسانه في الاستهزاء ببعض الأمور الشرعية، والسنن الثابتة في الهدى

¹ - الطبري، جامع البيان، (167/6).

² - أبو مسعود البصري الأنصاري صحابي اسمه عقبة بن عمرو مشهور بكنيته، ينظر، ابن حجر، الإصابة، (524/4).

³ - البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: 80]، (67/6)، برقم: 4391.

⁴ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (1681/6).

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، (109/2)، برقم: 1351.

الهدى النبوي، فهي ولو بدت بسيطة فهي من شعائر الله التي ينبغي أن تعظم لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ بِأَنَّهَا مِنْ تَفْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:30].

فبإمكان الداعية استثمار مثل هذه الصفات وتحويلها إلى آليات لتعظيم حدود الله وشعائر الإسلام، عن طريق الترهيب من سلوك سبيل المنافقين، وهذا شأن الداعية الناجح الذي لا يترك الفرص تمر عليه دون أن يستفيد منها.

من أجل ذلك تواترت النصوص في ذكر صفات الكفار والمنافقين، مشكلة مادة دعوية؛ ليستعين بها الدعاة في كل زمان لمواجهة المواقف والتحديات الدعوية المتجددة في أصولها، وإن اختلفت صورها.

ب. اعتقاد عدم وجوب طاعة الرسول ﷺ

قد دلت وقائع كثيرة على عدم انقيادهم لأمر رسول الله ﷺ، ومن هذه الوقائع الانشقاق عن جماعة المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ يوم أحد الذي كاد أن يقسم الجيش الإسلامي ويضعفه، وقد سجل ذلك السلوك العصياني القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 122]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: " نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾¹.

فقد تولاهم الله تعالى فدفع عنهم الوهن، فثبتوا مع المؤمنين، وأبطل أثر المنافقين من نفوسهم بعدما بعدما ففكروا بالعودة إلى المدينة².

وهذا الموقف في هذه الغزوة جعل المنافقين يظهرون على حقيقتهم الكفرية، حيث أظهروا وجاهروا بمخالفة النبي ﷺ، والاعراض عن طاعته، فقال تعالى تعليقا على موقفهم: ﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 167].

2. البعد النفسي للنفاق في العهد النبوي

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾، (96/5)، برقم: 3825.

² - العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين، (382/21).

أن الطبيعة العقديّة للمنافقين الأنفة الذكر تترتب عليها بشكل تلقائي آثار نفسيّة حاقدة على الدّعوة، وحملتها وقادتها، وقد سجلت مرويات المغازي حضوراً لبعض تلك الآثار أجملها فيما يلي:

أ. الأبعاد النفسيّة المتعلقة بصاحب الدّعوة

من الانعكاسات النفسيّة للنفاق المتعلقة بصاحب الدّعوة ما أظهره المنافقون من بُغض النبي ﷺ، ومن أبين صور هذا البغض الدفين إلحاق الأذى به ﷺ، فقد آذى المنافقون الرسول ﷺ أشد الأذى لما طعنوا في عرض الصديقة عائشة ؓ، وكان الذي تولى كبر الإفك⁽¹⁾ كبيرهم عبد الله ابن أبي، ففي الصحيح، عن عائشة ؓ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور: 11]، قالت: «عبد الله بن أبي ابن سلول»².

فالتعرض لأمهات المؤمنين بالتنقص، مظهر من مظاهر عدم احترام رسول الله ﷺ، خاصة عائشة ؓ التي برأها الله من فوق سبع سموات، فاطاعن فيها على خطر عظيم، وقد حكى العلماء كفر قاذفها، ولأهميّة المسألة نورد بعض ما ورد فيها من أقوال:

قال الإمام مالك: "من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل، قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن، لان الله تعالى قال: ﴿يَعْظَمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ [النور: 17]³.

وقال القاضي أبو يعلى: "من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم"⁴.

وقال الإمام النووي: «براءة عائشة ؓ من الإفك، وهي براءة قطعيّة بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين¹

¹ - وقعت حادثة الإفك في غزوة بني المصطلق سنة (06هـ)، وكان سببها سقوط عقد لعائشة ؓ وتخلّفها للبحث عنه، ينظر: السهيلي، الروض الانف، (30/7)، ابن حجر، فتح الباري، (432/1)، العمري، السيرة النبويّة الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبويّة، (408/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿أَنْ أَلَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [النور: 11] (01/6)، برقم: 4749.

³ - مُجَدُّ المِغْرَاوِي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلاميّة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (25/3).

⁴ - ناصر بن علي عائض حسن، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ؓ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ط3، 1421هـ، 2000م، (873/2).

وقال ابن القيم: "واتفقت الأمة على كفر قاذفها"².

¹ - النووي، شرح مسلم، (117/17).

² - ابن القيم، زاد المعاد، (103/1).

وقد كانت تصدر منهم أقوال تحمل الكراهية، والبغضاء والحقد لرسول الله ﷺ وأصحابه، فعن
 فعن عن زيد بن أرقم، قال: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ
 اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ
 لِعَمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا
 قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِنِي مِثْلَهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي
 عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾
 [المنافقون: 01]، فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: «أَنْ اللَّهُ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ»¹.

وجاء في رواية عند الإمام الطبري تبين شدة البغضاء، والعداوة التي يكنها المنافقون لرسول الله
 ﷺ، والتي ظهرت في سوء الأدب معه، عن قتادة، قال: "اقتتل رجلان، أحدهما من جهينة،
 والآخر من غفار، وكانت جهينة حليف الأنصار، فظهر عليه الغفاري، فقال رجل منهم عظيم
 النفاق: عليكم صاحبكم، عليكم صاحبكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: "سمن
 "سمن كلبك يأكلك"، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وهم في سفر"².
 فقد سهّل عليهم أن يصفوا سيّد الخلق ﷺ، وصاحب الخلق العظيم، بهذه الأوصاف الشنيعة،
 وأن يضربوا له أقبح، وأبشع الأمثال!

وما هذه التصرفات الصادرة من المنافقين في زمن النبوة إلا حلقة من حلقات التحديات النفاقية،
 التي ستستمر مع قادة الدعوة إلى قيام الساعة.

ب. الأبعاد النفسية المتعلقة باتباع الدعوة

لما كان أتباع الدعوة يسارعون إلى الجهاد، والاستشهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله،
 فكان ذلك برهانا على إيمانهم وصدقهم، كانفي المقابل التثاقل عن الجهاد، وحب الحياة وكراهية
 الموت من سيمات المنافقين، وكان ذلك دليلا على خلل في إيمانهم.

لذلك حذر القرآن الكريم من التثاقل عن الجهاد، وذمه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا
 لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائِمُّرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلَّمْ تَدَّ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ بَمَا مَتَّعَ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38].

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: 1]، (152/6)، برقم: 4617

² - الطبري، جامع البيان، (405/23).

وقد صرح القرآن الكريم بكراهية المنافقين للقتال مبالغة في التحذير من التقاعس عن الجهاد، فقال سبحانه: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فِإِذَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْفِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ ۞ ﴾ [محمد: 21].

ولم يتوقف الأمر عند كراهية الموت وعدم الرغبة في الجهاد، بل يتعدى إلى ترقب وحب انضمام المسلمين وانخفاض دين النبي ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: « أن رجلاً من المنافقين على عهد علي عليه السلام كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه وفرحوا بمفّعههم خلاف رسول الله ﷺ ».¹

فلو كانوا يحبون انتصار الدين، ونجاح الدعوة لما تخلّفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ، وإذا خرجوا كان خروجهم وبالا على الجيش المسلم وربما أثاروا فيه الفتن والمشاكل. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا السلوك النفاقي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا فِئَتَكُمْ فَتُؤْمِنُوكُمْ يُغْنُوكُمْ الْمُؤْتَنَةُ ۞ ﴾ [التوبة: 47]، قال القنوجي في شرح الخبال: " الشر والفساد، والنميمة، وإيقاع الاختلاف، والأراجيف"².

ثالثاً: مواجهة النبي ﷺ لتحديات المنافقين

قد مرت مواقف للمنافقين في ميدان المغازي النبوية تدل على صفاتهم النفاقية الخبيثة الماكرة المعادية للدعوة، وقادتها، وأتباعها.

حيث ظهر أنهم أصحاب نفسية مريضة معقدة، فهم يمتازون بازدواجية الشخصية ظاهرها الإسلام، وباطنها الكفر كل هذا جعل النبي ﷺ يتعامل معهم تعاملاً خاصاً تراعى فيه مصلحة الدعوة، فقد سلك معهم منهجاً حكيماً تجلّى في مواقف من الغزوات أجمّلها في التّماذج التالية:

1. مواجهة النبي ﷺ لتحديات المنافقين في أحد

سبق أن ذكرت أن ابن أبي انسحب من المعركة مع جماعة من المنافقين، وكاد هذا الانسحاب أن يؤثر في الجيش لولا تثبيت الله لهم، وقد اختلفت مواقف الصحابة من المنافقين الذين خانوهم في هذه الظروف الحرجة.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ لَا يَخْسِئُ الَّذِينَ يُفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: 188]، (40/6)، برقم: 4291.

² - محمد صديق خان، أبو الطيب، القنوجي فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت (د.ط)، (د.ت)، (314/5).

ففي الصحيح عن زيد رضي الله عنه، يقول: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجوع ناس من أصحابه أصحابه فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت ﴿بِمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئْتَيْنِ﴾ [النساء: 88]، وقال النبي ﷺ: «أَمْهَا تَنْفِي الرِّجَالِ كَمَا تَنْفِي النَّارُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»¹.

فالنبي ﷺ اكتفى في هذا الموقف بالتعريف بهم وبيان خبثهم، وخطورتهم على مجتمع الدعوة في المدينة، كما بينت الآية قبل ذلك معاداتهم للدعوة وأتباعها، قال ابن عاشور: "فضح الله هذا الفريق فأعلم المسلمين بأنهم مضمرون الكفر، وأنهم يحاولون رد من يستطيعون رده من المسلمين إلى المسلمين إلى الكفر"².

ومن هنا تظهر حكمة الداعية في التعاطي المرن مع المواقف، فأول مواجهة مع العدو الداخلي اقتضت أن يكتفى بالتعريف به والتحذير منه، وليس من مصلحة الدعوة في هذه المرحلة الحرجة التصدي المباشر للمنافقين، وهذا من فقه الأولويات الدعوية النبوية.

2. مواجهة النبي ﷺ لتحديات المنافقين في غزوة بني المصطلق

قد مرت معنا المقالة الشنيعة التي تلفظ بها رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، التي تدل على الحقد الدفين الذي يضمرة للدعوة وأتباعها وقيادتها، وقد سجلها القرآن الكريم لتبقى تذكرة للدعاة عبر الزمن أن حركة النفاق مستمرة ما استمرت الدعوة، وستظل تحديا يواجهونه في كل زمان ومكانوميدان.

فقال سبحانه و تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 08]، و كان موقف عمر رضي الله عنه حاسما إزاء هذه المقالة الشنيعة الحاقدة ؛ إذ استأذن النبي ﷺ في قتله إلا أن النبي ﷺ رفض ذلك لمصلحة الدعوة، فقال النبي ﷺ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»³.

وفي الموقف النبوي أبعاد دعوي كثيرة، منها: "سياسة أمر الدين، والنظر في العواقب، وذلك أن أن الناس إنما يدخلون في الدين ظاهرا، ولا سبيل إلى معرفة ما في نفوسهم، فلو عوقب المنافق على على باطن كفره، لوجد أعداء الدين سبيلا إلى تنفير الناس عن الدخول فيه، بأن يقولوا: ما

¹ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، (2/666)، برقم: 1785.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5/151).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، (4/183)، برقم: 3330.

يؤمّنتكم إذا دخلتم في دينه أن يدعي عليكم كفر الباطن، فيستبيح بذلك دماءكم وأموالكم، ولا تسلموا أنفسكم للهلاك"¹.

3. مواجهة النبي ﷺ لتحديات المنافقين في غزوة تبوك

قد حاول المنافقون استغلال ظروف التحضير لغزوة تبوك العسيرة لتثبيط عزائم المؤمنين، فمن ذلك سعيهم في لمر المنفّقين من الفقراء، وقد مر معنا ذلك في حديث رواه البخاري، فعن أبي مسعود، قال: لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ الْمِنَافِقُونَ: أَنْ اللَّهَ لَعَنِي عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِثَاءً، فَنَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: 80]².

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل توسعت الحرب الدعائية لتثبيط المؤمنين، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض صور هذه الدعائية، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْهَرُوا فِي الْحَرِّ فُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 82]³.

ومن مواقفهم المخزية تخلفهم عن الغزوة، ففي حديث كعب بن العجرة: فكنت إذا خرجت في الناس خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فظفت فيهم، أحزني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب»⁴.

وفي هذه المرة يُلاحظ أن موقف النبي ﷺ تجاههم فلم يذكر أحدا منهم كما ذكر كعب بن مالك؛ مالك؛ لأن المصلحة لا تقتضي ذكرهم، في حين ذكر كعب قد ظهرت فائدته فيما بعد، فق هجر هجر ثم تاب الله عليه، وأنزل الله فيه قرآنا يتلى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَبُوا

¹ - شمس الدين البرماوي، العسقلاني، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، ت: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1433 هـ، 2012 م، (103/10).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: 80]، (67/6)، برقم: 4391.

³ - ينظر: سعيد بن علي ثابت، الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417 هـ، ص64.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب، (03/6)، برقم: 4156.

حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا أَن اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ [التوبة: 119].

فهو موقف يحمل ضمناً قيمة المؤمن، وكرامته عند الله إذا تاب وأقبل عليه، وفي الوقت نفسه يُرمي إلى حقارة المنافقين، ودنو منزلتهم.

فرغم هذا إلا أن النبي ﷺ قبل ظاهرهم، ولم يكذبهم لما اعتذروا إليه؛ استصحاباً للمواقف العامة العامة معهم الرامية إلى حماية الصف، وسد ذريعة تشويه الدعوة من قبل المتربصين بها، قال المباركفوري: " ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم جلس للناس، للناس، فأما المنافقون، وهم بضعة وثمانون رجلاً فجاؤوا يعتذرون بأنواع شتى من الأعذار، وطفقوا وطفقوا يحلفون له، فقبل منهم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله¹.

وهكذا تكون الغزوات النبوية قد كشفت أموراً مهمة عن صنف المنافقين من خلال بيان طبيعتهم، وصفاتهم، ومواقفهم من الدعوة النبوية، وقادتها، وأتباعها، وقد تجلّى من خلالها كذلك المنهج الدعوي النبوي في التعامل مع المنافقين؛ ليقتدي به الدعاة عبر تاريخ الدعوة الطويل.

وفي ختام هذا الفصل أكون قد عاجت ركنين عظيمين من أركان الدعوة الإسلامية؛ من خلال روايات المغازي الواردة في الصحيح، ويتعلق الأمر بالداعية والمدعو.

فقد تطرقت إلى أهم ما يجب أن يتزود به الداعية من العدة العلمية الدعوية، والعدة الأخلاقية والقيادية، مبرزاً أهمية ذلك في بناء الشخصية الدعوية الفعالة.

كما بينت أهم القضايا المتعلقة بالمدعو، وقد ركزت على حقوق المدعو وأصناف المدعويين، ودرست أهم الفئات المعادية للدعوة الإسلامية، مع إبراز أسباب الموانع التي حالت دون استجابتهم.

وبعد معرفة الداعية لمضمون رسالته، وتزوده بالعدة الدعوية الكافية، ومعرفته لجمهور المدعويين المدعويين وما يتعلق بهم، يلزمه البحث عن الآليات المنهجية لنقل الرسالة إليهم وحملهم على الاستجابة الطوعية لها، وهذا ما يعالجه الفصل الموالي.

¹ - المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 401.

الفصل الثالث

الأبعاد الدعويّة المنهجية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أبعاد المنهج الدعوي الوجداني

المبحث الثاني: أبعاد المنهج الدعوي العقلي

المبحث الثالث: أبعاد المنهج الدعوي الحسي

أن من مقومات نجاح الدعوة بمختلف مستوياتها: التبليغيّة، والتربويّة، والتطبيقيّة امتلاك الداعيّة مهارات العرض الدعوي لمضامين الرسالة الدعويّة، وحسن التعامل مع المواقف الدعويّة؛ بما يناسبها، ويلائمها من الطرق والأساليب.

وقد تعددت أساليب الدعاة، وتنوعت تبعاً للمواقف الدعويّة المختلفة التي تفرضها طبيعة المدعوين من جهة، وتقتضيها طبيعة النفس البشريّة بمكوناتها من جهة أخرى. ويلحظ هذا الثراء الأسلوبي بوضوح في دعوات كل الأنبياء عليهم السلام كما يعرضها القرآن الكريم، وقد تنوعت تنوعاً كبيراً؛ مما أكسبها جودة أسلوبيّة متعددة الأبعاد، فقد طالت الأبعاد العاطفيّة والعقليّة والحسيّة، وهذه الأخيرة هي المنافذ الرئيسيّة للفطرة الإنسانيّة التي تشترك فيها كل فئات المدعوين.

وفي السياق نفسه تأتي السيرة النبويّة لتضفي مزيداً من السعة والتنوع في تلك الأساليب، بل قد تضمنت أكمل الأساليب وأحكمها؛ باعتبار النبي الخاتم، والدين الكامل.

ومن هذا المنطلق تظل السيرة النبويّة من أعظم مصادر الأساليب الدعويّة التي لا يستغني عنها الدعاة في كل زمان ومكان؛ لكونها جزءاً من الوحي الذي يضمن التجدد، والاستمرار، ويوفر إمكانيّة استيعاب المواقف، والحوادث الدعويّة إلى قيام الساعة.

وتجليّة لهذه الأهميّة المصدريّة للسيرة النبويّة بخصوص الأساليب الدعويّة؛ جاء هذا الفصل لتتبع الأساليب الدعويّة النبويّة في ميدان من ميادين السيرة، ألا وهو ميدان الغزوات كما جاءت في المرويات الصحيحة عند البخاري، وتسهيلاً لدراسة الأساليب رأيت تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث، تبعاً لما يلي:

المبحث الأول: الأبعاد الدعويّة للمنهج الوجداني

المبحث الثاني: الأبعاد الدعويّة للمنهج العقلي

المبحث الثالث: الأبعاد الدعويّة للمنهج الحسي

المبحث الأول: الأبعاد الدعوية للمنهج الوجداني^(*).

يعتمد المنهج الوجداني في الدعوة على الأساليب التي تستثير المشاعر، وتحرك الوجدان، والعواطف الكامنة في الفطرة الإنسانية؛ فقد كان النبي ﷺ يوظف هذه الأساليب العاطفية الفطرية في دعوته، وهذا ما سنتعرف عليه في ميدان المغازي النبوية وما في محيطها من ملابسات، ووقائع من خلال مروياتها الواردة في الجامع الصحيح.

ويمكن أن أجمل هذه أساليب المنهج الوجداني في مطلبين وفق ما يلي:

المطلب الأول: أسلوب الموعظة الحسنة

تعد الموعظة من الأساليب العاطفية المهمة التي وظيفها الدعاة عبر التاريخ في دعواتهم، ويظهر ذلك واضحا عند تتبع قصص الأنبياء في القرآن الكريم، ووظيفها النبي ﷺ في دعوته في مواقف كثيرة من سيرته¹.

ولما كانت المغازي قد شغلت حيزا ليس بالقليل من الدعوة النبوية المباركة، فقد تخللها الوعظ من حين لآخر، في أشكال وبوسائل متنوعة.

وسوف أتناول أهم أساليب الموعظة الحسنة من خلال الفروع التالية:

^(*) هناك ترابط بين مناهج الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، فالمناهج الدعوية هي النظم والخطط الدعوية، والأساليب الدعوية هي كفاءات وطرق تطبيق تلك النظم، والخطط، وأما الوسائل الدعوية فهي ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية، أو ما دية، وأغلب من صنفوا في المناهج الدعوية اعتمدوا التصنيف الفطري الذي ينطلق من مكونات الإنسان الرئيسية: الوجدان، والعقل، والحس، ينظر المزيد من التفصيل لهذه المصطلحات: البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص، 281، 241، 194، أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ط1، 2014م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص07.

والمنهج الوجدان المراد به المنهج الدعوي الذي يوظف الأساليب الدعوية التي تثير العواطف والانفعالات والمشاعر والأحاسيس، أما المنهج العقلي يوظف الأساليب التي تخاطب العقل وتثير الفكر، في حين يعنى المنهج الحسي بالأساليب التي تثير الحواس، جاء في المعجم الوسيط: " (الوجدان) (في الفلسفة) يطلق أولا على كل إحساس أولي باللذة أو الألم وثانيا على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة "مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (2/1013).

¹ - ينظر، أحمد عيساوي، دراسات في تاريخ الدعوة والدعاة، ص38، عبد الحميد هندواوي، منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، ص88.

الفرع الأول: أسلوب الوعظ بالخطابة¹

تعتبر الخطابة من أهم الفنون الإعلامية الوسائل الدعوية القويّة التي يتوصل من خلالها الداعية إلى إلى تبليغ الرسالة الدعوية للمدعوين، والتأثير فيهم، وإقناعهم عاطفياً وعقلياً بمضامينها².
لذا وظفها النبي ﷺ في دعوته في السفر والحضر، والسلم، والحرب، وفيما يلي أورد بعض الخطب النبوية التي جاءت في سياق المغازي، وما في محيطها من خلال الصحيح؛ مبرزا ما تضمنته من أبعاد دعوية خاصة العاطفية منها.

أولاً: خطبة يوم الفتح

من الخطب التي ألقاها النبي ﷺ في ميدان الغزوات خطبة يوم الفتح، فهي خطبة مناسبة للمقام من حيث المعاني والأساليب.
وسوف يتبين ذلك من خلال العناصر التالية:

1. نص الخطبة:

عَنْ أَبِي شَرِيحِ الْعَدَوِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَمِيرُ أُحَدِّثُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْعَدِّ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، فَسَمِعْتُهُ أُذْنًا، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنًا، حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنَّهُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَنْ مَكَّةَ حَرَمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحْرِمْهَا يُحْرِمِهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ أَحَدٌ تَرَحَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُولُوا لَهُ: أَنْ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَأَمَّا أَذِنَ لِي سَاعَةً سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ " فَقِيلَ لِأَبِي شَرِيحٍ: مَا قَالَ لَكَ عَمْرُو؟ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شَرِيحٍ، أَنْ الْحَرَمَ لَا يُعِيدُ عَاصِيًا، وَلَا فَارًّا بِدَمٍ، وَلَا فَارًّا بِحُرْبَةٍ، حُرْبَةٍ: بَلِيَّةٌ³.

¹ - الموعظة: هي تذكير الداعية للمدعوين ونصحهم بما يلين ويرقق قلوبهم من ثواب وعقاب، وزجر وتخويف، قصد الترغيب في الخير والتنفير من الشر، للتأثير في الوجدان والعواطف، وكبح جماح النفوس المتمردة، وزيادة النفوس المهذبة إيماناً وهداية، ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (96/6)، ابن منظور، لسان العرب، (466/7)، الراغب، مفردات غريب القرآن، (527/1)، القحطاني، كيفية دعوة عصاة المسلمين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، (د.ط)، (د.ت)، مطبعة سفير، الرياض (5/1).

² - عاطف رفاعي، صور الإعلام الإسلامي، 47.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، (149/5)، برقم: 4044.

2. المضامين العاطفية في الخطبة

عند التأمل في الخطبة نجد أنها تتضمن جملة من الأبعاد الدعوية العاطفية يمكن أن أخصها في النقاط التالية:

أ. براعة الاستهلال

قد استهلّت الخطبة بالحمد والثناء، لا شك أن ذلك يثير عاطفة المؤمن؛ لما فيها من تعظيم الله، وهذا هديه ﷺ في كل خطبه، قال ابن القيم: "وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله"¹.

ب. التذكير بعظمة مكة، وحرمتها عند الله

ويؤخذ هذا البعد الدعوي من قوله ﷺ: «أن مكة حرمتها الله، ولم يجرمها الناس»، قال ابن الملقن: الملقن: ومعناه: "تفهيم المخاطبين تعظيم قدر مكة بتحريم الله تعالى إياها، ونفي ما يعتقدونه الجاهلون وغيرهم من أنهم يجرموا ويحللوا، فقد حرّموا أشياء من قبل أنفسهم، وأكد ذلك المعنى بقوله: "ولم يجرمها الناس"².

ج. التذكير بالآخرة

من المضامين العاطفية التي جاءت في الخطبة التذكير بالآخرة؛ لما لها من أثر في سلوك المدعوين، المدعوين، قال ابن الملقن: "من آمن بالله لزمه طاعته، ومن آمن باليوم الآخر لزمه القيام بما وجب وجب عليه، واجتناب ما نهي عنه مخلصاً خوفاً الحساب عليه"³.

د. مناسبة الخطبة للمقام: أن مراعاة المناسبة الزمانية، والمكانية له أثره العاطفي، فقد استغل النبي ﷺ هذه المناسبة ليخاطب قريش مذكراً إياهم بجرمة البلد الحرام، وحرمة الأشهر الحرم، وهذا من شأنه أن يحرك مشاعرهم.

فهذه الخطبة النبوية كانت خطبة مناسبة للبعد العاطفي من عدة أوجه، من حيث الشكل والمضمون والأسلوب.

¹ - ابن القيم، زاد المعاد، (179/1).

² - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (519/3).

³ - الرجوع نفسه، (519/3).

ثانيا: خطبة بمناسبة وفد هوازن

من الخطب الواردة في ميدان المغازي خطبة النبي ﷺ التي ألقاه على المهاجرين، والأنصار يرغبهم فيها برد غنائم هوازن، بعدما وفدوا إليه يلتمسون منه رد سبيهم، فقد كانت هي الأخرى مناسبة للمقام من حيث المبنى، والأسلوب، كما يتضح من خلال الآتي:

1. نص الخطبة

قد أورد الإمام البخاري هذه الخطبة في سياق المغازي، فعن المسور بن مخرمة، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرَدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « مَعِيَ مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ »، وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ فَقَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَأَنَا نَحْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ إِخْوَانُكُمْ قَدْ جَاءُوا تَائِبِينَ، وَأَبَى قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَطَّيَّبَ ذَلِكَ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ»، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا لَا نَدْرِي مَنْ أَدِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرْفَاؤُكُمْ أَمْرُكُمْ» فَارْجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرْفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْ سَبْيِ هَوَازِنَ¹.

2. المضمون العاطفي

قد تضمنت الخطبة التي ألقاها النبي ﷺ، يرغب فيها الصحابة برد سبي إخوانهم، الذين أسلموا من هوازن أساليب عاطفية كثيرة، أجمل بعضها فيما يلي:

1. تقديم ما حقه التقديم

وهو أسلوب بياني له بالغ الأثر في الاستمالة، فقد قدم ﷺ رد السبي على إمساكه، وهو أسلوب قرآني في بيان الفاضل من المفضول، وترتيب الأولويات، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ﴿ وَيَوْمَ حَتْبَى إِذْ أَعَجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ ﴾ [التوبة: 26]، (153/5)، برقم:

أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٧﴾ [البقرة: 273].

2. التذكير بالأخوة

لا ريب أن التذكير بالأخوة الإيمانية له تأثير عاطفي، ووجداني عظيم الأثر في نفوس المخاطبين؛ من أجل ذلك استعمله القرآن الكريم في الإصلاح بين المؤمنين، فقال تعالى: ﴿أَنَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ بِأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَانِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10].

وقد وظفه في موضع في نفس السورة للترهيب من غيبة الأخ المؤمن، فقال سبحانه: ﴿أَيُّ حِبِّ أَخَذَكُمْ دَرَأً يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ أُنْ أَلَّهِ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]. فتذكير المدعو بالأخوة الإيمانية من الأساليب العاطفية التي تؤثر في وجدان المؤمن؛ مما يجعله يغير من تصرفاته وسلوكياته تجاه إخوانه المؤمنين، وهذا ما يؤكد سيد قطب بقوله: "ومما يترتب يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة"¹.

3. التقدير والاحترام

أن مما يزيد في الدافعية العاطفية تقدير المدعو واحترام حرته وعدم إلزامه وممارسة السلطة عليه، عليه، فهذه الأخلاق العظيمة هي التي كسب بها رسول الله ﷺ أصحابه، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، فتلك الأخلاق العالية هي اللغة الوحيدة التي تعزو القلوب وتهزها من أعماقها وتجذب النفوس، نحو الخير طواعية².

4. تأليف القلوب

من الوسائل العاطفية الدعوة إلى تأليف القلوب ويؤخذ من قوله ﷺ: "جاؤونا تائبين"، فذكر الصحابة بالمسؤولية الدعوية تجاه المسلمين الجدد، التي ينبغي أن يتحملها الجميع؛ لكون المؤلف قلوبهم إيمانهم ليس بثابت، يدارون بالمال، ليثبتوا عليه³.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (3343/6).

² - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا ... وسيرة، مكتبة وهبة، ط1، 1414 هـ، 1993 م، ص71.

³ - أحمد بن محمد الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، (322/7).

قد جاءت في هذه الخطبة مضامين عاطفية عرضت بأسلوب وجداني مؤثر؛ مما جعلها تحقق الهدف من إلقائها.

ثالثاً: خطبة حنين في الأنصار

من الخطب النبوية ذات البعد العاطفي الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في الأنصار يوم حنين حين وجدوا في أنفسهم إذ لم يعطوا من الغنيمة، وأثر غيرهم من المؤلففة قلوبهم. وفيما يلي نص الخطبة وما اشتملت عليه من الأساليب والمضامين العاطفية.

1. نص الخطبة

قد جاء في صحيح البخاري عن عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمَوْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ يِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ يِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ يِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكَتُ وَاذِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِنَارٌ، أَنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»¹.

2. المضامين العاطفية في الخطبة

قد تحلل هذه الخطبة مضامين عاطفية مؤثرة، عرضت بأسلوب نبوي بليغ، أجملها في النقاط التالية:

أ. نداء المخاطب بأحب ألقابه

فقد نادى النبي ﷺ الأنصار بأحب ألقابهم التي يحبونها، التي سماهم الله تعالى بها في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: 101].

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (157/5)، برقم: 4075.

قال الخطابي: رحمه الله: "أراد بهذا الكلام تألّف الأنصار، واستطابة نفوسهم، والثناء عليهم في دينهم"¹.

¹ - مُجَدِّد بن علي بن آدم بن موسى، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، دار المغني، الرياض، ط1، 1427 هـ، 2006 م، (450/3).

ب. تحقير الدنيا

من الأساليب العاطفية التي استعملها النبي ﷺ تزيدهم في السبب الذي وجدوا عليه من أجله، وهو الغنائم، بقوله: "أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم"، فقد تبين للأنصار عن طريق المقابلة الفرق الشاسع بين المغنم الدنيوي، والمغنم الأخروي، وهو رجوع رسول الله معهم ﷺ، وهو أمر لا يعدله شيء عندهم.

وهذا من الأساليب العاطفية التي تكررت في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآلِئٌ لَّعِبٌ وَلَهُوَ وَكَوَالِدَارٍ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: 33]، فالحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها تبدو في العين وفي الحس أمراً عظيماً هائلاً، ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً، وهي هنا في هذا التصوير تبدو لعبة أطفال بالقياس إلى ما في الآخرة من نعيم الذي لم يخطر بقلب بشر¹.

ج. ذكر خصال المدعو

فمن العبارات التي تدل على مدح الأنصار قوله: «الأنصار شعار والناس دثار»، قال القاضي عياض: "الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: الثوب الذي يلي الشعار، فمعناه: الأنصار هم الخاصة والبطانة"².

فمدحهم بتذكيرهم بقربهم برسول الله من شأنه أن يزيل ما وجدوه في أنفسهم جراء هذا الموقف النبوي، وفي هذا الأسلوب تتجلى حكمة النبي ﷺ بمعالجة الموقف بما يتناسب مع طبيعته الوجدانية.

رابعاً: خطبة حجة الوداع

تعد خطبة الوداع من الخطب العظيمة، وقد ذكرها البخاري في كتاب المغازي؛ باعتبار أن حجة حجة الوداع من أعظم نتائج النجاح الدعوي في الغزوات، وقد حوت أساليب عاطفية كثيرة تحرك تحرك مشاعر، ووجدان المدعوين، وقد تضمنت قضايا دعوية أخرى تناسب المقام الذي ألقيت فيه، وهذا ما سوف أبينه في النقاط التالية:

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (3491/6).

² - القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، (601/3).

أ. نص الخطبة

أورد الإمام البخاري نص الخطبة في كتاب المغازي، فعن أبي بكرة، عن النبي ﷺ، قال: "الزمان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم: ثلاثة ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا"، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذو الحجة»، قلنا: بلى، قال: «فأي بلد هذا»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البلدة»، قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر»، قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم، - قال محمد: وأحسبه قال - وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا، هذا، وستلقون ربكم، فسيسألکم عن أعمالکم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضللا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»، إذا ذكره يقول: صدق محمد ﷺ، ثم قال: «ألا هل بلغت» مرتين¹.

ب. المضامين العاطفية في الخطبة

قد تضمنت هذه الخطبة العظيمة في هذا النموذج أساليب عاطفية متعددة، سبقت الإشارة إليها في النماذج السابقة، كالتذكير بحرمة الزمان والمكان (البلد الحرام، ذو الحجة، يوم النحر)، والتذكير باليوم الآخر، بقوله ﷺ: «وستلقون ربكم».

ومن الأساليب العاطفية المؤثرة في الصحابة التذكير بدنو أجله ﷺ الذي أشارت إليه روايات في غير هذه الرواية بقوله ﷺ: «إني لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»².

كانت تلك نماذج من الخطب النبوية ألقاها النبي ﷺ في مناسبات مختلفة، وقد تبين من خلال تحليلها أنها من الوسائل الدعوية التي تخدم الأسلوب العاطفي الوعظي الذي يستهدف التأثير في الوجدان، وهذا من شأنه أن يؤثر في سلوك المدعو بعد ذلك.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (177/5)، برقم: 4141.

² - ينظر: الواقي، المغازي، (1111/3)، ابن هشام، السيرة النبوية، (603/2)، الطبراني، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، (47/3).

الفرع الثاني: أسلوب الوعظ بالترغيب والترهيب

من الأساليب العاطفية التي تؤثر في النفس البشرية أسلوب الترغيب والترهيب، فقد اعتمده الدعاة عبر تاريخ الدعوة، ويبدو هذا واضحا لكل من تأمل دعوات الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم¹.

ولأهمية هذا الأسلوب فقد وظفه النبي ﷺ كثيرا في سيرته، وعند تتبع مرويات المغازي في الصحيح، وهي جزء من السيرة وقفت على نماذج لهذا الأسلوب، أذكر منها التّماذج التالية:

أولا: أسلوب التذكير بالنعمة

أن التذكير بنعم الله سبحانه وتعالى من الأساليب العاطفية القرآن يّة، فقد تعددت استعمالاتها في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [النحل: 18]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ رَءِئِيسًا لِقَوْمِكُمْ أَقْرَبًا مِنْ أَنْ يَضُرُّوكُمْ فَتَقُولُوا مَا لَكُم بَأْسًا كَرِيمًا﴾ [آل عمران: 103]. وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في غزواته؛ لمعالجة بعض قضايا الدعوة، بالتأثير في المدعوين عن طريق استثارة العاطفة، والوجدان، وفيما يلي أمثلة لهذا الأسلوب:

1. التذكير بنعمة الإسلام

من المواقف التي ذكر بها النبي ﷺ بنعم الإسلام في ميدان الغزوات، م جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله، قال: كَسَعَ² رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ الْقَوْدَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا، فَأَهَا مُنْتِنَةٌ»³.

ووجه التذكير بالنعمة في القصة هو التذكير بنعمة الإسلام التي أذابت وأزالت كل العصبية الجاهلية وأمراضها، التي عبر عنها بأبشع تعبير تشمئز منه النفوس السوية بقوله: «دَعُوهَا، فَأَهَا مُنْتِنَةٌ».

ولا شك أن نعمة الإسلام أعظم نعمة أنعم الله بها على المسلمين لا تدانيها نعمة، إلى ذلك يشير القرآن الكريم، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْزَلْنَا بِكُمُ الْبَرَاءَةَ لَفُوتَكُمْ فِيهَا لَعْنَةُ اللَّهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ لَعْنَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْكُمْ آلِيًّا وَإِنَّكُمْ بِعِندِ اللَّهِ كَانُونَ مَعْلُومِينَ﴾ [البقرة: 217].

¹ - ينظر: عبد الحميد، هنداي، منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، ص 140.

² - الكسع: وهو ضرب الدبر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، (4/173).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 08]، (6/154)، برقم: 4622، و رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظلما أو مظلوما، (4/199)، برقم: 2584، واللفظ له.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿ [المائدة:04]، قال مُجَدُّ رَشِيدُ رِضَا: "لأنه لا نعمة أتم من من نعمة الإسلام"¹

وفي القصة ترهيب أيضا؛ حيث ذكرهم النبي ﷺ بفترة الجاهلية وما فيها من الأمراض النفسية، والاجتماعية؛ تحذيرا لهم منها، وتنفيرا لهم عنها.

2. التذكير بنعمة الهداية والاجتماع

قد وظف النبي ﷺ أسلوب التذكير بنعم الله تعالى في معالجة موقف الأنصار من قضية قسمة غنائم حنين، فكأنتهم وجدوا إذ لم يُصَبِّهُمَ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَحَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي»².

فقد ذكرهم بنعمة الهداية، وقد سبق الحديث عنها، ثم امتن عليهم بنعمة الاجتماع، إذ كانوا متفرقين متناحرين، فقد كانوا قبيلتين قبيلة الأوس وقبيلة الخزرج، سجلت كتب التاريخ حروبا بينهم بينهم أشهرها حرب بعاث، التي كانت قبل الهجرة بقليل انتصر فيها الأوس بعد قتل الكثير من الطرفين وفيهم من أكابره³.

3. التذكير بنعمة الغنى

فقد ذكّر الله تعالى الصحابة بنعمة الغنى بعد الفقر، كما فيما مضى، فقد أنعم الله عليهم بالفتوح العظيمة، والغنائم الكثيرة، بعد الحاجة والشدة التي كانوا يكابدونها، ففي الخندق كانوا يربطون الحجر على بطونهم من الجوع، وبعدها تفتح خيبر ويشبعون التمر، ويأتيهم الذهب والفضة من البحرين⁴.

4. التذكير بنعمة يسر الشريعة

ومن نعم الله تعالى التي ذكر بها أصحابه نعمة التشريع المتسم بتلك الخصائص العظيمة، ولعل أظهرها خصيصة اليسر التي تتجلى في كل فروع الشريعة، وأحكامها⁵.

¹ - مُجَدُّ رَشِيدُ رِضَا، تفسير المنار، (6/130).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (5/157)، برقم: 4075.

³ - ابن حجر، فتح الباري، (2/441).

⁴ - ينظر: صحيح البخاري، (5/140، 108، 84).

⁵ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج البحث الدعوي، ط1، 2018م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص132.

ومن أمثلتها في مرويات المغازي الواردة في صحيح الإمام البخاري، إباحة ميتة البحر لتعسر ذكاتها.

ففي الصحيح عن جابر رضي الله عنه، قال: غَزَوْنَا جَيْشَ الْحَبِطِ¹، وَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَجَعْنَا جُوعًا شَدِيدًا، فَأَلْقَى الْبَحْرُ حُوتًا مَيْتًا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ، يُقَالُ لَهُ الْعَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ، فَمَرَّ الرَّكِيبُ تَحْتَهُ فَأَحْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، يَقُولُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «كُلُوا فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كُلُوا، رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ، أَطْعَمُونَا أَنْ كَانَ مَعَكُمْ» فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَكَلَهُ².

أن تعدد مظاهر التذكير بالنعم في الفعل الدعوي النبوي يبيئ عن أهمية هذه الوسيلة القولية في تحقيق الأبعاد الدعوية للأسلوب العاطفي.

ثانيا. أسلوب التذكير بالجزاء

من وسائل الترغيب والترهيب التي وظفها النبي ﷺ ذكر الثواب، والعقاب المترتب على الأعمال، وقد وقفت على نماذج من ذلك في المغازي النبوية، أذكر منها النماذج التالية:

1. التذكير بالجنة والترغيب فيها

من المواقف التي ذكر فيها النبي ﷺ بالجنة في ميدان الغزوات، ما رواه البخاري عن أنس: أن أمُّ أُمِّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ عَرَبٌ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبْلَتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ أَمْهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَأَنْهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى»³.

فأثر التذكير بالجنة بين في الحديث، فالمرأة رغم ضعفها، وقلة صبرها، لما علمت أن ابنها في الجنة، الجنة، رضيت واحتسبت، وهذا الموقف يشبهه موقف الخنساء التي غيرها الإسلام تغييرا عجيبا، فقد ظلت تبكي أخاها صخرا في الجاهلية، وبعد إسلامها قدمت أبناءها شهداء في سبيل الله⁴.

¹ - الحبط: هو ورق السلم، كأن يأكله الجيش في هذه الغزوة من شدة الجوع، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (79/8).

² - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر، (167/5)، برقم: 4104.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (114/8)، برقم: 6567.

⁴ - لأهمية القصة التي تدل على أثر البعد العاطفي في تغير سلوكها نوردها كما جاءت عند ابن عبد البر، قال ابن عبد البر: "حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم من أول الليل: يا بني، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، و و الله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أبابكم، ولا فضحت خالككم، ولا هجنت حسبكم، ولا غبرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب

ومن أمثلة الأثر الدعوي للترغيب في الجنة، ما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ أَنْ قُتِلْتُ فَأَيُّنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»¹.

فالرغبة في الجنة، والشوق إليها جعلت الصحابي ينشط في القتال إلى درجة أنه ألقى تمراته لأنها تبطئه عن بلوغ المرغوب، فلم يتوقف عن القتال حتى قتل، فهذه من الثمرات العظيمة للتربية النبوية، على العقيدة بحيث يبذل المرء نفسه في سبيل الله ويبيعها لله تعالى².

فأسلوب الترغيب في الجنة من الأساليب الدعوية العاطفية المؤثرة في الاستجابة والفعالية الدعوية، ينبغي على الدعاة الاهتمام بها وتوظيفها في الخطاب الدعوي، لاسيما في الزمن الراهن الذي طغت فيه الماديات والمهيات.

2. التذكير بالنار والترهيب منها

لم يكتف النبي ﷺ بالترغيب في الجنة والذكر بها، فقد جمع إلى ذلك التحذير من النار والترهيب منها؛ حتى يحقق التوازن الدعوي في هذه الوسيلة، ويجعلها تتسم بالمرونة مع كافة المواقف الدعوية، وهذا ملمح يلحظ في التصرف الدعوي النبوي في المغازي وغيرها، وقد وردت طائفة من روايات المغازي في الصحيح تتضمن هذه الوسيلة الترهيبية.

فمن مواقف الغزوات التي استعمل فيها النبي ﷺ أسلوب الترهيب من النار، ما رواه سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ فَأَبْلَى بَلَاءً حَسَنًا فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَلَاءِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قُلْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَخَرَجَ الرَّجُلُ فَلَمَّا اشْتَدَّتْ بِهِ الْجُرَاحُ وَضَعَ دُبَابَ سَيْفِهِ بَيْنَ تَدْيِيهِ ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَيْهِ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ الرَّجُلُ الَّذِي

الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، فإذا أصبحتم غدا أنّ شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطربت لظى على سياقها، وجللت نارا على أوراقها، فتميموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة"، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (4/1828).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (77/5)، برقم: 4046.

² - عبد الرحمن الزيد، وقفات مع أحاديث تربية النبي ﷺ لصحابته، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون، العدد، 112، 1424هـ، ص116.

قُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ قَدْ رَأَيْتُهُ يَنْضَرِبُ وَالسَّبْفُ بَيْنَ أَضْعَافِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ حَتَّى يَبْدُوَ لِلنَّاسِ وَأَنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَأَنَّهُ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَأَنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ¹.

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ رهَّب من سوء الخاتمة التي تكون بسبب عمل أهل النار الذي الذي قد يخفيه صاحبه عن الناس، قال الصنعاني: " وهذا لا يكون إلا فيمن عمل خيراً ظاهراً مع فساد نيّة وخبث طويّة وإلا فالأعمال الصالحة سبب لزيادة الهدى والتوفيق وكذلك الذي ختم له له بعمل أهل الجنة وكان يظهر منه عمل أهل النار إنما يوفق لخصال خير كانت فيه وإلا فالسيئات فالسيئات تدعوا بعضها بعضاً"².

3. التحذير من فتنة الدنيا

من وسائل الأسلوب العاطفي التحذير من فتنة الدنيا، فهي وسيلة لم يغفلها المنهج النبوي في الترغيب والترهيب.

فقد حذر النبي ﷺ أصحابه، وأمته من بعدهم من فتنة الدنيا وخطورة التنافس عليها في هذه الرواية من روايات المغازي الواردة في الصحيح، فعند قدوم أبي عُبَيْدَةَ بِجَزِيَةِ الْبَحْرَيْنِ، سَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتْهُ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ، وَقَالَ: «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشُرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَحْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَحْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمُ كَمَا أَهْتَهُمْ»³.

والتحذير من الدنيا منهج قرآني أيضاً، فلطالما حذر القرآن الكريم من الافتتان بالدنيا، في آيات كثيرة أذكر منها، قوله تعالى: ﴿إِذْ عَلَّمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ بِقَرْبِهِ مُمْصِراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْمِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 19].

¹ - رواه أحمد في المسند، (470/37)، برقم: 22813، والحديث مروى في الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (132/5)، برقم: 3966، وقد اعتمدت لفظ أحمد طلباً للاختصار.

² - مُجَدِّ الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، ت: مُجَدِّ إِسْحَاقِ إِبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ، 2011 م، (443/3).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (90/8)، برقم: 6425.

قال السعدي رحمه الله عقب الآية: " هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمسكن والمجالس، والمناظر و الرياضات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل دنياه، ويحضره ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له له خسارته وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام والاهتمام بشأنها"¹.

4. الوعد بالنصر والتّمكن

من وسائل الترغيب التي وظفها النبي ﷺ الوعد بالنصر والتبشير به، وهو من التفاؤل الذي ينبغي أن يستصعبه الداعية في دعوته، فالداعية من صفاته أن يكون مبشرا لا منفرا، ميسرا لا معسرا، وهكذا كان هدي النبي ﷺ وهدى الأنبياء من قبله، ويستدل لذلك بالأمثلة التالية:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ قَرْسِهِ، عَلَيْهِ أَذَاهُ الْحَرْبِ»².

فنزول الملائكة من علامات وبشارات النصر، قال الصلابي: " أن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت لا شك فيه، وأن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل بنزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين: من بشارتهم بالنصر، ومن تثبتهم بما ألقوه في قلوبهم من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهره لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضا بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية"³.

¹ - السعدي، تيسير الكريم المنان، ص790.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، (81/5)، برقم: 3773.

³ - الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، (412/1).

ومن مظاهر التبشير بالنصر تبشيره ﷺ لأصحابه بفتح خير، بقوله عند الدنو منهم: «اللَّهُ أَكْبَرُ، حَرَبَتْ حَيْبَرُ، أَنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿بَسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصفات: 177]»¹.
وبهذا أكون قد بينت منهج النبي ﷺ في توظيف الموعدة الحسنة من خلال الخطابة وأسلوب الترغيب والترهيب، الذي يتسم بالتنوع والمرونة والانتقاء والملائمة للموقف الدعوي؛ مما أثمر نتائج دعوية آجلة وعاجلة.

ومن هنا تظهر الأهمية الدعوية للموعدة، باعتبارها من الأساليب العاطفية، غير أنها لن تحقق أهدافها إلا إذا أحسن توظيفها التوظيف المناسب لكل مقام بما يقتضيه، ولعل ما يعين على ذلك دراسة المواعظ النبوية والتدرب على تطبيقها في الميدان الدعوي.

المطلب الثاني: أسلوب المعاملة الحسنة

أن المعاملة الحسنة من الأساليب الدعوية، التي استخدمها الدعاة، والمصلحون عبر تاريخ الدعوات الدينية، لما لها من تأثير عاطفي في نفوس المدعوين، ويتجلى ذلك بوضوح لمتتبع القصص القرآن ي، الذي يعرض مناهج دعوات الأنبياء والمرسلين، كما يلحظ ذلك في السيرة النبوية.

وعند تتبعي للمغازي، باعتبارها ميدانا من ميادين الدعوة النبوية وقفت على هذا المنهج الدعوي العاطفي الذي يتخذ المعاملة الحسنة أسلوبا له يظهر في وسائل وأنماط مختلفة، أبرزها فيما يلي:

الفرع الأول: أسلوب المعاملة بالقول الحسن

يعد التعامل الدعوي القولي من أهم الوسائل الدعوية التي لا يمكن لأي منهج دعوي أن يخلو منها، ولا يمكن لأي داعية أن يتخلى عنها، لكونه أهم عنصر من عناصر التواصل بين الداعية والمدعو، والمتتبع لدعوات الأنبياء عليهم السلام، والسيرة النبوية، والحديث النبوي يجد أن التعامل الدعوي القولي هو الغالب على الوسائل الأخرى، كالكتابة والفعل.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (132/5)، رقم: 4200، و "المساحي جمع مسحاة، وهي الآلة التي يقلع بها الطين ونحوه"، ينظر، ابن حجر، فتح الباري، (188/1)، وقد يستفاد من هذه الجزئية أنّ الغزوات قد يستفاد منها في الاطلاع ما عند الغير من وسائل وانجازات يمكن نقلها وتوظيفها لخدمة الدعوة أنّ لم تكن مخالفة لأصولها.

غير أن هذه الوسيلة لا بد أن تضبط بضوابط دعوية حتى تحقق أهدافها، وقد أشار القرآن إلى هذه الضوابط مجملة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ [النحل:125]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:82]، وقوله عز وجل: ﴿بَقُولًا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:43]. والآيات في هذا السياق كثيرة تدل على أهمية مراعاة الأخلاق الإسلامية، والصفات الدعوية في التعامل القولي مع المدعويين، كالحكمة، والطيبة، واللين وغيرها، وفيما يلي أبرز التعاملات النبوية القولية ذات البعد العاطفي من خلال تتبع المغازي:

أولاً: أسلوب الكلمة الطيبة

كان من هدي النبي ﷺ الحرص على الكلمة الطيبة، والحث عليها، حتى صارت منهجا مطردا في حياته حضرا، وسفرا، سلما، وحربا مع العدو والصديق، وقد اتخذت صوراً مختلفة، ومتنوعة حسب المواقف والمناسبات الدعوية؛ ولتعدر حصر الكلم النبوي الطيب، فسوف أحصره في العناصر التالية:

1. الدعاء للمدعو

من الكلم الطيب الذي يؤثر في وجدان المدعو الدعاء له، لذلك نجد النبي ﷺ يوظفه في استمالة استمالة المدعو، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، وَهُمْ يَخْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتِفَانَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاعْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»¹.

فلا شك أن هذا الكلم النبوي الطيب يزيد المسلمين جدا، ونشاطا، وهم يخفرون الخندق في تلك الظروف الصعبة².

ومن أمثلة الدعاء للمدعو الدعاء لأبي عامر رضي الله عنه، فقد روى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ: رُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتَيْهِ، فَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَنْزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَتَزَعْتُهُ فَتَزَا مِنْهُ مِنْهُ الْمَاءُ، فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ»³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب نزع السهم من البدن، (34/4)، برقم: 2884.

² - ينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 277.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، (155/5)، برقم: 4068، قال ابن حجر: "وادي أوطاس غير وادي حنين ويوضح ذلك ما ذكر بن إسحاق أن الوقعة كانت في وادي حنين وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى

فمع كون الدعاء للمدعو من الإحسان إليه، كذلك طلب الدعاء والاستغفار من النبي ﷺ من علامات الإيمان، والزهد في ذلك من علامات النفاق، فقال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأ رُؤُوسَهُمْ وَرَأْيَتَهُمْ يَصْذُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: 05]، قال سيد قطب رحمه الله: "لووا رؤوسهم ترفعا واستكبارا! وهذه وتلك سمتان متلازمتان في النفس المنافقة"¹. ومن أمثلة ذلك دعوته ﷺ لجرير رضي الله عنه، ففي الصحيحين عنه، قال: "وَلَقَدْ شَكَّوْتُ إِلَيْهِ أَنِي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْحَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا»².

والأحاديث قد تواترت في دعاء النبي ﷺ للمدعوين، واستغفاره لهم، وفي ذلك أبعاد دعوية عاطفية تزيد من فاعليته، ونشاط المدعو كما اتضح ذلك في الأمثلة السابقة.

ومما تجدر إليه الإشارة أن الدعاء للمدعو؛ باعتباره وسيلة دعوية عاطفية ينبغي أن يتخير لها الداعية أنسب الألفاظ وأرقها؛ حيث تتناسب الوسيلة مع الشخص، والموقف، والهدف.

2. مخاطبة المدعو باللفظ والألقاب

لا شك أن من محاسن الآداب والأخلاق مناداة الناس بأفضل وأحب أسمائهم وألقابهم وكنائهم وصفاتهم، وكان هذا هدي النبي ﷺ الذي أخذ عنه أصحابه رضي الله عنهم، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، فقد نادى المؤمنين بأفضل صفاتهم، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقد تكرر في القرآن الكريم هذا النداء كثيرا؛ مما يدل على أهميته في استمالة المنادى للاستجابة.

وقد خاطب النبي ﷺ بصفتي النبوة والرسالة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: 41]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [التحریم: 01]، وهما من أعظم صفات النبي ﷺ، إضافة إلى ما فيهما من دلالات دعوية أخرى.

وفي المقابل نهى القرآن الكريم مناداة الناس بما يكرهون من الأسماء والألقاب، فقال سبحانه تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْبُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 11].

الطائف وطائفة إلى بجيلة وطائفة إلى أوطاس فأرسل النبي ﷺ عسكريا مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس كما يدل عليه حديث الباب "، فتح الباري، (42/8).

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (3579/6).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلفة، (165/5)، برقم: 4098، ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، (1925/4)، برقم: 2475.

قال الطبري: " واختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهي الله عن التنازع بها في هذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها الألقاب التي يكره النبز بها الملقب، وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نُهوا أن يدعوا بعضهم بعضا بما يكره من أسمائه التي كان يدعى يدعى بها في الجاهلية"¹.

والمتتبع للغزوات النبوية يجد هذا الهدى القرآن ي حاضرًا فيها، لما له من أثر عاطفي يزيد في الفاعلية الدعوية، وسوف أمثل لهذا الأسلوب الرقيق بالأمثلة التالية:

أ. استعمال عبارة "يا ابن أخي"

من صيغ المناداة اللطيفة التي يستعملها العرب للاستعطف عبارة "يا ابن أخي"، وبقيت من الكلم الطيب الذي أقره الإسلام فيما بعد، ومما وقفنا عليه من النماذج في ذلك ما رواه العلاء بن المسيب، عن أبيه، قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما، فقلت: " طوبى لك، صحبت صحبت النبي ﷺ وبابعتك تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده"² ومن ذلك أيضا قول عبد الرحمن بن عوف: " إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان⁽³⁾ حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله أن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدوا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء"⁴ فقد نادى الصحابييين الجليلين المدعوين بالطف الأسماء التي تشعر بقرب الداعية من المدعو بإنزاله منزلة ابن الأخ، وهذه عبارة لطيفة جديرة بالاستعمال والتوظيف الدعوي.

¹ - الطبري، جامع البيان، (367/21).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (125/5)، برقم: 3937.

³ - وهما عوف بن الحارث ومعوذ بن الحارث ابنا عفراء، وعفراء أمهم، شهدا العقبة، واستشهدا ببدر، ينظر:الذهبي سير أعلام النبلاء، (25/4)، الواقدي، المغازي، (146/1).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، (78/5)، برقم: 3766.

وهي تشبه العبارة التي استعملها هارون عليه السلام لاستعطاف أخيه في موقف افتتان قوم موسى بالعجل في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتَيْ وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [طه: 92]، فقد "خص الأم الأم بالإضافة استعظاما لحقها وترقيقا لقلبه"¹.

ب. استعمال المناداة بالكنية

ولما كانت الكنى من أفضل ما يجب أن ينادى بها المرء، لما تتضمنه من عاطفة الأبوة والرحمة كان النبي ﷺ ينادي بها أصحابه.

فمن نماذج استعمال الكنية في مرويات المغازي، ما رواه حذيفة، قال: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يَلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لِنِ كَانِ نَبِيًّا فَلَاعِنًا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبْنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَ: أَنَا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»².

كما يكنى الرجل تكنى المرأة أيضا وتنادى بكنيتها، ففي الصحيح معلقا، وَقَالَتْ أُمُّ هَانِيٍّ: جِئْتُ جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِيٍّ»³.

ثانيا: أسلوب المدح والذم

ومن الأساليب العاطفية المؤثرة مدح المدعو أو ذمه، قال الطيب برغوث: "المدح الهادف يثير الناس ويدفع بهم إلى رحاب الدعوة"⁴.

لأجل ذلك نجد أن النبي ﷺ قد مدح، وذم في مواطن متفرقة من غزواته، وفيما يلي نماذج لذلك:

1. مدح المطعم بن عدي

وقد جاء مدح المطعم بن عدي⁽¹⁾ في رواية ابنه جبير أن النبي ﷺ، قال: في أسارى بدر: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّسِيِّ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»².

¹ - إسماعيل حقي الخلوقي، روح البيان، دار الفكر، بيروت، (419/5).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، (171/5)، برقم: 4119.

³ - رواه البخاري في صحيحه، (4/8)، معلقا، والرواية موصولة ومفصلة في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواح ملتحف بها، (80/1)، برقم: 350، ومعنى مرحبا: "أي لقيت رُحبا وسعة، وقيل: معناه رَحَّبَ اللهُ بك مَرْحَبًا فجعل المَرْحَبَ موضع الترحيب"، ابن الأثير، النهاية، (499/2).

⁴ - الطيب برغوث، القدوة الإسلامية، ص 68.

قال ابن الجوزي في شرح الحديث: " وإنما خص المطعم بهذا لأنه لما مات عمه أبو طالب وماتت وماتت خديجة خرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، فأقام بها شهرا ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدي، فأحب مكافأته لو أمكن"³.

¹ - كان المطعم بن عدي ممن سعى في نقض صحيفة مقاطعة بني هاشم، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (192/7)، السهيلي، الروض الأنف، (126/3).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، (86/5)، برقم: 7993.

³ - عبد الرحمن بن علي، جمال الدين أبو الفرج، الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (46/4).

ففي القصة مدح ضمني للمطعم رغم موته، وكونه كافر، وهذا يدل على فضل ما كان عليه من خصال، وتدل القصة من طرف خفي على وفاء النبي ﷺ، وهذا من شأنه أن يؤثر في نفوس المؤمنين الأحياء ويزيد من فاعليتهم الدعوية.

وفي القصة ذم لزعماء قريش الذين ظلوا معادين للدعوة قادة وأتباعاً؛ حيث سعوا بكل الوسائل والأساليب لاستئصالها، وما مسيرهم إلى بدر بإصرار وتحريض هؤلاء الزعماء إلا تأكيد لهذا العداء الذي استحقوا به هذا الوصف الشنيع، وهو غاية في الذم.

2. مدح الزبير بن العوام: ومن ذلك أيضاً مدحه للزبير بن العوام، فعن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ، وَأَنْ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»¹.

وفي ضوء هذا المدح النبوي الصادق مدحه حسان مبينا فضائله ومناقبه الدعوية، في قصيدة؛ مطلعها:

أقام على عهد النبي وهديه	حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يوالي ولي الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي	يصول إذا ما كان يوم محجل ²

3. مدح سعد بن معاذ

ومن التماذج التي تستحق المدح الصحابي الجليل سعد بن معاذ، فقد مدحه رسول الله ﷺ لما استدعاه للحكم في بني قريظة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يقول: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى عَلِيٍّ حُكْمَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «فُؤُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ»، فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، فَقَالَ: تَقْتُلُ

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (111/5)، برقم: 3887.

² - جار الله الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط1، 1412 هـ، (227/5).

مُقَاتَلَتُهُمْ، وَتَسِي دَرَارِيَهُمْ، قَالَ: «فَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ»، وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ الْمَلِكِ»¹، قَالَ ابْنُ الْمَلْقَنِ عَقِبَ الْحَدِيثِ: " وَفِيهِ: تَشْرِيفُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى مَعْرِفَةِ فَضِيلَتِهِ"².

وَكَمَا يَكُونُ الْمَدْحُ فَرْدِي، قَدْ يَكُونُ جَمَاعِي جَمَاهِيرِي، فَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ» وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعًا وَأَرْبَعًا مِائَةً، وَلَوْ كُنْتُ أَبْصِرُ الْيَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ³.

وَأَصْحَابُ الشَّجَرَةِ قَدْ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].

كَانَتْ تِلْكَ بَعْضُ مَظَاهِرِ الاسْتِعْمَالِ النَّبَوِيِّ لِلْقَوْلِ الْحَسَنِ، كَأَسْلُوبِ مِنَ الْأَسَالِيبِ الدَّعْوِيَّةِ الْعَاطِفِيَّةِ الَّتِي تَمَظَّهَرَتْ فِي مَظْهَرَيْنِ رَئِيسَيْنِ: الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، وَأَسْلُوبِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَهِيَ كَغَيْرِهِمَا مِنْ الْأَسَالِيبِ الدَّعْوِيَّةِ يَتَوَقَّفُ أَثْرُهُمَا عَلَى حَسَنِ تَوْضِيْفِهِمَا، وَتَنْزِيلِهِمَا عَلَى الْوَاقِعِ الدَّعْوِيِّ.

الفرع الثاني: أسلوب المعاملة بالفعل الحسن

لَا يَقِلُّ التَّعَامُلُ بِالْفِعْلِ الْحَسَنِ أَهْمِيَّةً عَنِ التَّعَامُلِ الدَّعْوِيِّ الْقَوْلِيِّ، فَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْوَسَائِلِ الدَّعْوِيَّةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ مَنَهِجٍ دَعْوِيِّ أَنْ يَغْفُلَهَا، وَلَا يَنْبَغِي لِلدَّاعِيَّةِ أَنْ يَهْمَلَهَا، بِاعْتِبَارِهَا هِيَ الْأُخْرَى مِنْ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ بَيْنِ الدَّاعِيَّةِ وَالْمَدْعُوِّ.

وَدَعَوَاتُ الرُّسُلِ جَمِيعًا شَاهِدَةٌ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ السَّنَةَ وَهِيَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي لِلتَّشْرِيعِ جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْهَا مِنْ قَبِيلِ الْأَفْعَالِ، وَالْمَتَّبِعُ لِلْمَغَازِي-مَجَالِ الدَّرَاسَةِ-يَجِدُهَا حَافِلَةً بِالْفِعْلِ الدَّعْوِيِّ، وَمِنْهُ الْفِعْلُ الدَّعْوِيُّ الْمُسْتَهْدَفُ لِلْبَعْدِ الْعَاطِفِيِّ فِي الْمَدْعُوِّ الَّذِي سَأْتَرُقُ لَهُ فِي هَذَا الْعَنْصَرِ، مِنْ خِلَالِ ضَرْبِ أَمْثَلَةٍ، وَنَمَازِجٍ مِنْ مِيدَانِ الْغَزَوَاتِ:

أولاً: أسلوب المشاركة البدنية

أَنَّ مِشَارَكَةَ الدَّاعِيَّةِ وَصَاحِبِ الْمَكَانَةِ وَالْقَائِدِ لِلاتِّبَاعِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ اخْتِصَاصِهِ؛ لِكَوْنِهِ مَنْشَغَلًا بِوُجُوهٍ أُخْرَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِهَا غَيْرُهُ، مِنْ الْأَسَالِيبِ الْعَاطِفِيَّةِ الَّتِي تَزِيدُ حِمَاسَ الْمَدْعُومِينَ، وَنَشَاطَهُمْ، كَمَا تُمْكِنُ الدَّاعِيَّةُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَانْشِغَالِهِمْ، وَانْشِغَالِهِمْ،

¹ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ مَرَجِعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَحْزَابِ، وَمُخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمَحَاصِرَتِهِ إِيَّاهُمْ، (112/5)، بِرَقْمٍ: 3895.

² - ابْنُ الْمَلْقَنِ، التَّوْضِيحُ لِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ، (245/21).

³ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ، (123/5)، بِرَقْمٍ: 3923.

واحتياجاتهم، وهذه الأبعاد تظهر جليّة عند تتبع الغزوات النبويّة التي حضرها النبي ﷺ، وعاش مع الجيش، وتحمل كل ما تحمله من متاعب وصعاب، ومن أمثلة المشاركة البدنيّة:

1. المشاركة البدنيّة النبويّة

فمن المشاركات النبويّة البدنيّة المشاركة في غزوة الأحزاب ببدنه الشريف، حيث كان يحفر معهم معهم الخندق ويحمل التراب على كتفه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ ينقل ﷺ ينقل التراب يوم الخندق، حتى أغمر بطنه، أو اغبر بطنه، يقول: «وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ أَنْ لَاقَيْنَا، أَنْ الْأُولَى قَدْ بَعَّوْنَا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا أَيْبِنَا» وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: «أَيْبِنَا أَيْبِنَا»¹.

وقد أثرت هذه المشاركة النبويّة تأثيرا بالغا في نشاط الصحابة، يقول الواقدي: " وجعل المسلمون المسلمون يومئذ إذا رأوا من الرجل فتورا ضحكوا منه، وتنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي، الفارسي، فقال المهاجرون: سلمان منا، وكان قويا عارفا بجحر الخنادق، وقالت الأنصار: هو منا منا ونحن أحق به! فبلغ رسول الله ﷺ قولهم فقال: سلمان رجل منا أهل البيت"².

2. المشاركة البدنيّة النسويّة

المرأة الداعيّة هي الأخرى إذا اقتضت مصلحة الدّعوة أن تشارك فيها ببدنها إذا تعين عليها ذلك بما يليق بطبيعتها وفق الضوابط الشرعيّة، وتأصيل ذلك مشاركات المرأة الدعويّة على عهد النبوة، ومن ذلك خروجها غازيّة للخدمة، والمداواة، والتمريض.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْمَا لَمْشِيرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْفِرَانِ الْقَرَبِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْفِلَانِ الْقَرَبِ عَلَى مُتَوَهِّمَاتٍ، ثُمَّ تُفْرِعَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فِتْمَلَانَهُمَا، ثُمَّ تَجِيَانِ فِتْفِرَعَانَهُمَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ"³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة لأحزاب، (109/5)، برقم: 3878، وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر فقد كان النبي ﷺ يشارك الصحابة في كل الغزوات التي خرج فيها، فقد شاركهم في قتال الأعداء في عدة غزوات كبدر، وأحد، والأحزاب، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (281/7).

² - الواقدي، المغازي، (446/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء وقتالهن مع الرجال، (33/4)، برقم: 2880، قال ابن المنير: " قال ابن المنير بوب على قتالهن وليس هو في الحديث فيما أنّ يريد أنّ إعناتهن للغزاة غزو "، ابن حجر، فتح الباري، (78/6)، ومن ثمة فالمرأة المسلمة بإمكانها المشاركة في العمل الدعوي، ولو عن طريق إعانة الدعاة بالوجه الذي تقدّر عليه،

وإن كان الجهاد غير واجب على المرأة؛ لكونه من خصوصيات الرجال، فإن الشرع أذن لها أن
أن تتطوع لتمارس أعمالاً تليق بطبيعتها كإسعاف المرضى ومداواة الجرحى، وإعداد الطعام، وسقي
وسقي الجند، وغيرها من المهام¹.

فهذه مهام تمكن المرأة من الإحسان إلى المجاهدين في سبيل الله عن طريق المشاركة البدنية، وهذا
بلا شك أسلوب عاطفي فعال، فالمجاهد لما يرى أخته المؤمنة بجانبه في المعركة تزيد فعاليته وجاهزيته
القتالية.

ثانياً: أسلوب المشاركة الصحابية المالية

يعد الإحسان المالي للأفراد، والجماعات من الوسائل الدعوية الفعالة في استعطاف، واستمالة
قلوب المدعويين، وتثبيت الدعوة في قلوبهم؛ لذا نجد له حضوراً مكثفاً في الفعل الدعوي النبوي في
المغازي، وفي غيرها، وفيما يلي نذكر نماذج عن ذلك من المغازي النبوية:

1. تأليف هوازن: من المواساة المالية التي قام بها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، رد سبي هوازن بعدما
هوازن بعدما أسلموا، فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ حين جاءه هوازن، قام
هوازن، قام في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم جاءونا تائبين،
وأني رأيت أن أردد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك، فليفعل ومن أحب أن يكون على
حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا»، فقال الناس: طيبنا لك².

2. تأليف زعماء العرب

أن استمالة كبراء القوم وزعماءهم ملحظ دعوي استراتيجي؛ لكون الأتباع لهم، وقد دل على
على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا أَنَا أطعنا سادتنا وكبراءتنا فأصلونا
السبيلاً﴾ [الأحزاب: 67].

فقد أسهمت الكثير من زوجات وأمهات الدعوة في توفير الجو الملائم للدعوة وطلب العلم، ومن نماذج تلك الأمهات أم الإمام
الشافعي التي اعتنت به حتى ساد أهل زمانه، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (10/06).

¹ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (6/76).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب من رأى الهبة الغائبة جائزة، (7/157)، برقم:

والسنة هي الأخرى قد راعت هذا البعد الدعوي، فعن عبد الله ﷺ، قال: لما كان يوم حنين آثر يوم حنين آثر النبي ﷺ ناسا، أعطى الأقرع مائة من الإبل، وأعطى عيننة⁽¹⁾ مثل ذلك، وأعطى ناسا، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي ﷺ، قال: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»².

وقد ذكر أهل السير جمع من المؤلفلة قلوبهم أعطاهم النبي ﷺ، قال المقرئزي: "وأعطى قيس بن بن عدوي مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهب خمسين بعيرا، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو خمسين بعيرا، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عيننة بن حصن الفزاري مائة من الإبل، وأعطى أبا عامر العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بثة بن سليم بن منصور السلمي دون المائة، فعاتب النبي في شعر قاله، فقال رسول الله ﷺ اقطعوا عني لسانه! فأعطوه مائة"³.

وقد ورد في رواية المقرئزي تعليل العطاء في قوله ﷺ: «اقطعوا عني لسانه»، وهو بعد دعوي مهم، ذلك أنه من وسائل الدفع والتي هي أحسن، وهي وسيلة تفعل فعلها في استمالة القلوب، وتؤدي ثمارها ولو بعد حين.

ومن ثمّ فليس من الحكمة الجمود على نمطية الردود الكلامية على المخالفين، والمعادين للدعوة، فهذا تضيق لنطاق الأساليب، فكلما كثرت الأساليب كلما توسع نطاق الاستجابة الدعوية، وسهل التصدي للتحديات الداخلية والخارجية.



¹ - الأقرع بن حابس، و عيننة بن حصن كان ا من المؤلفلة قلوبهم، ممن شهد فتح مكة، وحنينا، وقد كان الأقرع حكما في الجاهلية، أسلم و حسن إسلامه، أما عيننة بن حصن ارتد في عهد أبي بكر ﷺ ثم عاد إلى الإسلام، ينظر: ابن حجر، الإصابة، (101/1)، (768/4).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (84/5)، برقم: 4080.

³ - المقرئزي، الإمتاع، (29/2).

ثالثا: أسلوب المشاركة التفاعلية

أن الداعية الناجح هو من يعيش حياة الناس؛ يشعر بشعورهم، وينفعل مع آرائهم وحياتهم، ويتدخل في كافة شئونهم بصدق، وفهم، وتحليل، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده الشكل العفوي العام.

بمعنى تواجدها تلقائيا مع الجميع، وفي جميع المواقف؛ لكي يصل بالدعوة إلى الجميع، فإن المشاركة تضيف إحساسا عمليا له قوته في الوصل والتأثير، فالمشاركة الوجدانية من أهم الأساليب العاطفية التي تربط وتؤلف بين القلوب، فتثمر التصرفات الحسنة والسلوك الاجتماعي القويم.

وقد وقفت على أمثلة من المشاركات الوجدانية النبوية في السيرة عموما وفي المغازي على وجه الخصوص أذكر منها النماذج التالية:

1. الانبساط مع الصحابة

رغم كثرة أعباء الدعوة ومسئولياتها في حياة النبي ﷺ إلا أنها كانت تتخللها فترات للترويح والانبساط مع الصحابة، فمن أمثلة ذلك ما جاء في قصة مقدم أبي عبيدة بن جريفة البحريني، فلما سمعت الأنصار يقُدوميه، فوافته صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: «أظنكم سمعتم يقُدوم أبي عبيدة، وأنه جاء بشيء» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأمَلُوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم»¹.

وتظهر المشاركة الوجدانية في الحديث من وجوه، أهمها مجالسة المدعوين والمكوث معهم، والتحدث إليهم، والاستماع لهم، فرغم أن الحديث لم يصرح بذلك إلا أن الأمر ثابت في أحاديث كثيرة.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (90/8)، برقم: 6425.

فقد تكررت عبارة الصّحابة: "نحن جلوس عند رسول الله"¹ في مواضع متكررة من السنة النبوية، ففي حديث أبي هريرة، قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي

¹ - قد تكررت العبارة في صحيح البخاري وحده في أكثر من عشرين موضعاً؛ كما في المواضع التالية منه: (166/1، 57، 23)، (68/2، 17)، (35/3، 32)، (142/4)، (60/5، 58)، (118/6)، (145/7، 83، 36، 23)، (58/8، 28، 53، 21).

الْحَيَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قال أبو هريرة: فبكى عمر بن الخطاب ثم قال: أعليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أغار؟¹

وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:28]، وفي الآية بعد دعوي عاطفي يبينه السعدي بقوله: " ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى"².

فالمخالطة ميدان دعوي يمارس فيه الداعية الناجح الدعوة بجميع مستوياتها، يبلغ، ويعلم، ويتابع، ويصحح التصورات، والتطبيقات، ويدرب، وينمي قدرات الأتباع الدعوية.

2. مشاركة الصحابة في آلامهم وأحزانهم

أن مما يستميل المدعو أن يشاركه الداعية آلامه وأحزانه، وهذا ملمح وجداني يلحظ باستمرار في السيرة النبوي والمغازي، في مواقف متعددة لعلي أمثل لبعضها من مرويات المغازي في الصحيح بالنماذج التالية:

النموذج الأول: من نماذج المشاركة الوجدانية في المصائب، مشاركة جابر بن عبد الله رضي الله الله عنهما مصابه في أبيه، والسعي لتسليته بذكر منزلته، وحسن مآله عند الله تعالى، فعن جابر، قال: لما قتل أبي جعلت أبكي، وأكشفت الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لم يبه، وقال النبي ﷺ: « لَا تَبْكِيهِ - أَوْ: مَا تَبْكِيهِ - مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تَطْلُهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا رُفِعَ »³.

قال القسطلاني في تعليقه على الحديث: " مجتمعين عليه - أي الملائكة -، متزاحمين على المبادرة لصعودهم بروحه، وتبشيره بما أعد الله له من الكرامة"⁴.

وهذه المشاركة الوجدانية فيها إشارة لطيفة إلى أهمية تخير الوسيلة، والعبارة، والمضمون الوجداني الوجداني المناسب للمقام؛ فتبشير أهل الميت بحسن مآله من أبلغ عبارات العزاء، وفي الحالة العامة فإن

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب القصر في المنام، (39/9)، برقم: 6620.

² - السعدي، تيسير الكريم المنان، ص 475.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب من قتل من مسلمين يوم أحد، (102/5)، برقم: 3852.

⁴ - القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (377/2).

تعزيتهم بالدعاء المأثور¹ يحقق المقصد؛ لما تضمنه من التذكير بالقضاء، والحث على الصبر، والاحتساب.

النموذج الثاني: من نماذج المشاركة الوجدانية مشاركة النبي ﷺ لآل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين استشهد في غزوة مؤتة.

فعن عائشة رضي الله عنها، لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ جَلَسَ رَوَاحَةَ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْحُزْنُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَأَنَا أَطَّلَعُ مِنْ شَقِّ الْبَابِ، الْبَابِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ نِسَاءَ جَعْفَرٍ فَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْهَاهُنَّ».²

قد كانت تلك مواقف دعوية شاهدة على التوظيف النبوي للفعل الحسن في ميدان الغزوات، باعتبارها من الميادين الدعوية الحيوية، وقد اتخذ هذا الأسلوب العاطفي الفعلي أشكالاً متعددة، فكانتها المشاركة البدنية، والمشاركة المالية، والمشاركة الاجتماعية الوجدانية.

وفي نهاية هذا المبحث أخلص إلى أن الغزوات النبوية كانت ميداناً من الميادين الدعوية النبوية التي وظفت فيه الأساليب العاطفية، التي استعملها النبي ﷺ لإثارة وجدان المدعوين.

والتي اتخذت أنماطاً، وأشكالاً متنوعة، يمكن حصرها في مجالين: مجال الموعظة الحسنة، ومجال المعاملة الحسنة؛ لكون أن أغلب وسائل الأساليب العاطفية تنفر عن هذين المجالين الكبيرين. ثم؛ وأن لهذه الأساليب العاطفية النبوية آثار دعوية عظيمة، فقد كان من نتائجها استجابة الجموع الغفيرة لدعوة الإسلام في فترة قصيرة.

ومن هنا كانت دراسة، واستقصاء الأساليب العاطفية النبوية من مصادر السيرة الأصلية ذات أهمية دعوية كبيرة؛ لما لها من الآثار والنتائج الدعوية التي لم تحصل لدعوة من الدعوات الدينية السابقة.

¹ - فللتعزية صيغ كثيرة منها ما جاء في صحيح مسلم عن عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ وَتُحْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا أَوْ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: ((ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ))، صحيح مسلم، (485/4)، برقم: 1531.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، (143/5)، برقم: 4015، ورواه ابن أبي شيبة، المصنف، (413/7)، برقم: 36967، بهذا اللفظ.

المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية للمنهج العقلي

بعد أن تناولت في المبحث السابق توظيف أساليب المنهج العاطفي في الدعوة، يأتي هذا المبحث ليتطرق إلى استعمالات الأساليب العقلية في الدعوة النبوية من خلال الغزوات، باعتبارها من الأساليب الفطرية التي تخاطب العقل، وهو أهم وسائل الإدراك، وعليه مدار التكليف، وفهم الخطاب الدعوي الإسلامي، الذي طالما أثار عقول المخاطبين بأساليب عقلية تدعو إلى أعمال التدبر والتفكير في الآيات المسطورة في الكتاب الكريم، والمنظورة في الأنفس والآفاق. ومن أجل الوقوف على التوظيف الدعوي الأمثل للمنهج العقلي في المجال الدعوي، والكشف عن أهم أبعاده وآثاره الدعوية؛ جاء هذا المبحث ليتطرق إلى بعض الأساليب الدعوية العقلية، المستخدمة في ميدان الغزوات النبوية، التي سوف أتناولها من خلال مرويات المغازي في الصحيح في المطالب التالية:

المطلب الأول: أسلوب القياس العقلي

ليس المراد من هذا العنصر تناول القياس من المنظور الأصولي، الذي يقتضي الاستغراق في تفاصيله وجزئياته، وإنما القصد الاستفادة منه باعتباره من أهم الأساليب العقلية التي تمكن الداعية الداعية من المقارنة بين الأشياء، والحوادث المتشابهة التي تشترك في علل، وأسباب حدوثها وصدورها، وهذا ما كان يمارسه الرسول ﷺ من غير أن يسميه بالقياس، أو غيره من الاصطلاحات الحادثة¹.

وفيما يلي بيان بعض صور القياس العقلي، وقضاياها، وعلاقة ذلك بالفعل الدعوي كما جاءت في مرويات المغازي في الصحيح من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: أسلوب قياس الأولى

سوف أقتصر على دراسة هذا الأسلوب العقلي من الناحية الدعوية دون الخوض في التفاصيل الأصولية، من خلال العناصر التالية:

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ص 190.

أولاً: تعريف قياس الأولى

وهو القياس الذي تكون فيه العلة في الفرع أقوى من الأصل، فيكون بذلك الاهتمام بالفرع أولى من الاهتمام بالفرع، ومثَّل الأصوليون لهذه الصورة من القياس بقياس تحريم ضرب الوالدين الوالدين بتحريم التأفف الوارد في قوله سبحانه و تعالى: ﴿بَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيِبٌ﴾ [الإسراء: 23]¹.

ثانياً: الأهمية الدعوية لقياس الأولى

يعد قياس الأولى من أهم الأقيسة العقلية التي توظف في الإقناع، ومن هنا يستمد أهميته الدعوية، لذا نجد القرآن الكريم قد استخدمه في مواطن متعددة، فحتى يدرك القارئ الأهمية الدعوية لقياس الأولى في عرض قضايا، وحقائق الدعوة، والإقناع بها؛ رأيت أن أستعرض بعض الأمثلة الواردة في القرآن الكريم، على النحو التالي:

1. قياس خلق عيسى على خلق آدم عليهم السلام

وقد ورد هذا القياس في قوله تعالى: ﴿أَنْ مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَفَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 58]، ففي الآية استعمال قياس الأولى، وذلك لأن عيسى عليه السلام إن كان خلق بلا أب فآدم عليه السلام لا أب له ولا أم².

2. قياس البعث على بدء الخلق

وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ بِقَوْلِهِمْ تَدْكُرُونَ﴾ [الواقعة: 65]، أن خلق آدم آدم عليه السلام من التراب لا ينكره أحد، فمن قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر وأقدر؛ فأقدر؛ فإنها أقل صنعا لحصول المواد، وتخصيص الأجزاء، فعجبا للمكذب بالنشأة الأخرى، وهو وهو يرى النشأة الأولى³.

3. قياس صفات الله على صفات المخلوق

و يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 26]، قال السعدي: "ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة

¹ - ينظر: عبد الله العنزي، تيسير علم أصول الفقه، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ، 1997 م، ص189.

² - جلال الدين السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، ت: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص69.

³ - الألوسي، روح المعاني، ت: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ، (174/14).

صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى"¹.

ثالثا. الاستعمال الدعوي قياس الأولى في الغزوات

عند تتبعي للمغازي في الصحيح وجدت أن النبي ﷺ قد وظف قياس الأولى في مواقف دعوية مختلفة أورد منها ما يلي:

1. ترك قتل المنافقين بدلالة قياس الأولى

فعند تعارض المصالح يقدم الداعية المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وهذا لا يكاد يخفى، غير أن ترتيب المصالح العامة قد يخفى على البعض، وهذا ما حصل في موقف قتل المنافقين. فمن تلك المواقف التي نهى فيها النبي ﷺ عن قتل المنافقين، رغم توفر الموجب، فلما قال عبد الله بن أبي، مقالته الخبيثة: "أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، قام عمر فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»².

فقتل المنافقين، قد يكون منفرا للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبد الله بن أبي مسلم، ومن ثم سيقول الناس: أن مُحمّدا يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاسد، وتتعلل المصالح.

فظهر في هذا الموقف استعمال قياس الأولى في الفعل الدعوي النبوي بوضوح، فدفع مفسدة الصد عن الدعوة وتشويه صورتها، أولى من إبطال أذى المنافقين بقتلهم، وتصفيتهم³. فهذا الأسلوب العقلي أقنع عمر رضي الله الذي كان متحمسا لقتل عبد الله بن أبي، فقال بعد ذلك: "قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري"⁴.

2. إثبات هجرة مهاجري الحبشة بدلالة قياس الأولى

¹ - السعدي، تيسير الكريم المنان، ص 640.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 08]، (154/6)، برقم: 4624.

³ - القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ونظر، وتطبيق، ص 122.

⁴ - ابن هشام، السيرة النبوية، (293/2).

قد ثب لمهاجري الحبشة وصف الهجرة بدلالة الأولى مقارنة مع إخوانهم المهاجرين إلى المدينة، فعن أبي موسى، أن أسماء لما قَدِمَتْ لَقِيَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: الْحَبَشِيَّةُ هِيَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ: نِعَمَ الْقَوْمِ أَنْتُمْ. لَوْلَا أَنْكُمْ سَبَقْتُمْ بِالْهَجْرَةِ. فَقَالَتْ فَقَالَتْ هِيَ لِعُمَرَ: كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُ رَاحِلَكُمْ، وَيُعَلِّمُ جَاهِلَكُمْ، وَفَرَزْنَا بِدِينِنَا. أَمَا أَنِي لَا أَنِي لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَذْكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « بَلْ لَكُمْ الْهَجْرَةُ الْهَجْرَةُ مَرَّتَيْنِ: هَجْرَتُكُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهَجْرَتُكُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ »¹.

فقد استدلت أسماء رضي الله عنها بقياس الأولى في استحقاقها وأهل السفينة للفضل، وذلك باعتبارها أن باعتبارها أن المشقة والمعاناة التي عانوها في الحبشة أشد من التي عاناها أهل المدينة من المهاجرين، المهاجرين، فالعلة وهي المشقة ومكابدة المعاناة أكد في فرع أهل السفينة، وقد أقرها النبي ﷺ على على حسن استدلالها، مما يدل على فقهها، وكمال عقلها الذي عُرفت به².

3. الطعن في إمارة أسامة بن زيد رضي الله عنهما بدلالة الأولى

لم يستغرب النبي ﷺ الطعن في إمارة أسامة بن زيد، عن طريق قياس الأولى، فما داموا طعنوا في إمارة أبيه، فالطعن في الابن بدلالة الأولى، وهذا ما توضحه هذه الرواية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم قطعوا في إمارته، فقال: «أَنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ كَانَ خَلِيفًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيَّ بَعْدَهُ»³.

قال البرماوي في شرح الحديث: " (خليقا)؛ أي: جديرا، فلم يكن طعنكم فيه حقا كما ظهر لكم لكم في آخر الأمر، فكذلك في ولده"⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (137/5)، برقم: 3990، ورواه أحمد في المسند، (290/32)، برقم: 19524، واللفظ له.

² - لها مواقف تدل على كمال عقلها منها، ما رواه زائدة قال: سمعت عامرا يقول تزوج علي بن أبي طالب أسماء بنت عميس فتفاخر ابنها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر فقال كل واحد منهما: أنا أكرم منك وأبي خير من أبيك، فقال لها علي: اقضي بينهما يا أسماء، قالت: ما رأيت شابا من العرب خيرا من جعفر ولا رأيت كهلا خيرا من أبي بكر، فقال علي: ما تركت لنا شيئا ولو قلت غير الذي قلت لمقتك، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (219/8).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة زيد بن حارثة، (141/5)، برقم: 4004.

⁴ - شمس الدين البرماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، (293/11).

وقد كان لهذا الاستدلال أثر ظهر في حرص أبي بكر الصديق على إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ رغم حوادث الردة.

قال ابن كثير: "أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة"¹.

كانت تلك أمثلة من واقع الغزوات النبوية، وظف فيها النبي ﷺ قياس الأولى، كوسيلة من وسائل الأسلوب العقلي، التي تجلت فيها الحكمة النبوية في اختيار الأسلوب المناسب بالطريقة المناسبة؛ مما كان له بالغ الأثر في اقناع المدعويين، والمستجيبين.

الفرع الثاني: أسلوب التعليل

من القضايا المتعلقة بأسلوب القياس العقلي مسألة التعليل؛ إذ تعد العلة في القياس من أهم أركانه التي لا يقوم إلا بها.

ولإبراز هذا الأسلوب العقلي وأهميته الدعوية وتوظيفه في ميدان الغزوات، أتطرق إلى العناصر التالية:

أولاً: تعريف التعليل:

قبل البدء في ذكر التطبيقات النبوية للتعليل في ميدان الغزوات، تجدر الإشارة إلى تعريفه، ولست مضطراً إلى سرد التعاريف في هذا المقام، فأكتفي بذكر تعريفه مجملاً.

فالتعليل إجمالاً؛ هو ذكر علة الحكم، والعلة عند الأصوليين هي الوصف الظاهر المنضبط القائم بالموصوف المعرف للحكم، والمراد بالظاهر: ما كان من أفعال الجوارح كشرب الخمر علة للجلد، للجلد، والسرقعة علة للقطع، والقتل العمد العدوان علة للقصاص، وهكذا².

ثانياً: أهمية التعليل الدعوية

لأهمية التعليل في الإقناع والاستدلال، فقد جاء في القرآن الكريم بصيغ كثيرة متنوعة، قال ابن القيم: "جاء القرآن بتعليل الأحكام، وقد جاء التعليل في الكتاب العزيز بالباء تارة، وباللام تارة، تارة، وبأن تارة، وبمجموعهما تارة، وبكي تارة، ومن أجل تارة، وترتيب الجزاء على الشرط تارة،

¹ - ابن كثير، البداية والنهاية، (335/6).

² - عب د الك ريم النملة، المه ذب في ع لم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرش د، ال رياض، ط1، 1420 هـ، 1999 م، (2016/5).

تارة، وبالفاء المؤذنة بالسببِ تارة، وترتيب الحكم على الوصف المقتضي له تارة، وبلما تارة، وبان
وبان المشددة تارة،

وبلعل تارة، وبالمفعول له تارة؛ فالأول كما تقدم؛ واللام كقوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَن اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 99]، وكقوله: ﴿أَن تَقُولُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ الْأَنْعَامَ عَلَيْنَا طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَأَن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: 157].

ثم قيل: التقدير لئلا تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا، وأن واللام كقوله: ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 164]، وغالب ما يكون هذا النوع في النفي فتأمل، وكقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَعْيَانِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 07] ¹.

أن هذا التنوع في أساليب التعليل، وتعدد طرقه في القرآن الكريم التي ذكرها ابن القيم لدليل على أهمية التعليل في إقناع المخاطب بالحكم، وترسيخه وتثبيتته في فؤاده، وهذا أثر لا تخفى أهميته الدعوية.

من أجل ذلك كان من الأساليب النبوية الدعوية الحاضرة في الفعل الدعوي النبوي، وسوف أمثل لهذا الأسلوب بأمثلة من مرويات الغزوات في العنصر الموالي.

ثالثاً: الاستعمال الدعوي لأسلوب التعليل في الغزوات

قد وظف النبي ﷺ أسلوب التعليل، وذكر بعض علل الأحكام في مواقف دعوية كثيرة للإقناع وتعليم المدعويين استنباط الأحكام في الوقائع المشابهة، ومما وقفت عليه من خلال مرويات المغازي في الصحيح ما يلي:

1. علة طاعة ولي الأمر

من القواعد في طاعة ولي الأمر أن تكون فرعا عن طاعة الله ورسوله، فإذا أمرت الرعية بمعصية لم بمعصية لم تلتزمهم الطاعة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا لِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ بَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ أُن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، قال ابن عاشور: "وأشار بهذا التعقيب إلى أن الطاعة المأمور بها هي الطاعة في المعروف" ².

وقد أكدت السنة النبوية هذه القاعدة في مواقف متعددة، من أمثلة ذلك ما رواه علي بن أبي طالب، الله عنه، قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ:

¹ - ابن القيم، أعلام الموقعين، (151/1).

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (96/5).

أَمَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، نَارًا، فَأَوْقِدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيُثْوِلُونَ: فَرَزْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا مَآ خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»¹.

فقد نيط الحكم بطاعة الأمير بعلته، وهي كون المأمور به مأذون فيه شرعا، لتقاس عليها بعد ذلك ذلك كل تصرفات أولياء الأمور، قال ابن العربي: "الطاعة في المعروف هي الطاعة لا غير، وما كان على غير ذلك لا يلزم"².

وهذا الضابط غاية في الأهمية الدعوية في مجال الأتباع والمتبوعين، فعدم وعي المدعويين بالأسس المنهجية للاتباع يوقعهم في مزلق الطاعة العمياء، التي تتولد عنها مشاكل فكرية غير منتهية.

2. علة تحريم الخمر

لكون الأشرية لا تعد، ولا تحصى، لا يمكن للداعية أن يحيط بها، ويتعرف على مدى حليتها، كان من الضروري بيان العلة التي إن وجدت فيها حرمتها باعتبارها خمرًا، وهي الإسكار، فعن أبي أشربة الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن، فسأله عن أشربة أشربة تُصنع بها، فقال: «وما هي؟» قال: البئع والمزُر، فقلت لأبي بُرْدَةَ: ما البئع؟ قال: نبيذ العسل، والمزُر نبيذ الشعير، فقال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»³.

فهذا الحديث من الأحاديث التي تعد قاعدة في الأشرية لا يستغني عنها المكلف، لذا زاده ابن رجب على الأربعين النووية في جامع العلوم والحكم⁴.

فهذان مثالان من واقع الغزوات النبوية فيهما ذكر النبي ﷺ علل الأحكام؛ لإقناع المخاطب بالحكم عن طريق الأسلوب العقلي من جهة، ولتعليم المدعويين ربط الأحكام بعللها لقياس حوادث وجزئيات مشابهة للواقعة الأصل.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال: إنهما سرية الأنصار، (161/5)، رقم: 4085.

² - محمد بن عبد الله، أبو بكر، ابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1428 هـ، 2007 م، (567/7).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (161/5)، رقم: 4087.

⁴ - ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1422 هـ، 2001 م، ص57.

ولتدريب الدعاة على آليّة الاجتهاد في النوازل الدعويّة، عن طريق تعدي علل الأحكام إلى فروع النوازل المستجدة من جهة أخرى.

وفي ختام هذا المطلب يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن أسلوب القياس العقلي من الأساليب العقلية التطبيقية للمهجع العقلي في الفعل الدعوي النبوي من خلال مواقف من غزواته. وهذا من شأنه أن يسهل الاستفادة منها في المجالات الدعويّة الاجتهاديّة، والتربويّة، والاتصاليّة، والفكريّة.

المطلب الثاني: أسلوب الجدل العقلي

بعد أن تعرضت لأسلوب القياس العقلي، وما يتعلق به من قضايا، وتطبيقات دعويّة، يأتي الحديث عن أسلوب عقلي آخر لا يقل أهمية عن الأول، ألا وهو أسلوب الجدل العقلي، الذي يعد من الأساليب الدعويّة العقلية الحيويّة؛ لكونه من الأساليب التفاعلية المباشرة بين الداعية والمدعو.

فالمدعو المرتقب، والمستجيب لا يحجر على عقله في الخطاب الدعوي الإسلامي، فلا يمنع من إبداء قناعاته بغض النظر عن معيار الصواب والخطأ. والسبب في ذلك أن الدعوة الإسلاميّة تنطلق من أصل تكريم الإنسان، الذي يتفرع عنه احترام عقلة وتفكيره.

وسوف أبرز طبيعته، وأهميته الدعويّة، وتطبيقاته النبويّة في الغزوات من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: تعريف الجدل وبيان ضوابطه

قبل الخوض في الأبعاد الدعويّة المتعلقة بالجدل؛ باعتباره من الأساليب العقلية ذات الفعالية الإقناعية تجدر الإشارة إلى حده، وأهم ضوابطهن وفق العناصر التالية:

أولاً: تعريف الجدل

حتى تُدرك أبعاد أسلوب الجدل العقلي؛ لابد من التعرض لتعريف موجز له من الناحية اللغويّة والاصطلاحي، وفق يلي:

1. تعريف الجدل في اللغة

الجدل في اللغة من جدل، قال ابن فارس: "وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"¹.

فالتعريف اللغوي يشير إلى أن الجدل له معنيان، والذي يهم في الدراسة هو المعنى الثاني، وهو مراجعة الكلام بين المتخاصمين، ومحاولة كل طرف التغلب بالحجة على خصمه.

2. تعريف الجدل في الاصطلاح

أما الجدل في الاصطلاح، فقد عرفه الجرجاني بقوله "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"².

تعريف الجرجاني هذا يعد من التعاريف الجامعة للجدل، حيث أشار إلى طبيعة الجدل المتعددة الأطراف، وقد أشار إلى أنواع الجدل، فمنه المحمود القائم على إثبات الحقة بحجة، والمذموم الذي يسعى الخصم لإثباته بشبهة.

ومن هنا كان الجدل المحمود من الأساليب العقلية الدعوية؛ لما يمكن أن يتوصل به إلى إثبات حقائق الدعوة، ودحض الشبهات التي قد تعلق بأذهان المدعوين.

3. الفرق بين الجدل والحوار

الحوار هو "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة؛ فلا يستأثر أحدهما دون الآخر به، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب"³ فالحوار والجدل يلتقيان في كونهما مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدل فيه لدد وخصومة وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأي والتعصب له، وأما الحوار فهو مجرد مراجعة للكلام للكلام بين الطرفين، دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه، فالحوار أعم من الجدل من هذا النحو¹.

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (433/1).

² - الجرجاني، التعريفات، ص71.

³ - عدنان الجابري، أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1433/1434هـ، ص40.

¹ - ينظر: عاطف رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا) 1432 هـ، 2011 م، ص90.

وأما في الدراسة فسوف أدرج كل من الجدل، والحوار تحت الجدل؛ وذلك لصعوبة التفريق بينهما لدقته، خاصة بين الحوار، وأسلوب "الجدل بالتي هي أحسن" الذي اتسم به المنهج النبوي، ولكون الجدل أعم من الحوار من جهة أخرى.

ثانيا: ضوابط الجدل

لما أشرت في التعليق على تعريف الجرجاني للجدل أنه ينقسم إلى مذموم ومحمود، وأن الحمود هو الذي يمكن الاستفادة منه في الدعوة، كانلابد من بيان ضوابط هذا الأخير، التي يمكن حصرها في العناصر التالية:

1. الضابط الموضوعي للجدل

وهو أن يكون مجال الجدل من المجالات التي يسوغ فيها الجدل من إحقاق حق أو الدفاع عنه أو دحض لباطل، فلا يشرع الجدل في الباطل، لقوله تعالى: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [الكهف:55].

قال السعدي: " والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل"¹.

ومن ضوابط الجدل الموضوعية أن لا يجادل الإنسان فيما لا علم له به، ولا طاقة له به، كأن يجادل في الغيبات، إلى ذلك الإشارة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أُنِذِرُكَ أَنْ تَنْصُرَ وَمَنْ نَصُرَكَ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّكَ إِذْ تَبْتَغِيهِ فَإِنْ أَتَىٰ بِكُمُ الْبُحْرَانُ لَمَنْ تَنْصُرُونَ ﴾ [الأنعام: 113].

2. الضابط المنهجي

ومقتضى هذا الضابط أن تكون طريقة، وأسلوب المجادلة طريقة تُراعَى فيها القيم، و المبادئ الشرعية حتى مع غير المسلم، لقوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: 46].

قال مجاهد: " هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة"¹.

¹ - السعدي، تيسير الكريم المنان، ص731.

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (13/350).

3. الضابط المقاصدي

الجدل وسيلة، وليس مقصد في حد ذاته، فإذا خلا من المقصد أو كان لقصد غير مشروع يذم صاحبه، ويكون الجدل مذموماً، وأما الجدل المحمود ما كان إضافة إلى الضابط الموضوعي والمنهجي يراد به إحقاق الحق ابتغاء مرضاة الله.

ويشير إلى هذا الضابط القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أُن رَّبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

فالآية تبين المقصد من وسيلة الجدل وغيره من الوسائل الأخرى، فهو الدعوة إلى شريعة التي شرعها لخلقها، وهي الإسلام¹.

والحق أن الجدل بهذه الضوابط الموضوعية، والمنهجية، والمقاصدية يُعد من الأساليب العقلية، التي يمكن أن يستعان بها على نشر الدعوة، والدفاع عنها، والمرافعة عن قضاياها. وقد كان لهذا الأسلوب تطبيقات في واقع الدعوة النبوية، وهذا ما سيتولى الفرع الموالي بيانه.

الفرع الثاني: نماذج من الأسلوب الجدلي في الغزوات

بعدما بينت مفهوم الجدل وبينت أهميته، وضوابطه؛ آتي على ذكر نماذج تطبيقية له من واقع الغزوات النبوية، وفق ما جاءت في مرويات صحيح البخاري؛ حيث أورد نص المجادلة كاملاً ثم أتناول أهم ما تضمنه من الأبعاد الدعوية خاصة ما تعلق بالأسلوب العقلي، وبيان ذلك في العناصر التالية:

أولاً: نموذج مجادلة صلح الحديبية

تعد مجادلة صلح الحديبية من أطول وأمتع وأروع المجادلات النبوية، التي تعددت أبعادها الدعوية الآتية والبعديّة، كان من أجلها أن كانت وقعة الحديبية تمهيداً لأحداث عظيمة، من أبرزها فتح خيبر، وأعظم منها فتح مكة.

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان، (321/17).

وفيما يلي نص المجادلة وما يستفاد منها من أبعاد دعويّة:

1. نص مجادلة صلح الحديبية

قد جاءت مجادلة صلح الحديبية بطولها في الصحيح، فعن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ لقد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ والله والله أني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني يسألوني حطة يعظّمون فيها حرّمات الله إلا أعطيتهم إياها فقال له النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدّث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا ردّته إينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرّد إلى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك إذ دخل دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسقل مكة حتى رمى بنفسه بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن تردّه إليّ فقال النبي ﷺ أنا لم نفض الكتاب بعد قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا قال النبي ﷺ فأجزه فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بل قد أجزناه لك قال قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله قال فقال عمر بن الخطاب فأتيت نبي الله ﷺ فقلت ألسنت ألسنت نبي الله حقا قال بلى فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى فقلت فلم تُعطي الدنية في ديننا إذا قال أني رسول الله ولسنت أعصيه وهو ناصر لي فقلت أليس كنت مُحَدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فأخبرتكم أنا نأتيه العام قال قلت لا قال فأنت آتية ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى فقلت فلم تُعطي الدنية في ديننا إذا قال أيها الرجل أنه لرسول الله ﷺ وأليس يعصي ربه وهو ناصر فاستمسك بعززه فوالله أنه على الحق فقلت أليس كان يحَدِّثنا أنا

أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فأنت آتية ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالاً قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فأنحروا ثم اخلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله الله أجب ذلك الخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بطنك وتدعو خالقك فيخلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بطنه ودعا خالقه فخالقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً عمماً ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ [المتحنة: 10]، حتى بلغ ﴿بِعَصْمِ الْكُؤُوبِ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين، كانتا له في الشرك.¹

2. الأبعاد الدعوية لمجادلة صلح الحديبية

يستفاد من تحليل هذه المجادلة التي وقعت في غزوة الحديبية جملة من الأبعاد الدعوية، أجمالها في الأبعاد التالية:

أ. الأبعاد المقاصدية لمجادلة صلح الحديبية

كان مقصد قريش مقصدا جاهليا يهدف إلى عدم الاعتراف بالهزيمة أمام قوة المسلمين، حتى لا لا يتحدث الناس بذلك، ويظهر ذلك من قول سهيل بن عمرو: "والله لا يتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل"، أما رسول الله ﷺ فكان يهدف من وراء الصلح إلى تحقيق مصالح للدعوة بعيدا عن السمعة والأغراض الشخصية، ويبدو ذلك من عبارات كثيرة في المجادلة منها: قوله: "لقد سهل لكم من أمركم"، وقوله: "لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها"، ومن ذلك قبول شروط المصالحة التي شرطتها قريش التي تبدو في الظاهر لصالحهم.¹

فالمقاصد الدعوية كانت هي المقاصد السامية المبتغاة من مجادلة صلح الحديبية، وإن بدت خفية على الكثير من الصحابة عليهم الرضوان.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (193/3)، برقم: 2581.

¹ - حافظ الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: 1406هـ، ص162.

ب. الأبعاد المنهجية لمجادلة صلح الحديبية

قد تجلت في هذه المجادلة العظيمة أسس، وأخلاقيات المجادلة الحسنة في أساليب، وصور كثيرة، أحملها فيما يلي:

✓ معرفة شخصية المجادل

من أهم أسس نجاح المجادلة معرفة شخصية الطرف الآخر، وقدراته المعرفية، والعقلية، فسهيل بن عمرو من الشخصيات المعروفة لدى النبي ﷺ، ودليل ذلك أنه لما قدم عليه لإبرام الصلح، قال ﷺ: «لقد سهل لكم من أمركم»، فهو من عقلاء العرب وأشرفهم، وهذا ما يظهر من ترجمته التي عقدها له الذهبي في السير، فذكر أنه كان خطيب قريش، وفصيحهم، ومن أشرفهم، وكان سمحا، جوادا، مفوها، وذكر موقفه عند وفاة النبي ﷺ، أنه قام بمكة خطيبا بنحو بنحو من خطبة الصديق بالمدينة، فسكنهم، وعظم الإسلام¹.

✓ استدراج المجادل

هناك آليات في إدارة المجادلة ينبغي أن يراعيها المجادل حتى يظهر على مجادله، من ذلك مداراته ومسايرته في بعض الأمور، استدراجا له². بل قد تقتضي المصلحة التنازل عن بعض الأمور التي لا تخالف الشرع، كتنازله ﷺ عن صيغة البسمة.

وهذه المنهجية معهودة في الدعوة الإسلامية، فقد شهدت بعض الأحكام تدرجا في التشريع مراعاة لحال المخاطبين ومعهودهم، وهي من القضايا الأساسية التي ينبغي أن يراعيها الداعية¹. ومن الأمثلة الواضحة في هذا السياق التدرج في تحريم الخمر، تقول عائشة رضي الله عنها في بيان البعد التربوي لهذا التدرج في التشريع: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا"².

¹ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (95/1).

² - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ص 143.

¹ - ينظر: الطيب، برغوث، القدوة الإسلامية، ص 58.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (185/6)، برقم: 4707.

✓ مراعاة الخلفيّة الفكرية للمجادل

ويظهر ذلك في تباين الأسلوب بين مجادلة النبي ﷺ لسهيل بن عمرو التي اتسمت بجملة من التسهيلات والتنازلات، التي تبدو في الظاهر مححفة، وبين أسلوب مجادلته للمسلمين الذي ظهر في مجادلة عمر رضي الله عنه، حيث كان أسلوبها يتسم بنوع من الصرامة والحسم، ويُلحظ في قول النبي ﷺ: «أني رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَغْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي».

وللقاري كلام نفيس في شرح العبارة النبويّة، ضمنه أبعادا دعويّة مهمة أوردته بطوله لأهميته، فقال: فقال: "وفي كلامه ﷺ: "إني رسول الله ولست أعصيه"، دليل واضح أن الصلح ما وقع لضعف المسلمين، بل لأمر من الله حقيقة بوحى، أو بإشارة، كما سبق من قوله ﷺ: "حبسها حابس الفيل"، أو بإلهام استنباط لما رأى المصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح، وما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة التي كان أولها فتح خيبر وتقوي المسلمين بالكراع والسلاح، عاقبتها فتح فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجا" ¹.

✓ التدرج من الأعلى إلى الأدنى

من حكمة النبي ﷺ في المجادلة أنه كان يطالب بالأعلى فلا ينزل إلى ما هو دونه إلا عند التعذر، وهذا منهج مطرد في الشريعة، فلا يصار مثلا إلى الرخص إلا عند الضرورة والتعذر، ثم الضرورة تقدر بقدرها، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضِيًّا أَوْ عَلَيَّ سَبْرٌ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: 07]، فلا يصير المكلف إلى التيمم إلا لتعذر استعمال الماء لفقده أو لمرضه ².

وقد ظهر هذا في جملة من الأمور منها كتابة البسملة، قال أكرم ضياء العمري: "قد وقع اختلاف في مقدمة العقد حيث أراد الرسول ﷺ إعطائه صبغة إسلاميّة فاعترض سهيل بن عمرو" ¹. فقد أُلجأت ضرورة عقد صلح الحديبية النبي ﷺ إلى التنازل عن كتابة البسملة بالصبغة الإسلاميّة.

¹ - علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (2621/6).

² - محمد بن عبد الله الخرشبي، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة - بيروت، (193/1).

¹ - أكرم ضياء العمري، السيرة النبويّة الصحيحة، (441/2).

✓ طول النفس

من صفات المجادل التّاجح الاتسام بالصبر، وطول النفس الذي يجعله لا ييأس من افتكاك مغالبة الخصم، فنجدّه يكرر الفكرة، والحجة، ويعيدها، ويلح على الخصم، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع سهيل في المطالبة برد أبي جندل، وهو ما فعله عمر رضي الله عنه إذ كرر نفس المقولة التي قالها للنبي ﷺ لأبي بكر.

وقد حمل العلماء اعتراض عمر رضي الله عنه وجدله على تحريه لمعرفة الحق، وحاشاه أن يفعله مكابرة مكابرة للحق ومعارضة للنبي ﷺ، قال الكرمانى: " ولم يكن هذا من عمر شكاً بل طلباً لكشف ما ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار كما عرف من قوته في نصره الدين"¹.

ج. الأبعاد الموضوعية

قد سبق أن بينت أن موضوع المجادلة لا بد أن تحكمه ضوابط موضوعية، من أهمها كون القضية محل الجدل غير مخالفة للشرع، فقد كان من بنود الصلح رد من أسلم من المشركين إليهم شأن أبي جندل.

غير أن هذا البند قد أُخرجت منه النساء بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ بَاغْتِحُوهُنَّ أَلَمْ يَعْلَمْنَ بِأَيْمَنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة:10].

قال ابن عاشور: " وقد اختلف: هل كان النهي في شأن المؤمنات المهاجرات أن يرجعوهن إلى الكفار نسخاً لما تضمنته شرط الصلح الذي بين النبي ﷺ وبين المشركين أو كان الصلح غير مصرح فيه بإرجاع النساء لان الصيغة صيغة جمع المذكر فاعتبر مجملاً وكان النهي الذي في هذه الآية الآية بياناً لذلك المجمع"².

وفي كل الأحوال إرجاع النساء المسلمات إلى الكفار مخالف للشرع، فيترتب على ذلك خروجه خروجه عن موضوع الجدل.

¹ - مُجَدِّد بن يوسف الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1356هـ، 1937م، (48/12).

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (154/28).

ثانيا. نموذج مجادلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

قد كانت المجادلة السابقة بين النبي ﷺ وسهيل بن عمرو، وهذه المرة بين النبي ﷺ وحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، ولا شك أنه سيكون بينهما تباين من حيث المنهج والموضوع، و سوف يتضح في العناصر التالية:

1. نص مجادلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

ونص هذه المجادلة قد ورد كذلك في الصحيح، فعن علي رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا رضي الله عنه وأبا مرثد الغنوي، والزبير بن العوام، وكلنا فارس، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين»، فأدركناها تسير على بعير لها، حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأخذناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأته الجذ أهوت إلى حجرتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلاضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: «ما حملك على علي ما صنعت»، قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: «صدق ولا تقولوا له إلا خيرا»، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلاضرب عنقه، فقال: «أليس من أهل بدر؟»، فقال: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم»، فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم¹.

2. الأبعاد الدعوية لمجادلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

عند التأمل والتمعن في المجادلة التي حصلت بين النبي ﷺ، وحاطب رضي الله عنه يمكن أن نخلص إلى أبعاد دعوية عظيمة، منها ما يلي:

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، (77/5)، برقم: 3762.

أ. أهمية حسن الظن بين المتجادلين الإسلاميين

حتى تنجح المجادلة بين الأطراف الإسلامية؛ لا بد أن تتأسس على حسن الظن بين المتجادلين، فالنبي ﷺ لم يسئ الظن بمحاطب ﷺ، ويفهم ذلك من سؤاله عن سبب إقدامه على ما فعل؛ ليعلم العذر لا غير.

والحق أن هذا الذي يقتضيه خلق النبوة، فما أسبه هذا الموقف بموقف سليمان عليه السلام مع الهدهد، لما غاب فلم يظن به سوءاً، قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ الظَّيْرُ بِقَالَ مَا لِي لَأَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20]، قال ابن باديس: "سأل سليمان عن حال نفسه، فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ ولم يسأل عن حال الهدهد فيقل: ما للهدهد لا أراه؛ فأنكر حال نفسه قبل أن ينكر ينكر حال غيره"¹.

ب. استعمال أسلوب المقارنة في الجدل

أن أسلوب المقارنة من الأساليب العقلية، التي تقوم بالربط بين أمرين للتوصل للوفاق أو الاختلاف، وهذا ما استعمله حاطب ﷺ عند مقارنته حالته بحالة غيره من المهاجرين ممن له من ممن له من يحميهم في مكة، ولما كان صادقاً أقره النبي ﷺ فقال: «صدق ولا تقولوا له إلا خيراً»، قال ابن حجر: "ويحتمل أن يكون ﷺ عرف صدقه مما ذكر ويحتمل أن يكون بوحى"². وهذا يدل على صدقه وذكائه، لذلك كان بعد إسلامه رسول النبي ﷺ إلى المقوقس، صاحب صاحب مصر، كما كان صاحب فضائل وجهاد، فقد شهد المشاهد كلها، وكان من الرماة المشاهير³.

ج. توظيف الاستفهام الإنكاري في الجدل

ويظهر ذلك في إنكار مقالة عمر ﷺ¹ بضرب عنق حاطب ﷺ، فقال النبي ﷺ منكرًا عليه قوله: "أليس من أهل بدر؟"، إشارة إلى ما تقدم له من الفضائل التي تشفع له في مثل هذا الموقف، الذي حصل له على سبيل الزلة، وهفوة مع التأول.

¹ - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1995م، ص267.

² - ابن حجر، فتح الباري، (12/308).

³ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (2/43).

¹ - قال القسطلاني: "هذا على عادة عمر في القوة في الدين وبغضه للمنافقين فظن أنّ فعله هذا موجب لقتله، لكن لم يجزم بذلك، ولذا استأذن في قتله، وأطلق عليه النفاق لكونه أبطن خلاف ما أظهر والنبي ﷺ عذره لأنه كان متأولا إذ لا ضرر في فعله"، القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (257/6).

قال الطبري: " في حديث حاطب بن أبي بلتعة من الفقه أن الإمام إذا ظهر من رجل من أهل الستر على أنه قد كاتب عدوا من المشركين يندرهم ببعض ما أسره المسلمون فيهم من عزم، ولم يكن الكاتب معروفا بالسفه والغش للإسلام وأهله، وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير أن غير أن يكون لها أخوات؛ فجائز العفو عنه كما فعله الرسول بحاطب من عفوه عن جرمه بعدما اطلع عليه من فعله"¹.

ويشبه هذا الموقف العفو عن الذين خاضوا في الإفك من الصحابة رضي الله عنهم كحسان ومسطح، فقد عفى أبو بكر عن مسطح رضي الله عنه عند نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْبُوا وَيُصْبِحُوا لَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: 22].

قال الطبري: " فقال أبو بكر: إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبدا"².

د. توظيف الدليل النقلی

إذا كان المجادل مسلما يصلح معه الاستدلال بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة، وإلى هذا الإشارة بقوله رضي الله عنه: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم»، فاستحقاق الجنة لا يعلم إلا بالوحي؛ لذا سلم عمر رضي الله عنه لهذا الاستدلال واقف به، غير أن هذا لا يعني إباحة وقوعهم في المعاصي، شان ما تعتقده بعض فرق الضلال.

قال ابن تيمية: "فإن كثيرا من أهل الضلال يعتقدون سقوط الواجبات عن الأولياء الواصلين إلى الحقيقة ويتأولون قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، قالوا فإذا حصل حصل اليقين سقطت العبادة وهذا من جنس قول القرامطة الباطنية من المتفلسفة وغيرهم الذين يرون العبادات رياضة النفس حتى تصل إلى المعرفة التي يدعونها فإذا وصل إلى المعرفة سقطت عنه، ومن المعلوم أن هذا خلاف دين الإسلام"³.

من خلال النموذجين السابقين، نموذج مجادلة الحديبية التي تمثل المجادلة بين الطرف الإسلامي، وغير الإسلامي التي قد نطلق عليها المجادلة الخارجية، ونموذج مجادلة حاطب رضي الله عنه التي تمثل المجادلة المجادلة

¹ - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (162/5).

² - الطبري، جامع البيان، (123/19).

³ - ابن تيمية، الرد على الشاذلي، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1429هـ، ص50

بين طرفين إسلاميين التي نطلق عليها المجادلة الداخلية، ندرك أهمية أسلوب المجادلة العقلي في الدفاع عن قضايا الدعوة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نتعرف على المنهج النبوي في التوظيف الأمثل لأسلوب المجادلة على المستوى الداخلي والخارجي؛ لتمكين الدعاة من الاهتداء والاقتناء به في مجادلة المدعويين. ومن ثم تظهر الأهمية الدعوية للاعتناء بالحوار والجدل النبوي من خلال تتبعها في كتب الحديث والمغازي والسير، من أجل التوصل إلى أصول وقواعد الحوار التي تسهم بفعالية في ترقية الحوار الدعوي على كل المستويات: الفردية والجماعية، الداخلية والخارجية.

المطلب الثالث: أسلوب الاعتبار بالقصص

قد شغلت القصص، والأمثال حيزا كبيرا من القرآن الكريم والسنة النبوية، لما حفلت به من أبعاد دعوية عرضت بجودة أسلوبية عالية، والكثير منها لا يخلو من البعد العقلي؛ لأنها في الغالب تساق للاعتبار بمقارنة الحوادث الماضية بالحوادث الحاضرة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

وعند التأمل في الغزوات النبوية، وما يتعلق بها من حوادث وملابسات قبلية وبعديّة نجد أن النبي ﷺ وظف الكثير من القصص والأمثال يستهدف بها أبعاد دعوية مختلفة بما يتناسب مع الموقف الدعوي.

وسوف أجمل أهم ما عثرت عليه من القصص النبوي في ميدان المغازي، مبرزا دوره في خدمة المنهج الدعوي العقلي، من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: أسلوب الاعتبار بالقصص العام

قد اختلفت أساليب عرض القصص في القرآن الكريم، والسنة النبوية، فمرة ترد عامة دون أن تختص بقوم من الأقوام، ومرة ترد خاصة بأقوام معينين أو تختص بذكر نبي من الأنبياء، وذلك مراعاة للمناسبة التي يساق القصص من أجلها، وقد يكون القصص ذكرا لأحداث ماضية أو أحداث مستقبلية.

وفيما يلي أورد بعض النماذج من القصص العام الوارد في المغازي النبوية.

أولاً: أسلوب الاعتبار بقصص الأمم السابقة

قد كثرت الإشارة الإجمالية العامة لقصص الأمم السابقة في الكتاب والسنة، ولما كانت مرويات المغازي جزء من السنة؛ فقد تضمنت قصصاً من هذا النوع، الذي يستهدف أبعاداً دعوية متنوعة.

وفيما يلي نموذج من تلك القصص الذي يستهدف فيما يستهدف الأسلوب العقلي، وسوف أحلل هذا النموذج وفق ما يلي:

1. نص النموذج القصصي النبوي

من القصص العام الواردة في مرويات المغازي المتعلقة بالأمم السابقة، ما رواه البخاري عن عمرو بن عوف أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان رسول وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسْرُكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ مَا الْفَقْرَ أَحْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَحْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كَمَا بَسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»¹.

2. البعد العقلي في القصة

محل الشاهد على البعد العقلي في القصة قوله ﷺ: "أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم".

قال ابن حجر في بيان العلاقة بين الأمم السابقة والأمة بجامع التنافس في الدنيا التي تؤول إلى الهلاك: "لان المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك، قال بن بطال فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتح عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنها فلا يطمنن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها"².

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، (84/5)، رقم: 3791.

² - ابن حجر فتح الباري، (245/11).

ففي القصة صورة من صور القياس العقلي نوضحها في الجدول التالي:

الأصل	الفرع	العلة	الحكم (نتيجة)
الأمم السابقة	أمة النبي ﷺ	التنافس	الهلاك

ثانيا: أسلوب الاعتبار بقصص المستقبل

من أنواع القصص الواردة في الكتاب والسنة أيضا قصص المستقبل، فقد جاءت هي الأخرى تستهدف أبعاد دعوية مختلفة منها خدمة الأسلوب الدعوي العقلي. وبين أيدينا نموذج من مرويات المغازي التي جاءت في الصحيح، يظهر فيها البعد العقلي بوضوح، وفيما يلي نص القصة وما يستفاد منها:

1. نص النموذج القصصي النبوي

من القصص العام الواردة في مرويات المغازي المتعلقة بالمستقبل؛ ما جاء عن أبي سعيد الخدري، الخدري، أن عليًّا بعث إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مفروظ، لم تُحصَل من ثرائها، ثرائها، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخليل، والرابع: إماما علقمة وإماما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كُنا نحن بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء»، قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشر الجبهة، كث اللحية، مخلوق الرأس، مشمر مشمر الإزار، فقال يا رسول الله اتق الله، قال: «ويلك، أولست أحمق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولي الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا، لعله أن يكون يكون يصلي» فقال خالد: وكم من مصلي يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «أني» «أني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: «أنه يخرج من ضئضي هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم السهم من الرمية»، وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، إلى اليمن، (163/5)، برقم: 4094.

2. البعد العقلي في القصة

هذه القصة من نوع الحوادث التي تقع في المستقبل، وهي من دلائل النبوة، وفيها صورة من صور القياس تدرك بمقارنة سلوك وصفات الرجل المعترض على رسول الله ﷺ والأقوام الضالين الذين تنبأ الرسول ﷺ بظهورهم في الأمة، فيشتركون معه في التشدد والتعمر في العبادة، بل علم ولا فقه، وفي هذا يقول القاضي عياض: "وقوله: " يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ": فيه تأويلان، أي لم تفقهه قلوبهم ولا انتفعوا بما تلوا منه، ولا لهم فيه حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطيع الحروف. والتأويل الآخر: أنه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تتقبل"¹.

وهذه العبادة بلا فقه صحيح هي سبب غلوهم وانحرافهم، الذي قد يؤدي إلى الخروج عن الدين، قال ابن حجر: " أن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرميّة وهذه صفة الخوارج الذين كانوا يطيعون الخلفاء والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام على ما فسرت الرواية الأخرى وخارج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل"².

وقد بين الشهرستاني رحمه الله بوضوح الصلة بين موقف الرجل والفرقة التي ستظهر فيما بعد بقوله: " ذلك خروج صريح على النبي عليه الصلاة والسلام، ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجياً، فمن اعترض على الرسول أحق بان يكون خارجياً، أو ليس ذلك قولاً بتحسين العقل وتقييحه؟ وحكما بالهوى في مقابلة النص، واستكباراً على الأمر بقياس العقل؟ حتى قال عليه الصلاة والسلام: " سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة"³.

ويمكن مما سبق أن نوضح العلاقة القياسية بين ذي الخويصرة والخوارج خلال الجدول التالي:

الأصل	الفرع	أوجه الشبه	النتيجة
ذو الخويصرة	الخوارج	معارضة الوحي بالعقل والهوى	الانحراف والضلال

¹ - القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، (609/3).

² - ابن حجر، فتح الباري (68/8).

³ - محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح، الشهرستاني، الملل والنحل، (د.ط)، (د.ت)، مؤسسة الحلبي، (19/1).

الفرع الثاني: أسلوب الاعتبار بالقصص الخاص

وأقصد بذلك أن تكون القصة خاصة بشخص، أو واقعة خاصة، كذكر قصة نبي من الأنبياء للاعتبار بها أو الاستشهاد بها في موقف دعوي، وقد وظفها النبي ﷺ في الغزوات، على النسق السابق في القصص العام، وفيما يلي ذكر نماذج لذلك:

أولاً: نموذج قصة موسى عليه السلام

من القصص الوارد ذكرها في المغازي قصة موسى عليه السلام، فعن أبي وائل، عن عبد الله، قال: لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين، قال: رجل من الأنصار: ما أراد بما وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغير وجهه ثم قال: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُوسَى لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»¹. فجميع الأنبياء تعرضوا للأذى وصبروا عليه، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ آدَمُ إِذْ وُلِيَ الْمَغْرِبَ﴾ [الأحقاف:34].

فالأية والحديث يدلان على تشابه دعوات الأنبياء، فالدعوة الدينية عبر تاريخ الرسالات طريق شاق، ومرير يحتاج إلى الصبر، وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين². فالداعية كما يحتاج أن يقنع غيره، يحتاج أحياناً أن يقنع نفسه، فالنفس تعتبر من التحديات الداخليّة التي تواجه الدعوة، كما في هذا الحديث، فقد واسبى النبي ﷺ نفسه بمقارنتها مع موسى عليه السلام، وهذا أسلوب عقلي إقناعي داخلي أشار إليه ﷺ في مناسبات متعددة، كقوله: «لا تنظروا إلى من هو فوقكم، وانظروا إلى من هو أسفل منكم، فإنه أجدر أن لا تزدوا نعمة الله»³.

فالفكرة من أكبر الدوافع الداخليّة للسلوك الإنساني في اتجاه الخير أو الشر، يقول ابن القيم مبيناً مبيناً أثر الفكرة في السلوك: "دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت فكرة فدافع الفكرة فإن لم تفعل صارت شهوة فحاربها فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة فإن لم تدافعها صارت فعلاً فإن لم تتداركه تتداركه بضده صار عادة"⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (159/5)، برقم: 4080.

² - سيد قطب، في ظلال القرآن، (3276/6).

³ - ابن حبان، (490/2)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله رجال الشيخين غير مسدد، فمن رجال البخاري".

⁴ - ابن القيم، الفوائد، ص31.

ثانيا: نموذج قصة هارون عليه السلام

قصة هارون عليه السلام تأتي في القرآن الكريم في سياق قصة موسى عليه السلام، وفي ذلك إشارة إلى منزلة هارون من موسى عليهما السلام، إذ كان وزيره ومعينه ونصيره، وشريكه في الدعوة، قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۗ هَارُونَ أَخِي﴾ [طه: 28 - 29]، قال ابن كثير: "أي يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم، وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا هذا الملك المتكبر الجبار"¹.

ورغم هذه المنزلة إلا أنه عند ذهاب موسى لميقات ربه لم يصطحب معه هارون، لما تقتضيه مصلحة الدعوة، التي تظهر في تصدي هارون عليه السلام لفتنة السامري²، وذلك ما بيّنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ [طه: 89].

فهذا الموقف وهذا الظرف من دعوة موسى عليه السلام يشبه موقف استخلاف النبي ﷺ لعلي لعلي ﷺ بالمدينة، وقد استدل النبي ﷺ به لإقناع علي ﷺ، على أن ذلك لا ينقص من منزلته لا ينقص من منزلته منه، فعن سعد، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»³.

وهذه المقارنة التي أشرت إليها بين قصة استخلاف هارون عليه السلام في قوم موسى واستخلاف علي ﷺ على المدينة، قد تكلم فيها ابن تيمية وأجاد رحمه الله، فقال: "استخلاف علي على

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (212/6).

² - قد ذكر المفسرون روايات كثيرة لقصة السامري، فمن ذلك ما رواه الطبري بسنده عن ابن زيد: لما أنجى الله عز وجل بني إسرائيل من فرعون، وأغرق فرعون ومن معه، قال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين. قال: لما خرج موسى وأمر هارون بما أمره وخرج موسى متعجلا مسرورا إلى الله، قد عرف موسى أن المرء إذا أنجح في حاجة سيده، كان يسره أن يتعجل إليه، قال: وكان حين خرجوا استعاروا حليا وثيابا من آل فرعون، فقال لهم هارون: إن هذه الثياب والحلي لا تحل لكم، فاجمعوا نارا، فألقوه فيها فأحرقوه، قال: فجمعوا نارا، قال: وكان السامري قد نظر إلى أثر دابة جبريل، وكان على فرس أنثى - وكان السامري في قوم موسى - قال: فنظر إلى أثره فقبض منه قبضة، فبيست عليها يده، فلما ألقى قوم موسى الحلي في النار، وألقى السامري معهم القبضة، صور الله جل وعز ذلك لهم عجلا ذهبيا، فدخلته الريح، فكان له خوار، فقالوا: ما هذا؟ فقال: السامري الخبيث: (هَذَا إِهْكُمُ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسِي) ، الطبري، جامع البيان، (68/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، (03/6)، برقم: 4154.

المدينة لا يقتضي نقص المرتبة، فإن موسى قد استخلف هارون، وكان النبي ﷺ دائماً يستخلف رجالا، لكن كان يكون بها رجال، وعام تبوك خرج النبي ﷺ بجميع المسلمين ولم يأذن لأحد في التخلف عن الغزاة لان العدو كان شديداً، والسفر بعيداً¹.

وزيادة على أسباب الاستخلاف التي ذكرها ابن تيمية، فهناك سبب آخر، وهو خطر المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك الذي لا يقل عن خطر السامري في قوم موسى، فهم الذين حاولوا فتنه المسلمين فتنه تشبه فتنه العجل قبيل تبوك.

قال العمري: "وقد ابتنى المنافقون مسجداً قبيل غزوة تبوك ليجمعوا فيه مكايده للمسلمين ومضرة بهم، وزعموا أنهم بنوه للمنفعة والتوسعة على المسلمين، وقد أرادوا أن يفرقوا اجتماع المؤمنين المؤمنين في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة بصرف بعضهم للصلاة فيه، وقد طلب المنافقون من الرسول أن يصلي فيه تمويهاً على الناس فنهاه القرآن عن ذلك وسماه مسجداً ضراراً"².

وقد فضحهم القرآن، وأبطل الله كيدهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيفًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِبُنَّ أَنْ آرَدْنَا إِلَّا الْأَحْسَنِيَّ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 108].

توضيح التشابه بين استخلاف هارون عليه السلام، واستخلاف علي عليه السلام:

وجه الشبه	استخلاف علي عليه السلام	استخلاف هارون عليه السلام
• طول مدة الغيبة	• الخروج إلى تبوك	• الذهاب للميقات
• المكانة من النبي	• استخلاف علي	• استخلاف هارون
• خطورة الوضع، واحتمال الفتنه	• المخلف فيهم: ضعفاء المسلمين، مع المنافقين	• المخلف فيهم: بنو اسرائيل، مع السامري
• استغلال الظروف والوسائل	• محاولة الفتنه: مسجد الضرار	• محاولة الفتنه: العجل
• المتاحة لمحاربة الدعوة وفتنة أتباعها	• موقف القيادة الدعوية: هدم المسجد	• موقف القيادة الدعوية: حرق العجل
• الحزم في حسم مادة الفتنه		

¹ - ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، (2/434).

² - أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (2/527).

ثالثا: نموذج قصة طالوت عليه السلام

ومن القصص التي تضمنتها مرويات المغازي؛ قصة طالوت عليه السلام التي جاءت لتعقد مقارنة مقارنة عقلية بين أهل بدر، وأصحاب طالوت، مركزة على اتصاف الفريقين بوصف الإيمان الذي الذي آل بهم إلى نفس المآل، بان ظفروا بالنصر على قلة عددهم، فعن عن البراء، قال: كنا أصحاب محمد ﷺ، نتحدث: «أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهار، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعه عشر وثلاث مائة»¹.

ففي الحديث النص بوضوح على جامع الإيمان بين أهل بدر وأصحاب طالوت، الذي يتحقق به النصر وأن قل العدد، وهو بذلك يتسق مع قوله تعالى عند تعليل انتصار طالوت: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَّفُوا بِاللَّهِ كَمَ مِّنْ وَّيَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ وَّيَّةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾ [البقرة:247].

يتبين مما سبق بوضوح البعد العقلي في التوظيف الدعوي للقصص بنوعيه السابقين، من خلال اقناع المدعو بإثارة عقله للمقارنة بين الحوادث الحاضرة والغائبة ماضيا ومستقبلا؛ لاكتشاف السنة والعلة المشتركة التي أدت إلى وقوع المعلول مما يجعله يستفيد من التجارب ولا يقع في نفس الأخطاء والانحرافات التي وقعت لغيره، كما يستفيد من العبر والعظات التي تضمنتها الأحداث.

فالإعمال العقلي للقصص بعد دعوي يحتاج إليه الداعية في كل زمان لأن السنن التاريخية تتكرر بتكرار عللها وأسبابها، غير أنه لا بد أن يوظف بحكمة وبقدر حتى يتمكن الداعية من تحقيق التوازن المنهجي والأسلوبي في طرحه الدعوي.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عدة من شهد بدرا، (73/5) برقم: 3958، وترجمة البخاري بهذه الترجمة على الحديث مع اختصارها، وإجمالها، فهي دقيقة دالة على وجوه التشابه بين أهل بدر وأصحاب طالوت، التي بينها بإيراد حديث الباب الذي ظهرت مناسبتها لها كما بينته في المتن، وعند التمعن في قصة طالوت وقصة بدر تظهر قواسم مشتركة كثيرة، من ذلك: طاعة الأتباع للقائد، القضاء على قادة الكفر وصاديديهم، الظفر بالنصر والمغنم، وهي وجوه تدرك بالعقل كما ترى.

المبحث الثالث: الأبعاد الدعوية للمنهج الحسي

بعد أن انتهيت في المبحثين السابقين من الحديث عن الأسلوب العاطفي والعقلي، أخلص إلى مبحث الأساليب المتعلقة بالمنهج الدعوي الحسي واستعمالاته في الدعوة، من خلال الغزوات، باعتبارها من الأساليب الفطرية التي تخاطب الحواس، وهو من أهم الأساليب وأوسعها؛ لكونه تخاطب الحواس، فهي تمكن من التواصل مع كل فئات المدعوين من جهة، وكونه من جهة أخرى مدخلا، وأساسا للأساليب الفطرية الأخرى العاطفية والعقلية.

فالحواس هي منافذ المعرفة العقلية والوجدانية، ولكثرة أساليب المنهج الدعوي الحسي سوف أقتصر على أسلوبين مهمين منها، من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أسلوب القدوة الحسنة

أن من المقررات العقدية أن الأنبياء عليهم السلام يشكلون القدوة الحسنة للمدعوين فيما يدعونهم إليه، فقد كانوا أول الناس التزاما بمضامين الرسالات السماوية، ولم يكن لهم مجال من الأحوال أن يخالفوا ما يدعون الناس إليه، وورث عنهم هذا الأسلوب الدعاة، والعلماء عبر تاريخ الدعوة الطويل، وستظل طائفة منهم ثابتة على هذا المبدأ إلى قيام الساعة.

وقد جاء هذا المطلب من الدراسة ليكشف عن جوانب من القدوة في الفعل الدعوي النبوي في الغزوات ومدى تأثيرها على نجاح الدعوة النبوية في أبعادها المختلفة، من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: مفهوم القدوة الحسنة

في البداية أمهد ببيان مفهوم القدوة الحسنة في اللغة والاصطلاح، و أبين بعض الألفاظ المرتبطة بها من خلال ما يلي:

أولا: تعريف القدوة

لتحديد تعريف القدوة بدقة لا بد من التطرق للمدلول اللغوي، والاصطلاح، وهذا ما سيتم بيانه في العناصر التالية:

1. القدوة في اللغة

القدوة في اللغة من "قدو" وهو أصل يدل على الاقتباس والاهتداء، ومنه القدو: وهو الأصل الذي يتشعب منه الفروع¹.

فالدّاعيّة النموذج هو الأصل الذي يأخذ عنه المدعوين والأتباع المضمّامين الدّعويّة عن طريق الأساليب المختلفة، خاصة أسلوب المحاكاة والتقليد.

وقد استعملت اللفظة في القرآن الكريم بنفس المدلول في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا أَهْلَ الْاِثْمِ كَانِبِينَ﴾ [الأنعام: 91]، قال الطبري: "ومعنى: "الاقتداء" في كلام العرب، بالرجل: أتباعاً، والأخذ بهديه، يقال: "فلان يقدو فلاناً"، إذا نحا نحوه، واتبع أثره"²

فالاقْتداء إذا هو إتباع المقتدي المقتدى به من خلال محاكاته في سلوك ما، بغض النظر عن حسنه أو قبحه، غير أنه يبدو من خلال ما سبق أن مصطلح الاقتداء أدق من الاتباع، من حيث المحاكاة والمشابهة، فالمقتدي يحرص أن يكون نسخة وفرعا عن المقتدى به.

أما المراد في هذا المقام بالاقتداء، هو الاقتداء المحمود بمحاكاة المقتدى به في هديه، وسلوكه القويم وطريقته المستقيمة.

2. القدوة الحسنة اصطلاحاً

وردت عدة تعريفات للقدوة كاصطلاح دعوي منها:

أ. تعريف الخزاز: "القدوة الحسنة أسوة لأتباعه يقودهم بالفعل والقول، ويتأثرون بعمله الجميل، ولفظه الحسن، فيحذون حذوه"³.

ب. تعريف القحطاني: "والمقصود من الأسوة أو القدوة أن يكون الدّاعيّة المسلم قدوة صالحة فيما فيما يدعو إليه فلا يناقض قوله فعله، ولا فعله قوله"⁴.

وعليه فالقدوة هو استقامة الدّاعيّة على ما يدعو إليه كما أمره الله، في جميع أحواله، مما أهله أن يكون مثالا واقعياً يمكن المدعو من مشاهدته ومحاولة تمثله بالمحاكاة.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، (5/55).

² - الطبري، جامع البيان، (11/520).

³ - موسوعة الأخلاق، خالد الخزاز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت ط1، 1430 هـ، 2009 م، ص425.

⁴ - سعيد القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص46.

ثانيا: مصطلحات ذات صلة بالقدوة

قد دل القرآن الكريم على مصطلحات تؤدي نفس مدلول القدوة، منها:

1. الأسوة

فقد وردت لفظة أسوة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] وقال تعالى: ﴿فَذَكَرَتْ لَكُمْ إِسْوَةَ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ [المتحنة: 04]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [المتحنة: 06].

فعند تتبع اللفظة في كتب غريب القرآن نجد لها نفس مدلول القدوة، قال الراغب: "الأسوة والإسوة كالقدوة والقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا، وإن سارا، وإن ضارا"¹.

2. الإمامة

جاءت لفظة الإمامة في القرآن الكريم في عدة مواضع باشتقاقات مختلفة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَقَلِيلًا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾ [التوبة: 12]، وقال الله سبحانه وتعالى في موطن آخر: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: 72]، وقال جلا وعلا: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِبُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 04]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْبَارِئِ﴾ [القصص: 41].

فالإمامة في القرآن الكريم تطلق على مطلق القدوة، قال ابن كثير: "أهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام، وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم"².

الفرع الثاني: الاستعمال الدعوي لأسلوب القدوة الحسنة في الغزوات

من خلال استعراض الآيات التي وردت فيها مفردة القدوة، وما يرادفها من مصطلحات كالأسوة، والإمامة يتبين أنها حاضرة بقوة في مناهج الدعوات من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ أن القدوة لا تقتصر على النبي ﷺ فقط، بل تتعدى إلى أتباعه، وأنصار دعوته، في حياته، وبعد مماته.

¹ - الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 76.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (90/5).

فالقائد النَّاجح لا يستبد بالقيادة، بل يحرص على إعداد القادة، وتنمية مهاراتهم حتى يضمن لدعوته الاستمرار، ومن أجل إبراز هذه القضية الهامة أورد نماذج من الدعوة بالقدوة من خلال القدوة النبوية، وقدوات الصحابة التي صنعت على عين النبي ﷺ في ميدان الغزوات، من خلال ما يلي:

أولاً: القدوة النبوية

لقد كان لأسلوب الدعوة بالقدوة حضوراً قويا في الدعوة النبوية باعتباره من مناهج الدعوة الحسية الحسية التي تمكن المدعو من مشاهدة الداعية وهو متمثل لمضامين الدعوة في تصرفاته، ولما كانت كانت الغزوات وما في محيطها من ميادين الدعوة طالها هي الأخرى هذا الأسلوب¹.

ويظهر ذلك من خلال النماذج التالية:

1. القدوة في حسن التعامل

من مجالات القدوة تمثل مكارم الأخلاق مع كل الناس؛ حتى مع الخدم والصبيان، فالإحسان إلى الخدم، فرع عن الإحسان إلى الخلق الذي ينبغي أن يكون الداعية ملتزماً له في جميع أحواله، فقد أعطى النبي ﷺ الأسوة والقدوة المثلى فيه.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أن أنسا غلام كيس فليخدمك، قال: فخدمته في السفر² والحضر، ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا؟»³

¹ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ص 131.

² - قد غزا أنس بن مالك رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ ثمان غزوات، ولم يشهد بدرا لصغره، واستمر في شهود الفتوح بعد وفاة النبي ﷺ، وهذا مظهر من مظاهر القدوة في شخصية الصحابة، فقد كانوا أئمة في الثبات والاستمرار على أعمال الخير والبر التي فارقهم رسول الله ﷺ عليها، إلى أن لحقوا به بفرق الدنيا، وهذا بعد دعوي ينبغي أن يراعيه الدعاة، في تربية الأتباع عليه؛ تحسبنا لهم من فتنة الدنيا، والركون إليها. ينظر: ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (419/4)، وابن حجر، الإصابة، (127/1).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا والسير، باب استخدام اليتيم في السفر والحضر، إذا كان صلاحاً له، ونظر الأم وزوجها لليتيم، (11/4)، برقم: 2616، وفي هذه الترجمة دلالة على بعد التربية بالقدوة، فاصطحب اليتيم في الغزو، والسفر واستخدامه في الحضر منوط بمصلحة اليتيم التربوية التي ينبغي أن تراعيها الجهات المتكفلة به، مع اشعاره بأنهم يحبون له الخير من خلال ما يصدر منهم من قيم الرحمة والرأفة والرفق تجاهه.

فهذا الحديث يدل على عظم خلق النبي ﷺ، حتى مع الخدم والصبيان فضلا عن غيرهم، مما كان له أبلغ الأثر الدعوي في المدعو؛ فقد ظهر ذلك في شخصية أنس رضي الله عنه فيما بعد وفضائله وفضائله شاهدة على ذلك، قال عنه الذهبي: "الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتاً"¹.

فلا شك أن طول الملازمة لهذه القدوة العظيمة يثمر هذه الفضائل التي ظهرت في شخصيته، وتكوين أنس رضي الله عنه.

2. القدوة في التحمل

الداعية وهو يبلغ دعوته لا بد أن تواجهه تحديات، وصعوبات حتى من الأتباع؛ لتفاوت مستوياتهم، وتنوع طباعهم، وأخلاقهم، فعليه أن يكون قدوة لهم في تحمل يصدر منهم من أذى، أذى، فيقابل كل ذلك بالعمو والصفح والحلم².

وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ، فقد أذى في مواقف متعددة ولم يصدر منه إلا الحلم والصفح، فمن ذلك ما رواه جبير بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مُقْفَلَه من حنين، فعَلَقَه الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ فقال: «أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاء نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً»³.

فمن مظاهر القدوة في الحديث أنه تخلق ﷺ بأصول الأخلاق والحكمة، فحلم على الأعراب، ولم يعاقبهم على إساءة الأدب معه، ومع هذا وعدهم خيراً، وهذا كله يدل على رغبته ﷺ في أن يقتدي به الناس في هذه الأخلاق الكريمة، في حياته وبعد مماته فقد حفلت كتب السنة بالكثير بالكثير من المواقف التي كان فيها أسوة حسنة في التحمل والحلم⁴.

3. القدوة في التواضع

من الأخلاق التي تجذب المدعوين تواضع الداعية وعدم ترفعه عن مدعويه وأتباعه، فقد كان النبي ﷺ في هذا الخلق أسوة حسنة لأصحابه وأتباعه، ولم يكن ذلك بالقول فحسب بل كان يرى

¹ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (396/3).

² - ينظر: أحمد عيساوي، دراسات في تاريخ الدعوة والدعاة، ص72.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبين (31/4)، برقم: 2666.

⁴ - القحطاني، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، (250/1).

التواضع في سلوكه وتعامله مما يكون له أبلغ الأثر فيمن يشاهده، فعن البراء رضي الله عنه، قال: رَأَيْتُ
 قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَوْلَا
 أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ أَنْ لَأَقِينَا، أَنْ الْأَلَى قَدْ بَعُغُوا
 إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا»¹.

فمن ثمار هذا الخلق أن يُقتدى به من جهة، ومن جهة أخرى؛ فأن التواضع بمشاركة الصحابة في
 في نقل التراب يشحذ الهمم، ويزيد من الدافعية والعطاء².

4. القدوة في الشجاعة والثبات

من الصفات التي يحتاجها الداعية في تبليغ الدعوة والصدع بالحق، ويحرص على ترسيخها في
 المدعوين والأتباع صفة الشجاعة، والثبات على المبدأ، ولعل من وسائل ترسيخها إضافة إلى وسيلة
 وسيلة القول تمثل الشجاعة والثبات في مواقف دعوية تمكن المدعو من مشاهدتها، وهذا ما كان
 النبي ﷺ يفعله خاصة في الغزوات التي تعد من ميادين الشجاعة، فعن أبي إسحاق: «قال رجل
 للبراء بن عازب رضي الله عنهما: أفرتم عن رسول الله يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم
 لم يفر، أن هوازن كانوا قوما رماة، وإنما لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا، فأقبل المسلمون على
 الغنائم، فاستقبلونا بالسهم، فأما رسول الله ﷺ فلم يفر، فلقد رأيت أنه لعل بغلته البيضاء، وأن
 أبا سفيان³ أخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»⁴.

قال ابن حجر عقب الحديث: " قال العلماء في ركوبه ﷺ البغلة يومئذ دلالة على النهاية في
 الشجاعة والثبات"⁵.

ولا يخفى أن الركوب يجعله بارزا ظاهرا لأصحابه يشاهدون ثباته، وعدم فراره، والشاهد من
 الحديث، قول الراوي: " فأما رسول الله ﷺ فلم يفر، فلقد رأيت أنه لعل بغلته البيضاء".

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، (26/4)، برقم: 2837.

² - حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، (94/4).

³ - أبو سفيان هذا هو بن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي ﷺ وليس هو أبو سفيان بن حرب والد معاوية رضي الله
 عنهما، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (290/1).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب بغلة النبي ﷺ البيضاء، (32/4)، برقم: 2874.

⁵ - ابن حجر، فتح الباري، (30/8).

فقد كان لهذا الموقف الإعلامي هذا الصدى لجمعه بين العناصر الثلاثة المؤثرة وهي: الصوت والصورة والحركة¹.

فكون المقتدى به على مكان مرتفع بارز يمكّن من مشاهدته للاقتداء به؛ من أجل ذلك جعل المنبر في الخطبة، وقد صلى عليه ﷺ يوماً² لتمكين الصحابة من مشاهدة صفة صلاته، وقد أدى مناسك الحج على جمل لتمكين الصحابة من أخذ المناسك عنه، فعبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح؟ فقال: «اذبح ولا حرج»، فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي؟ قال: «ارم ولا حرج»، فما سئل النبي ﷺ عن شيء قدم ولا آخر إلا قال: «افعل ولا حرج»³.

كانت تلك بعض المجالات التي تجلت فيها القدوة النبوية في الغزوات، قد شهدها، وشاهدها الصحابة في ميدان المغازي غير ما مرة؛ مما سهل لهم الاقتداء والاهتداء بالهدي النبوي، ونقله لأتباع الدعوة عبر التاريخ.

وأكثر من ذلك فقد صنع هذا الأسلوب قدوات من الصحابة، برزت في حياة النبي ﷺ وفي ميدان المغازي تحديداً، كما يظهر في العنصر الموالي.

ثانياً: قدوات الصحابة ﷺ

نجاح أسلوب القدوة النبوية لم يكن مظهره اقتداء الصحابة ﷺ به فحسب، بل تعدى الأمر إلى تعدى الأمر إلى أعلى من ذلك فقد تجاوز الصحابة مرتبة الاقتداء إلى مرتبة القدوة والإمامة، فقد

¹ - ينظر: سعيد بن علي بن وهف، العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1432هـ، ص74.

² - قال البيهقي: "لم يرو عن النبي ﷺ أنه صلى على المنبر إلا مرة واحدة"، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، البيهقي، معرفة السنن والآثار، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار فتيبة، دمشق، ط1، 1412هـ، 1991م، (4/188)، والحديث في البخاري، ينظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، (58/1)، برقم: 370.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، (43/1)، برقم: 83، وقد وردت في السياق نفسه رواية عند مسلم تصرح بمقصد أداء المناسك على الراحلة، ويظهر القصد النبوي بصراحة في رواية مسلم، فعن جابر، قال: " رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"، ينظر: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً، ويأبى قوله ﷺ «لتأخذوا مناسككم»، (2/943)،

كانوا في مواقف كثيرة قدوة لغيرهم من الصحابة، ولمن يأتي من بعدهم حتى لا يظن الظان أن القدوة توقفت بموت النبي ﷺ.

وهذه الاستمرارية شهدت لها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، فعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»¹.
ومن مظاهر أسلوب القدوة عند الصحابة في ميدان الغزوات ما يلي:

1. القدوة في الإنفاق في سبيل الله

يعد الإنفاق في سبيل الله من أعظم وجوه البر، ومن أهم وسائل تمويل الدعوة، ونصرة الدين، وقد أدرك هذا صحابة رسول الله ﷺ، عن طريق الاقتداء بسيد المنفقين في سبيل الله أجود، وأكرم الخلق عليه الصلاة والسلام؛ إذ كان لهم فيه الأسوة والقدوة الحسنة في هذا المجال.

فهذه القدوة صنعت قدوات في هذا المجال منهم عثمان رضي الله عنه الذي سخر ماله في خدمة الدعوة خدمة الدعوة حتى صار قدوة لغيره رضي الله عنه، فعن أبي عبد الرحمن: "أن أن عثمان رضي الله عنه رضي الله عنه حين حُوصِرَ أشرفَ عليهم، وقال: أَنشُدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنشُدْ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»؟ فَجَهَّزْتُهُمْ²

فالحديث يبرز القدوة في سيرة عثمان رضي الله عنه، وذلك أنه اشترى بئر رومة وحفرها بماله، وأنفق النفقة وأنفق النفقة العظيمة في غزوة تبوك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم، فكان رضي الله عنه قدوة حسنة لغيره من حسنة لغيره من الصحابة؛ ولهذا أتى عليه النبي ﷺ مرارا بقوله: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»، وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم، وفي ذلك تشجيع لهم على النفقة¹.

¹ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب قوله ﷺ لا تزال طائفة، (1523/3)، قال النووي في بيأن استمرار القدوات في جميع المجالات: "هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث"، النووي، شرح مسلم، (65/13).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، (13/4)،

برقم: 2778.

¹ - القحطاني، فقه الدعوة في صحيح البخاري، (150/1).

ولعل من آثار هذه القدوة مساهمة عبد الرحمن بن عوف بمال كثير في هذه الغزوة، فعند الطبري بسنده، قال: "أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله، فتقرب به إلى الله"¹.

2. القدوة في العمل بالعلم

أن مما يقوي أسلوب القدوة عمل الداعية بعلمة، وحرصه على إظهاره وإبرازه حتى يقتدى به، به، ولعل ما يشير إلى ذلك قوله سبحانه وتعالى في إظهار النفقة حتى يقتدي الناس بها: ﴿أَنْ تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ بِنِعْمَتِ هِيَ﴾ [البقرة: 270]، قال السعدي في إبراز البعد الاقتدائي من الآية: "فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار"² ومن أمثلة إظهار العمل بالعلم؛ للاقتداء عمل عروة بن الجعد بالحديث الذي رواه عن النبي ﷺ، وهو قوله: «الخير معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»³.

فقد ذكر في سيرته اهتمامه بالخير، واقتنائه لها بأعلى الأثمان، قال ابن الأثير: "وكان ممن سيره عثمان رضي الله عنه، إلى الشام من أهل الكوفة، وكان مرابطا ببرز الروز⁴، ومعه عدة أفراس منها فرس أخذه بعشرة آلاف درهم، وقال شبيب بن غرقدة: رأيت في دار عروة بن الجعد سبعين فرسا مربوطة للجهاد في سبيل الله عز جل"⁵.

فالعامل بالعلم، وإظهاره للمدعوين من أهم وسائل نشر الدعوة، والتأثير في الناس؛ من أجل ذلك شرعت الجماعات ومناسبات إظهار الشعائر، كالأعياد والحج، ومن ذلك إظهار الهدى والسمت، فلم يكتف النبي ﷺ بالدعوة إلى الآداب والفضائل، بل كان حريصا على إظهار هديه في لباسه وطعامه وشرابه ونومه وانتباهه وشؤونه كلها.

هذا الأسلوب الحسي مكن الصحابة من الاقتداء به واقتداء من بعدهم بهم، ومما وقفت عليه من تسلسل الاقتداء، ما ورد عن قبيصة قال: "كان ابن مسعود أشبه الناس برسول الله ﷺ - يعني: في

¹ - الطبري، جامع البيان، (384/14).

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 116.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، (28/4)، برقم: 2694.

⁴ - برز الروز : مكان ببغداد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (364/1).

⁵ - ابن الأثير، أسد الغابة، (25/4).

هديه وسمته - وكان علقمة يشبه بابن مسعود في ذلك، ويشبه بعلقمة إبراهيم، وبإبراهيم منصور، وبمنصور سفيان، وبسفيان وكيع" ¹.

فهذا الأثر يدل بوضوح على أهمية الدعوة بالقدوة في الانتقال والتوريث الدعوي عبر الأجيال، و يدل من جهة أخرى على أهمية المنهج الحسي في الدعوة بصفة عامة.

3. القدوات في استغلال الشباب

ومن القدوات المهمة في الدعوة قدوات الشباب، فترك الشاب لمغريات الدنيا ومجابهتهم لتحدياتها، وفتنها، وشهواتها، وتمسكه بدينه، واستقامته عليه، حتى يترقى إلى مستوى القدوة والإمامة من شأنه أن يكون تأثيره أقوى وأبلغ من تأثير الكهل والشيخ، لذا كان الشاب القدوة في الطاعة من السبعة الذين يظلمهم الله، كما ورد في الحديث.

وقد حفل ميدان المغازي بقدوات شباب كانت فيهم أسوة حسنة لغيرهم في الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، وطلب الشهادة في سبيل الله، والتضحية بأغلى وأنفس الأموال في سبيل نصرة دين الله، ولما كان حصر وإحصاء أولئك الأبطال لا يأتي عليه العد والحصر، نكتفي بإيراد بعض النماذج؛ لتكون شاهدة على المراد، فيما يلي:

أ. نموذج مصعب بن عمير

من نماذج الشباب الذين آثروا الآخرة على متاع الدنيا مصعب بن عمير رضي الله عنه الشاب المدلل الذي المدلل الذي ترك متع الدنيا، وآثار ما عند الله ليستشهد شابا فقيرا في أحد إلى درجة أنهم لم يجدوا يجدوا ما يكفونوه فيه، فعن عبد الرحمن بن عوف، قال: "أتي بطعام، وكان صائما، فقال: قتل مصعب بن عمير، وهو خير مني، كفن في بردة: أن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام" ².

ب. نموذج جابر بن عبد الله

¹ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، (196/12).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، (5/7)، برقم: 5079.

وهذا نموذج آخر من نماذج قدوات شباب الصحابة، إنه جابر بن عبد الله الذي ضرب مثالا للشباب البار بوالده، المحسن لأخواته، فقد حرم نفسه من تزوج البكر؛ مراعاة لمصلحة أخواته، فعن

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ، قال: فتلاحق بي النبي ﷺ، وأنا على ناضح لنا، قد أعيا فلا يكاد يسير، فقال لي: «ما لبعيرك؟»، قال: قلت: عيبي، قال: فتخلف رسول الله ﷺ، فزجره، ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي: «كيف ترى بعيرك؟»، قال: قلت: بخير، قد أصابته بركتك، قال: «أفتبيعه؟»، قال: فاستحييت فاستحييت ولم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلت: نعم، قال: فبعنيه، فبعته إياه على أن لي فقار ظهره، حتى أبلغ المدينة قال: فقلت: يا رسول الله إني عروس، فاستأذنته، فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى أتيت المدينة، فلقيني خالي، فسألني عن البعير، فأخبرته بما صنعت فيه، فلأمني قال: وقد كان رسول الله ﷺ، قال لي حين استأذنته: «هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟»، فقلت: فقلت: تزوجت ثيباً، فقال: «هلاً تزوجت بكراً ثلاًعبها وثلاًعبك»، قلت: يا رسول الله، توفي والدي أو استشهد ولي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج مثلهن، فلا تؤدبهن، ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيباً لتقوم عليهن وتؤدبهن، قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوت عليه بالبعير، فأعطاني ثمنه ورده علي¹.

وفي الحديث تتجلى عدة مظاهر القدوة في الصحابي الشاب ألخصها فيما يلي:

المظهر الأول: الاستعلاء على الشهوات

خروج الصحابي الشاب إلى القتال الذي هم مظنة الموت مع كونه حديث عهد بعرس، وهذا الموقف يشبه قصة حنظلة التي رواه أهل السير مفصلة، قال ابن هشام: "والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الأسود، وهو ابن شعوب، قد علا أبا سفيان. فضربه شداد فقتله. فقال رسول الله ﷺ: أن صاحبكم، يعني حنظلة حنظلة لتغسله الملائكة. فسألوا أهله ما شأنه؟ فسئلت صاحبتة عنه. فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة².

المظهر الثاني: مراعاة الأولويات وهضم حق النفس

كان عبد الله في زواجه قدوة للشباب في مراعاة الأولويات، فقد تنازل عن التزوج بالبكر مراعاة مراعاة لمصلحة أخواته اليتيمات، وهو مقتضى قوى للترجيح قال الشوكاني: "وفيه دليل على استحباب نكاح الأبقار إلا لمقتض لنكاح الثيب"³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب استئذناً الرجل الإمام، (51/4)، برقم: 2805.

² - ابن هشام، السيرة النبوية، (75/2).

³ - الشوكاني، نيل الأوطار، (125/6).

المظهر الثالث: البر والصلة وحفظ العهد

و تتجلى في الحديث القدوة في صلة الرحم والبر، فمن بر الوالد بر أهل وده، فعن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ، قال: «أَبْرُ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ»¹.
وبهذا تتضح لنا الأهمية الكبيرة والفعالة أسلوب القدوة الحسنة ومكانته الدعوية، حيث وظفها النبي ﷺ، والصحابة الكرام في مواقف ومجالات دعوية مختلفة، حفلت بها مرويات المغازي في الصحيح؛ لتبقى رصيда دعويا يمكن الدعاة من الرجوع إليه، والاستمداد منه لترشيد الدعوة في كل زمان ومكان.

بهذا أكون قد عالجت أسلوبا من الأساليب الدعوية المتعلقة بالمنهج الحسي من خلال الفعل الدعوي في ميدان الغزوات، وهو أسلوب القدوة الحسنة، الذي تجلى على مستويين: على مستوى الفعل النبوي؛ حيث كان قدوة للمدعوين في كل المجالات، وعلى مستوى الصحابة الكرام الذين لعبوا دورا مزدوجا، فكانوا مدعوين ودعاة في بعض الأحيان.

وقد كان لأسلوب القدوة أثر كبير في نجاح الفعل الدعوي النبوي، ولعل أهم ما يدل على ذلك تعلم الصحابة الكثير من أحكام، والآداب والأخلاق عن طريق الاقتداء برسول الله ﷺ.
وليس هذا فحسب بل أخذ دعاة الصحابة الكثير من أصول الدعوة وأساليبها عن طريق أسلوب الاقتداء بإمام الدعاة ﷺ؛ مما جعل عطاء الصحابة الدعوي يؤتي أكلها مبكرا إذ بدأت ثماره تينع زمن النبوة.

¹ - مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما، (1979/4)، برقم: 2552.

المطلب الثاني: أسلوب تغيير المنكر باليد

يعد إنكار المنكر من أهم موضوعات الدعوة الدينية عموماً، والدعوة الإسلامية خصوصاً، فالدين كله ينتظم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجميع الأنبياء والرسل مارسوا هذه الوظيفة العظيمة مع أقوامهم، ويتفرع عنها إزالة وتغيير المنكر، الذي تعددت أشكاله وأساليبه، فمن أشهرها تغيير المنكر بالقول والفعل.

ولما كثر الحديث عن الدعوة القولية في مواطن من هذه الأطروحة أكتفي بتناول تغيير المنكر باليد باعتباره أسلوباً من أساليب المنهج الحسي في الدعوة من خلال الغزوات وفق ما يلي:

الفرع الأول: مفهوم الانكار باليد وأهميته الدعوية

في مطلع هذا المطلب، وقبل الخوض في ممارسة تغيير المنكر باليد في ميدان المغازي النبوية، وما في محيطها، لا بد من التطرق إلى مفهومه، وبعض ضوابطه المستنبطة من الكتاب والسنة. وسوف يتم ذلك من خلال العناصر التالية:

أولاً: مفهوم تغيير المنكر باليد

1. صلة تغيير المنكر باليد بالدعوة: قد اقترن إنكار المنكر بالأمر بالمعروف في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منه، فتارة ترد الثنائية القرآنية في معرض مدح صاحب الرسالة، كقوله سبحانه وتعالى:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا نَجِئِلْ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 157].

ومرة في مدح أتباع الرسالة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا نَجِئِلْ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: 113].

فالأيات تدل على أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مرتبط بالدعوة ارتباطاً وثيقاً لا ينفك عن بعضها، فهي لا تخرج عن الأمر بالخير، والدعوة إليه، وترغيب الناس في اتباعه، والنهي عن المنكر، والتحذير منه، والتنفير عنه، والاستجابة الدعوية لا تخرج عن امتثال المعروف وترك المنكر.

من أجل ذلك عرف بعضهم الدّعوة بقوله أنّها: "الحث على فعل الخير واجتناب الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير عن الرذيلة، وأتباعا للحق ونبذ الباطل"¹.

فالتعريف ينصب على تغيير المنكر بالقول، ولم يتناول تغيير المنكر بالفعل، الذي يطلق عليه تغيير تغيير المنكر باليد، وهي كناية على استعمال القوة².

غير أنه يندرج ضمن النهي عن المنكر بدلالة التضمن، والالتزام، فإذا كان المنكر لا يزول إلا بالقوة تعين تغييره بتلك الوسيلة، ومعلوم أنّ الوسائل لها حكم المقاصد.

وبعد هذا النوع من أنواع تغيير المنكر أقوى مراتب الإنكار وأعلاها، وذلك لمن كانت له ولاية ولاية على مرتكب المنكر كالسلطان، أو من ينيبه عنه كوالي الحسبة، وموظفيه كل بحسب اختصاصه وكذا المسلم مع أهله وولده، يلزمهم بأمر الله، ويمنعهم مما حرم الله، باليد إذا لم ينفع فيهم فيهم الكلام يقوم بهذا حسب الوسع والطاقة³.

2. المفهوم الإجرائي لتغيير المنكر باليد: فتغيير المنكر باليد إذن هو استعمال من له السلطة

والولاية باستعمال القوة في إزالة المنكر والقضاء عليه، أو الإلزام بالقيام بأمر الله بالقوة أيضا. وقد وظف الأنبياء عليهم السلام وسيلة تغيير المنكر باليد بهذا المفهوم في مواطن مختلفة من دعواتهم، مما يدل على مشروعيتها من جهة، وعلى أنه من أنفع الأساليب الدعوية الحسبية من جهة أخرى، وفيما يلي بيان لأهمية هذا الأسلوب الدعوي من خلال نماذج من فعل الأنبياء عليهم السلام.

ثانيا: الأهمية الدعوية لتغيير المنكر باليد

مما يشهد للأهمية الدعوية لتغيير المنكر باليد الفعل الدعوي للأنبياء عليهم السلام، و تدل على ذلك هذه المواقف الدعوية من تاريخ الدّعوة الطويل.

وفيما يلي نماذج منها:

¹ - ينظر: إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص14.

² - عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة، ص195.

³ - ينظر: حمود الرحيلي، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، وزارة الأوقاف السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ص29.

1. تحطيم إبراهيم للأصنام

من نماذج تغيير المنكر باليد تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام؛ التي كان يعبدها قومه من دون الله، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في مواطن متعددة إشادة بالفعل، وتثميناً له، ومدحاً لفاعله، لفاعله، قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُذِيرِينَ ۗ ﴿٥٧﴾ ﴿بَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۗ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: 57 - 58]، وقد ذكر القصص القرآني استعمال إبراهيم عليه السلام القوة في قوله سبحانه: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصفات: 93]، قال الطبري " فأخذ فأس حديد، فنقر كل صنم في حافتيه، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج"¹.

2. تحطيم موسى عليه السلام للعجل

ومن أمثلة تغيير المنكر باليد تحطيم موسى عليه السلام للعجل الذي فتن به السامري قومه، فقد ورد ذلك في قصته عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ آلِهَتِكَ الَّتِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِبًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97].

قال ابن عاشور في تفسير الآية: "والتحريق: الإحراق الشديد، أي لنحرقه إحراقاً لا يدع له شكلاً، وأراد به أن يذويه بالنار حتى يفسد شكله ويصير قطعاً"².

3. كسر عيسى عليه السلام للصليب في آخر الزمان

أن من أعظم المنكرات التي ابتدعتها النصارى تعظيم وعبادة الصليب، التي لا يقرها عيسى عليه السلام ولا يرضى بها لمخالفتها للتوحيد الذي جاءت به كل الرسالات، فعند نزوله في آخر الزمان الزمان ينكر هذا المنكر على النصارى ويغيره بأعلى درجات الإنكار فيكسر الصليب³، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُّقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجُرُزِيَّةَ، وَيَقِيضَ الْمَالَ، حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»⁴.

¹ - الطبري، جامع البيان، (295/16).

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (300/16).

³ - عبد العزيز آل معمر، منحة القريب المحيب في الرد على عباد الصليب، (د، ط)، (د، ت)، ص 157.

⁴ - البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، (136/3)، برقم: 2344.

قال ابن الملقن في شرح الحديث: " وفيه من الفقه: كسر نصب المشركين وجميع الأوثان، وإنما قصد إلى ذكر الصليب وقتل الخنزير من أجل أنهما في دين النصارى المعتدين في شريعتهم إليه "1 .
فكلام ابن الملقن يشير إلى مناسبة تغيير المنكر في هذا الموقف الدعوي، فتكسير الصليب على مرأى ومسمع المشاهدين أبلغ من النهي عن تعظيمه وعبادته، مما لا يدع مجالاً للتردد والشك لدى المدعو.

فهذه نماذج من استعمال ثلاثة من أولي العزم من الرسل لتغيير المنكر باليد، جاءت في القرآن على سبيل الإقرار لهم على استعمال هذه الوسيلة.

ثالثاً: ضوابط تغيير المنكر باليد

لتغيير المنكر عموماً قواعد، وضوابط لا بد من مراعاتها حتى يتحقق المقصد من الوسيلة الدعوية، الدعوية، باعتبار أن الوسائل لها حكم المقاصد كما قرر ذلك الأصوليون².
ولما كان تغيير المنكر باليد أقوى أنواع تغيير المنكر تطلب مراعاة قواعد التغيير أكثر من غيره من الأنواع الأخرى (التغيير بالقول والإنكار بالقلب)، وفيما يلي بيان أهم هذه القواعد:

1. أن يكون المنكر ظاهراً من غير تجسس

ولهذه القاعدة أصل من الكتاب و السنة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12]، فقد ترك عمر رضي الله عنه تغيير المنكر في زمانه اعتماداً على هذه القاعدة القرآنية، فعن أبي قلابة، أن عمر، قلابة، أن عمر، حدث أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته، هو وأصحاب له، فانطلق عمر عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: «يا أمير المؤمنين، أن هذا لا يحل لك، قد نهى الله عن التجسس»، فقال عمر: ما يقول هذا؟ فقال له زيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن الأرقم: «صدق يا أمير المؤمنين، هذا من التجسس»، قال: «فخرج عمر وتركه»³.
كما دلت الأحاديث على النهي عن التجسس كقوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا»¹.

¹ - ابن الملقن، التوضيح شرح الجامع الصحيح، (25/16).

² - ينظر: عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الفوائد في اختصار المقاصد، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1416هـ، (44/1).

³ - عبد الرزاق، المصنف، باب التجسس، (232/10)، بإسناد متصل رجاله ثقة، ينظر: ابن حجر فتح الباري، (156/8).

¹ - البخاري، كتاب النكاح، باب لا يحط على خطبة أخيه، (19/7)، برقم: 4849.

2. التدرج في التغيير

قال الغزالي في بيان هذه الدرجات: " أولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود"¹

فكلام الغزالي ينص على ضرورة التدرج في التغيير ولا يصر إلى استعمال القوة لأول وهلة، وقد استفاد هذا من استقراء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ طَآئِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِفْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا وَإِنْ بَغَتْ إِحْدَيْهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ بَقَلْتَهُمَا لَتَنَّبَغِ حَتَّىٰ تَهْتَأَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات:09].

قال الرازي في بيان دلالة الآية على التدرج في التغيير، " قدم الإصلاح على القتال، وهذا يقتضي يقتضي أن يبدأ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأرفق مترقياً إلى الأغلظ فالأغلظ"².

أما ما جاء في حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَبْغِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»³، فظاهره تقديم التغيير باليد، ولكن المراد غير ذلك، قال ابن العربي: " وفي هذا الحديث من غريب الفقه أن النبي ﷺ بدأ في البيان بالأخير في الفعل، وهو تغيير المنكر باليد، وإنما يبدأ باللسان والبيان"⁴.

وهذا الأسلوب مألوف عند العرب يطلق عليه علماء البلاغة تقديم ما حقه التأخير، لمقتضى بلاغي⁵.

3. أن يدفع المنكر بأيسر ما يندفع به

قد قرر هذه القاعدة ابن تيمية في قوله: "إذا ارتفع الغرض بالأمر السهل لم يجز العدول عنه إلى الأمر الصعب، وهذا مما يعلم عقلاً وشرعاً"⁶.

¹ - أبو حامد لغزالي، إحياء علوم الدين، (239/2).

² - الرازي، مفاتيح الغيب، (316/8).

³ - مسلم، كتاب الإيمان، باب بيأن كون النهي عن المنكر من الإيمان، (69/1).

⁴ - ابن العربي، أحكام القرآن، (383/1).

⁵ - ينظر: عبد الرحمن، حسن جنبك الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1416 هـ، 1996 م، (350/1).

⁶ - ابن تيمية، الحسبة ت: علي بن نايف الشحود، ط2، 1425 هـ، 2004 م، ص107.

ولعل ما يشير إلى هذا الأصل العام قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْأَحْسَنَةُ وَلَا الْأَسْيِئَةُ يُدْفَعُ بِالتَّيِّبِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلَذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَ هُوَ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾ [فصلت: 33]، قال الرازي: "فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه"¹.
 فيمكن أن يقاس على القول الفعل، فإذا أمكن التوصل للغرض وهو تغيير المنكر باليد بالألطف لا ينبغي تجاوزه.

ومما يشير إلى هذا الأصل من السنة ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم الله بها»².
 قال ابن حجر في شرح الحديث: "وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء العسر والاقتناع باليسر"³.

فقد تبين مما سبق أن تغيير المنكر باليد أسلوب دعوي مشروع قد مارسه الأنبياء عليهم السلام، غير أنه أسلوب خاص منضبط بضوابط حتى لا يخرج عن مقاصد الدعوة الكبرى وأهدافها.

الفرع الثاني: الاستعمال الدعوي لأسلوب تغيير المنكر باليد في الغزوات

قد تعددت صور استعمال تغيير المنكر باليد في الفعل الدعوي النبوي الجهادي، فالغزوات والسرايا؛ وإن اتسمت بطابع استعمال القوة، غير أن هذا الأخير يتنوع بتنوع المواقف، وهذا من خصائص الدعوة النبوية التي امتازت بالحكمة والمرونة، وهي خصائص مكنتها من التأقلم مع متغيرات الدعوة، ومستجداتها، والتصدي للتحديات الداخلية والخارجية بنجاح باهر قل نظيره في تاريخ الدعوات السابقة واللاحقة.

وسوف أبرز أهم طرق توظيف النبي صلى الله عليه وسلم لأسلوب تغيير المنكر باليد إجمالاً في العناصر التالية:

أولاً: تغيير المنكر بالقتال والإجلاء

أن قتال المحاربين من الكفار من أنواع تغيير المنكر باليد باستعمال القوة، وتشير إلى ذلك نصوص كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، (589/3).

² - البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (189/4)، برقم: 3367.

³ - ابن حجر، فتح الباري، (575/6).

اللَّهُ وَعَدَّوْكُمْ وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال: 60].

قال الرازي: " وهذه الآية تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية، والرمي والرمي فريضة"¹.

وقد وردت آيات أخرى في مشروعية الجهاد للقضاء على قادة، وصناديد الكفر الذين يعدون حواجز، وموانع تحول دون وصول الهدى لأتباعهم، ومستضعفيهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَكُونُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ أَنْهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: 12]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَبِينَ﴾ [النساء: 74].

فمن أجل هذه المقاصد، وغيرها شرع الجهاد بالجند والسلاح، والعدة المادية الذي تجلّى في غزوات النبي ﷺ وسرياه، وفيما يلي أبين بعض تجليات إزالة المنكر باليد في هذا الميدان:

1. قتال المحاربين

عند تبع غزوات النبي ﷺ يلحظ فيها استعمال القوة؛ عندما تتعين الوسيلة المناسبة لتغيير المنكر، فقد تبين فيما سبق أن القتال دائما يسبقه الدعوة إلى الإسلام كما مر في مواطن متعددة من المغازي، وقبل ذلك فإن تغيير المنكر بالقول قد سبق تغييره بالقتال طوال العهد المكي كله. ولكثرة المواقف التي استعمل فيها أسلوب تغيير المنكر باليد من خلال القتال، أكتفي بذكر موقفين لدلالتهما الحسية، وهما:

أ. قتل صناديد قريش في بدر

فقد قتل أئمة الكفر، من صناديد، وملاً قريش في بدر، ففي الصحيح، فعن عبد الله بن مسعود مسعود رضي الله عنه، قال: « استقبل النبي ﷺ الكعبة، فدعا على نفرٍ من قريش: على شيبَةَ بنِ ربيعة، وعُتْبَةَ وعُتْبَةَ بنِ ربيعة، والوليد بنِ عُتْبَةَ، وأبي جهل بنِ هشام، فأشهدُ بالله، لقد رأيتُهُمْ صرعى، قد غيّرْتُهُمْ الشَّمْسُ، وكان يوماً حاراً »².

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، (499/15).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش شيبَةَ، وعُتْبَةَ، والوليد، وأبي جهل بن هشام، وهلاكهم، (47/5)، برقم: 3743.

ولا شك أن قتل هؤلاء من قبيل تغيير المنكر باليد الذي يندرج تحت المنهج الحسي، فرؤية المؤمنين لهم صرعى يزيد في يقينهم أن الدين حق، وأن الله ناصرهم، وفي ذلك عبرة لغيرهم من المشركين لعلمهم يعتبرون.

وهذه الصورة الحسية تشبه صورة إهلاك فرعون الواردة في قوله تعالى: ﴿بِالْيَوْمِ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ [يونس: 92]، قال الرازي: "كان تخصيصه بهذه الحالة العجيبة دالا على على كمال قدرة الله تعالى، وعلى صدق موسى عليه السلام في دعوى النبوة"¹.

ب. قتل محاربي بني قريظة

لم يقتل بني قريظة بسبب عدم دخولهم الإسلام، وإنما قتلوا بسبب جنائيتهم العظيمة على الدعوة بنقض العهد والتحالف مع الأحزاب التي يقودها أئمة الكفر من المشركين، الذين قصدوا المدينة وهاجموها من أجل القضاء على الإسلام وقيادة الدعوة، فاستحقوا بعد ذلك أن يقتلوا، وهو حكم الله فيهم.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يقول: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأَنْصارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ»، فقال: «هؤلاء نزلوا على حكمك»، فقال: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّتَهُمْ، قَالَ: «فَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ»، وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ الْمَلِكِ»².

ويظهر البعد الحسي في قتل يهود بني قريظة في الرواية التي رواها أهل السير، قال ابن إسحاق: " ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا، وفيهم عدو الله حبي بن أخطب، أخطب، وكعب بن أسد، رأس القوم، وهم ست مائة أو سبع مائة، والمكثر لهم يقول: كانوا بين كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة. وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا: يا كعب، ما تراه

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، (278/17).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، (111/5)، برقم: 3895.

يصنع بنا؟ قال: أي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ¹.

ف تنفيذ حكم الله سبحانه تعالى في اليهود بهذه الكيفية؛ من شأنه أن يردع المجرمين ممن تسول لهم أنفسهم التعرض للدعوة، وقادتها بالخيانة، والغدر.

وهذا البعد المقاصدي يلحظ في جميع الحدود والعقوبات الشرعية لردع الجناة، يقول ابن عاشور عاشور في بيان مقاصد العقوبات: "وأما الأمر الثالث وهو: زجر المقتدي، فهو مأخوذ من قوله

سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا ظَالِمَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 02]².

2. إجلاء اليهود من المدينة بالقوة

من مظاهر تغيير المنكر باليد إجلاء اليهود من المدينة، ويتعلق الأمر ببني قينقاع وبني النضير، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لِحُقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعِ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ³.

فبعدما لم تنفع مع اليهود الطرق السلمية، ولم يحترموا بنود المعاهدة، وأصبحوا يثيرون الفتن، لم يكن بد من إخراجهم من المدينة، وفي هذه المرة اكتفي بالإخراج ولم يقتلوا كما قتلت قريظة؛ لكفاية هذه الوسيلة بتحقيق المطلوب والمراد، وهذا من قواعد تغيير المنكر، كما مر في قواعد التغيير.

ونفي المجرمين، والمحاربين للدعوة بالقوة السلطانية أصل من أصول إزالة المنكرات، وقد تحدث القرآن الكريم عنه في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: 33].

¹ - ابن هشام، السيرة النبوية، (241/2).

² - ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ، 2004 م، (549/3).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (88/5)، برقم: 3804.

فالنفي وإخراج الجناة من العقوبات التي تترتب عليها مقاصدها الإصلاحية، ولا شك أن اليهود اليهود لم يخرجوا من المدينة إلا بعدما ثبتت إدانتهم بالسعي في الإفساد ومحاربة الله ورسوله¹

ثانيا: تحطيم الأصنام وأماكن الشرك والفتنة.

قد تحدثت فيما سبق عن إزالة مشاهد الشرك عند الحديث عن الأبعاد العقدية؛ بما يناسب البعد العقدي، وفي هذا العنصر أتناوله مرة أخرى من منظور البعد الأسلوبي؛ باعتبار أن إزالة مشاهد الشرك باليد من الأساليب الدعوية الحسيّة، ذات التأثير الفعال في المدعو. وسوف أبين أبرز الأهميّة الدعوية لهذا الأسلوب من خلال النماذج التالية:

1. تطهير الحرم من الأصنام يوم الفتح

لا ريب أن من أعظم الأعمال الدعوية الحسيّة التي قام بها النبي ﷺ تطهير المسجد الحرام من مظاهر الحرام من الأصنام المنصوبة حول البيت وإخراج النصب التي بداخله فعن عبد الله ﷺ، الله عنه، قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةٍ نُصْبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»².

قال ابن حجر معلقا على الحديث: "وفعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ولإظهار أنها أنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئا."³

وفي هذا العمل الحسي مكن قريش من رؤية الأصنام التي طالما عبدوها، وعظموها تكب على وجوهها وظهورها، لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، وترى رأي العين البيت الحرام يطهر بذلك منها، منها، وتشاهد الفتح الأعظم الذي يتم فيه ما دعا إليه منذ عشرين سنة، وما حاربه مكة أشدّ الحرب فيه، تمهيدا للقضاء على الوثنيّة بالكلية⁴.

¹ - فمن مظاهر اعتداء اليهود، ومحاربتهم للدعوة الإسلامية، الاعتداء على نساء المسلمين كما فعل بني قينقاع، ومحاولة اغتيال النبي ﷺ من قبل بني النضير، وتواطؤ بني قريظة مع الكفار والمنافقين للقضاء على الإسلام والمسلمين في غزوة الأحزاب، ينظر: الواقدي، المغازي، (17، 364/1)، ابن هشام، السيرة، (214/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، (148/5)، برقم: 4287، وقد تكرر الحديث في الصحيح في عدة كتب، و قد تضمن أبعادا دعوية أخرى، كتغيير المنكر باليد في كتاب المظالم، باب: هل تكسر الدنانير التي فيها الخمر، أو تحرق الرقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنبورا، أو ما لا ينتفع بخشبه، (136/3)، وبعد أصول الدعوة في كتاب التفسير، باب ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: 81]، 86/6.

³ - ابن حجر، فتح الباري، بيروت، 1379 هـ، (17/8).

⁴ - ينظر: محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص 266.

ولم يكتف النبي ﷺ بتطهير محيط البيت من الأصنام، فقد طال التطهير حتى البيت من الداخل مما فيه من تماثيل وصور.

ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة، أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزام، فقال فقال النبي ﷺ: « قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، لَقَدْ عَلِمُوا: مَا اسْتَفْسَمَا بِهَا قَطُّ »، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِي الْبَيْتِ، وَخَرَجَ وَلَمْ يُصَلِّ¹.

وقد كان لهذا الأسلوب الحسي أثره الدعوي، فقد تيقن كثير أهل مكة ببطلان الأصنام، فسارعوا فسارعوا إلى كسر أصنامهم الخاصة- كما تروي كتب السير-؛ فقد كان عكرمة بن أبي جهل حين حين أسلم لا يسمع بصنم في بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى يكسره، وقد كسرت هند هند صنم لها بقادوم.²

2. إزالة مشاهد الشرك والفتنة بالقوة

لم يقف التطهير عند البيت العتيق والمسجد الحرام، بل استمر من خلال بعث النبي ﷺ لأصحابه لهدم مشاهد الشرك والفتنة في أماكن متفرقة، فمما ورد من ذلك في الصحيح ما رواه جرير، قال: كان بَيْتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلْصَةِ، وَالْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ، وَالْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ، فَقَالَ لِي ﷺ: «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلْصَةِ»، فَتَفَرَّتْ فِي مِائَةِ وَحَمْسِينَ رَاكِبًا فَكَسَرْنَاهُ، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا لَنَا وَلَا حَمْسَ³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: أين ركن النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، (148/5)، برقم: 4288، وقد كرر الإمام البخاري الرواية في الصحيح؛ ليزر أبعادا دعوية لها، فأخرجها في كتاب الصلاة؛ مشيرا إلى بعد دعوي تشريعي، وفي كتاب الأنبياء؛ منها على بعد يتعلق بتاريخ الدعوة، ينظر: (88/1)، (139/4)

² - الواقدي، المغازي، (871/2)، ومن علامات حسن إسلام هند وصدق استجابتها أيضا إكرامها لرسول الله ﷺ بهدية يوم الفتح، قال المقرئ: "وأهدت هند بنت عتبة بعد إسلامها هدية لرسول الله ﷺ - وهو بالأبطح- مع مولاة لها، جديين مرضوفين وقدًا، [المرضوف: المشوي، والقُد: سقاء صغير متخذ من جلد السخلة يكون فيه لبن]، فانتهدت الجارية إلى خيمته، فسلمت واستأذنت فأذن لها فدخلت ورسول الله ﷺ بين أم سلمة وميمونة ونساء بني عبد المطلب، فقالت: أن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية، وهي معتذرة إليك، وتقول: أن غنمنا اليوم قليلة الوالدة، فقال: بارك الله لكم في غنمكم، وأكثر والدتها فسرت هند لما أخبرتها مولاتها بذلك، ورأوا من كثرة غنمهم ووالدتها ما لم يكن من قبل ولا قريبا، وكانت هند تقول: هذا بدعاء رسول الله ﷺ وبركته"، ينظر: المقرئ، الامتاع، (05/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: باب غزوة ذي الخلصة، (164/5)، برقم: 4097.

وقد حفلت كتب السير بذكر السرايا التي أرسلها رسول الله ﷺ لهذا المقصد العظيم، فبعث خالد بن الوليد إلى العزى، وبعث إلى ذي الكفين الطفيل بن عمرو الدوسي وبعث سعد بن زيد إلى مناة فهدمها، وبعث عمرو بن العاص إلى صنم هذيل فهدمه¹.

وبهذه الوسيلة الحسيّة التي تعد من مظاهر تغيير المنكر باليد تمكنت الدّعوة الإسلاميّة بقيادة رسول الله ﷺ من إزالة الشرك، ومظاهره، من مكة وما حولها؛ تطهيراً للنفوس وسد لذريعة الافتتان بها من جديد؛ لكون القوم حديثي عهد بشرك².

ويمكن مما سبق أن أخلص إلى أن أسلوب تغيير المنكر باليد فرع عن النهي عن المنكر باستعمال القوة، وهو أسلوب دعوي حسي فعال ذو طبيعة سلطانيّة مارسه الأنبياء عليهم السلام، ومارسه النبي ﷺ في الغزوات ودرب الصحابة ﷺ من خلال تكليفهم بإزالة بعض المنكرات باليد، وقد بينت المواقف الدعويّة نجاحه لكونه وقع وفق الضوابط والمقاصد الشرعيّة والأولويات الدعويّة.

وهكذا أكون قد أنهيت الكلام عن الأسلوب الحسي الذي مارسه النبي ﷺ في ميدان من أكبر الميادين الدعويّة؛ ميدان المغازي، الذي أجملته في أسلوبين من الأساليب الدعويّة الكبيرة، أسلوب القدوة الحسنة الذي يمكن أن يندرج تحت أصل الأمر بالمعروف عن طريق الرسائل الفعلية، وأسلوب تغيير المنكر باليد الذي يمكن أن يندرج ضمن النهي عن المنكر عن طريق إزالته بالفعل والقوة، مما يضيف مزيداً من الأهميّة والمشروعيّة على هذين الأسلوبين.

وبهذا المبحث تكتمل أساليب المناهج الدعويّة الثلاثة التي تجلت في الفعل الدعوي النبوي في ميدان المغازي التي حصرتها الدراسة في المنهج العاطفي، والعقلي، والحسي؛ باعتبار أن التأثير في المدعو لا يخرج عن هذه القنوات الفطريّة، وقد تجلت الحكمة النبويّة في الاستخدام الأمثل، والأحكام لهذه الأساليب.

ومن هنا تتجلى جودة التوظيف النبوي لأساليب المناهج الدعويّة الفطري التي استطاع النبي ﷺ من تحقيق المقاصد الدعويّة العظيمة التي سوف أبرزها في الفصل الموالي.

¹ - ينظر: الواقدي، المغازي، (870/1)، ابن سعد، الطبقات الكبرى، (111/2).

² - ينظر: منير الغضبان، الدّعوة والسير في العهد المدني، ص 595.

الفصل الرابع

الأبعاد الدعويّة المقاصدية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأبعاد المتعلقة بالمقاصد الدعويّة العامة

المبحث الثاني: الأبعاد المتعلقة بالمقاصد الدعويّة الخاصة

إن الغزوات النبوية وإن كانت امتدادا للدعوة؛ باعتبارها فعلا نبويا لا يخرج عن أصولها العقديّة والتشريعيّة، كما تبين جليا في الفصل السابق، ويتقاسم معها في غاياتها وأهدافها ومقاصدها الكبرى، إلا أن طبيعتها الجهاديّة العسكريّة جعلتها تصطبغ بطابع خاص؛ لتكون نظاما مستقلا عن غيره من النظم الإسلاميّة، وبابا تشريعيّا مستقلا عن غيره من الأبواب الفقهيّة الأخرى. فقد أفردت له أبواب في كتب الفقه الإسلامي، وكتب الحديث المرتبة وفق الموضوعات كالكتب الستة، والجامع الصحيح، واحد منها، فقد أفرد لها في الصحيح كتابا، وهو كتاب الجهاد والسير.

والناظر في كتب الجهاد الفقهيّة في مختلف المذاهب والحديثيّة يجدها تستمد مادتها الأولى من آيات ومرويات غزوات النبي ﷺ، ولم يتوقف العلماء عند استنباط أحكام الجهاد من هذه النصوص، فإضافة إلى ذلك فقد اعتنوا بإبراز مقاصد هذا الباب على غرار الأبواب الأخرى؛ ليؤكدوا أن جميع الأحكام الشرعية منوطة بمقاصد عظيمة، وحكم جليّة.

فالباب التشريعي الذي تندرج تحته الغزوات باب الجهاد؛ لذا فإن الدراسة ستستعين في بيانها لمقاصد الغزوات بما قرره علماء المقاصد في هذا الشأن.

ولما كانت تصرفات النبي ﷺ في غزواته هي أصل هذا الباب؛ جاء هذا الفصل من هذه الرسالة ليكشف ويبحث عن مقاصد النبي ﷺ في غزواته في مراحل الدعوة النبويّة المختلفة من بدء القتال إلى آخر حياته ﷺ.

ونظرا لطبيعة الدراسة الدعويّة فإنني أحرص في كل مرة على إبراز الآثار الدعويّة لكل مقصد من المقاصد التي أصف عليها في الغزوات.

ولتحقيق الهدف المبتغى من هذا الفصل من الدراسة، فإنني قسمته إلى مبحثين، كالتالي:

المبحث الأول: الأبعاد المتعلقة بالمقاصد الدعويّة العامة

المبحث الثاني: الأبعاد المتعلقة بالمقاصد الدعويّة الخاصة

المبحث الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمقاصد العامة⁽¹⁾

إن الغزوات فرع عن الفعل الدعوي النبوي من حيث المنهج والمضمون، فاقضى ذلك بالضرورة أن تتسق مع المقاصد الكبرى للدعوة الإسلامية استمدادا، وتفعيلا، واستهدافا. أما من ناحية التكييف الفقهي العملي فإنها تندرج ضمن باب الجهاد الذي يعتبر بابا من أبواب الشريعة العظيمة الذي تلحظ فيه مقاصدها العامة كباقي أبواب الفقه الإسلامي. ولما كان القصد إبراز الأبعاد الدعوية لهذه المقاصد فإنني سوف أقتصر على أهم المقاصد العامة التي نخدم الهدف من الدراسة، من خلال مطلبين:

المطلب الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحفظ الكليات الكبرى للشريعة

المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة ببيان محاسن وخصائص الشريعة.

¹ - قبل البد في بيان المقاصد العامة للغزوات وآثارها الدعوية أجدني مضطرا إلى تحديد مصطلح المقاصد من حيث اللغة والاصطلاح، كمدخل منهجي ضروري لهذا الفصل.

1. المقاصد لغة: تدل مادة قصد في اللغة على عدة معان منها: إتيان الشيء والقاصد القريب والقصد بين الإسراف والتقتير والقصد العدل، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ، 1999م، ص254.

2. المقاصد اصطلاحا:

عرف علم المقاصد بعدة بتعريفات لعل أجمعها ما ذكره الزحيلي، حيث عرف مقاصد الشريعة بقوله: "ومقاصد الشريعة في اصطلاح العلماء هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان."، الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (101/1) وأما المراد بالمقاصد العامة عند علماء المقاصد المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها ينظر:، الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ، 1999م، ص254، ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (165/3)، الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (101/1)، نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، ط142، 1هـ، 2001م، ص17.

المطلب الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحفظ الكليات الكبرى للشريعة

إن الشريعة الإسلامية جاءت من أجل حفظ الكليات الخمس من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وقد استنبط علماء المقاصد ذلك من استقراءهم للأحكام الجزئية لكل باب من الأبواب الفقهية.

ولما كانت الغزوات النبوية ميدان للتطبيق الفقهي لأحكام الجهاد الذي هو باب من أبواب الشريعة، فقد كانت تصرفات النبي ﷺ فيها جارية وفق هذه المقاصد الكبرى وساعية لتحقيقها، وتفعيلها في الفعل الدعوي النبوي في هذا الميدان الدعوي الحيوي. والمتتبع لمرويات المغازي في الصحيح يجد البعد المقاصدي المتعلق بالكليات حاضرا فيها من خلال تصرفات ومواقف دعوية مختلفة.

وسوف أبرز هذه الأبعاد المقاصدية في الغزوات وآثارها الدعوية من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بكلية حفظ الدين

سوف أقتصر على أمر محوري رئيسي فيما يتعلق بحفظ الدين في الغزوات وهو الدعوة إلى الإسلام، والدعوة إلى التوحيد تحديدا باعتباره المدخل المشترك بين كل الدعوات، ولكون الدعوة في الغزوات تستهدف ابتداء دعوة غير المسلمين، فالدعوة إلى التوحيد هي مفتاح الدعوة لكونها تخاطب فطرة الإنسان التي خلق عليها.

وقد كان الاهتمام بهذه الكلية بارزا في الفعل النبوي الدعوي في الغزوات، كما بينته في مبحث الأبعاد العقدية، فقد ظل النبي ﷺ يدعو الناس إلى التوحيد، ومحاربة مظاهر الشرك وسد ذرائعه، وكان هذا المقصد من الأولويات الدعوية في المنهج النبوي.

وفيما يلي ذكر بعض المواقف الدعوية التي تقرر هذا المقصد الدعوي العظيم:

أولا: تقديم الدعوة إلى الإسلام على القتال

فقد كان ﷺ قبل الإغارة على قوم يدعوهم إلى الإسلام، ويأمر أصحابه بذلك؛ ترسيخا لهذا المقصد الدعوي العظيم في أذهان أصحابه، ليتخذوه مبدأ في فتوحاتهم من بعده، فقد قال لعلي ﷺ يوم خيبر بعدما أعطاه الراية: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ،

وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»¹.

وفي هذا الموقف الدعوي العظيم إعداد، وتربية للصحابة، وللدعاة من بعدهم؛ ليحرصوا على حمل حمل رسالة الخير إلى الإنسانية، التي تتطلب بذل الجهد والاجتهاد في سبيل ذلك، ويستوي في ذلك ذلك العدو والصديق، فالمسلم ينظر إلى أعداء الرسالة الإسلامية نظرة المنقذ لهم من ظلمات الظلال إلى أنوار الهداية².

فلو كانت الغزوات تحكمها المصالح الدنيوية والأغراض الشخصية وغيرها من الدوافع، لما كان النبي ﷺ بحاجة إلى إسلام يهود خيبر، وقد كان منهم ما كان من العداوة والكيد للدعوة وتآليب الأحزاب لاستئصالها.

وهذا الذي قد يغيب عن كثير من العاملين في حقل الدعوة، فتجد أحدهم تحمله الحظوظ الشخصية من الانتصار للذات أو الانتقام من المخالف والخصم، على تفويت فرص كثيرة للدعوة إلى الله عز وجل، والأدهى والأمر فقد يدفعه ذلك إلى اعتزال العمل الدعوي بالكلية.

ثانيا: التمهّل في بدء القتال وعدم المباغثة

وفي سياق المقصد السابق، فإنه كان من هدي النبي ﷺ أنه لا يغير على قوم حتى يصبح فإذا سمع الأذان أمسك، فعن أنس رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغَزْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ، فَتَنَزَّلْنَا خَيْبَرَ لَيْلًا»³
قال ابن عبد البر: " في هذا الحديث إباحة المشي بالليل على الدواب إذا لم يكن ذلك سرمدًا عليها واحتيج في ذلك إليها وفي ذلك أن الغارة على العدو تستحسن أن تكون صباحًا لما في ذلك من التبيين والنجاح لئلا يصاب طفل ولا امرأة ولا ذرية"⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (134/5)، برقم: 4209.

² - ينظر: عبد الرحمن، حسن جنبك الميداني، الحضارة الإسلامية، ص 135.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعوة النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، (47/4)، برقم: 2943.

⁴ - يوسف بن عبد الله، أبو عمر، ابن عبد البر، الاستدكار، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م، (143/5).

فابن عبد البر يشير إلى بعد آخر في الحديث، فزيادة على تقديم الدعوة على القتال، فإن عدم المباغته ليلاً تعصم دماء غير المقاتلين من النساء والذرية، ولا شك أن هؤلاء في حالة عدم استجابة القوم يصيرون إلى حضيرة المجتمع الإسلامي، عند الانتصار عليهم.

وأما السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق، ما البعد الدعوي الذي تستفيده الدعوة من نساء وأبناء الكفار؟ وماذا يستفيدون وقد أُخرجوا من الحرية إلى عبودية الرق؟

سؤال وجيه يحتاج إلى إجابة دقيقة واقعية حتى يستأصل الكثير من الشبهات التي تحوم حول موضوع الرق في الإسلام، بان المسلمين ما كان لهم من هدف من الغزوات والفتوحات إلا الماديات من الغنائم، بما في ذلك الحصول على العبيد والإماء.

هذا جزء من الحقيقة لا يمكن إنكاره، ولكن هؤلاء العبيد والإماء سرعان ما يتغير حالهم بمعرفتهم لحقيقة الدعوة الإسلامية التي كان الطغاة من حكامهم يحولون بينهم وبينها، فحينها نجد أن أكثرهم أسلوا وحسن إسلامهم، كما أن أكثرهم صاروا أحراراً رجالاً ونساءً.

ومما ساعد على هذا التحرر كثرة آلياته في التشريع الإسلامي، كان لها عظيم الأثر بعد ذلك في عتق الرقاب، ومن هذه الآليات ما يلي:

1. آلية الكفارات:

وبهذه الآلية يكون الإسلام قد فتح نافذة للخروج من الرق، من خلال الكفارات الكثيرة التي تلزم تلزم فيها تحرير الرقبة، فتحرر بذلك خلق كثير، مما جعل فترة الرق فترة طارئة¹.

والكفارات التي تعتق فيها الرقبة كثيرة، دلت عليها النصوص من الكتاب، والسنة، كفارة القتل الخطأ، كفارة الحنث في اليمين، كفارة الظهار، كفارة الجماع نهار رمضان.

2. آلية العتق الاحتسابي:

وقد رغب الإسلام في عتق الرقاب وجعل ذلك من أعظم القربات، فقال تعالى: ﴿فَلَا إِفْتَحَمَ أَلْعَقَبَةَ ۗ وَمَا أَدْرِيكَ مَا أَلْعَقَبَةُ ۗ بِكُ رَقَبَةٍ ۗ﴾ [البلد: 11-13]، ومن الإحسان عتق الأمة وجعل وجعل عتقها صدقتها، ففي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَعَاهَا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ»².

¹ - محمد حازم عبد الرحيم، وفقات مع قضايا معاصرة شبهات ردود، بداية للإنتاج الإعلامي، ط1، 2010 م، 1431 هـ، ص23.

² - البخاري، الصحيح، كتاب العتق، باب فضل من أدب جاريته وعلمها، (149/3)، برقم: 2544.

فالحديث قبل دلالاته على الترغيب العتق، فإنه أشار من طرف خفي إلى حقوق الإماء والعبيد بما يضمن لهم الكرامة الإنسانيّة، وما تتطلبه من تلبية حاجيات الروح والجسد. والنصوص المرغبة في عتق الرقاب كثيرة لا يمكن الإحاطة بها في مثل هذا الموضوع، وفيما مضى منها كفاية على تقرير أن تحرير الرقاب من المقاصد الشرعيّة العظيمة التي جاءت الشريعة لتحقيقها.

3. آية المكاتب

إضافة إلى ما سبق من الآليات فإن الشرع قد مكن العبيد من التحرر بمقابل يدفع لمالكهم، وهو ما يسمى بالمكاتب، فقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تحت الأسياد على تمكين مملوكهم من التحرر بهذه الصيغة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ بِكَاتِبِهِمْ أَنْ عَلَّمْتُمْ بِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: 33].

4. آية تفعيل الزكاة: ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أوجد الشرع آليات لإعانة المكاتبين على أداء ما عليهم من أعباء تجاه مالكيهم، فقد جعلوا من مصارف الزكاة ومن مستحقيها إلى جنب الفقراء والمساكين، قال جلا وعلا: ﴿ أَنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّجَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ بَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 60].

وقد أبرز أثر مصرف « في الرقاب » في عتق العبيد مُجَّد رشيد رضا بقوله: " جعل سهم من مصارف الزكاة الشرعيّة المفروضة (في الرقاب) بنص القرآن وهو يشمل العتق والإعانة على شراء شراء المملوك نفسه (الكتابة) ومن المعلوم أن زكاة الأمة الإسلاميّة قد تبلغ مئات الألوف وألوف وألوف الألوف من الدراهم والدنانير، فلو نفذت أحكام الإسلام فيها وحدها لأمكن تحرير جميع جميع الرقيق في دار الإسلام" ¹.

¹ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مُجَّد رشيد رضا، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، (د. ط)، 1990 م، (238/11).

ثالثاً: تقديم إقامة الحجّة على القتال

كان النبي ﷺ لا يغزو قوماً إلا بعد إقامة الحجّة عليهم، وكان من هذه الطرق إرسال الرسل والكتب، كمكاتبته لقيصر يدعوه إلى الإسلام، قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ بِكِتَابِهِ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى، أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ»¹.

وقد كان القصد من مكاتبة قيصر وغيره من ملوك العصر هو دعوتهم إلى الإسلام ونشر الدّعوة الدّعوة الإسلاميّة خارج الجزيرة العربيّة؛ تأكيداً لعالميّتها، وأنها ليست قاصرة على العرب، وكل ذلك ذلك يصبُّ في حفظ الدين انطلافاً بحفظه من حيث الوجود بالسعي لنشره بكل الطرق والأساليب، وكانت الوسيلة هذه المرة بالمراسلات والمكاتبات².

ومن ثمّ فإن أسلوب المراسلات المنتهج في هذه الفترة من مراحل الدّعوة لدليل على أن الغزوات تستهدف نشر الإسلام، والتّمكن له ليسود العالم؛ خدمة للإنسانيّة، وتحريراً للضعفاء من ظلم الطغاة والجبابرة، فإذا تحقّق الهدف اكتفي به، ولم يحتج بعد ذلك إلى القتال.

وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَبِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْفَرِثَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ۝٧٥﴾ [النساء:75].

فالآية صريحة في النص على علة القتال، التي يبرزها سيد قطب بقوله: "الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله لتحقيق منهجه، وإقرار شريعته، وإقامة العدل «بين الناس» باسم الله، لا تحت أي عنوان عنوان آخر، اعترافاً بأن الله وحده هو الإله"³.

وفي تقرير هذه الحقيقة بعد دعوي مهم؛ ذلك أن أعداء الدّعوة يستغلون مثل هذه المواطن لإثارة لإثارة الشبهات وإصاق التهم الباطلة بالغزوات، ومن ثمّ بالدّعوة وحملتها وقادتها، لتشويه صورتها صورتها الصافيّة الناصعة والتشويش على أبناء المسلمين، مستغلين في كل ذلك كل الوسائل والأساليب.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (89/9) معلقاً، وجاء موصولاً في كتاب الجهاد والسير، باب دعوة النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، (45/4)، برقم:2940.

² - ينظر:مُجَدُّ الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، تخ: مُجَدُّ ناصر الدين الألباني، ط1، 1427 هـ، ص356، المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، ط1، ص319.

³ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (708/2).

خاصة في هذا العصر الذي تسارعت فيه وتيرة تكنولوجيات الإعلام والاتصال، التي استغلها أعداء الدّعوة لصالحهم، وكان الأولى أن يمتلك ناصيتها المسلمون لنشر الدّعوة والدفاع عنها، وهذا من الإعداد الضروري في هذا العصر الذي ينبه إليه القرآن الكريم في قوله جلا جلاله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال:60].

وقد تحسّر أبو الحسن الندوي على تقصير المسلمين في هذا الإعداد بقوله رحمه الله: "وقد امت بالعالم الاسلامي ومن تزعمه من الشعوب والدول لوما شديدا في كتابي "ماذا خسر العالم بانحطاط بانحطاط المسلمين" على التقصير في الاستعداد الحربي والصناعي، والتخلف عن أوروبا في ذلك، واعتبرت ذلك سببا من أسباب شقاء الإنسانية واتجاه العالم من الرشاد الى الضلال، ومن البناء والازدهار إلى الهدم والدمار"¹.

رابعا: عصمة الدماء والأموال بالدخول في الإسلام

مما يؤكد أن الغزوات النبوية تستهدف كلية حفظ الدين بنشره، والتّمكن له في الأرض أصالة تصريح رسول الله ﷺ بان من دخل في الإسلام بالتلفظ بالشهادة فقد عصم دمه وماله، وظل يطبق هذا المبدأ في غزواته ويأمر أصحابه بالتزامه في بعوثة وسرياه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»².

فلو كان النبي ﷺ، وأصحابه في عهده، وأتباعه من بعده طلاب دنيا لما كفوا عن دماء، وأموال، وأموال، وأعراض من أسلم، كما هو حال الدول الاستعمارية، يقول أبوشهبة: "وها هي دول الحضارة اليوم في سبيل تأمين سلامتها، بل وفي سبيل إرضاء نزواتها وأهوائها تزهق الآلاف من الأرواح، ويغمض الناظرون أعينهم عن هذا ولا يعترض المعترضون، فهل هذا حلال لهم حرام على على غيرهم؟"³

مما سبق يتبين بوضوح أن المقصد الأعظم من الغزوات هو الدّعوة إلى دين الله، بنشره وتكثير أتباعه ومعتنقيه، ولم تكن المطامع الدنيوية في يوم من الأيام دافعا يحرك الغزوات، كما يصوره أعداء

¹ - علي بن عبد الحفي، أبو الحسن، إلى الإسلام من جديد، دار القلم، دمشق ط4، 1399 هـ، 1979 م، ص104.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعوة النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، (48/4)، برقم: 2946.

³ - محمد أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، (98/2).

أعداء الإسلام، ويصدقه بعض أتباعه ومعتنقيه، لجهلهم بالحقائق من جهة، وتلقيهم لها عن غير مصادرها الصافية النقية المعتمدة من جهة أخرى.

الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بكلية حفظ النفس⁽¹⁾

لقد أولت الشريعة الإسلامية كلية حفظ النفس عناية كبيرة في جميع مجالات التشريع، فتأتي من حيث الأهمية بعد كلية حفظ الدين، لكونها الأصل الذي تتفرع عنه الكليات المتبقية؛ لذا سأقتصر في هذا العنصر على إبراز حضورها في ميدان المغازي النبوية باعتبارها من أهم ميادين الدعوة والتشريع.

وعند تتبع الغزوات في الصحيح، وما ورد فيه من روايات وأحداث، نقف على عدة مواقف تتجلى من خلالها العناية بمقصد حفظ النفس، وفيما يلي نورد بعض مظاهر العناية بهذا المقصد مع الإشارة إلى الأبعاد الدعوية التي تضمنتها، وفق ما يلي:

أولاً: العناية بالمأكل والمشرب

لما كان المأكل والمشرب من مقومات حفظ النفس فقد حرص النبي ﷺ على تلبية هذه الحاجة الفطرية للمجاهدين من الصحابة، وحتى للأسرى، فقد وردت أحاديث تؤكد ذلك منها:

1. العناية بالمأكل: مما ورد في عنايته ﷺ بتوفير الإعاشة للمجاهدين ما ورد في حديث وليمة جابر في غزوة الأحزاب، فعنه ﷺ قال: **قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحْنْتُ صَاعًا مِنْ**

¹ - حفظ النفس كلي يندرج تحته حفظ العقل نفسه، من قبيل علاقة الجزء بالكل، ينظر: الشاطبي، الموافقات، (401/6)، كما يمكن أن تندرج تحتها كلية حفظ النسل، فالنفس لا يمكن إيجادها إلا بحفظ النسل من خلال تشريع النكاح والنهي عن قتل الأطفال والنساء، وقد ورد في الغزوات النهي عن قتل الأطفال والنساء، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، «فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»، رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، (61/4)، وتندرج تحتها كلية حفظ المال؛ فيه توفر متطلبات حفظ النفس والنسل بالنفقة وغيرها .

وَطَحْنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ أَنْ جَابِرًا قَدْ سُورًا، فَحَيَّ هَلَا بِكُمْ»¹.

فالأهمية الإعاشة للجيش، ولعلو أخلاق النبي ﷺ لم يؤثر نفسه بطعام الوليمة، دون بقية العسكر، بل أشرف عليه بنفسه، حتى أكل كل الجيش، وهذه هي الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها كل قائد، وكل داعية يريد النجاح لدعوته².

ومن ذلك أيضا ما ورد عن سويد بن النعمان أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر، فقال: «صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَزْوَادِ فَلَمْ يُؤْتِ إِلَّا بِالسُّوْبِقِ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْرِي، فَأَكَلَ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»³.

وفي هذا الحديث تعليم تطبيقي لاتخاذ الأسباب التي تحفظ بها الأنفس، وأن هذا لا ينافي التوكل بحال من الأحوال، وهذا متواتر في غزواته ﷺ، فيقول ابن القيم: "أن من تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله لمسيباتها قدرا وشرعا، فأن رسول الله ﷺ وأصحابه أكمل الخلق توكلا، توكلا، وإنما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بأنواع السلاح، ودخل رسول الله ﷺ مكة، والبيضة على رأسه"⁴.

ومن لطائف هذه القصة الجمع بين تغذية الجسد بالطعام وتغذية الروح بالصلاة، وهو تكامل غاية في الأهمية يغفل عنه كثير من الناس بل كثير من الدعاة، وقد شهدت كثيرا من المناسبات العلمية والدعوية يهتم فيها بكل شيء مهم وغير مهم إلا الصلاة، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، من تكلم بالفارسية والرطانة، (74/4)، برقم: 3070، وأخرجه مطولا في كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (108/5)، برقم: 4102، قال القسطلاني في تعليقه على ترجمة كتاب الجهاد: "فيه إشارة إلى أن نبينا محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان عارفاً بجميع الألسنة لشمول رسالته الثقلين على اختلاف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه"، إرشاد الساري، (179/5)، وهذه الإشارة بغض النظر عن قطعيتها، فإنها تؤكد مع الترجمة وأدلة أخرى أهمية تعلم اللغات المختلفة حتى يستطيع الداعية تحقيق مقصد عالمية الدعوة الإسلامية.

² - ينظر: أحمد بن عبد الفتاح زاوي، شمائل الرسول ﷺ، (د. ط)، (د. ت)، دار القمة، الإسكندرية، (350/1).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (130/5)، برقم: 4195، وأخرجه في كتاب الوضوء إشارة إلى بعد تشريعي يتعلق بالوضوء في الرواية، فقال: "باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ"، (52/1)، قال العيني: "أي هذا باب في بيان حكم من مضمض من أكل السويق ولم يتوضأ"، بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، (د، ط)، (د، ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (323/5).

⁴ - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (420/3).

وقد أبدع الإمام البخاري في التنبيه إلى ذلك فترجم على هذا الحديث بقوله: "باب حمل الزاد في الغزو وقول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: 196]"¹، قال العيني في تفسير الترجمة: "ولما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة واستصحبوا التقوى إليها."²

¹-رواه البخاري في صحيحه، (54/4).

²- العيني، عمدة القاري، (236/14).

ومن ثمّ تجدر الإشارة إلى أهميّة تفعيل التكامل في الفعل الدعوي، وأن إغفاله، أو عدم حسن تنزيله التنزيل الصحيح في المواقف الدعويّة المختلفة ينعكس سلبيًا على جودة العمل الدعوي.

2. توفير الماء للجند:

يعد توفير الماء من الضروريات التي تحفظ بها النفس، لذا حرص النبي ﷺ على توفيرها للمجاهدين، ومما ورد في ذلك حديث البراء بن عازب، «أهمهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفًا الحديبية ألفًا وأربع مائة أو أكثر، فنزلوا على بئر فنزحوها، فأتوا رسول الله ﷺ، فأتى البئر وقعد وقعد على شفيرها، ثم قال: «اثنوني بدلوا من مائها»، فأتي به، فبصق فدعا، ثم قال: «دعوها ساعة». فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا»¹.

وما قيل في حفظ النفس من خلال توفير الطعام يُعاد في توفير الماء، وإنما أوردت هذه الواقعة زيادة في البيان والتأكيد على أن العناية بحفظ النفس من خلال التزود بالماء والطعام مطردة في المغازي النبويّة.

ومن لطائف القصة الدقيقة، أن الأمر لم يتوقف عند الحرص على حفظ النفس بتوفير الطعام والشراب، بل تعدى إلى حفظ مركوبهم من الإبل وغيرها، كما تدل لفظة: "وركابهم"².

فسقي المراكب مقصد شرعي دعوي من جهتين: من جهة رعايّة الحيوان بتوفير حقوقه، من طعام وشراب، وراحة، وهذا بعد دعوي حضاري لم يسبق الإسلام إليه، فقد جاءت نصوص كثيرة كثيرة تدعو إلى هذا المقصد منها، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «أن رجلاً رأى كلبًا يأكل يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خُفَّهُ، فجعل يعرف له به حتى أرواه، فشكر الله له، فأدخله الجنة»³.

وأما الجهة الثانية فهي جهة المحافظة على وسائل الدّعوة وصيانتها ورعايتها، فالدّعوة كما تحفظ تحفظ بحفظ حملتها وقادتها تحفظ أيضًا من جهة المحافظة على وسائلها، وفي هذا المقام ألفت نظر القائمين على المؤسسات الدعويّة أن يراعوا وسائلها حق الرعايّة، وأن يحذروا من استغلالها لأغراض

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (122/5)، برقم: 4151.

² - ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري، (346/6).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، (45/1)، برقم: 173.

لأغراض شخصية، كما أدعو جميع المسلمين إلى المساهمة في حماية وترقية وسائل الدعوة، كالمساجد والمراكز والجمعيات الدعوية والقنوات الفضائية الدعوية وغيرها من الوسائل.

3. **العناية بالأسرى:** قد اعتنى الإسلام بالأسير بما يحفظ عليه نفسه من طعام وكسوة، ولا شك أن هذه العناية من الوسائل الدعوية التي من شأنها أن تستعطف نفوس الأسرى، لذا حث القرآن الكريم على إكرامهم فقال تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُمَا مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: 8]، كما أكرمهم النبي ﷺ، فمن مظاهر هذا الإكرام العناية بكسوتهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله الله عنهما، قال: لما كان يوم بدر أتى بأسارى، وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب، «فنظر النبي ﷺ له قميصا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه»¹.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله ميرزا منهج الإسلام في التعامل مع الأسرى: "وهناك نصوص توصي بتوصي برعاية الأسرى وإطعامهم، وتشرع القوانين الرحيمة في معاملتهم، وهذا ينطبق على جماهير جماهير الأسرى من الأتباع العامة"².

وإكرام الأسير من المظاهر الدالة على حرص الشرع على حفظ النفس البشرية، وإن كانت غير مسلمة، وهذا من مظاهر الرحمة التي اتسمت بها الدعوة الإسلامية، التي ظلت مصاحبة للمغازي على عهد رسول الله ﷺ؛ وقد أثمر ذلك نتائج دعوية باهرة ظهرت، بحصول إسلام أكثر أولئك الأسرى، وخرج من أصلابهم من المسلمين العدد الكبير الذي كان عدة للدعوة فيما بعد.

ثانيا: العناية بالرعاية الصحية

لا يزال الحديث موصولا بحفظ النفس، إضافة إلى الاهتمام بالإعاشة بتوفير الطعام والشراب للجنود والأسرى وحتى الدواب من الإبل وغيرها، كما سلف في العنصر السابق، فقد كانت الرعاية الصحية مصاحبة لجيش المسلمين وهو يخوض غمار المعارك؛ باعتبار أن التداوي من أعظم أسباب حفظ الصحة خاصة في الحروب، لكونها حالة استثنائية تتطلب مزيدا من الرعاية؛ لما يحصل فيها من مشقة وطوارئ صحية كالجراحات والرضوض والإصابات.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى، (60/4)، برقم: 3008.

² - محمد الغزالي، فقه السيرة، ص 243.

وسوف أركز الحديث في هذا العنصر على آليتين من الآليات الصحيّة المهمة كانتا بارزتين في المغازي النبويّة، وهما آليّة الوقاية وآليّة العلاج:

1. آليّة الوقاية الصحيّة في الغزوات: من مظاهر الوقاية الصحيّة في الغزوات حرص الرسول ﷺ على التيسير ورفع الحرج على أصحابه وتوفير الراحة لهم حفظاً لصحتهم، ويدل على ذلك أمور منها:

أ. **الرخص الشرعيّة:** الرخص الشرعيّة من مظاهر يسر وسماحة الشريعة الإسلاميّة التي من مقاصدها حفظ الصحة وبالتالي حفظ النفس، ولما كانت الغزوات غالباً ما تصاحبها مشقة؛ جراء طول سفر، والخوف من العدو نجد الرسول ﷺ يحرص على الأخذ بالرخص ويرغب فيها.

ومن الرخص رخصة قصر الصلاة، ورخصة صلاة الخوف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال: «قام النبي ﷺ، وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه وركع وركع ناس منهم معه، ثم سجد وسجدوا معه، ثم قام للثانيّة، فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم وأتت الطائفة الأخرى، فركعوا فركعوا وسجدوا معه، والناس كلهم في صلاة، ولكن يحرس بعضهم بعضاً».¹

وفي هذه الصلاة تتجلى حكمة التشريع الباهرة، التي تدعو إلى الإعجاب، إذ أنّها بهذه الكيفيّة تمنع العدو المتربص من انتهاز الفرصة السانحة في صلاة المسلمين لمباغتتهم بالهجوم، لأنّ قسماً منهم يصلون، بينما يكون القسم الآخر يحرص الجيش².

فقد مكنت هذه الرخصة المسلمين من المحافظة على مقصد حفظ الدين، ومقصد حفظ النفس: ومن الرخص أيضاً رخصة الفطر في رمضان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ، أَفْطَرَ، فَأَفْطَرَ النَّاسُ».³

وهذه الرخصة التي نفذها النبي ﷺ بنفسه، في هذه السفرة حتى يُقتدى به في ذلك من صميم مبدأ التخفيف والتيسير في العبادة؛ من أجل المحافظة على الصحة خاصة في حالات المرض والسفر والجهاد¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف، باب يحرس بعضهم بعضاً في صلاة الخوف، (14/2)، برقم: 944.

² - محمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، دار القلم، دمشق، ط1، 1419 هـ، 1998 م، ص114.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الخروج في رمضان، (49/4)، برقم: 2794.

وقد رُخص لكعب بن عجرة بالحلُق قبل التحلل من العمرة لما أصابه من حرج بسبب ما أصابه من قمل، فعنه رضي الله عنه قَالَ: أَنَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الْحَدِيثِيَّةِ، وَأَنَا أَوْقُدُ تَحْتَ بُرْمَةٍ، وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ وَالْقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَن رَأْسِي، فَقَالَ: «أَيُّوْذِيكَ هَوَامُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاخْلُقْ، وَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمِ سِتَّةً، أَوْ انْسُكْ نَسِيكَةً» قَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي بِأَيِّهِنَّ بَدَأُ².

فهذه الرخص في أبواب فقهية مختلفة تدل على أن النبي ﷺ كان مهتما بصحة الجيش، وبظروفهم الصحية، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية الناجح في مراعاته لظروف أتباعه ومدعويه.

ب. إباحة المحرم للضرورة الصحية: من مظاهر يسر الشريعة إباحة بعض المحظورات للضرورة الطبية، وهذا يندرج تحت قاعدة "الضرورات تبيح المحظورات"³، والضرورة هي بلوغ الحد الذي إذا لم يتناول معه الممنوع حصل الهلاك للمضطر أو قريب منه، كفقْد عضو أو حاسة من الحواس والأصل في هذه القاعدة ما ورد في القرآن الكريم من استثناء حالات الاضطرار الطارئة في ظروف استثنائية، كقول الله سبحانه و تعالى: ﴿بِمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 04]⁴.

¹ - ينظر: علي محمد الصَّلَافِي، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 1422 هـ، 2001 م، ص436.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الحلُق من الأذى، (125/7)، برقم: 5703، و قد تكررت الرواية في الصحيح في عدة مواطن منه بما يدل على ثرائها بالأبعاد الدعوية، فقد جاءت في: أبواب المحصر، باب قول الله تعالى: ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ [البقرة: 195]، وهي إطعام ستة مساكين، (10/3)، برقم: 1815، أبواب المحصر، باب: الإطعام في الفدية نصف صاع، (10/3)، برقم: 1816، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (123/5)، برقم: 4159، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَعِدَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَصَدَّقَ﴾ [البقرة: 195]، (27/6)، برقم: 4517، كتاب المرضى، باب قول المريض: " إني وجع، أو وا رأساه، أو اشتد بي الوجع، (119/7)، برقم: 5665، فقد استطاع الإمام البخاري أن يستنبط من هذه الرواية مسائل تتعلق بأبعاد دعوية كثيرة، منها التشريعية، كالترجمة بالقرآن لبيان مصدرته التشريعية، ببيان بعض أحكام الحج، وتخرجه في كتاب المرضى وهم صنف من المدعوين، والترجمة بقول المريض: "إني وجع.."، فيه إشارة إلى أسلوب القول الحسن، وتخرجه في كتاب الطب تحت ترجمة الحلُق من الأذى هو البعد الطبي المناسب لمقصد حفظ النفس بالرعاية الصحية الذي نحن بصدد.

⁴ - الزحيلي، قواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1427 هـ، 2006 م، (276/1).

ومن تطبيقات هذه القاعدة في الغزوات النبوية، ما رواه أنس رضي الله عنه: «أن عبد الرحمن بن عوف، بن عوف، والزبير شكوا إلى النبي ﷺ - يعني القمل - فأرخص هُما في الحرير، فرأيتُهُ عليهما في غزاة»¹

ففي هذا الحديث بعدان: أحدهما: فقهي، والآخر طبي، فأما الفقهي: فالحرير محرم على الرجال الرجال إلا الحاجة ومصلحة راجحة، كالحكة وكثرة القمل، وأما البعد الطبي: فهو أن الحرير مصدره حيواني طبيعي كثير الفوائد الطيبة والنفسية كتقوية القلب وتفريجه والنفع من كثير من أمراضه، ومن غلبة المرة السوداء والأدواء الحادثة عنها².

وهذه القاعدة قد استوعبها الصحابة، وعملوا بها في سراياهم، ففي الصحيح عن جابر رضي الله عنه، الله عنه، قال: غزونا جيشَ الحَبْطِ، وأمر أبو عبيدة فجُعنا جوعًا شديدًا، فألقى البحرُ حوتًا ميتًا لم نَرِ مثله، يُقالُ له العنبرُ، فأكلنا منه نصفَ شهرٍ، فأخذ أبو عبيدة عظمًا من عظامه، فمرَّ الرَّاكِبُ تحته فأخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرًا، يقولُ: قال أبو عبيدة: كُلُوا فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ دَكَّرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كُلُوا، رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ، أَطْعَمُونَا أَنْ كَانَ مَعَكُمْ» فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَكَلَهُ³.

فقد أكلوا هذا الحوت على سبيل الاضطرار لشدة المجاعة وخوفا من الهلكة، قبل علمهم بحل ميتة البحر، وقد دلت بعض طرق الحديث على ذلك، كما هي رواية مسلم، فقد جاء فيها: قال قال أبو عبيدة: "ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا"⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحرير في الحرب، (42/4)، برقم: 2920.

² - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (70/4).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر، وهم يتلقون عيرا لقريش، (166/5)، برقم: 4360، وقد كرر البخاري الحديث في كتب متعددة ووضع عليه تراجم منا سبة لمقصد حفظ الصحة، فقد خرجه في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، (173/3)، برقم: 2483، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الزاد على الرقاب، (55/4)، برقم: 2983، كتاب الذبائح والصيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِحْلَلْ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ [المائدة: 98]، (90/7)، برقم: 5493، فهي تراجم تتضمن آليات توفير الطعام الذي به قوام حفظ الصحة.

⁴ - ينظر: صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة ميتات البحر، (1535/3)، برقم:

ففي هذا الحديث يظهر فقه أبي عبيدة فقد خصص عموم تحريم الميتة بالاضطرار، حفاظا على نفوس أفراد السريّة، وقد أقره الرسول ﷺ على هذا الاجتهاد¹.

2. آليّة التداوي في الغزوات

بعد أن تبين من خلال الأمثلة والمواقف السابقة عناية النبي ﷺ بالوقاية في الغزوات، كآليّة لحفظ الصحة، ومن ثمّ حفظ النفس، أشرع في الحديث عن الآليّة الصحيّة الثانیة وهي آليّة التداوي في الغزوات من خلال عرض بعض الروايات التي تدل عليها. فقد دلت روايات المغازي في الصحيح على حضور التطبيب والتداوي كآليّة لحفظ صحة الجنّد، وقد كاد مجال التداوي أن يكون محصورا في إسعاف الجرحى ومداواتهم. ومما يدل على ذلك ما روته الربيع بنت معوذ، قالت: «كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة»².

فخروج المرأة الصحابیّة في الغزوات من أجل القيام بهذا الدور الطبي لدليل على عناية النبي ﷺ بالتداوي، وهو من أعظم أسباب حفظ النفس، وتمكين لها من ناحية أخرى أن تساهم في الجهاد من أجل نشر الدّعوة.

وفي هذا النص وغيره من النصوص تبرز بوضوح كامل قيمة المرأة في المجتمع المسلم، فإنها فيه عضو فعال، في تحمل مسؤوليّة الدّعوة إلى جنب أخيها الرجل منذ بدايّة الدّعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها³.

وتأكيدا لأهميّة آليّة التداوي في الغزوات فقد مارسه النبي ﷺ لما أصيب بجراح في غزوة أحد، فعن سهل بن سعد، وهو يسأل عن جرح رسول الله، قال: " أما والله إني لأعرف من كان يغسل

¹ - ينظر: أحمد بن علي أبو بكر الجصاص، الفصول في الأصول، وزارة الأوقاف الكويتيّة، ط2، 1414هـ، 1994م، (41/4)، مُجَدِّد بن الحسن الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1416هـ، 1995م، (165/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، (34/4)، برقم: 2882.

³ - ينظر: إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق، (د.ط)، (د.ت)، بالجامعة الإسلاميّة، المدينة، ص321.

يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء، وبما دووي، قال: كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ تغسله، وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن¹، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير، فأحرقتها وألصقتها، فاستمسك الدم، وكسرت رباعيته يومئذ، وجرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه.²

هذه الروايات تدل على العناية بالرعاية الصحية عن طريق الرعاية، كما تبرز مشاركة المرأة في الدعوة إلى جنب الرجل بما يتماشى مع طبيعتها وفق الضوابط الشرعية، " وعلى هذا فللمرأة مهمة مهمة سامية في الجهاد، ولكن هذه المهمة منحصرة في نطاق ضيق جداً، وإنها لمهمة ملائمة لطبيعة المرأة الجسمية والنفسية.³

ثالثاً: المحافظة على الأرواح

إن فضيلة الشهادة في سبيل الله لا تعني المخاطرة بالأنفس، بل كان النبي ﷺ يحرص على حياة الصحابة، لأنهم حملة الدعوة، كما يحرص على إسلام أو استسلام المحاربين لأنهم هم جمهور المدعوين المرتقبين.⁴

فالداعية يحرص أكثر من غيره على المحافظة على الأرواح لأنهم هم رأس مال الدعوة، وهناك مظاهر وشواهد من الغزوات النبوية تدل على ذلك منها:

1. **تحاشي الاصطدام مع العدو قدر الإمكان:** أن تمني عدم لقاء العدو وتجنب الاصطدام معه أهم وسائل حفظ الأرواح من الطرفين، وهذا ما كان يحرص عليه النبي ﷺ في جميع غزواته وسراياه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا»⁵، قال النووي تعقياً على الحديث: " وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العاقبة وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة"⁶.

¹ - المجن: هو الترس، لأنه يوارى حامله: أي يستره، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (308/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، (101/5)، برقم: 3845.

³ - نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص294.

⁴ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إل مناهج الدعوة، ص143.

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، (63/4)، برقم: 3026.

⁶ - النووي، شرح مسلم، (46/12).

ويتأكد تحاشي الاصطدام إذا كان لا ينسجم مع الهدف من الغزوة، وأوضح مثال على ذلك غزوة الحديبية، فقد "قرر الرسول ﷺ منذ مغادرته المدينة ألا يحارب قريشا، بل يبذل كل جهده لالتفاهم معها، إلا إذا لم يجد مناصا من القتال ووضع هذا الهدف نصب عينيه دائما"¹. فالهدف كان أداء العمرة والحالة حالة إحرام فمن المصلحة تجنب لقاء العدو، فعن أبي قتادة، قال: انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحديبية، فأحرم أصحابه ولم أحرم².

ومن ذلك تحاشيه للصدام في غزوة ذي قرد³، فعن سلمة بن الأكوع، قال: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذبي قرد، قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ، قلت: من أخذها؟ قال: غطفان، قال: فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه، قال فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم، وقد أخذوا يستقون من الماء، فجعلت أرميهم ببلي، وكنت راميا، وأقول

أنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع

وأرتجز، حتى استنقذت اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة، قال: وجاء النبي ﷺ والناس، والناس، فقلت: يا نبي الله، قد حميت القوم الماء وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة، فقال: «يا ابن ابن الأكوع، ملكت فأسجح»، قال: ثم رجعنا ويردني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة⁴.

قال ابن الملقن في شرح عبارة " ملكت فأسجح ": " لا تبالغ في المطالبة، فربما عادت عليك كبيرة من حيث لا تظن، فبعد أن ظفرت يظفر بك، قال ذلك ﷺ لهم حضاً لهم ورجاء توبة منهم منهم وإنابة ودخولهم في الإسلام."⁵

¹ - محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص 280.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (122/5).

³ - كانت غزوة ذي قرد في ربيع الأول سنة ست قبل صلح الحديبية وقيل في جمادى الأولى، وهي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بعد الحديبية، وقبل خيبر، وهي حركة مطاردة ضد فصيلة من بني فزارة قامت بعمل القرصنة في لقاء رسول الله ﷺ، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (460/7)، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 331.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذي قرد، (130/5)، برقم: 4194.

⁵ - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (252/18).

فالحديث يشير إلى استحباب عدم لقاء العدو لما فيه من مقاصد دعوية، من حفظ نفوس المسلمين، ورجاء الاستجابة للدعوة من قبل غير المسلمين، منهم أو مما يخرج من أصلابهم. والحقيقة أن المتأمل بدقة في استراتيجية "تحاشي الاصطدام"، يدرك أنها قاعدة دعوية عظيمة ذات بعد استشرافي عميق؛ لما فيها من المحافظة على الطاقات البشرية للدعوة الإسلامية سواء من المستجيبين أو من الدعاة المرتقبين.

ولم تكن وليدة العهد النبوي، فحسب بل تكونت نواتها في العهد المكي، فبالرغم من الأذى التي التي تعرض لها النبي ﷺ إلا أنه لم يكن يوماً ما يتمنى لهم الإبادة، فلما آذاه أهل الطائف وهو في الطريق إلى مكة ناداه ملك الجبال وسلم عليه ثم قال: يا مُحَمَّدُ، ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتِ، إِنَّ شِئْتِ شِئْتِ

إِنْ أَطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »¹.

وقد آتت هذه القاعدة أكلها، فقد فتحت مكة، وأصبحت دار إسلام، وأسلم أهلها، وانضموا إلى الدعوة وأصبحوا من أهلها المدافعين عنها المجاهدين في سبيلها، وقد حملت ذريتهم من بعدهم لواء الفتوحات الإسلامية.

ولم يكن ذلك ليحصل لولا هذا البعد الاستراتيجي، فالداعية الناجح هو الذي يفكر ويخطط لمستقبل الدعوة.

2. الإعداد الجيد للغزوات: وقصد المحافظة على الأرواح كان النبي ﷺ يعد للغزوة إعداد متكاملًا تتجلى فيه عبقريته العسكرية، من جميع الجوانب المادية والمعنوية والروحية، ذلك أن التقصير في الإعداد قد يكون سببًا في خسارة أرواح كثيرة في صفوف المسلمين، وقد اتخذ الإعداد صور ومظاهر مختلفة نجملها فيما يلي:

أ. تقوية المعنويات:

لقد ظل النبي ﷺ يعمل على تقوية معنويات المقاتلين في سبيل الله طوال فترة غزواته، فيعدهم بمضاعفة الأجر ونيل أعظم الثواب، ويذكرهم بما أعد الله من النعيم للشهداء في الجنة، وهذا من شأنه أن يزهّد المؤمن في الدنيا ونعيمها الفاني، ويرغبه في ثواب الآخرة ونعيم الجنة الباقي، ولكثرة النصوص الواردة في فضل الشهادة ومنزلة الشهداء، فإني سأكتفي بذكر شواهد منها من مرويات المغازي الواردة في الصحيح.

فقد بشر النبي ﷺ بعض من استشهد من أصحابه بالفردوس وهو أعلى الجنة، عن أنس: أن أمّ أمّ حارثة أتت رسول الله ﷺ، وقد هلك حارثه يوم بدر، أصابه غزب سهم، فقالت: يا رسول الله، قد علمت موقع حارثه من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا سوف ترى ما ما أصنع؟ فقال لها: «هبلت، أجنة واحدة هي؟ أمها جنان كثيرة، وأنه في الفردوس الأعلى»².

قال ابن حجر: "وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس"³

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداها الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، (115/4)، برقم: 3231.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (114/8)، برقم: 6567.

³ - ابن حجر، فتح الباري، (13/6).

وهذا الفضل الذي بُشر به الشهداء كان له الأثر العظيم في الفعالية القتالية في المغازي، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ أَنْ قُتِلْتُ فَأَيَّنَ أَنَا؟ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ»¹.

فالحديث كما يدل على أثر الترغيب، فهو يدل أيضا على صدق الصحابة ﷺ وصدق إيمانهم وصدق إيمانهم فيدعون ما بأيديهم من الطعام ويتركونه ويتقدمون إلى الجهاد في سبيل الله ثم يقتلون يقتلون فيلقون الله عز وجل راضين عنه وهذا لا شك من فضائلهم لا يلحقهم بعدهم أحد فيها². فالرغبة فيما عند الله قد عملت عملها وفعلت فعلتها في هذا الصحابي الجليل، فالشوق إلى الجنة منعه من إكمال أكل تمراته، وفي ذلك إشارة قوية إلى الزهد في الدنيا، إنهم قوم طلبوا الموت فوهبت لهم الحياة، وأي حياة؟

وما يدل أيضا على الأثر الدعوي الفعال للرغبة في الجنة، ما حدث به أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرِ، فَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، لَعِنَ أَشْهَدَنِي اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرَيْنَ اللَّهُ مَا أُحِدُّ، فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَهَزَمَ النَّاسُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أِنِّي أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ» فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، أِنِّي أُحِدُّ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى فُقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفْتَهُ أُحْتَهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِنَانِهِ، وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ³.

وقد بلغ أثر الترغيب في الجنة مبلغا عظيما في تقوية المعنويات، فلم يقف عند التأثير الذاتي، بل أصبح الصحابة ﷺ بدورهم دعاة إلى الشهادة رغبة في الجنة، ففي بعض طرق الحديث السابق أن الحديث السابق أن أنس بن النضر، انتهى إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (77/5)، برقم: 4046.

² - محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، (د. ط)، 1426 هـ، (36/5).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (95/5)، برقم: 4048.

⁴ - ابن هشام، السيرة النبوية، (83/2).

فهذه نماذج من البطولات التي شهدتها الغزوات في مواطن مختلفة كان سببها، ودافعها الرغبة فيما عند الله، ومن هنا تظهر أهمية تقوية المعنويات بالترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا في شحذ الفعالية الدعوية.

ب. إعداد القوة المادية

بالتوازي مع تقوية معنويات الجيش، فقد اهتم النبي ﷺ بالإعداد المادي، من حشد الرجال وإعداد آلات الحرب ووسائل القتال، وتحصين الحدود والثغور والأماكن الواهنة تجاه العدو، وتهيئة القوة الكاملة فيها لحمايتها، فقد جاءت روايات المغازي في الصحيح شاهدة لهذا الإعداد الذي تعددت وتنوعت أشكاله، وفيما يلي نماذج منها:

فمن مظاهر الإعداد المادي تنظيم الحراسة لصد غارات العدو، وقد اهتم بذلك النبي ﷺ منذ مقدمه المدينة؛ حرصاً منه على حفظ أرواح رجاله، فعن عائشة رضي الله عنها، تقول: كان النبي ﷺ سهر، فلما قدم المدينة، قال: «لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَاحِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»، فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ.¹

وهذا الحديث وإن كان في حراسة النبي ﷺ خاصة، إلا أنه يعم جميع أنواع الحراسة في الغزو، وهو ما يشير إليه البخاري في ترجمته على الحديث بقوله: "باب الحراسة في الغزو في سبيل الله"² ولأهميتها فقد رغب فيها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة منها، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال:

«تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ، أَنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشْ¹، طُوبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَّتْ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةً قَدَمَاهُ، أَنْ كَانَ

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، (34/4)، برقم: 2885، كتاب التمني، باب قوله ﷺ: «ليت كذا وكذا»، (83/9)، برقم: 7231، إضافة إلى دلالة الحديث الأصلية على الحراسة في العدو فإن البخاري استنبط من الحديث فائدة دعوية تتعلق بحسن اختيار الالفاظ الرقيقة في مخاطبة المدعو، باستعمال التمني في سياق الأمر.

² - رواه البخاري في صحيحه، (34/4).

¹ - معنى هذه العبارة: أنه "إذا دخلت فيه شوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش وهو معنى قوله فلا انتقش ويحتمل أن يريد لم يقدر الطبيب أن يخرجها وفيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة وسوغ الدعاء عليه كونه قصر عمله على جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات"، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (255/11).

فِي الْحِرَاسَةِ، كَانَفِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ¹، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ².

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «رِبَاطٌ³ يَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعٌ سَوِّطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْعَدُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»⁴

وأصبح بعد ذلك أمر تنظيم الحراسة مطردا في جميع غزواته، بشكل منظم محكم كما هو الحال في الحال في الحراسة أثناء أداء صلاة الخوف⁵ في الغزوات، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قام النبي صلى الله عليه وسلم، وقام الناس معه، فكبر وكبروا معه وركع وركع ناس منهم معه، ثم سجد وسجدوا وسجدوا معه، ثم قام للثانية، فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم وأتت الطائفة الأخرى، فركعوا وركعوا وسجدوا معه، والناس كلهم في صلاة، ولكن يحرس بعضهم بعضا»⁶

وأما اتخاذ أسباب القوة المادية المتعلقة بالجيش والعتاد، وآلات الحرب والتدابير الحربية، فأمر ظاهر في مرويات الغزوات؛ ولضيق المقام سأكتفي بذكر نماذج منها من خلال الصحيح. وأولى ما يُذكر في هذا السياق حفر الخندق، فقد كان من أسباب صد إبادة جماعية للدعوة قادة وأتباعا، وهي مشورة سلمانية استفادها من الخطط العسكرية الفارسية، فعن أنس رضي الله عنه، قال: "جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متوئهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا مُجَدَّا ... على الإسلام ما بقينا أبدا

¹ - الساقية: "جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه"، ابن الأثير، النهاية، (224/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، (34/4)، برقم: 2886.

³ - الرباط: المرابطة هي لزوم الثغر، الذي قد يتسلل منه العدو، وهو من الحراسة، ينظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، ت، علي مُجَدِّ البجاوي، دار المعرفة، لبنان ط2، (د.ت)، (255/3).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، (35/4)، برقم: 2892.

⁵ - وفي صلاة الخوف في الغزوات مقاصد دعوية عظيمة، قال ابن القيم: "المقصود الاجتماع في صلاة الخوف فقصده اجتماع المسلمين وإظهار طاعتهم وتعظيم شعار دينهم ولا سيما حيث كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فكأن المقصود أنّ يظهرها للعدو طاعة المسلمين له وتعظيمهم لشأنه حتى أنهم في حال الخوف الذي لا يبقى أحد مع أحد يتبعونه ولا يتفرقون عنه ولا يفارقونه بحال... ومعلوم أنّ عذر الحرب ومواقفة الكفار أعظم من هذا كله ومع هذا فأقيم شعارها في تلك الحال فدل على أنّ المقصود ما ذكرنا"، ينظر: مُجَدِّ بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د.ت)، (160/3).

⁶ - رواه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف، باب يحرس بعضهم بعضا في صلاة الخوف، (14/2)، برقم: 944.

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول:

«اللَّهُمَّ أَنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ ... فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ»¹.

كما كان النبي ﷺ يحث على التدريب على الرمي إعداداً للرماة، ورفعاً للجاهزية القتالية، وربما كان يشاركهم في ذلك زيادة في فعالية التدريب، فعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنْ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ؟»، قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَإِنَّا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»².

فالحديث دلالة واضحة على اهتمام النبي ﷺ بإعداد، وتدريب المقاتلين، وهو فرع من إعداد الدعاة، وترغيبهم في ذلك باستعمال أسلوب القصة بذكر قصة إسماعيل عليه السلام، كما تضمن تضمن أبعاد دعوية أخرى، كالإشارة إلى أدب الصحابة ﷺ وملاطفة النبي ﷺ لأصحابه، لأصحابه، وحرصه على تطيب خاطرهم جميعاً³.

وإضافة إلى العناية بالرمية، فقد اهتم النبي ﷺ بالفروسيّة، بإعداد الدواب خاصة الخيل، والإبل باعتبارها أهم وسائل الجهاد والغزو، وحث على النفقة في سبيل الله في هذا المجال، فعن أبي هريرة هريرة هريرة هريرة، يقول: قال النبي ﷺ: «مَنْ اخْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنْ بُوْعِدَهُ، فَإِنْ شَبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْتَهُ وَنَوَلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁴.

فالحديث النبوي يرغب في الوقف الدعوي الخيري، باعتبار أن الخيل من أعظم وسائل الدعوة زمن زمن رسول الله ﷺ ف"من أوقف فرساً للجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته لكي يحارب عليه الغزاة، ابتغاء لوجه الله تعالى، وتصديقاً بوعده الذي وعد به، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا وَمَا تَنْهَفُوا مِنْ خَيْرٍ يَوْفَ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 271]، فإن الله يثيبه عن كل ما يأكله أو يشربه أو يخرججه يخرججه من بول أو روث حتى يضعه له في كفة حسناته يوم القيامة"⁵.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لبس البيضة، (25/4)، برقم: 2835.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، (38/4)، برقم: 2899.

³ - ينظر: أحمد بن عبد الفتاح زاوي، شمائل الرسول ﷺ، (295/2).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً في سبيل الله، (28/4)، برقم: 2853.

⁵ - حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، (99/4).

ولا شك أن وقف الخيل في سبيل الله يُلحق به جميع الأوقاف المتعلقة بوسائل الدّعوة المتجددة عبر العصور، وأن ذلك من أعظم أبواب الخير والنفع لصاحبها وللدعوة الإسلاميّة.

ولم يكتف النبي ﷺ بالحراسة والرمي والفروسيّة، بل كان يولي الخطط الحربيّة الماديّة عناية كبيرة، فقد كان يوظف استراتيجيات الحرب المختلفة، كالاستعلام على العدو للحصول على معلومات تتعلق به، إذ كان يبعث من يأتيه بخبرهم، ويختار الرجل المناسب لهذه المهمة الدقيقة الحساسة، فعن جابر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ؟» قَالَ الرَّبِيعُ: قَالَ الرَّبِيعُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟»، قَالَ الرَّبِيعُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الرَّبِيعُ»¹.

فهذه روايات من المغازي النبويّة تدل على حرص النبي ﷺ على كل الإعدادات المعنويّة والماديّة والماديّة بكل أشكالها التي تستهدف تأمين السلم والاستقرار، للحفاظ على أرواح أتباعه، وإرهاب وإرهاب العدو، ولتكون لدى المسلمين قوة ضاربة، تصد من تسول له نفسه المساس بأرواح المسلمين².

3. تغليب السلم والصلح: مع الحرص على تجنب الاصطدام مع العدو، وإعداد العدة اللازمة تحسباً للقائه، فإذا حصل لقاء العدو، قد يلجأ النبي ﷺ إلى السلم والصلح، بحسب ما تقتضيه مصلحة الدّعوة في مرحلة الغزوة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المبدأ، في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 62].

والجنوح إلى السلم هو الميل إلى ترك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح³.

وقد نفذ رسول الله ﷺ هذا المبدأ الإنساني العظيم حفظاً لأرواح البشريّة، مبرزا للبعد السلمي السلمي للغزوات في مواطن منها، يقول الخبير العسكري مُجدّ شيت خطاب، "ولست أعلم مبدأ مبدأ ساميا غير الإسلام يميز الموافقة على إقرار السلام فوراً دون قيد أو شرط بمجرد إقدام العدو العدو على طلب إقراره مهما تكن الظروف والأحوال"⁴.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، (27/4)، برقم: 2846.

² - محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص 48.

³ - ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (40/14).

⁴ - محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص 14.

فكان من هدي النبي ﷺ في غزواته اختيار أنسب السبل التي تمكن من حقن الدماء ووقف القتال، إلا إذا اقتضت المصلحة غير ذلك، كاختلاف الموقف مع اليهود، الذي بيّنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بقوله: حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجَلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ،

حَتَّى حَارَبَتْ قَرِيظَةَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ حَقُّوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجَلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ»¹

ويعلل ابن القيم هذا التباين في الموقف تجاه اليهود بقوله: "وأما قريظة، فكانت أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ، وأغلظهم كفراً، ولذلك جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم."² وقد جنح إلى الصلح وعدم المواجهة يوم الحديبية، وقبل بنود عقد الصلح التي تبدو في الظاهر مجحفة في حق المسلمين³، حرصاً على الأمن والسلم الذي يحقق حفظ النفوس، ويخدم الدعوة في هذه المرحلة، لذا سماه القرآن فتحاً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: 01]، قال: الحديبية، قال، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ بَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 05]⁴.

وقد كان لهذا الموقف أثر دعوي عظيم، يقول عبد الكريم زيدان: "توفر للدعوة الإسلامية الجو الهادئ بعد صلح الحديبية، دخل في الإسلام مثل من كان في الإسلام قبل ذلك الصلح أو أكثر."⁵

وغير بعيد عن صلح الحديبية؛ فقد كف النبي ﷺ عن قتل يهود خيبر بعد استسلامهم، وأكثر من ذلك أبقاهم على الأرض بعقد المزارعة والمساقاة، فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: «أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ الْيَهُودَ، أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا»⁶.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، وخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ، (88/5).

² - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (117/3).

³ - كان أهم بنود صلح الحديبية: عدم دخول مكة والرجوع إليها في العام المقبل، وتعهد قريش عدم التعرض لهم، وضع الجرب بين الطرفين عشر سنين، من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، رد كل من هرب إلى المسلمين، وعدم رد من هرب من المسلمين إلى قريش، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، (318/2).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (125/5).

⁵ - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص 460.

⁶ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر، (140/5)، برقم: 4248.

وفي هذا الصلح مصلحة للدعوة بتوفير مورد اقتصادي من عائدات عقد المزارعة والمساقاة الذي الذي يستفاد منه في التمويل الدعوي، وفيه حفظ نفوس المعاهدين¹.

أما يوم الفتح فقد كان الميدان الأكبر للسلم والعمو وحقن الدماء وتعظيم الحرمات، وقد أكد ذلك رسول الله ﷺ صراحة في معرض رده على بعض مقولات أصحابه، فعند البخاري أن سعد بن عبادة لقي أبا سفيان، يوم الفتح، فقال له اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: «ما قال؟» قال: كذا وكذا، فقال: «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»².

فقد خطأ ﷺ سعد؛ لما تصور أن يوم الفتح يوم ملحمة، والملحمة هي القتال الشديد والوقعة العظيمة بالعدو، وبين المقصد السلمي للفتح وهو تعظيم الكعبة، بإظهار الإسلام وبالأذان على ظهرها وإزالة ما كان فيها وحوها من الأصنام، وكسوتها؛ إذ كانت تكسى في مثل هذا اليوم³.

وقد طمأن النبي ﷺ كل من جنح إلى السلم وترك قتال المسلمين، فعند أبي داود عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب، فأسلم بمر الظهران، فقال له العباس: يا رسول الله، أن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فلو جعلت له شيئاً، قال: "نعم، من دخل دار أبي سفيان، فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن"⁴ فهذه مواقف من غزوات شتى غلب فيها النبي ﷺ السلم على القتال مع قدرته عليه، لما فيه من حقن الدماء واستتباب الأمن؛ وهذا من شأنه أن يوفر مناخاً ملائماً لنشر وتبليغ الدعوة وإيصالها للإنسانية.

وفي ختام هذا المطلب أكون قد بينت مدى عناية النبي ﷺ بحفظ كليات الشريعة الضرورية التي عليها مدار صلاح البشرية في عاجلها وآجلها في العمل الدعوي في ميدان الغزوات.

¹ - ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (328/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ (146/5)، برقم: 4287.

³ - ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص280، القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (391/6).

⁴ - رواه أبوداود في سننه، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خبر مكة، (632/4)، برقم: 3021، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، (1405/3)، برقم: 1780، وآثرت رواية أبي داود للقصر.

غير أنني قَصَرْتُ الحديث عن كليتين أساسيتين: هما كَلِيَّةُ حفظ الدين وكَلِيَّةُ حفظ النفس؛ لكونهما الأكثر حضوراً في ميدان الغزوات، ولأن الكليات الثلاثة المتبقية فرع عن كَلِيَّةِ النفس، كما كما بينته أثناء البحث.

ورعايتهما والعناية بهما من صميم العمل الدعوي، فحفظ الدين هو حفظ لركن موضوع الدعوة الذي هو الإسلام، وحفظ النفس هو حفظ لأركان الدعوة البشرية المباشرة؛ المتمثلة في الداعية والمدعو، وأما المناهج والوسائل والأساليب الدعوية، فهي تنفرع عن الأركان البشرية باعتبار الصدور، وتستمد مشروعيتها من الإسلام من خلال مصادره.

وبالتالي فإن حفظ الضروريات حفظ لأركان العمل الدعوي، وأن أيّ إخلال أو قصور في تفعيلها واستحضارها يُخلُّ بالجودة والفعالية الدعوية، ومن هنا ندرك سر حضور الكليات في الغزوات باعتبارها جزء من الدعوة النبوية.

المطلب الثاني: الأبعاد المتعلقة ببيان محاسن وخصائص الدعوة الإسلامية

لقد تبين فيما سبق أن القتال في الغزوات لا يُشرع فيه إلا بعد عرض الإسلام وتبليغه، وإذا أبي العدو الاستجابة بالدخول في الإسلام، ولم ينجح إلى السلم، حينها يتعين قتاله، غير أن ميدان المعركة في حد ذاته ميدانا دعويا تمارس فيه الدعوة بجميع مستوياتها التبليغية والتعليمية والتطبيقية، وعلى الصعيدين الداخلي والخارجي.

فما الغزوة على عهد رسول الله ﷺ إلا قافلة دعوية متحركة تحافظ على نفس مميزات وخصائص الدعوة الحضريّة، فكما حرصت على المحافظة على الأبعاد العقديّة والتشريعيّة، فهي تحرص على إبراز محاسن وخصائص هذا الدين، باعتبارها جوانب تحسينيّة ذات جاذبيّة دعويّة قويّة لغير المسلمين.

فما أهم خصائص الدعوة الإسلاميّة ومميزاتها العامة التي سعى النبي ﷺ لإبرازها في الغزوات وما آثراها الدعويّة؟

وسأجيب على هذا التساؤل الملح من خلال الفروع التاليّة:

الفرع الأول: الأبعاد المتعلقة بخاصيّة العموم

لقد تقرر في نصوص الكتاب العزيز، والسنة الشريفة أن من خصائص الدعوة الإسلاميّة العامة خاصيّة العموم المطلق الذي لا يحده جنس، ولا لون ولا عرق، ولا يحجمه المكان، ولا الزمان، لقوله جلا في علاه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: 159]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

قال ابن عاشور في بيان عموم الرسالة المطلق: "وأفاد تركيب وما أرسلناك إلا كافة للناس قصر قصر حالة عموم الرسالة على كاف الخطاب في قوله: أرسلناك وهو قصر إضافي، أي دون تخصيص إرسالك بأهل مكة أو بالعرب أو بمن يجيئك يطلب الإيمان والإرشاد"¹.

وهذا العموم انفردت به الدعوة من دون الدعوات الدينيّة، ويشهد لذلك ما رواه جابر بن عبد الله الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيْتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةً

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (199/22).

شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَائِمُ
وَمَا تَحِلَّ لِأَخِي قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»¹.

قال الطحاوي: "وكونه ﷺ مبعوثا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأما قول
قول بعض النصارى أنه رسول إلى العرب خاصة، فظاهر البطلان... فقد أرسل رسله وبعث كتبه
كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى
الإسلام"².

ولأهمية هذه الخاصية من خصائص الدعوة الإسلامية فقد حرص النبي ﷺ على إبرازها في
الغزوات، كما تبينه العناصر التالية:

أولا: عموم الدعوة لجميع الأمم

إن المتتبع لمرويات المغازي في الصحيح، ولحركة الغزوات التي تعد من ميادين الدعوة، ونشر
الرسالة، يجدها قد استهدفت كل أمم الأرض؛ العرب والأمم المجاورة لهم من اليهود والفرس، الروم
الروم وغيرهم، وكان عرض الإسلام والدعوة إليه يسبق القتال كما مر، ولا يُعزى قوم إلا بعد بلوغ
بلوغ الدعوة، وإذا أسلموا كُفَّ عن قتالهم، فعن أنس رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا
إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغَزَّ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَعَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ، فَتَنَزَّلْنَا
خَيْبَرَ لَيْلًا»³.

وقد أشار الإمام البخاري في صحيحه إلى عموم الدعوة لكل الأمم من خلال بعض تراجم
كتاب "الجهاد والسير"، من الصحيح، ومن هذه التراجم: قوله: "باب دعوة اليهود والنصارى،

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب وقول الله تعالى: ﴿لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 07]، (74/1)،
برقم: 335، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»، (95/1)، برقم: 438، كتاب
فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم»، (85/4)، برقم: 3122، وهذه التراجم البخارية على هذا
الحديث قد أشارت إلى أبعاد دعوية كثيرة، ذات صلة بموضوع البحث، من أصول التشريع وفروعه، وموضوع الغنائم الذي هو
من خصوصيات المغازي، وبعض خصوصيات الدعوة التي امتازت بها عن الأمم الأخرى، وغيرها من الأبعاد، فضلا
عن دلالة على علمية الرسالة الذي نحن بصدد بيانه.

² - ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ت: جماعة من العلماء، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 1،
1426هـ، 2005م، ص 167.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعوة النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، برقم: (47/4)، برقم:
2943.

وعلى ما يقاتلون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى، وقيصر، والدعوة قبل القتال"، ومنها قوله: "باب ما قيل في قتال الروم"، "باب قتال اليهود"، "باب قتال الترك"، "باب قتال الذين ينتعلون¹ الشعر"²، ثم سرد بعد كل ترجمة أحاديث مناسبة لها.

ثم و إن هذه التراجم وما اندرج تحتها من مرويات لتدل على عموم الدعوة الإسلامية لكل البشرية، فلم يدخر النبي ﷺ جهداً في إيصال الدعوة لكل الأمم والأجناس، انطلاقاً من العرب، ومن جاورهم من اليهود والروم، وهذا بين من خلال حركة الدعوة والغزوات التي لم تكن إلا امتداداً لها وفرعاً عنها.

فقد كان تنوع الاستجابة الدعوية في الغزو وغيره من دلائل عموم الشريعة وشمولها لجميع الأمم، الأمم، فكان من الروم صهيب ومن الحبشة بلال ومن الفرس سلمان ومن اليهود عبد الله بن سلام سلام وصفية بنت حبي أم المؤمنين التي أسلمت في غزوة خيبر³.
فقد تأكد بالفعل أن الدعوة الإسلامية مفتوحة لكل الأمم من شتى طوائف البشر، داعية إياهم إلى اتباعها، فأصبح ذلك معلوماً بالضرورة من الدين.⁴

وهذه القاعدة الدعوية العظيمة قد استوعبها المسلمون، فأصبحت من صميم عقيدتهم الراسخة الراسخة منذ جيل الصحابة الذي واصل مسيرة الفتوحات من حيث انتهت بوفاة النبي ﷺ، وورثوها لمن جاء من بعدهم توريثاً دعويًا عظيمًا ظهرت آثاره بادية في نشر الدعوة عن طريق حركة حركة الفتوح، التي لا تتوقف، فعن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَنْزُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ عِزِّ يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»، وكان تميم الداري، يقول: "قد عرفت ذلك في بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية"⁵.

¹ - وهم قوم غير الترك كما رجح ذلك ابن حجر في الفتح، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (104/6).

² - رواه البخاري في صحيحه، (42، 43، 45 / 4).

³ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (135/5)، برقم: 4212.

⁴ - ينظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (259/3)، السيد سليمان الندوي، الرسالة المحمدية، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1423 هـ، ص130.

⁵ - رواه أحمد في مسنده، (154/28)، برقم: 16957، قال الهيثمي: "ورجال أحمد رجال الصحيح"، الهيثمي، مجمع الزوائد، (114/6).

وهذا ما يحتم على الدعاة توسيع نطاق الدعوة لا سيما في هذا الزمان الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام وتكنولوجيات الاتصال، فهي من الفتوحات الدعوية التي ينبغي أن تفعل بجودة عالية لتحقيق عالميّة، وعموم الدعوة الإسلاميّة، بمختلف لغات العالم.

ثانيا: عموم الدعوة لجميع الفئات

إن من معايير جودة الميدان الدعوي أن تتنوع فيه فئات المدعوين، فيعمُّ أكبر قدر ممكن من الفئات ولا يُقصر العمل الدعوي فيه على فئة بعينها، وهذا الذي يُلاحظ في ميدان الغزوات، فالدعوة فيها لم تُقصر على الفئات الأصليّة من المقاتلين، والمقاتلين، بل تعدت إلى فئات أخرى بالتبع.

وقد عثرت على مواقف دعويّة كثيرة من خلال مرويات المغازي في الصحيح، تبرز هذا التعدد والعموم الاستهدافي لفئات المدعوين.

فرغم أن ميدان الغزوات ميدان خاص بالرجال غير أن المرأة لم تغب عنه، كمشاركة في الغزو لممارسة التمريض والإغاثة، فعن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَسْقِي الْقَوْمَ، وَنَحْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ»¹.

فالمرأة؛ وإن كان الجهاد لا يجب عليها إلا أنها لم تُحرم من الخروج في الغزوات؛ لنيل الفضل والشرف في خدمة الدعوة، من خلال تقديم خدمات تناسب طبيعتها للمجاهدين، كمداداة الجرحى وإعداد الطعام².

ومن المواقف الدعويّة المتعلقة بالمرأة إكرام السبيات، فبسبب إكرامهن من قبل المسلمين، تحولن تحولن عن الكفر في وقت قياسي، فرما كان إسلامهن في ظروف المعركة أو غير بعيد عنها، فقد فقد أسلمت جويرة بنت الحارث في غزوة بني المصطلق، وصفية بنت حيي، وكانت من سبي خيبر، فقد أعتقهنَّ ﷺ وتزوجهنَّ بعد ذلك³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب رد النساء الجرحى والقنلى إلى المدينة، (34/4)، برقم: 2883، وقد كرره في كتاب الطب إشارة إلى بعد مقاصدي في الرواية وترجم له بقوله: "باب هل يداوي الرجل المرأة أو المرأة الرجل"، (122/7).

² - ينظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص 127.

³ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (135/5)، برقم: 4212.

فحسن خلق النبي ﷺ وأصحابه مع السبيات كان ظاهراً لا يخفى، فإكرام المرأة والإحسان إليها الذي ظل شعاراً من شعارات الدعوة الإسلامية منذ انطلاقتها، وسيستمر في كل الميادين إلى قيام الساعة ما تمسك المسلمون بخصائص هذه الدعوة.

ومن عجيب إكرام النبي ﷺ للمرأة أنه نهى عن قتلها في الحرب، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي¹ رسول الله ﷺ، «فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»².

ومن هذا الموقف الدعوي الحضاري يعلن النبي ﷺ إعادة الاعتبار للمرأة باعتبارها إنساناً مكرماً قد سُلبت منها كرامتها بأبشع، وأفظع الصور في الجاهلية؛ إذ كانت تدفن وهي حيّة، قال الله سبحانه و تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: 58-59].

يقول سيد قطب رحمه الله تعليقا على هذا السلوك الجاهلي البشع: "وقد كان من هوان النفس النفس الإنسانية في الجاهلية أن انتشرت عادة وأد البنات خوف العار أو خوف الفقر، وحكى القرآن عن هذه العادة ما يسجل هذه الشناعة على الجاهلية، التي جاء الإسلام ليرفع العرب من وهدتها، ويرفع البشرية كلها"³.

ومن استهدف بالدعوة في الغزوات الصبيان فقد نهى النبي ﷺ عن قتلهم في الحديث السابق، فالغزوات لم يكن هدفها في يوم من الأيام سفك الدماء والإبادة الجماعية، بل كانت أهدافها دعوية خالصة.

ومن هذا المنطلق فلم تكن تقاتل إلا من صدها عن تبليغ الدعوة الإسلامية لإنقاذ البشرية من الكفر والضلال، وإخراجها من الظلمات إلى النور، فهي دعوة رحمة وخير للإنسانية بأسرها؛ بل للإنس والجن، ألم يقل الله سبحانه وتعالى عن صاحبها ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 106]؟ وما كانت دعوة الرحمة أن تقتل الصبيان انتقاماً من آبائهم.

¹ - ورد في بعض الروايات أنها غزوة حنين، ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد الحديثين في نقد روايات السيرة النبوية، (503/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، (61/4)، برقم: 2851.

³ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (3839 /2).

وهذا المبدأ الإنساني العظيم كان مطردا في جميع غزواته ﷺ بل كان يوصي به قادة بعوثة وسراياه، ففي سنن أبي داود عن بريدة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، سبيل الله، وقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغزُوا وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تُمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»¹.

فهذا التصرف النبوي مع فئة الصبيان إشارة قوية إلى ضرورة العناية بهم والنظر إليهم بنظرة استشرافية ثابتة تدل على الجودة الدعوية النبوية².

فصبيان اليوم هم رجال الغد الذين يتوسم فيهم حمل الدعوة، كما حملها صبيان مشركي العرب؛ إذ كان منهم السادة والقادة والعلماء...!

وأختم هذه الفئات بفئة الشباب، فقد كان لها النصيب الأوفر من الحضور؛ كدعاة ومجاهدين في سبيل الله، وفي الوقت نفسه مدعويين ومتدربين على ميادين الدعوة المختلفة.

فقد لعب شباب الصحابة رضي الله عنهم أدوارا بطولية عظيمة، تدل على صدقهم ووعيمهم الرسالي الناضج، الرسالي الناضج، ومن التماذج الشابة الحريّة بالذكر في هذا المقام نموذج جابر بن عبد الله الذي كاد لا يتخلف عن غزوات النبي ﷺ، فقد كان مكثرا من الغزو، إذ يقول: «غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة»، قال جابر: «لم أشهد بدرا، ولا أحدا مني أبي، فلما قتل عبد الله يوم يوم أحد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط»³.

ومما يُسجل له من مواقف إطعامه لأهل الخندق بتلك الوليمة المباركة المشهودة التي تدل على صدق الصحابي الشاب وأهل بيته في حبهم لرسول الله ﷺ، وللدعوة الإسلامية فلم يطق رؤية رسول الله ﷺ وهو يربط على بطنه حجرتين من الجوع⁴، ومن مواقفه، وكان له الفضل في رواية العديد من مرويات المغازي التي تضمنت أبعادا دعوية مختلفة، وأذكر من ذلك على سبيل المثال مما تضمنه الصحيح، روايته لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع، وقصة بيع جملة لرسول الله، وقصة

¹ - رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، (37/3)، برقم: 2613، والحديث قد أخرجه مسلم

مطولا، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، (3/1357)، برقم: 1731.

² - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ط1، 2014م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص62.

³ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب عدد غزوات النبي ﷺ، (3/1448)، برقم: 1813.

⁴ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (5/108)، برقم: 4102.

عفو رسول الله ﷺ عن الأعرابي الذي أراد قتله في غزوة بني المصطلق، وصلاة النافلة على الراحلة في غزوة أمار¹، وغير ذلك من المرويات المتعلقة بالغزوات التي سيرد بعضها خلال هذا البحث². فكان لطول صحبة جابر رضي الله للنبي ﷺ في الغزوات بليغ الأثر في بناء شخصيته الدعوية، فهو في عداد علماء الصحابة المكثرين من الحديث، وقد جلس للتعليم في المسجد النبوي في آخر آخر حياته، التي امتدت إلى قرابة التسعين³.

ومن مواقف الشباب التي أحببت أن أشير إليه مواقف الصحابي الشاب كعب بن مالك الذي صدق، وثبت في محنته، وخلاصتها أن النبي ﷺ وأصحابه هجروه تأديبا له على تخلفه عن غزوة تبوك بلا عذر، ودام ذلك خمسين يوما⁴.

وما يدل على كثرة المواقف البطولية لهذا الشاب التي قل نظيرها، كثرة تراجم البخاري على قصة كعب وكل ترجمة تعبر عن موقف عظيم، ولست أدري هل أعجب من مواقف كعب أم من فقه الإمام البخاري؟

فمن هذه المواقف، صدقه مع رسول الله حين تخلف عن الغزوة، فقال: " والله ما أنعم الله علي علي من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي: ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ ﴾ [التوبة: 95]⁵.

وقد خلّد القرآن الكريم موقف كعب رضي الله عنه، ليبقى آية على صدق شباب الصحابة عليهم عليهم الرضوان، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

¹ وتسمى غزوة ذي أمر وغزوة غطفان، كانت في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة، كأن سببها، اجتماع بنو ثعلبة وبنو محارب للإغارة على المدينة، فخرج إليهم رسول الله في أربعمئة وخمسين فارس، واستخلف عثماناً على المدينة فانصرفوا حين رأوا هذا الجمع من المسلمين، ينظر، الواقدي، المغازي، (194/1)، ابن هشام، السيرة النبوية، (167/3).

² ينظر: صحيح البخاري، (146/1)، (62/3)، (116/5).

³ ينظر: ابن حجر، الإصابة، (546/1)، خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م، (104/2).

⁴ ينظر القصة بطولها: الواقدي، المغازي، (997/3)، ابن هشام، السيرة النبوية، (531/2)، رواه البخاري في صحيحه، (03/6).

⁵ رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ ﴾ [التوبة: 97]، (68/6)، برقم: 4673.

⁶ الثلاثة هم: هلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكعب بن مالك، ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (545/14).

وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٩﴾ [التوبة: 119].

ولدالاتها على عظيم المحنة والبلاء بما لا مزيد عليها، فقد جعلها الإمام البخاري من تراجم القصة القصية في صحيحه¹.

ومن موافقه البطولية أيضا، تصدقه بماله كله شكرا لله تعالى على نزول توبته، فروى البخاري في طرق من طرق الحديث، أنه قال: يا رسول الله، أن من توبتي أن أنخلع² من مالي صدقة إلى الله، وإلى رسوله ﷺ؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرُ لَكَ»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير³.

وأختم بموقف من تلك المواقف العظيمة، وهو موقفه من فتنة وإغراء ملك غسان له وهو في قلب قلب المحنة، فقد جاء في بعض طرق القصة، قول كعب بن مالك: "فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا الْمَدِينَةُ إِذَا نَبَطِي مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانٍ وَكُنْتُ كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ فَالْحَقُّ بِنَا نُؤَاسِكَ قَالَ فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَأَمَّتْ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرَتْهَا بِهَا"⁴.

وهنا يتجلى وعي الشاب أن أعداء الإسلام لا يأتي منهم خير فسارع إلى إحراق الصحيفة، قال ابن حجر معلقا على الموقف بكلام يكتب بماء العين: "ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه إيمانه ومحبه لله ولرسوله وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال احتمال ذلك وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب"⁵.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (70/6).

² - أنخلع: قال ابن الأثير: "أي أخرج منه جميعه وأتصدق به وأعرى منه كما يعرى الإنسان إذا خلع ثوبه"، النهاية، (65/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا تصدق، أو أوقف بعض ماله، أو بعض رقيقه، أو دوابه، فهو جائز، (7/4)، برقم: 2757.

⁴ - ينظر: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث كعب بن مالك، (345/13)، برقم: 4973.

⁵ - ابن حجر، فتح الباري، (121/8).

ولا نستغرب مثل هذا الموقف من صحابة رسول الله ﷺ، فهم ثمار يانعة للصناعة النبوية التي ينبغي أن يقلدها شبابنا، وهم يواجهون تحديات، وفتن أعداء الإسلام وما أكثر أمثال ملك غسان في زماننا!

ولولا الإطالة لذكرت نماذج كثيرة من مختلف الفئات الدعوية؛ من النساء والصبيان والشباب، وفيما سلف إيراده كفاية للدلالة على المراد.

ثالثا: عموم الزمان والمكان

بعد أن بينت عموم الدعوة لجميع الأمم، واستهدافها لكل الفئات من خلال الغزوات؛ آتي للحديث عن عموم الدعوة من حيث الزمان والمكان وهو لا يقل أهمية عن سابقه؛ لذا فإن المتأمل في حركة الدعوة من خلال الغزوات يدرك فيها بعد عموم الزمان والمكان بكل وضوح. فعموم المكان يلحظ من واقع الغزوات وأنها لم تتمركز في شبه الجزيرة العربية، بل تعدت ذلك إلى بلاد الفرس والروم، فكانت غزوة مؤتة وتبوك، وإرسال الكتب والرسول، وقبل ذلك الهجرة إلى الحبشة.

كما تدل الرؤية الاستشراقية النبوية على هذا البعد من خلال أحاديث كثيرة في الصحيح وغيره، وغيره، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: حَدَّثَنِي أُمُّ حَرَامٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا فِي بَيْتِهَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتِ مِنْهُمْ»، ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَيَقُولُ: «أَنْتِ مِنَ الْأُولَيْنِ»، فَتَزَوَّجَ بِهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، الصَّامِتِ، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الْعَزْوِ، فَلَمَّا رَجَعَتْ قُرِبَتْ دَابَّةٌ لَتَرْكَبَهَا، فَوَقَعَتْ، فَاذْدَقَتْ عَنْقُهَا¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم، (18/4)، برقم: 2799، باب ركوب البحر، (36/4)، برقم: 2894، ما قيل في قتال الروم، (42/4)، برقم: 2924، ولا تخفى دلالة الترجمة الأخيرة على عموم الزمان والمكان، وإشارة الترجمتين إلى أبعاد دعوية أخرى، كاستفادة من الوسائل المتاحة في الدعوة، والشهادة في سبيل الله والموت من أجل نشر الدين.

وكان ذلك في غزوة قبرس بقيادة معاوية، زمن عثمان رضي الله عنهما، سنة ثمان وعشرين، وقيل وقيل ثلاث وثلاثين، فركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته وزوجته أم حرام بنت ملحان¹.

وهذا يدل على الامتداد الزماني والمكاني للدعوة الإسلامية، مما جعل الفتوح تستمر حتى يعم الإسلام المعمورة، ويمتلك المسلمون خزائن الأرض، تصديقاً لنبوة النبي ﷺ؛ إذ بشر بذلك فيما رواه البخاري عن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ خرج يوماً، فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «أني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وأني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وأني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وأني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»²

قال النووي في شرح الحديث: "هذا من أعلام النبوة فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأتمته ووقع كما أخبر ﷺ والله الحمد والمنة"³.

ومن ثم فإن الغزوات تبرز من خلال مروياتها في الصحيح خاصية من أهم خصائص الدعوة الإسلامية، التي تميزت بها عن سائر الدعوات الدينية وهي خاصية العموم بكل أبعاده على مستوى الأمم والأجناس وعلى مستوى الفئات المجتمعية، وعلى مستوى الزمان والمكان، فلا تتوقف إلا بتوقف الحياة على هذا الكوكب بقيام الساعة!

الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بخاصية الشمول

بعد إتمام الحديث عن خاصية العموم بأنواعه، أنتقل إلى خاصية جديدة من الخصائص العظيمة التي تصطبغ بها الدعوة الإسلامية؛ خاصية الشمول التي ظلت مصاحبة للفعل الدعوي النبوي في جميع الميادين، فزيادة على شمول الدعوة النبوية في الغزوات للأبعاد العقدية والتشريعية العامة الممثلة في شعائر الإسلام الكبرى التي مضى بيانها في الفصل الأول من هذه الرسالة، فهي شاملة لجميع مناحي الحياة المدنية والحضارية.

¹ - ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، (227/10)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (537/3)، قُبرُس: بضم أوله، وسكون ثانيه ثم ضم الراء، وسين مهملة، كلمة رومية وهي جزيرة في بحر الروم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (305/4).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، (91/2)، برقم: 1344.

³ - النووي، شرح مسلم، (5/5).

وسأحصر الحديث عن خاصية الشمول في هذا العنصر على المجالات التي تتعلق بأحكام بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم؛ بغية إبراز البعد الحضاري الإنساني في الغزوات، وفق العناصر التالية¹:

أولاً: شمول المجال الأسري

ليس الغرض من الحديث عن المجال الأسري سرد جميع ما ورد فيه من تفصيلات، لا سيما وقد مضى التطرق إلى بعضها في مواطن مختلفة من هذا البحث، وإنما القصد التنبيه على حضور هذا المجال في الغزوات، بتمظهرات مختلفة مما يدل على أهمية الأسرة، والحرص على تمتين الروابط والعلاقات بين أفرادها.

فقد بلغ من العناية بأمر الأسرة أن النبي ﷺ يتزوج ويولم في مجال الغزو؛ فقد تزوج النبي ﷺ بجويرية في غزوة بني المصطلق، وبنتي بصفية، وأولم عليها في غزوة خيبر، كما كان يظهر العناية بالزوجات والحرص على إظهار إكرامهن والإحسان إليهن والعدل بينهن؛ إذ لا يخرج في غزوة إلا وإحدى زوجاته معه².

وبلا شك فإن للاهتمام بالمجال الأسري في الغزوات أبعاداً دعوية مقصودة من الفعل النبوي، فزواجه من جويرية ﷺ وهي من سبي بني المصطلق كان من أهدافه تأليف قلوب أهلها؛ عن طريق أهلها؛ عن طريق المصاهرة، وهذا ما فهمه الصحابة ﷺ، فقد أطلقوا الأسرى إكراماً لأصهار لأصهار رسول الله ﷺ، فكان لهذا الخلق الإسلامي العظيم أثر في استجابة قومها³.

ثانياً: شمول المجال المعاملاتي

رغم أن الغزوات ليست مجالاً لعقود المعاملات المالية غير أنني عثرت على مرويات في الصحيح قد تضمنت بعض أحكام المعاملات، كما بينته في الفصل الأول، كعقد المزارعة والمساقاة الذي عقده النبي ﷺ مع يهود خيبر، وغيرها من عقود المعاملات المالية، بما يغني إعادته في هذا العنصر.

¹ - اقتصر على هذا المجال في هذا العنصر تجنباً للتكرار وقد تناولنا المجال العقدي والتشريعي في الفصل الأول وتعرضت للمجال الأخلاقي عند الحديث عن أخلاق الداعية والمدعو، وعليه فالشمول يتعلق بثلاثة مجالات رئيسية: المجال التعبدي، والأخلاقي، والعلاقاتي.

² - ينظر: صحيح البخاري، (148/3)، (135/5)، (159/3)

³ - ينظر: إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي، ص 96

لذا سأكتفي بالتنبيه على قضية الربا التي ورد ذكرها ضمن روايات المغازي في الصحيح، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءه بتمر جنيب¹ فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلْ تَمْرَ خَيْبَرَ هَكَذَا»، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ، بِالثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ، بَعِ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيْبًا»².
 ففي هذا الحديث يحرص النبي ﷺ على تنقية المعاملات المالية من العقود المخالفة للشريعة خاصة خاصة الربا؛ لأن ترك التعامل بالربا من محاسن الدعوة الإسلامية، الدالة على خيريتها وإنسانيتها؛ وإنسانيتها؛ ليدرك الناس بحق أنها أعظم بديل عن الممارسات الجاهلية³.

ثالثا: شمول المجال القضائي

لأهمية النظام القضائي في الإسلام نجده حاضرا في الغزوات ومحيطها، ومن ذلك ما حكم به سعد بن معاذ في بني قريظة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يُقُولُ: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدِ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ»، فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، فَقَالَ: تَقْتُلُوهُمْ، وَتَسْبِي دَرَارِيهِمْ، قَالَ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ»، وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ الْمَلِكِ»⁴.
 وفي الحديث إبراز لمحاسن القضاء في الإسلام القائم على العدل، ف"قريظة، فكانت أشد اليهود اليهود عداوة ل رسول الله ﷺ، وأغلظهم كفرا، ولذلك جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم"⁵.

¹ - التمر الجنيب: هو نوع من أجود التمور، ابن الجوزي، غريب الحديث، ت: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ، 1985م، (359/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، استعمال النبي ﷺ على خيبر، (140/5)، برقم: 4244، وقد كرر البخاري الحديث ليشمل موضوعات متعددة ولعل ذلك مناسب لخاصية الشمول، فمن ذلك أنه أخرجه في: كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، (77/3)، برقم: 2201، كتاب الوكالة، باب الوكالة في الصرف والميزان، (98/3)، برقم: 2302، كتاب المغازي، استعمال النبي ﷺ على خيبر، (140/5)، برقم: 4244، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود، (91/9)، برقم: 7350.

³ - ينظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص66.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، (112/5)، برقم: 4121.

⁵ - ابن القيم، أعلام الموقعين، (117/3).

ومما قضى به ﷺ عفو عن حاطب بن أبي بلتعة ﷺ لما بعث برسالة لأهل مكة يخبرهم بمقدم يخبرهم بمقدم رسول الله ﷺ، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعثني النبي ﷺ والزيبر، فقال: والزيبر، فقال: «ائتوا روضة كذا، وتجدون بها امرأة، أعطها حاطب كتاباً»، فأتينا الروضة: فقلنا: الكتاب، قالت: لم يعطيني، فقلنا: لتخرجن أو لأجرتك، فأخرجت من حجزتها، فأرسل إلى حاطب، فقال: لا تعجلن، والله ما كفرت ولا ازدت للإسلام إلا حباً، ولم يكن أحد من أصحابك إلا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله، ولم يكن لي أحد، فأحببت أن أتخذ عندهم يداً، فصدقه النبي ﷺ، قال عمر: دعني أضرب عنقه فإنه قد نأفق، فقال: " ما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم" ¹.

فقد تضمن الحديث جملة من القضايا القضائية؛ من ذلك تمكين المتهم من الدفاع عن نفسه، ثم إصدار الحكم بناء على حجته، واجتهاد القاضي، كما فيه تغليب العفو لتوفر مقتضياته، كالمصلحة الراجحة، قال ابن القيم في تعليقه على القصة: "أن قتله راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى رأى في قتله مصلحة للمسلمين، قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح استبقا" ².

رابعاً: شمول مجال العلاقات الدولية:

لقد تضمنت الغزوات بعض أحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب، من ذلك عقد المعاهدات، كصلح الحديبية، الذي عقده النبي ﷺ الذي تم بموجبه وقف القتال بين الطرفين والنشاط الدبلوماسي بعدها الذي تمثل في إرسال الرسل واستقبال الوفود، كما سنبينه فيما بعد.

وسأكتفي بذكر نص صلح الحديبية لأهميته الدبلوماسية؛ إذ يعد من أعظم الاتفاقيات الدولية بين الدولة الإسلامية، وقريش التي كانت لا تعترف بوجود كيان سياسي للمسلمين، فقد روى البخاري عن البراء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لما أراد أن يعتصر أرسل إلى أهل مكة يستأذنيهم يستأذنيهم ليدخل مكة، فاشتروا عليه أن لا يقيم بها إلا ثلاث ليالٍ، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح، ولا يدعو منهم أحداً، قال: فأخذ يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولبأيعناك، ولكن أكتب

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله، وتجريدهن، (76/4)، برقم: 3081.

² - ابن القيم، زاد المعاد، (372/3).

اَكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَنَا وَاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ: وَكَانَ لَا يَكْتُبُ، قَالَ: فَقَالَ لِعَلِيِّ: «امْحِ رَسُولَ اللَّهِ» فَقَالَ عَلِيُّ: وَاللَّهِ لَا أَحْمَاهُ أَبَدًا، قَالَ: قَالَ: «فَارِنِي»، قَالَ: فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَمَضَتْ الْأَيَّامُ، أَتَوْا عَلِيًّا، فَقَالُوا: مُرْ صَاحِبَكَ فَلْيَرْتَحِلْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «نَعَمْ» ثُمَّ ارْتَحَلَ¹

وكانت لهذه الاتفاقية أبعاد دعوية عظيمة؛ فقد اعترفت قريش بكيانهم لأول مرة فعاملتهم معاملة معاملة الند للند بعد أن كانت تصورهم أمام الناس بأبشع الصور لصدهم عن الاستجابة للدعوة، للدعوة، وأتاحت الهدنة الفرصة للتفرغ لليهود خبير آخر معاقل يهود التي استغلت للتحريض على المسلمين في الخندق وما بعدها، كما توفر لهم مناخ لنشر الإسلام².

خامسا: شمول مجال الجباية

من مظاهر الشمول في الغزوات عدم إغفال الموارد العامة للدولة، فقد جاءت مرويات تتعلق بالغنائم تفصل وتبين أحكامها المختلفة كبيان مشروعيتها وطرق تقسيمها، وقد أفرد لذلك البخاري أبوابا في كتابه، خاصة كتابي "الجهاد والسير" و "كتاب الخمس"³. كما شهدت الغزوات تطبيقات هذه الأحكام حتى يتدرب المسلمون على العملية تطبيقيا وفي ذلك بعد دعوي تعليمي لا يخفى.

فمن ذلك قسمة غنائم غزوة الطائف⁴، ففي الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِْبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَحَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي، وَعَالَةٌ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي»⁵.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب المصالحة على ثلاثة أيام، أو وقت معلوم، (103/4).

² - ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (441/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، (78/4، 14).

⁴ - غزوة الطائف امتداد لغزوة حنين، فقد توجه إليها رسول الله ﷺ لقتال من شرد إليها، وكانت في نفس الشهر في شوال سنة ثمان، فلم يظفر بهم، فدعا لهم بالهداية، فكانوا ممن وفدوا عليه مسلمين، بعد أن تقدم قبلهم مالك بن عوف فأسلم، ثم رجع إليهم، فدعاهم إلى الله، وأتى بهم إلى النبي ﷺ، ينظر: محمد بن عمر الحضرمي، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، دار الحاوي، 1998م، (د.ط)، بيروت، (358/1).

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (157/4)، برقم: 4330.

وفي الحديث أبعاد دعويّة كثيرة منها ما أشار إليه ابن تيميّة بقوله: " وإنما كان يعطي المؤلّفة قلوبهم قلوبهم لما في قلوبهم من الهلع والجزع ليكون ما يعطيهم سببا لجلب قلوبهم إلى أن يجبوا الإسلام فيحبوا الله فكان مقصوده بذلك دعوة القلوب إلى حب الله عز وجل وصرّفها عن ضد ذلك"¹.
فالداعيّة النّاجح يتعامل مع كل موقف دعوي بما يناسبه من المناهج والأساليب والوسائل، وهذا ما اصطبح به المنهج الدعوي النبوي؛ مما جعله أسوة للدعاة في كل زمان ومكان، وأي فشل دعوي سببه الحيّدة عنه.

ومن الموارد الماليّة المتعلقة بالغزوات الجزية، فلأهميتها، فقد أفرد لها الإمام البخاري كتابا يتناول أحكام أهل الذمة في الصحيح سماه "كتاب الجزية"، وفي كل كتاب أبواب وكل باب تدرج تحته تحته أحاديث تناسبه، كما تتضمن أبعادا دعويّة يدركها المتأمل فيها، وسيأتي الحديث عنها ودفع ودفع بعض الشبه التي تثار حولها لاحقا².

ومما جاء في الصحيح بخصوص هذا المورد الاقتصادي، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أهل البحرين على دفع الجزية، وبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، فجاء بمال كثير فقسّمه بين بين أصحابه، ووعظهم وحذرهم من فتنة الدنيا³.
وسوف أتناول موارد الدولة الإسلاميّة بشيء من التفصيل وعلاقتها بالدعوة الإسلاميّة والتّمكنين للدولة النّبويّة لأداء رسالتها الحضاريّة الشهوديّة فيما بعد.

سادسا: شمول المجال السياسي

قد تضمنت الغزوات بعض القيم السياسيّة تربيّة للأمة على الحكم الراشد والسياسة العادلة، فمن ذلك:

¹ - ابن تيميّة، الزهد والورع والعبادة، ص46.

² - ينظر: البخاري، الصحيح، (96/4)

³ - ينظر القصة بطواها: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، (96/4)، برقم: 3158، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (90/8)، برقم: 6425، والترجمة الأخيرة فيها من الأبعاد الدعويّة أنّ الجزية والغنائم وغيرها من حظوظ الدنيا ليست مقصودة من الغزوات أصالة، كما فيها إشارة إلى تحدي من التحديات الدعويّة الداخليّة وهو تنافس الدعاة على الدنيا.

1. **قيمة الشورى:** كثيرا ما كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه فيما لا نص فيه، من الكتاب والسنة تعويدا للأمة على ممارستها من بعده، وإعطائها مكانتها الدعوية المطلوبة بكونها فريضة دعوية شرعية¹.

وقد كثرت المواقف الشورية في السيرة، فمنها، الاستشارة في بدء القتال في بدر، حين أراد معرفة معرفة موقف الأنصار، واستشارة أم سلمة في التحلل من عمرة الحديبية².

2. **قيمة المسؤولية:** كان النبي ﷺ يربي الصحابة ﷺ على تحمل المسؤولية، وتعلم القيادة من القيادة من خلال تكليفهم ببعض الأدوار السياسية والقيادية، كحمل الرايات، فقد أعطى الراية يوم خيبر لعلي رضي الله عنه، وأشار لأهليته لذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ - أَوْ قَالَ: قَالَ: لِيَأْخُذَنَّ - عَدَا رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ"، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيِّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ»³.

وقيادة السرايا، فقد كان النبي ﷺ يمكن من له أهلية القيادة من قيادة السرايا، تمكيننا، وتدريبنا لأصحابه على القيادة الدعوية والجهادية من بعده، فمن قادة السرايا أسامة بن زيد رضي الله عنه رغم عنه رغم حداثة سنه إشارة إلى إعداد القادة من الشباب، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: «أَنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنْ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»⁴.

¹ - ينظر: الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي المعاصر، ص 89.

² - ينظر، أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (360/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (135/5)، وقد كان الصحابة ﷺ يتداولون على حمل الرايات كما ورد في كتب المغازي والسير، فحمل مصعب بن عمير الراية يوم أحد، وحمل الزبير الراية في الفتح، وحمل الراية زيد بن ثابت في تبوك، ينظر: الواقدي، المغازي، (288/2)، (1003/3)، ابن هشام، السيرة النبوية، (73/2)، المقرئ، إمتاع الأسماع، (159/7)، وقد أبدع المقرئ وأمتع في إمتاعه في ذكر تاريخ الرايات وألوانها وقماشها ونقوشها والكتابات التي كتبت عليها وحملتها.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة، (23/5)، برقم: 3730.

وقد ذكرت كتب المغازي والسير أسماء قادة السرايا، موزعين على الفئات والقبائل، مع مراعاة بلا بلا شك استعمال القائد المناسب لكل سرية، وهذا الذي تفتضيه الحكمة النبوية¹.

ومن مظاهر التدريب على المسؤولية الاستخلاف على المدينة، فكان يكلف في كل غزوة من ينوب عنه في تسيير شؤون الأمة الدينية والدينية في المدينة، فقد استخلف في غزوة تبوك على ﷺ، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى إلا من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»².

وقد ذكر أهل السير أسماء الصحابة الذين استخلفوا على المدينة مما يدل على مراعاة التداول والتكافؤ، وفي ذلك لفت لنظر الدعاة لاستغلال إمكانات وطاقات الأتباع واستثمارها في العمل الدعوي³.

3. قيمة الطاعة: ومن القيم السياسية الحاضرة في المغازي قيمة الطاعة فقد حرص النبي ﷺ على على تربية الصحابة على الطاعة لله ورسوله، وطاعة أولياء الأمور في المعروف، وقد كانت مواقف مواقف في الغزوات تدل على هذه القيمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَأَمَّا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيَتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَأَنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ»⁴.

ومن ثم فالداعية الناجح لا يغفل أي مجال من مجالات الدعوة الإسلامية، فكل مجال يعد ميدانا من ميادين الدعوة حتى تصطبغ دعوته بصبغة الشمول، ولعل من أسباب فشل الكثير من التجارب الدعوية والحركات الإصلاحية والتجديدية يرجع إلى غياب الرؤية الشمولية.

¹ - من قادة السرايا: عبيدة بن الحارث، حمزة بن عبد المطلب، سعد بن أبي وقاص، عبد الله بن جحش، زيد بن حارثة، أبي عبيدة بن الجراح، علقمة بن مجزز، كرز بن جابر، بنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، (601/1، 600، 595، 591)، (640/2، 639، 632، 50).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، (03/6)، برقم: 4416.

³ - قد استخلف النبي ﷺ جمع من الصحابة، منهم أبو لبابة بن عبد المنذر، ابن أم مكتوم، عثمان بن عفان، سباع بن عرفة، ينظر: الواقدي، المغازي، (197/1، 180)، (637/2، 402).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، (50/4).

كما ينبغي للمدعو أن ينظم أمور حياته كلها وفق الشرع، وليحذر من عزل الدين عن الحياة وحصره فقط في مجال التبعيدات، حتى لا يقع في فخ العلمانية¹، فمع الأسف قد غابت العبودية الحقة في واقع الناس.

الفرع الثالث: الأبعاد الدعوية المتعلقة بخاصية المثالية والواقعية

من مميزات الدعوة الإسلامية، أنها تسعى للرقى بجمهور المدعوين إلى المستوى الممكن من الكمال في عالم المثل، وفي الوقت نفسه لا تهمل واقع الإنسان الذي يفرزه واقعه وطبيعته، ولما كانت الغزوات ميدان من الميادين الدعوية فلا ريب أنها تحمل خصائصها، كما يحمل الفرع صفات أصله.

وسوف أركز في إبراز هذه الخاصية المركبة من ثنائية الواقعية والمثالية في الغزوات من خلال الصحيح، في العناصر التالية:

أولاً: بعد الاعتدال

والمراد بالاعتدال عدم الإفراط والتفريط في أي شيء، وإعطاء كل ذي حق حقه، وقد مدح الله الله سبحانه تعالى المتصفين به، فقال سبحانه، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: 67]، وقوله ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ تَبْسُطِهَا كُلَّ الْأَبْسِطِ بَتَفْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: 29]².

وقد حرص النبي ﷺ على إبراز هذه الخاصية من خصائص الدعوة، وذلك أن بلوغ الكمال لا يتحقق إلا بالتوسط والاعتدال في جميع الميادين ومنها ميدان الغزو، وفيما يلي نورد بعض المواقف الدعوية من الغزوات كما جاءت في الصحيح:

1. الاعتدال في العبادات في الغزو: لما كانت الغزوات في غالبها تكون في السفر، وتحصل فيها المشقة والتعب، شرعت فيها الرخص والتسهيلات حفاظاً على الأنفس من التلف والإرهاق والأذى، ومن هنا جاءت رخص الفطر والقصر والجمع بين الصلوات، في السفر والغزو تحقيقاً لهذه الخاصية.

¹ - العلمانية هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، ينظر: حمود، الرحيلي العلمانية وموقف الإسلام منها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 115، السنة 34 ن 1422 هـ، ص 334.

² - شحاتة محمد صقر، شريعة الله لا شريعة البشر، ص 51.

فمن أظهر الأمثلة على هذه الخاصية صلاة الخوف التي شرعت في غزوة ذات الرقاع، فقد روى البخاري بسنده عَمَّنْ شَهِدَ " رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ ذَاتِ الرَّقَاعِ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ: أَنْ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وَجَاهَ الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِأَلْتِي مَعَهُ رُكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انصَرَفُوا، فَصَفُّوا وَجَاهَ الْعَدُوَّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى فَصَلَّى بِهِنَّ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا، وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِنَّ " ¹.

ففي صلاة الخوف تحقيق لخاصية المثالية بالحرص على أداة صلاة الجماعة مع الإمام مع مراعاة طبيعة الظرف الحربي، وما يتطلبه من الحيطة والحذر، ومراعاة الطبيعة البشرية وما يحصل لها من خوف، فهي مثال على حسن الشريعة يسرها وملاءمتها لكل زمان ومكان ولجميع الأحوال ².

وقد شرع التيمم لفاقد الماء في الغزو، فنزول آية التيمم كانت في إحدى الغزوات فقد روى البخاري عن عائشة ؓ، أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ " فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا مِنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلِبِهَا، فَأَذْرَكْتُهُمُ الصَّلَاةَ، فَصَلُّوا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيْمُمِ. ³

فالقصة أيضا جمع بين المثالية والواقعية، من خلال تمكن المسلمين من أداء الصلاة مع مراعاة ظرف الحاجة والمشقة الذي حصل لهم بسبب فقد الماء.

وفي ذلك دلالة قوية على حرص الدعوة الإسلامية على الصلاة وعلى إقامتها في وجه جميع الأعذار والمعوقات، بحيث لا يقطع المسلم الصلة بالله تعالى مهما كانت الظروف ⁴.

هكذا إذن تبرز خاصية التوسط والاعتدال في المثالين، بحيث يجمع المكلف بين الحرص على النزوح نحو الكمال من خلال المحافظة على الواجبات مع مراعاة العوارض والموانع الواقعية التي تصيبه خاصة في مثل حالات الغزو.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، (113/5)، برقم: 4129.

² - محمد أبو شهبه، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، (352/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب فضل عائشة، (29/5)، برقم: 3773، وقصة فقد العقد كان بعد قصة الإفك الذي كان سببه فقد العقد أيضا، وهذا ما حققه ابن القيم في زاد المعاد، (231/3)، مستدلا بما رواه الطبراني عن عائشة ؓ، قالت: "لما كان من أمر عقدي ما كان قال أهل الإفك ما قالوا فخرجت مع النبي ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضا عقدي...". الطبراني، المعجم الكبير، (121/23)، برقم: 19113.

⁴ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (670 / 2).

2. الاعتدال في المباحات في الغزوات: قد أباح الإسلام التمتع بالطيبات من مأكّل ومشرب ومنكح، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا أُنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:89] .

وهذا لا يتعارض مع بلوغ الكمال بل يعين عليه، كما يلي رغبة الفطرة الإنسانية، لذا نجد النبي ﷺ مع ما بلغ من الكمال لم يمنعه ذلك من التمتع بالمباحات في غزواته، فقد ثبت أنه كان لا يمنع نفسه من الطيبات .

وقد مر الكثير من ذلك في هذا البحث، كحضوره وليمته، وتمتعه بالنساء، فقد أصاب جويرية في المصطلق وصفية في خير.

وقد بلغ اعتداله في التمتع بالطيبات أنه قبل طعام اليهود، ولم يرفضه، ففي الصحيح عن أبي هريرة هريرة رضي الله عنه، قال: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمَّ»¹.

فالحديث فيه دليل على جواز الأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم، كما ذكر ابن حجر²، وأن ذلك من طرق الاتصال الدعوي بأهل الكتاب وتعريفهم بخصائص الإسلام ومحاسنه، فمجال الأطمعة ليس مجالاً فقهيها فحسب بل يستطيع الداعية أن يحوله إلى ميدان دعوي، فالداعية الناجح الواعي يستطيع أن يجعل حياته كلها ميدانا دعويا.

غير أنه كان يحرص على أن لا ينزلوا إلى حد أدنى من المثالية، بسبب التعلق الزائد بالدنيا، فقد روى البخاري أن الأنصار سمعت بقدوم أبي عبيدة بجزيرة البحرين، فوافته صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له، فتنبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: «أَطْنُكُمْ سَمِعْتُمْ سَمِعْتُمْ بَقْدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشُرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسْرُكُمْ، يَسْرُكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى كَان قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»³.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخير، (141/5)، برقم 4249، وهي ترجمة غاية في الدقة، ولطيفة في دلالتها على الكيد الذي يكيد اليهود منذ بدء الدعوة لقادتها، وتوظيفهم كل طاقاتهم للنيل من الدعوة بما في ذلك استغلال العنصر النسوي، ولا يزالون.

² - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (7/498).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (90/8)، برقم: 6425.

فالنبي ﷺ لم ينكر عليهم الرغبة الفطرية في الغنيمة، إنما حذرهم من الانحراف عن حد الاعتدال، الذي تترتب عنه الأمراض النفسية والاجتماعية التي حلت بالأمم السابقة، فكانت سببا لهلاكها.

وهو معنى الزهد الحقيقي الذي يتحقق به التوازن بين رغبات الروح، ومتطلبات الجسد، قال ابن القيم: "والذي أجمع عليه العارفون أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة... وليس المراد رفضها من الملك"¹.

ثانيا: بعد المرونة

من مقتضيات خاصية المثالية والواقعية المرونة في المواقف، فقد يصادف الداعية مواقف يضطر أن يتنازل عن حد المثالية لمصلحة دعوية راجحة، فالداعية الناجح لا بد أن يكون مرنا حتى يتأقلم مع المواقف الطارئة والمفاجئة، مع مراعاة مقصد الشارع في ذلك.

وقد حصل في الغزوات النبوية شيء كثير من ذلك، ولضيق المقام فيني سأكتفي بذكر موقفه ﷺ في صلح الحديبية مع شرط قريش.

فقد أظهر النبي ﷺ مرونة منقطعة النظير في غزوة الحديبية إلى حد أن أكثر الصحابة لم يتقبلوا الأمر، فقد روى البخاري في صحيحه عن مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة أنه لما كاتب رسول رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو أنه أنه قال: لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، وأبي سهيل سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك، فكره المؤمنون ذلك وامعضوا، فتكلموا فيه، فلما فلما أبي سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك، كاتبه رسول الله ﷺ، «فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة، وإن كان مسلما، وجاءت المؤمنات مهاجرات، فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ، وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم، حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل»².

³ - ابن القيم، مدارج السالكين، (15/2).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، (126/5)، برقم: 4180.

فهذه المرونة في إبرام الصلح، وإن كانت في الظاهر لصالح المشركين، إلا أن مصلحة الدّعوة تقتضيها في هذا الوقت، ف " مما أعان على فتح خيبر تفرغ المسلمون بعد صلح الحديبية لقتال يهود خيبر دون أن تنجدهم قريش".¹

ثالثاً: بعد التوازن

إن الإسلام يريد من المسلم أن يبلغ الكمال المقدر له بتناسق، وفي جميع شؤونه، فلا يقبل على جانب واحد أو عدة جوانب، ويبلغ فيه المستوى العالي من الكمال، بينما يهمل الجوانب الأخرى حتى ينزل فيها إلى دون المستوى المطلوب، ومن مظاهر التوازن في الغزوات ما يلي:

1. الموازنة بين الجهاد والمحافظة على الصلاة: فقد كان النبي ﷺ لا يشغله الجهاد عن غيره من شؤون الحياة والدّعوة، فقد كان يهتم بالصلاة ويحرص على إقامتها، والمحافظة على آدائها في وقتها، وقتها، فعن علي رضي الله عنه، قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ».²

ومن أجل الموازنة بين المحافظة على الصلاة، وحراسة المجاهدين شرعت صلاة الخوف، فقد ذكر أهل السير أنه صلاها في عشرة مواطن وقيل أكثر، منها ذات الرقاع وبطن نخلة¹.

2. الموازنة بين الجهاد والمحافظة على حقوق الأهل: كان رسول الله ﷺ لا يشغله الجهاد عن رعاية شؤون أهله، فقد كان يراعاهن ويعدل بينهن، ولا يهمل حقوق الأهل بحجة أنه منشغل بالدّعوة والغزو، فكان في كل مرة يخرج إحدى زوجاته معه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أفرع بين نسائه، فَأَيُّتُهُنَّ يَخْرُجُ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابُ»³.

وهكذا كان منهجه وهديه ﷺ مع زوجاته في سلمه وحره أسوة للزوج الداعية، قال ابن القيم: " وكانت سيرته مع أزواجه حسن المعاشرة، وحسن الخلق"⁴.

¹ - العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (327/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، (110/5)، برقم: 4111.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، (33/4)، برقم: 2879.

⁴ - ابن القيم، زاد المعاد، (146/1).

3. الموازنة بين الجهاد وشؤون الدعوة الأخرى: ومن التوازن الدعوي اهتمامه ﷺ بجميع شؤون الدعوة وجميع فئات المدعوين، وبالقضايا الدعوية المختلفة، فكما كان يهتم بشؤون المعركة كان يهتم بشؤون المخلفين من أهل الأعدار فكان يستخلف عليهم أميرا من أصحابه، يقوم على شؤونهم.

فعن سعد أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»¹.
الحديث يشير إلى أن بقاء علي عليه السلام لا يقل أهمية عن خروجه في الغزو، وهو دور دعوي لا يقل دعوي لا يقل عن دور أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وأن ذلك لا ينقص من قدره، وفضله².
إن مراعاة خاصية التوازن في الفعل الدعوي يجعل الداعية لا يأسر نفسه في عبادة، ولا تقيده عادة، يحده مجال، وإنما يقبل على جميع العبادات والأحوال، حتى يصل إلى المستوى العالي من الأداء والنجاح الدعوي، ولعل غياب هذا التوازن كان من التحديات الدعوية التي تعوق العمل الدعوي في الوقت الراهن.

وبعد تأكيد الحضور الفعلي المكثف لخصائص الدعوة الكبرى في الغزوات، ندرك بما لا يدع مجالا للشك أن الغزوات من الميادين الدعوية التي مكنت من إبراز خصائص الدعوة الإسلامية ومحاسنه؛ مما يزيد المستجيبين ثباتا وتشبثا بدينهم، كما أن ذلك من شأنه أن يرفع ويزيد من فعاليتهم الدعوية، ويرغب الآخر في التعرف على الدعوة الإسلامية، ومن ثمّ الدخول في الإسلام واعتناقه، سواء في عصر النبوة أو في العصور التي جاءت من بعدها.

وفي نهاية هذا المبحث أخلص إلى أن الغزوات النبوية وهي جزء من الفعل الدعوي النبوي، قد تجلت فيها الأبعاد المقاصدية العامة التي طالت جميع أبواب ومجالات الشريعة الإسلامية، فقد حفظت فيها الكليات الكبرى خاصة حفظ الدين والنفس من جهتي الوجود والعدم، كما كانت ميدان لإظهار وتفصيل خصائص ومحاسن الإسلام كالعوم والشمول وثنائية الواقعية والمثالية.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، (03/6)، برقم: 4416.

² - ينظر: محمد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، (4/125).

وقد كان لمراعاة هذه الأبعاد المقاصديّة العامّة في الغزوات آثار دعويّة عظيمة، عادت بنتائج على
على الدّعوة الإسلاميّة على جميع مستوياتها، وهذا الذي سيتبين من خلال المبحث التالي.

المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمقاصد الخاصة

تمثل الغزوات النبوية الجهاد النبوي في سبيل نشر الدعوة النبوية، وعليه فإن المقاصد الدعوية للغزوات هي نفسها المقاصد الخاصة لموضوع الجهاد، الذي وإن اشترك مع الموضوعات الدينية في المقاصد العامة كما بينته فيما سبق؛ فإنه قد اختلف بمقاصد تميزه عن غيره.

فالغزوات النبوية كانت تستهدف أصالة تلك المقاصد الخاصة، التي تتناسب مع طبيعة المرحلة التي تمر بها الدعوة الإسلامية، في إطار مقاصد الدعوة الإسلامية العامة بطبيعة الحال.

فهي التطبيق النموذجي الأمثل لأحكام الجهاد، فقها وتنزيلا وتفعيلا واقعيا؛ كوسيلة للدفاع عن الدعوة والتّمكن لها في العالم؛ تحقيقا للبعد العالمي للرسالة الإسلامية، وللخاصية الشهودية للأمة الإسلامية. المسار التطبيقي النموذجي للجهاد، فسأحاول إبراز مقاصدها الجهادية الخاصة، وآثارها الدعوية، بعدما بينت مقاصدها العامة، فيما سبق.

وسوف أبرز أهم المقاصد الخاصة للغزوات وآثارها الدعوية من خلال مطلبين:

المطلب الأول: المقصد الدعوي الدفاعي للغزوات.

المطلب الثاني: المقصد الدعوي التّكميني للغزوات.

المطلب الأول: المقصد الدعوي الدفاعي للغزوات

كانت الغزوات في بدايتها الإذن بالجهاد يغلب عليها الطابع الدفاعي عن الدعوة وحماية الأتباع من تحديات الأعداء المختلفة الداخلية والخارجية، وامتدت من بدء تشريع الجهاد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ لِلَّذِينَ يُقَتَّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:37]، إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق¹.

فكانت الغزوات في هذه المرحلة تتقصد أصالة مجابهة التحديات والمخاطر التي تستهدف الدعوة في قادتها وأتباعها، ويمكن أن تقسم التحديات في هذه المرحلة إلى تحديات خارجية وتحديات داخلية، وكل نوع من التحديات جابهته الدعوة الإسلامية بما يكافئه، وبالاستراتيجية التي تناسبه.

وسأبين الاستراتيجية النبوية في مواجهة ما يحيق بالدعوة من تحديات في هذه المرحلة الحرجة، وما تبع ذلك من أبعاد دعوية في فرعين:

الفرع الأول: مواجهة التحديات الخارجية

لم تنزل قريش بكل ما أوتيت من إمكانيات ووسائل تحاول القضاء على المسلمين في موطنهم الجديد، بعد أن فشلت في القضاء عليهم بمكة، كما ظل الأعراب المجاورون للمدينة يتربصون بالمسلمين، ويحاولون انتهاز فرصة سانحة للإيقاع بهم².

وأمام هذه التحديات التي كان يدركها الرسول ﷺ، كان لا بد من التحرك لمواجهتها، والقضاء على خطر المحقق بالدعوة وأتباعها وقاداتها، فبعد الإذن بالقتال شرع رسول الله ﷺ في جهاد الكفار المحاربين وإرهاب المتربصين.

وقد جاءت عدة غزوات في هذه المرحلة من أجل تحقيق هذا المقصد الدفاعي، منها ما كان بالمدينة، ومنها ما كان خارجها.

أولاً: مواجهة التحديات عن طريق الغزوات الخارجية

عند تتبع مرويات المغازي في صحيح البخاري نجده قد مثل للغزوات خارج المدينة ولم يستوعبها؛ يستوعبها؛ مكتفياً بالاختصار، والانتقاء تبعاً لشرطه، فمن ذلك:

¹ - محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص18.

² - ينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، ص175.

1. الغزوات والسرايا قبل بدر: بعد الإذن بالقتال تحركت الحركات الجهادية، كوسيلة دفاعية عن عن الدعوة، وقد أشار الإمام البخاري في صحيحه إلى بعضها، فقد أورد عن ابن إسحاق معلقاً، معلقاً، أن: " أول ما غزا النبي ﷺ: الأبناء، ثم بواط، ثم العشيرة "، ثم ذكر حديث أبي إسحاق، إسحاق، قال كنت إلى جنب زيد بن أرقم، ف قيل له: " كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة " قيل: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة، قلت: فأيهم كانت أول؟ قال: العسيرة أو أو العشير " فذكرت لقتادة فقال: العشير¹.

وقد استهدفت هذه الغزوات وما جاء بعدها من الحركات الجهادية التي ذكرها أهل السير ثلاثة ثلاثة أمور: الحصار الاقتصادي لقريش من خلال تهديد طريق تجارتها إلى الشام، وعقد الأمان مع مع القبائل في المنطقة حتى لا تتحالف مع قريش في حرب المسلمين، وإبراز قوة المسلمين في المدينة المدينة أمام اليهود وبقايا المشركين².

فجميع هذه المقاصد الجزئية التي استهدفتها هذه الطلائع الجهادية تخدم مقصد دفاعي، وهو صد تحدي قريش المحتمل في أي وقت.

2. غزوة بدر: وفي نفس السياق السابق جاءت غزوة بدر التي تعد من أكبر الغزوات الدفاعية خارج المدينة، وأكثرها أثاراً على الدعوة الإسلامية، والذي يهم في هذا العنصر إبراز بعدها الدفاعي في هذه المرحلة، و لعل ما يوميء إلى هذا المقصد ما رواه البخاري في الصحيح عن كعب كعب بن مالك وهو يتحدث عن سبب الغزوة؛ إذ يقول: «لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد»³.

¹ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة أو العسيرة، (71/5)، برقم: 3949، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (175/5)، برقم: 4404. كتاب المغازي، باب: كم غزا النبي ﷺ؟ (16/6)، برقم: 4471، فمن عجيب صنع البخاري بترتيب هذا الحديث أنه أول حديث بدأ به كتاب المغازي، وآخر حديث ختمه به، وترجم عليه بحجة الوداع، وكأنه يرسم به منحنى الجهاد النبوي الذي مبدأه بدء القتال وذروته حجة الوداع ولم يتوقف إلا بالوفاة.

² - ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (345/2).

³ - البخاري، كتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر، (72/5)، برقم: 3951.

فالحديث يشير إلى الدفاع عن طريق الحصار الاقتصادي لقريش، من خلال تهديد أهم طريق تجارتيّة بين مكة والشام، لتصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك هذا الطريق، مما يؤثر على تجارتها¹.

وقد كان لهذه الغزوة آثار دعويّة عظيمة في مجال التحديات وغيرها من مناحي الدّعوة الأخرى، فقد علم العرب قاطبة بانهمزام قريش وانتصار المسلمين، ليصبحوا قوة مهابة الجانب في المدينة ومسيطرة على طرق التجارة الحيويّة إلى الشام.

وفي الوقت نفسه زادت من قوة خطر قريش كأهم تحدي خارجي، فلم تزدهم الهزيمة إلا كرها للإسلام، ونقمة على الدّعوة، فظلوا يخططون للثأر في الخفاء.

وأما البدو الضاربون حول المدينة، فقد دُعموا لانتصار المسلمين في بدر، وأخذت جموعهم تحتشد تحتشد تبغي انتهاز فرصة للإغارة على المدينة، ولكن الرسول ﷺ كان مدركا لخطرهما فكانله بالمرصاد².

3. الغزوات الخارجيّة الدفاعيّة بعد بدر:

وقد تطرق أهل السير إلى النشاط العسكري الذي اتخذ الطابع الدفاعي بعد غزوة بدر، واكتفى البخاري كعادته بالإشارة إليه على سبيل الاختصار، فقد أشار إليها مجملّة في ترجمة من تراجم أبواب كتاب المغازي قائلا: "باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه"³، ثم أورد روايات تتعلق بحوادث هذه الغزوات.

و كان هذا النشاط العسكري بعد أحد لمجابهة التحديات الأعراب الذين بدأوا في التجرؤ، مستهدفين غزو المدينة طمعا في خيراتها وانتصارا لشركهم ومظاهرة لقريش وتقربا إليها⁴.

فكان من المأساة التي أحقوها بالمسلمين، مأساة الرجيع، وبئر معونة التي غدر فيهما في شهر واحد بحيرة أبناء الدّعوة من الدعاة والقراء⁵.

¹ - ينظر: عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص 144.

² - ينظر تفاصيل آثار غزوة بدر: مُجد الغزالي، فقه السيرة، ص 244.

³ - رواه البخاري في صحيحه، (103/5).

⁴ - ينظر: العمري، السيرة النبويّة الصحيحة، (398/2).

⁵ - سريّة الرجيع: وقعت في صفر سنة (4 هـ)، غدرت فيها قبيلة عضل والقارة، فاستصحبوا عشرة من القراء فقتلوا منهم ثمانية وبعوا منهم اثنين بمكة فصلبهما أهل مكة وبقي جثمانهما على الخشبة أربعين يوما، وأما سريّة بئر معونة: فكانت في نفس الشهر، غدر بسبعين رجلا من القراء بعثوا دعاء إلى أهل نجد فلما نزلوا ببئر معونة غشيتهم قبائل من بني سليم من رعل وذكوان وقتلوه، ولم ينج إلا واحد، وهو عمرو بن أمية الضمري، ينظر: مُجد سليمان المنصورفوري، رحمة للعالمين، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، (د.ت)، ص 439.

وهذه المأساة التي تعد من أصعب التحديات في هذه المرحلة ألزمت المسلمين على التصدي لها، بتأديب الأعراب الغادرين والسعي لتطهير المنطقة من خطرهم، فكان من الغزوات التي ذكرها الإمام البخاري التي تستهدف هذا المقصد غزوة بني المصطلق، فقد ترجم لها بقوله: "باب غزوة بني المصطلق، من خزاعة، وهي غزوة المريسي، قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست وقال موسى بن بن عقبة: سنة أربع وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الإفك في غزوة المريسي"¹.

وعلى كل؛ سواء وقعت الغزوة قبل أو بعد الأحزاب فإنها تُعد من الغزوات الخارجيّة الدفاعيّة، فالمريسيع اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل في جهة الشام، كانسبها التصدي لعدوان الأعراب الأعراب من بني المصطلق بعدما بلغ رسول الله ﷺ أنهم يجمعون له، ويستعدون لغزو المدينة المنورة، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، فخرج إليهم، فهزمهم، فقتل منهم من قتل، ونفل أبناءهم أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفأهم عليه².

وبهذه الغزوات التي أشار إليها الإمام البخاري في صحيحه، وفصلها أهل المغازي والسير تمكن النبي ﷺ من التصدي للتحديات الخارجيّة التي تستهدف الدعوة، وسوف يتضح دورها أكثر عند الحديث عن دور الغزوات الداخليّة في مواجهة التحديات الخارجيّة في العنصر الموالي.

ثانيا: مواجهة التحديات عن طريق الغزوات الداخليّة

إن من التحديات الخارجيّة التي واجهتها الدعوة في هذه المرحلة مهاجمة العدو للمدينة استهدافا لاستئصال الدعوة قادة وأتباعا في عقر دارها، ومن أعظم هذه الغارات التي كانت قريش بطلها الرئيسي في غزوتي أحد والأحزاب.

1. غزوة أحد: تعتبر الغزوة من الغزوات الدفاعيّة عن الدعوة من غزو قريش لها، بسبب هزيمتها بيد حيث خصصت القافلة التجاريّة التي نجت لتجهيز جيشها³، وكان مقصدهم وهدفهم النهائي القضاء على الدعوة بالقضاء على رسول الله ﷺ.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (115/5).

² - ينظر: ياقوت الحموي، البلدان، (118/5)، ابن هشام، السيرة النبويّة، (290/2).

³ - الواقدي، المغازي، (200/1).

وقد أدرك النبي ﷺ والصحابة هذا التحدي، فجعلوا حماية الرسول ﷺ من أعظم المقاصد في هذه الغزوة، فعن قيس بن أبي حازم، قال: «رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ»¹. فلا يستغرب هذا الموقف من طلحة الخير الذي تربى في مدرسة النبوة الأولى منذ عهد دار الأرقم الأرقم بن أبي الأرقم، فقد رباهم النبي ﷺ ورسخ في نفوسهم حب الله سبحانه وتعالى، ورسوله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ و بذل النفوس والأرواح من أجل تبليغ دينه والدعوة إليه².

2. غزوة الخندق: تعد غزوة الخندق من الغزوات الدفاعية العظيمة، التي تمكنت الدعوة من خلالها بصد أعظم محاولة وأخطرها كانت تستهدف إبادة المسلمين، فلم تزل قريش خاصة بعد أحد تفكر بالقيام بعمل عسكري يحسم الموقف لصالحها بالقضاء على المسلمين في المدينة قضاء مبرما.

ونظرا إلى أن قوة قريش وحدها لا تكفي لإنجاز المهمة، فقد سعت إلى التحالف مع الآخرين لحرب المسلمين، فكان القوم جميعا الذين وافوا الخندق من قريش، وسليم، وغطفان، وأسد، عشرة آلاف³.

وأمام هذا التحدي الكبير الذي يستهدف الدعوة كان لا بد من خطة دفاعية محكمة، تمنع العدو من تحقيق وبلوغ مقاصده، فكانت خطة الخندق التي أشار بها سلمان، وقد شارك رسول الله ﷺ بنفسه في حفره، فعن البراء بن عازب، قال: لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيتُه ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه⁴.

وأحسب أن ما ذكرته من الغزوات من خلال الصحيح كافيا لإثبات البعد المقاصدي الدفاعي لها داخل وخارج المدينة، ونجاح الدعوة في هذه المرحلة لصد كل التحديات الخارجية الخطيرة التي كانت تستهدف القضاء على الدعوة؛ قادة واتباعا.

وتزامنا مع هذه التحديات الخارجية، فقد كانت حركة النفاق، ودسائس وفتن، ومؤامرات اليهود اليهود تحديات داخلية، تعمل لصالح أعداء الدعوة في الخارج؛ مما استدعى التصدي لها، وتطهير مجتمع الدعوة منها، وهذا ما سأبينه في العنصر الموالي.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب دُكِرَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، (22/5)، برقم: 3724.

² - مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ مُجَدِّدُ إِمَامٍ، كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله، (503/1).

³ - الواقدي، المغازي، (444/2)، العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (419/2).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، (110/5).

الفرع الثاني: مواجهة التحديات الداخلية

لا تقل التحديات الداخلية خطورة عن التحديات الخارجية؛ إذ تتضافر معها في عداوة الدعوة، السعي لاستئصالها، وهذا ما يظهر من خلال حركة النفاق التي تولى كبرها عبد الله بن أبي، ومؤامرات اليهود التي كانت تحاك ضد المسلمين من حين لآخر منذ بداية العهد النبوي خاصة بعد غزوة بدر.

وسأبين خطورة هذا النوع من التحدي وكيفية التصدي له من خلال ما يلي:

أولاً: مواجهة تحديات المنافقين

من أهم التحديات الداخلية التي واجهتها الدعوة في هذه المرحلة، حركة النفاق، التي كانت تعمل لصالح أعداء الدعوة من العرب واليهود، فكانت الغزوات تكشف من حين لآخر عن نواياهم، وخططهم الخفية التي تستهدف الدعوة بطرق، وأساليب مختلفة، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَصْبَحْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعِ بِيَاذِنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [167-168].

فقد كانت لهم مواقف عدائية ودسائس ومؤامرات وفتن لا يمكن حصرها، فيكفي لبيان خطورتها ما قاموا به في غزوتي أحد وغزوة بني المصطلق، كما سأبينه في التالي:

1. موقفهم في غزوة أحد

أدرك المنافقون أن اتفاق الصف الإسلامي، واتحاد كلمة المسلمين من أعظم أسباب انتصارهم وتغلبهم على التحديات، فلم يكن منهم إلا السعي من أجل الفرقة والاختلاف في الصف المسلم لإضعافه، فقد حاول ذلك عبد الله بن أبي في غزوة أحد، وكاد أن ينجح لولا أن الله حفظ.

وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلُوا وَاللَّهُ وَلِيَهُمْ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 122]، فعن جابر قال رضي الله عنه، قال: " نزلت هذه الآية فينا: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلُوا ﴾ بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل،

والله يقول: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾¹؛ إذ هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة".²

قال ابن إسحاق: "حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تأخذلوا قومكم ونبികم عند ما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال".³

فقد كان من الآثار الدعوية العظيمة لغزوة أحد إلى جنب كونها غزوة دفاعية لصد العدوان العسكري، أنها كشفت وفضحت المنافقين، وبينت عداوتهم للدعوة، ومعرفة وكشف العدو وفضح مخططاته يسهل التصدي له.

2. مواقفهم في غزوة بني المصطلق

لا تزال حركة النفاق تمارس مخططاتها العدائية الخفية، فهذه المرة تطلعتنا غزوة بني المصطلق عن موقفين خطيرين لهذه الحركة.

أ. الموقف الأول: فقد سعى المنافقون في هذه الغزوة إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، في سياق فرق تسد، فعن زيد بن أرقم، قال: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفِضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلِئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعَمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ ﴾ [المنافقون: 01]، فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: «أَنْ اللَّهُ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ»¹.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾، (96/5).

² - الطبري، جامع البيان، (165/7).

³ - ابن هشام، السيرة النبوية، (64/2).

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ ﴾ [المنافقون: 1]، (152/6)، برقم: 4617

ولخطورة الموقف؛ فقد نزلت سورة بكاملها تعالجه كاشفة وفاضحة مواقف المنافقين العدائية للدعوة؛ قادة وأتباعا، وهي سورة المنافقين، ف" هي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن والجبن وانطماس البصائر والقلوب"¹.

ب. الموقف الثاني: لما فشل المنافقون في إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار، استغلوا حادثة الإفك لإيذاء الرسول ﷺ في نفسه وأهل بيته فشنوا حربا نفسية مريعة من خلالها. وقد كان لرأس المنافقين أعظم دور في الحادثة، فعن عائشة رضي الله عنها: ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ [النور:11]، قالت: «عبد الله بن أبي ابن سلول»²

فقصة الإفك، حلقة من حلقات الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدعوة من المنافقين، ولقد كانت هذه الأذية أشد في وقعها على نفسه ﷺ من كل تلك المحن السابقة.

وهي صورة واضحة لاستهداف المنافقين لشخصية النبي ﷺ، وهو شان أعداء الدعوات في كل زمان ومكان، فالسعي للطعن في الرموز يكاد يكون سنة مطردة في الدعوات. وهكذا كان المنافقون يستغلون الفرص متربصين بالدعوة، لإثارة المكائد والشور والدسائس مشكلين تحديا داخليا للدعوة، مما كان يستدعي التصدي لها، والحذر من انعكاساتها الخطيرة، وتلك هي الآثار الدعوية للغزوات في تعرية حقائق المنافقين.

ثانيا: مواجهة تحديات يهود المدينة

قد عقد رسول الله ﷺ عهدا مع اليهود، يتضمن حقوقهم وواجباتهم في الدولة النبوية، باعتبارهم باعتبارهم مواطنين بغض النظر عن ديانتهم³، وظلوا يتمتعون بتلك الحقوق حد بدا خطرهم يهدد الدعوة من الداخل، فكان ذلك نقضا للعهد، الذي يقتضي تطهير المدينة منهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «حَارَبَتِ النَّصِيرُ، وَفُرَيْطَةُ، فَأَجَلَى بَنِي النَّصِيرِ، وَأَقَرَّ فُرَيْطَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ فُرَيْطَةَ، فَفَتَلَ رِجَاهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ حَقُّوا بِالنَّبِيِّ

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (6/3572).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، (6/101)، برقم: 4472.

³ - ينظر: نص المعاهدة بطولها، ابن هشام، السيرة النبوية، (2/106).

﴿ فَأَمَّنْهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجَلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ زَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ﴾¹.

فالحديث يشير إلى غزوات تطهيرية لحماية الدعوة من خطر اليهود الداخلي، وهي الغزوات التي خاضها رسول الله ﷺ مع يهود المدينة لنقضهم للعهد وهي على التوالي:

1. غزوة بني قينقاع

بدأ التحدي اليهودي بعد غزوة بدر مباشرة، فقد أظهر يهود بني قينقاع الغضب والحسد عندما عندما انتصر المسلمون ببدر، وقد بلغ بهم الأمر الإخلال بالأمن داخل المدينة المنورة². فقد بلغ من عداوتهم للمسلمين، أن أحدهم عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، قينقاع، فلما قامت انكشفت وصاحت فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي وتوالت عليه اليهود فقتلوا المسلم، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، فكان ذلك سببا لإجلالهم من المدينة³.

فغزاهم النبي ﷺ، لنقضهم العهد، فحاصرهم خمسة عشر ليلة حتى نزلوا على حكمه، فشفع فيهم فيهم عبد الله بن أبي، وألح عليه فأطلقهم له، وهم قوم عبد الله بن سلام، وكانوا سبعمائة مقاتل، مقاتل، وكانوا صاغة وتجارا⁴.

وبذلك استراحت الدعوة من هذه الفئة التي تشكل تحدي داخلي قوي للدعوة؛ لجاهزيتها العسكرية، قوتها والاقتصادية، وخاصة إذا علمنا أنهم أحلاف رأس المنافقين.

2. غزوة بني النضير

بعد غدر بني قينقاع، وإجلالهم غدرت بنو النضير ونقضت العهد، بمحاولتهم لاغتيال رسول الله ﷺ، كما ورد في كتب السيرة، فلما خرج إليهم، ليستعين بهم على دفع دية رجلين معاهدين معاهدين قتلها خطأ عمرو بن أمية الضمري في أعقاب حادثة بئر معونة، فجلس النبي إلى جدار

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (88/5)، برقم: 3804.

² - العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، (299/1).

³ - ينظر: الواقدي، المغازي، (176/1).

⁴ - ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، (170/3).

لبنى النضير فهموا بإلقاء حجر عليه وقتله فأخبره الوحي بذلك فانصرف عنهم مسرعا إلى المدينة ثم أمر بحصارهم فنزلوا على الصلح بعد حصار ست ليال، على أن لهم ما حملت الإبل.¹ وبهذه الغزوة تخلصت الدعوة من جوار سيء لم يف بعهده ووعده، وبخروج بني النضير زادت حركة النفاق ضعفا، وقد بدت مظاهرهم لليهود حتى في حال الحصار، لإدراكهم لخطورة تطهير المدينة على كيانهم الخبيث في المدينة.

وقد أشارت سورة الحشر التي نزلت في بني النضير، إلى ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافِقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرَجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ بِكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: 11].

قال القاسمي في تفسير الآية: "وأخوتهم معهم أخوة دين واعتقاد، أو أخوة صداقة وموالات لأنهم كانوا معهم سرا على المؤمنين".²

3. غزوة بني قريظة

لم يبق من اليهود داخل المدينة بعد إجلاء بني قينقاع وبني النضير إلا بني قريظة، وظلت على العهد إلى أن جاءت غزوة الخندق، فنقضت العهد بانضمامهم إلى الأحزاب في حرب الإبادة ضد ضد المسلمين، فسار إليهم النبي ﷺ مباشرة بعد مرجعه من الأحزاب.³

فهزموا واستسلموا وحكم رسول الله ﷺ فيهم حليفهم سعد بن معاذ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يقول: نَزَلَ أَهْلَ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ حَيْرِكُمْ»، فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ، قَالَ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ»، وَرُبَّمَا قَالَ: «بِحُكْمِ الْمَلِكِ»⁴

فهذه رواية صحيحة تدل على ثبوت قتل الغادرين من بني قريظة، لشدة خطرهم على الدعوة، مما يرد على يحاول جاهدا نفيها بحجة عدم إنسانيتها، فلم تكن هذه العقوبة الشديدة إلا جزاء

¹ - ابن هشام، السيرة النبوية، (190/2).

² - محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ت: محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ، (191/9).

³ - ينظر تفاصيل الغزوة: الواقدي، المغازي، (496/2)، وابن هشام، السيرة النبوية، (233/2).

⁴ - البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة، (112/5)، برقم: 3895.

لحياتهم العظمى بالتواطؤ مع الأعداء، لإبادة المسلمين، وهذا ما تقره حتى قوانين الحرب الدوليّة الحديثة، فمن حق المسلمين أن يقتلوهم كمجرمي حرب لا كمحاربين عاديين¹.
وبهذه الغزوات تطهرت المدينة من طوائف اليهود بإجلاء بني قينقاع وبني النضير وإبادة مقاتلي بني قريظة، فتكون الدّعوة قد وفرت جهداً للتفرغ لإنجازات دعويّة أخرى.
وخلاصة هذا المطلب أن الغزوات التي كانت قبل الأحزاب أو بعدها بقليل كانت غزوات دفاعيّة على المستوى الخارجي بصد عدوان أعداء الدّعوة وعلى رأسهم قريش بالهجوم الدفاعي، ويكون ذلك خارج المدينة، أو بصد غاراتها على المدينة.
أما على المستوى الداخلي فقد كشفت الغزوات دسائس المنافقين، التي تدل على تواطؤها مع المشركين واليهود، وقد ضعف نشاط حركة النفاق بالتطهير التام للمدينة من الداخل من اليهود، وهكذا نجحت الدّعوة في تجاوز التحديات لتنتقل إلى عهد التّمكين الذي ستولى الدراسة بيانه في المطلب الموالي.

¹ - ينظر: محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص 259، العمري، السيرة النبويّة الصحيحة، (317/1).

المطلب الثاني: المقصد الدعوي التّمكيني للغزوات⁽¹⁾

بعدما حققت الدّعوة مقصد الحماية من خلال الدفاع عن المدينة في المرحلة السابقة، بمواجهة التحديات الداخليّة والخارجيّة، تحركت لتحقيق مقصد التّمكين لها في أرجاء المعمورة، متخذة المدينة قاعدة دعويّة تنطلق منها، وهذا ما تقتضيه طبيعة الرسالة العالميّة الخالدة، التي جاءت لتخرج الناس كافة من الظلمات إلى النور، وتمكن للدعوة الإسلاميّة حتى تسود العالم. لذا جاءت الغزوات وما يدور في محيطها لتحقيقه في هذه المرحلة، فنتناول هذه المرحلة من حياة الدّعوة لإبراز مقصد التّمكين من خلال ما يلي:

الفرع الأول: التّمكين الجيو سياسي للدعوة الإسلاميّة

إن أول عناصر التّمكين للدعوة الإسلاميّة الذي حرصت عليه الدولة النّبويّة، كأولويّة هو التّمكين الجيو سياسي خارج منطقة المدينة عاصمة الدولة، من خلال توسيع رقعة الدولة وتمتين العمل السياسي، خاصة النشاط الدبلوماسي والعلاقات الخارجيّة. وسوف أبين أثر الغزوات وما في محيطها من نتائج ومقدمات لتحقيق هذا الإنجاز الدعوي في هذه العناصر.

أولاً: التّمكين الجغرافي: لقد أخذت الحركة بالدّعوة بعد الأحزاب تتوسع في الجزيرة العربيّة بفضل نشاط الغزوات، حتى بلغت كل القبائل، وهذا ما تفرضه المرحلة التي تستهدف تطهير المنطقة من الفساد الموجود فيها، وتخليصها من عدوان الطغاة، وإسكات صوت البغي وقهر العدوان قبل ظهوره.

فالشروع في حملات التطهير التي قادتها الغزوات والسرايا بعد الأحزاب، فأخذت الحركة بالإسلام تتسع جغرافياً، فوصلت إلى كل قبائل الجزيرة العربيّة، وكان لهذا التوسع أبعاد دعويّة، إذ أن الحركة

¹ - أقصد بمصطلح ((التّمكين للدعوة)): بلوغ الدّعوة الإسلاميّة مرحلة من النصر القائم على أسبابه ومقتضياته، الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في حياة البشريّة من انتصار الحق والعدل والحرية، حتى يكون سلطانّ الدين الإسلامي على كل دين، ونظام الحكم بهذا الدين على البشريّة كلها وهذا التّمكين يسبقه الاستخلاف والملك والسلطان، ويعقبه أمن بعد خوف، وقد ورد ذكر التّمكين في القرآن الكريم في عدة مواضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَنْكَرُوا اللَّهَ وَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ بِهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحج: 39].

ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، (2824/4)، الصلابي، فقه التّمكين، ص 18.

داخل الرقعة الجغرافية الجديدة أصبحت آمنة، وأصبح صوت الإسلام عالياً، وأخذ الناس يشعرون بالحرية، وهذا يمهد لأبعاد دعوية وجمهور مدعويين مرتقبين¹.

وقد أشار البخاري إلى هذا التوسع من خلال تراجم كتاب المغازي² كما يبينه هذا الجدول³:

الغزوة	موقعها الجغرافي
غزوة ذات الرقاع	تقع على ثلاثة أميال من المدينة
غزوة أثمار	بطن من العرب، كانت منازلهم ما بين حد أرض مضر الى حد نجران
غزوة الحديبية	موضع يبعد على مكة مرحلة، وعلى المدينة تسع مراحل
غزوة ذي قرد	بين ذي قرد والمدينة نحو يوم
غزوة خيبر	ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام
غزوة زيد بن حارثة	موضع في بلاد بني سليم.
سرية الحمرات	تطلق بلاد جهينة على كل أرض من ساحل البحر قرب ميناء رابغ
حنين	واد بينه وبين مكة ثلاث ليال.
غزوة الطائف	على مسيرة يوم من مكة
غزوة ذي الخلصة	ذي الخلصة صنم في دوس في جنوب الجزيرة.
ذات السلاسل	وهم جذام قبيلة قحطانية تقطن بين مدين إلى تبوك.
غزوة مؤتة	تقع في الديار الأردنية-شرقي الأردن-على مسيرة أحد عشر كيلا جنوب الكرك.
غزوة تبوك	مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية، وهي تبعد عن المدينة شمالا (778) كيلا .

¹ - أحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1424هـ، 2004م، ص478.

² - ينظر: صحيح البخاري، (113-166).

³ - ينظر: ياقوت الحموي، البلدان، (1/298)، (2/322، 229)، محمد بن محمد حسن شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ، ص77، ص88، ص93، ص237، ص301، عمر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414هـ - 1994م، (1/47).

وهذا الجدول يبين بوضوح العلاقة المباشرة بين حركة الدّعوة، وتوسعها الجغرافي وحركة الغزوات، بعد غزوة الأحزاب، فتصبح الجزيرة كلها دار إسلام ورقعة جغرافيّة وديمقراطيّة إسلاميّة يُعَوّل عليها في تبليغ الرسالة بعد حملها إلى أن تصل إلى حيث يشاء الله تعالى.

ومما لفت انتباهي أن آخر ما ختم به البخاري كتاب المغازي بعث أسامة إلى الروم، وترجم عليه عليه بقوله: "باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما، في مرضه الذي توفي فيه"¹. فتأمير أسامة في هذا الظرف وإلى هذه الوجهة الحساسة تضمن أبعادا دعويّة عظيمة، قال أبو شهبّة: "فيه قضاء على العنجهيّة العربيّة، والتفاخر بالأحساب والأنساب، وتقرير عملي لمبدأ المساواة في الإسلام، وأيضا فقد كان من التوجيهات النبويّة الحكيمة إلى تهيئة الفرص للشباب الصالح، وإثارة عزائمهم، وهمهم إلى معالي الأمور، وتعويدهم الاضطلاع بالتبعات الجسام، والمهام العظام"².

وقد حرص أبو بكر ﷺ على إنفاذ جيش أسامة ﷺ استئنافا للسياسة الدعويّة التي انتهجها النبي الدعويّة التي انتهجها النبي ﷺ لتوسيع الرقعة الجغرافيّة لدولة الدّعوة، رغم ما لقيه من المعارضة، بخصوص هذا الجيش، فقال في عزم وحزم: "لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله ﷺ ولا أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته"³. ومن ثمّ ندرك الوعي والفقّه الدعوي العميق للصدّيق في إنفاذ هذا الجيش، قال ابن الأثير: "وكان وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعا للمسلمين، فأن العرب قالوا: لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه"⁴.

ولم يزل هذا البعد السياسي الدعوي من الأولويات السياسيّة في عمل الخلفاء والملوك الذين تعاقبوا على الخلافة الإسلاميّة، ولم يكن ذلك من قبيل التوسع الاستعماري كما يدعيه أعداء الإسلاميّة، وإنما ذلك من الإنجازات الحضاريّة الكبرى لأمة الخيريّة التي لا ينقطع خيرها إلى قيام الساعة.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، (15/6).

² - مُجّد أبو شهبّة، السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسنة، (586/2).

³ - مُجّد بن جرير، أبو جعفر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط2، 1387 هـ، (226/3).

⁴ - علي بن مُجّد الجزري، أبو الحسن، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط1، 1417 هـ، 1997 م، (195/2).

ثانيا: التمكن السياسي

وبالتوازي مع التمكن الجغرافي السابق، فقد حققت الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة تمكينا سياسيا ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

1. الاعتراف بالدولة الإسلامية

بعدما كانت الدولة الفتية في المدينة لا يعتد بها خارجيا، خاصة من قبل قريش ومن تحالف معها من الأحزاب، أصبحت قوة وكيان سياسي معترف به، ومن مظاهر هذا الاعتراف قبول قريش التفاوض معها، وإبرام معاهدة الهدنة من خلال صلح الحديبية.

وكذا اعتراف اليهود بسيادة الدولة ورضوخهم لسياستها الداخلية، من خلال عقد الصلح بين يهود خيبر والمسلمين، تم بموجبه السماح لهم بخدم الأرض بعقد المزارعة والمساقاة، وأن أي إخلال إخلال بالأمن يعرضهم للإجلاء¹.

فقد تغيرت نظرة الكيانات الكبرى تجاه الدولة الإسلامية، فاقتنعت العرب بقوتها الإقليمية ووزنها ووزنها في المنطقة، ورضخت القوى اليهودية لسلطتها وسلطانها².

وقد أتاح هذا الاعتراف مناخا دعويا جديدا، خصبا متنوعا؛ حيث تمكنت الدعوة من تحقيق أبعاد إعلامية اتصالية داخل المنطقة وخارجها، وفي العنصر الموالي دليل على ما تقرر.

2. نشاط الحركة الدبلوماسية

بعد هذه الإنجازات التي حققتها الدولة الإسلامية أخذت الدعوة تتجه نحو العالمية، ففي هذه الفترة نشطت الحركة الدبلوماسية والعلاقات الخارجية ويظهر ذلك جليا من خلال:

أ. إرسال السفراء ومكاتبة الملوك: من مظاهر نشاط الحركة الدبلوماسية في هذه المرحلة من الدعوة النبوية إرسال السفراء، ومكاتبة الملوك لدعوتهم إلى الإسلام بالطرق السلمية، التي هي الأصل، فكثيرا ما بينت أن القتال في الغزوات يلجأ إليه كإجراء تبعي عند الاضطرار إليه³.

¹ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي باب غزوة الحديبية، 126/5، برقم: 4178، وباب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر، (140/5)، برقم: 4248.

² - إضافة إلى يهود خيبر فقد خضع لسلطة الدولة الإسلامية أهل فدك وتيماء ووادي القرى، ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (326/1).

³ - ينظر: أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، ص 130.

فقد بعث النبي ﷺ كتب وبعث رسل إلى جهات مختلفة، خاصة بعد صلح الحديبية، قال ابن القيم: " لما رجع من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل إليهم رسله، فكتب إلى ملك الروم، الروم، فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا إذا كان محتوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر: مُحَمَّد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستة نفر في يوم يوم واحد في المحرم سنة سبع" ¹.

وقد أشار الإمام البخاري هذه المراسلات في صحيحه ضمن كتاب المغازي، فقال في إحدى تراجم الكتاب: " باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر " ²، وكسرى لقب كل من ملك الفرس، ومعناه بالعربية: المظفر، وكسرى هذا الذي أرسل إليه النبي ﷺ، الكتاب هو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وقيصر لقب كل من ملك الروم، والمراد منه: هرقل ³. فالترجمة وإن كانت مجملة فهي تشير إلى سعة الدبلوماسية الدعوية، فقيصر أشار به إلى أهل الكتاب، وكسرى يشار به إلى الوثنيين، من قبيل التعبير عن الكل ببعض أجزائه، وما أمم الأرض إلا هاتين الفتنتين.

ثم استدلل للترجمة بحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، " أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى إِي كِسْرَى، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَرَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنْ ابْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: «فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ» ⁴.

وقد ذكر كتابه ﷺ إلى هرقل في غير كتاب المغازي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال بعث النبي ﷺ دحية الكلبي بكتابه إلى عظيم بصرى ⁵، وأمره أن يدفعه إلى قيصر ⁶.

¹ - ابن القيم، زاد المعاد، (120/1)، ينظر للاستزادة والتفصيل: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (258/1).

² - رواه البخاري في صحيحه، (8/6).

³ - ينظر، العيني، عمدة القاري، (57/18)، ابن حجر، فتح الباري، (127/8).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، (8/6)، برقم: 4424.

⁵ - عظيم بصرى: "هو الحارث بن أبي شمر الغساني، من أمراء غسان في أطراف الشام. كانت إقامته بغوطة دمشق، وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي ﷺ كتابا مع شجاع بن وهب"، الزركلي الأعلام، (155/2).

⁶ - البخاري، كتاب أخبار الأحاد، باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحدا بعد واحد، (89/9)، وفي الترجمة إشارة إلى بعد دعوي مهم وهو بعد الاستمرارية في الدعوة وتعاهد المدعويين وعدم اليأس من الاستجابة، وقد أورد نص الكتاب مطولا مع قصة هرقل مع أبي سفيان في: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي لرسول الله ﷺ، (08/1).

وعلاقة المكاتبات بالغزوات لا تخفى فماهي في هذه المرحلة إلا نتيجة للانتصار الباهر للمسلمين على أعداء الدعوة من خلال الجهاد النبوي.

ومن جهة أخرى فإن هذه المراسلات قد تنشأ عنها ردود أفعال عنيفة، مما يحتم على الدولة الإسلامية تغيير استراتيجية التعامل، للتكيف مع الظروف الطارئة، وهذا ما حصل لما قتل الحارث الحارث بن عمير الأزدي الذي بعثه رسول الله ﷺ بكتاب إلى عظيم بصرى، فكان ذلك سببا مباشرا لغزوة مؤتة التي كانت بعد ذلك إرهابا لما بعدها من غزو الروم¹.

ب. استقبال الوفود: من مظاهر التمكين السياسي للدعوة في هذه المرحلة الذي جاء نتيجة النجاحات والإنجازات التي تحققت من خلال حركات الغزو، التي لعبت دورا إعلاميا في المنطقة أثمر استجابة دعوية تمثلت في الوفود التي وفدت على المدينة قاعدة الدعوة لتعلن إسلامها، وقد أورد البخاري جملة من هذه الوفود في كتاب المغازي، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، عنهما، قال: أتى نفر من بني تميم النبي ﷺ، فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم». قالوا: يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا، فرئي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن، فقال: «اقبلوا البشرى إذ إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله².

قال الكرماني: " بشرهم رسول الله ﷺ بما يقتضي دخول الجنة حيث عرفهم أصول العقائد التي هي المبدأ والمعاد"¹.

¹ - ينظر: بريك بن محمد العمري، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ، 2004م، ص387، وهو رسالة ماجستير قيمة تطرق فيه صاحبها إلى دراسة غزوة مؤتة والسرايا والبعوث الشمالية قبلها وبعدها، وفق منهج المحدثين، فيتناول كل ما يتعلق بالسرية أو البعث ذكرا سببها وعدد جيشها وسير أحداثها، ثم يذيل ذلك بما تضمنته من فقه.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، (168/5)، برقم: 4365، والحديث لكثرة أبعاده الدعوية وتنوعها، فقد تكرر عدة مرات في الصحيح، فقد خرج في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: 27]، (105/4) برقم: 3190، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7]، (124/9)، برقم، 7418، والأبعاد الدعوية متنوعة ومتكاملة في ها الحديث كما يبرزه فقه الإمام البخاري في هذه التراجم، فقد أشار رحمه الله إلى تاريخ البشرية، والمبدأ والمعاد، ومرحلة الوفود وهي من أهم مراحل الدعوة النبوية وختمها بإثبات عرش الرحمن وهو من قضايا التوحيد المهمة، كما فيها الإشارة أعظم مصدر للدعوة وهو القرآن الكريم؛ إذ يوّب به بعض التراجم.

¹ - ابن حجر، فتح الباري، (409/13).

إضافة إلى دلالة الحديث على مقصد التمكن الدعويّة بإقبال الوفود على اعتناق الإسلام والدخول في دين الله طواعيّة، فقد تضمن أبعادا دعويّة أخرى أشار إليها الإمام البخاري في تراجمه على الحديث كما تراه في التخرّيج.

وذكر البخاري كذلك وفادة عبد القيس، فعن ابن عباس، قَالَ: قَدِمَ وَفَدَ عَبْدَ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: أَنَا مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ رِبِيعَةَ وَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِنَا، فَقَالَ: «أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تَوَدُّوا إِلَيَّ خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَى عَنْ: الدُّبَاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُقْبِرِ وَالنَّقِيرِ»¹²

وهذا الحديث مثال آخر من أمثلة الوفادة الطوعيّة، والاستجابة الدعويّة فيه واضحة، فقد سألو النبي ﷺ عما يجب أن يفعلوه باعتبارهم مسلمين، فأمرهم كما أمر غيرهم من الوفود بأصول الإيمان وأركان الإسلام وبعض فروع التشريع التي يحتاجون إليها كالنهي عن الانتباز في أواني مخصوصة سدا لذريع السكر.

وفي الحديث أبعاد دعويّة كثيرة نبه إليها الإمام البخاري في صحيحه من خلال تراجمه عليه كما كما هو مبين في تخرّيج الحديث³.

¹ - الحَنْتَمُ: جِرَارٌ مَدْهُونَةٌ حُضِرَتْ كَانَتْ تُحْمَلُ الْخَمْرَ فِيهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، الدُّبَاءُ: الْقَرْعُ، الْمُرْقَفَتِ: هُوَ الْإِنَاءُ الَّذِي طُلِيَ بِالزَّيْتِ النَّقِيرِ: أَصْلُ النَّخْلَةِ يُنْقَرُ وَسَطُهُ يَنْظُرُ: ابْنُ الْأَثِيرِ، النِّهَائِيَّةُ، (148/1)، (96/2)، (304/2)، (104/5).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، (20/1)، وفي الحديث أبعاد دعويّة متعددة من أجل ذلك تعددت مظانه في الصحيح، فهو مخرج في: كتاب العلم (29/1)، كتاب مواقيت الصلاة، (111/1)، كتاب الزكاة، (105/2)، كتاب فرض الخمس، (81/4)، كتاب المغازي، (169/5)، كتاب الأدب، (41/8).

فقد استطاع الإمام البخاري أن يستنبط من الحديث مسائل كثيرة متعلقة بأبعاد الدّعوة الكبرى، العقديّة، كدخول الأعمال في مسمى الإيمان، وخلق أفعال العباد، والأبعاد التشريعيّة، كالأستدلال بالقرآن، وحجّيّة الخبر الواحد، ووجوب الصلاة والزكاة، وأداء الخمس، والأبعاد المقاصديّة بالإشارة إلى مقصد التمكن باستجابة الناس طوعا للدعوة واستعدادهم للمساهمة في نشرها، والسلوكيّة، كعلاقة الدّاعيّة بالمدعو والاهتمام بشؤونهم، وتدريب الدعاة على تحمل الدّعوة ونشرها، ومعاملة المدعو بالطيف من القول؛ مما يدل على الثراء الدعوي لأحاديث الوفود التي هي ثمرة من ثمرات نجاح الجهاد النبوي.

³ - اكتفيْتُ بذكر هذين الوفدين من الصحيح للاختصار وإلا فإنّ البخاري قد ذكر وفود أخرى، كوفد بني حنيفة، ووفد أهل نجران، ووفد الأشعريين وأهل اليمن، ووفد طيء، وهي أصح ما ورد في الوفود، من الروايات لضعف أكثرها كما حققه أكرم ضياء العمري، وقد تضمنت مروياتها أبعادا دعويّة عظيمة، أهمها في هذا المقام الدلالة على التمكن للدعوة ونجاحها وبلوغ صداها الآفاق، ينظر: صحيح البخاري (169/5)، (171/5)، (172/5)، (174/5)، أكرم ضياء العمري، السيرة النبويّة الصحيحة، (542/2).

وقد سمي أهل السير العام الذي توافدت فيه الوفود إلى المدينة، بعام الوفود، وكان ذلك في العام العام التاسع للهجرة، قال ابن إسحاق: "لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه... وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة، مكة، ودانت له قريش، ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عز وجل، أفواجا، يضربون إليه من كل وجه".¹

فالعلاقة بين حركة الغزوات وتوافد الوفود على رسول الله ﷺ، مما يدل مرة أخرى على الأبعاد الدعوية الخارجية للغزوات، وآثارها الاتصالية الدعوية ذات الصدى البعيد والقوي الفعال، ومن ثم الاستجابة الدعوية الطوعية المنقطعة النظر الظاهرة في هذه الوفود، فهي الفتح العظيم، والنصر المبين للدعوة النبوية في هذه المرحلة من تاريخها.

ومما سبق أستطيع القول أن الدعوة الإسلامية ما كان لها أن تحقق تلك الإنجازات الجيو سياسية لولا نجاحها في حركة الغزوات، خلال هذه الفترة الطويلة المضنية منذ الإذن بالقتال إلى فتح مكة على الأقل، وسبقى الجهاد ماض ما بقيت الدعوة، وما بقي أعداؤها؛ لحفظ الإنجازات الجيو سياسية وجودا وعدما.

الفرع الثاني: التمكين الاقتصادي

إن النجاح الجيو سياسي الذي حققته الدعوة، كان له انعكاس إيجابي على اقتصاد الدولة النبوية، النبوية، فقد أصبحت في هذه المرحلة قوة اقتصادية بعدما مرت بما حالات من الأزمات، والشدائد والشدائد كما مر معنا في غزوة الأحزاب وغزوة ذات الرقاع، وقوة الاقتصاد من أهم أسباب التمكين للدعوة الإسلامية، لأن القوة الاقتصادية هي عصب الحياة الدنيا وقوامها، ولذلك ينبغي على الأمة الإسلامية أن تعتمد على الذات في موارد ثابتة، تمكنها من مواجهة الأعداء ونشر الدين، مما يوفر للدعوة والدعاة حرية التحرك، واتخاذ القرار دون ضغوط كابحة للنشاط الدعوي من

¹ - ابن هشام، السيرة النبوية، (2/560).

أي جهة كانت، إضافة إلى ما توفره القوة الاقتصادية من ثقل إعلامي، واجتماعي، وسياسي، وأمني¹.

وتتجلى مظاهر التمكين الاقتصادي لدولة الدعوة النبوية في مظاهر منها:

أولاً: أصالة الأسس الاقتصادية: ونعني بذلك أن الاقتصاد الإسلامي مبني على أسس، وضوابط شرعية، فالشرع هو الذي يضبط النشاط الاقتصادي الإسلامي على مستوى الفرد، وعلى مستوى الدولة، وفيما يلي بعض التصديقات لهذا التصور من واقع السيرة النبوية وواقع الغزوات على الخصوص:

1. مشروعية المعاملات

قد أسس النبي ﷺ الاقتصاد على أصول متينة أول ما يراعى فيها مشروعية المعاملة، ولا يكتفي بذلك بل يحرص أن يكون تطبيق وتنزيل تلك الأحكام تنزيلاً صحيحاً، فمن الأول معاملته لأهل لأهل خيبر بإعطائهم الأرض المفتوحة بعقد المزارعة والمساقاة، فقد روى البخاري عن عبد الله رضي الله عنه، قال: «أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ الْيَهُودَ، أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا»².

فقد دلت المعاملة على ضابط من الضوابط الاقتصادية المهمة وهي ضابط انتفاء الغرر في الأجرة، فالأجرة مقدرة بوضوح بشطر ما يخرج من الأرض، وأصل المعاملة قائم على استئجار أهل أهل الذمة³.

كما كان شديد التحذير من أكل أموال الناس بالباطل، ولو كان شيئاً يسيراً مبالغة في التنفير، فقد روى البخاري وغيره عن أبي هريرة، قال: "أَهْدَى رِفَاعَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلَامًا، فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ، فَنَزَلَ بَيْنَ الْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ فَأَتَى الْغُلَامَ سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّةُ فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَنْ سَمَلْتُهُ لَتُحْرَقَ عَلَيْهِ الْإِن فِي النَّارِ غَلَّهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ يَوْمَئِذٍ شِرَاكِينَ فَقَالَ: يُقَادُ مِنْكَ مِثْلُهُمَا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ " ⁴

¹ - علي الصلابي، تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص 339.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب المزارعة بالشطر ونحوه، (104/3)، برقم: 4248.

³ - ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (93/16).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (138/5)، برقم: 4234، ورواه ابن أبي شيبة،

المصنف، (526/6)، برقم: 33537، هكذا مختصراً.

وقد ذكر مُجَدُّ بن علي الإثيوبي فوائد كثيرة للحديث، فقال: "تحريم الغلول، وتعظيم شأنه، وإن كان قليلاً، وأنه من الكبائر؛ لتوعده بالنار"¹، وكان أسلوب الترهيب بالنار أثر في سرعة الاستجابة الدعوية؛ فقد رد الذي أخذ الشركاء غلولا على الفور.

وقد حرص النبي ﷺ على تصفية المعاملات المالية من الربا، بالنهي عنه، وبيان أحكامه، وتعليم أصحابه إيها تطبيقياً، فلما فتحت خبير نشطت التجارة في التمور وهو من الأجناس الربوية، استدعى بيان أحكام المعاملات بين الأجناس الربوية، حتى لا يقع الناس في الربا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خبير، فجاءه بتمر جنيب، فقال جنيب، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلْ تَمْرَ خَيْبَرَ هَكَذَا»، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا لَأَتَّخِذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ، بِالثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ، بَعِ الْجَمْعَ بِالذَّرَاهِمِ، ثُمَّ ابْتَغِ بِالذَّرَاهِمِ جَنِيبًا»²، قال القاري: "ولم يؤاخذه بما وقع لأنه جهل حرمة، والصحابة في زمن حياته رضي الله عنه لكونهم من أهل إنشاء الشرائع معذورون بما جهلوه من بعض الفروع الخفية كما هنا"³.

ومع بيان النبي ﷺ لضوابط التعامل مع الأموال الربوية بهذه الطريقة الحكيمة، فقد أكد وأعلن عن حرمة الربا في أكبر اتصال دعوي جماهيري في خطبة الوداع، فمما جاء فيها: «وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبَا أَضْعُ رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»⁴.

وبعد فأني أكون قد أشرت إلى أن الدعوة النبوية لم تغفل ميدان الاقتصاد، فهو جزء لا يتجزأ منها، فلا يمكن للمعاملات المالية أن تحيد عن أسس وأصول الدعوة العقدية والتشريعية، فقد انتقد انتقد مالك بن نبي بشدة من يحاول تطبيق المعاملات الإسلامية في ظل النظام الرأسمالي بقوله: "بحرمه في شريعته، وكأنه من الناحية الفنية يحاول تخليص جسد من روحه، ويرجو أن الجسد سيبقى سيبقى حياً وسيقوم بمهامه"⁵.

¹ - مُجَدُّ بن علي بن آدم الإثيوبي، ذخيرة العقبي في شرح المحتجب، دار المعراج الدولية للنشر، ط1، (د.ت)، (52/31).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، (77/3)، برقم: 2201.

³ - القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (1919/5).

⁴ - رواه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ، (1022/2)، برقم: 3074، وصححه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ت: مُجَدُّ مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، (252/4).

⁵ - مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص43.

2. قيمية المعاملات

من مظاهر أصالة الاقتصاد قيامه على القيم والأخلاق، فالمعاملات المالية في الإسلام ليست معاملات دنيوية مادية جافة، بل هي معاملات راقية برقي أخلاق المسلم الذي يحرص أن تكون تصرفاته كلها دعوية ينتغي من ورائها الأجر والثواب.

وقد حث الشرع على التحلي بالأخلاق والقيم حين مزاوله نشاط التعامل الاقتصادي من بيع وشراء وغيره، كالصدق، والأمانة، الرحمة، والسماحة، الإحسان، وغيرها من الأخلاق، كما لم يحرص المعاملات المالية في النفع الدنيوي فحسب؛ إذ فتح باب عقود التبرعات على مصراعيه، فحث على الصدقة والهديّة، والوقف، والوصية، وكل ذل ثابت في الكتاب والسنة.

ولم يكتف النبي ﷺ بالدعوة القولية إلى هذه القيم والأخلاق فحسب، بل كانت معاملاته المالية المالية أرقى نموذج في التزام الأخلاق وتطبيقها في المجال المعاملاتي، ومن أروع الأمثلة على ذلك قصة بيع جمل جابر للنبي ﷺ أثناء الرجوع من إحدى الغزوات، ففي الصحيح، قال جابر: "دَخَلَ" "دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ، وَعَقَلْتُ الْجَمَلَ فِي نَاحِيَةِ الْبَلَاطِ، فَقُلْتُ: هَذَا جَمَلُكَ، فَخَرَجَ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْجَمَلِ، قَالَ: «الْثَمْنُ وَالْجَمَلُ لَكَ»¹.

وقد ترجم الإمام البخاري على الحديث بترجمة تدل على البعد القيمي في المعاملات المالية، فقال: "باب حسن القضاء"²، فقد رغب الحديث في حسن قضاء الدين، وأقله أن يقضي عند حلول الأجل دون تسويق أو مماطلة، وإن من حسن القضاء أن يرُدَّ الدين بأجود أو أكثر منه³. فيكون الحديث قد أشار إلى قيمتين عظيمتين تنبني عليهما العلاقات عموماً، وهما قيمة العدل والإحسان، لقوله تعالى: ﴿أَنْ أَلَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْبَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

قال سيد قطب مبرزاً دور القيم في البناء الاقتصادي: "وعلى هذا الأساس قام بناء الجماعة الإسلامية، و بناء الدولة الإسلامية فنعم العالم بالطمأنينة، والثقة، والنظافة في المعاملات الفردية،

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب من عقل بغيره على البلاط أو باب المسجد، (135/3)، برقم: 2470، وقد وردت القصة في عدة مواطن من الصحيح، ينظر: كتاب الجهاد والسير، باب من ضرب دابة غيره في الغزو، (30/4)، برقم: 2706.

² - رواه البخاري في صحيحه، (117/3).

³ - ينظر: حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، (347/3).

والدوليّة يوم كانت قيادة البشريّة إلى الإسلام¹.

فمشروعيّة المعاملات الماليّة، وقيامها على أساس القيم، والأخلاق مقومان أساسيان يدلان على أصالة الاقتصاد الإسلامي؛ باعتباره من النظم الأساسيّة التي تقوم عليها الدولة الإسلاميّة في تمويل مشاريعها الاستخلافيّة الكبرى.

ثانيا: تنوع الموارد الاقتصاديّة

أن توسع الرقعة الجغرافيّة للدولة الإسلاميّة، ونشاط حركة الفتوح، وتزايد عدد الداخلين في الإسلام جعل موارد الدولة تتراد وتتنوع ومن هذه الموارد:

1. الغنائم

قد أفرد الإمام البخاري للغنائم كتابا عنون له بكتاب الخمس ضمنه تسعة عشر بابا، كل كتاب قد خصه لحكم من أحكام الغنائم، وسأقصر الحديث على أمور بما يخدم مقصد التّمكين الاقتصادي مستعينا بتلك التراجم كما يلي:

أ. مشروعيّة الغنائم وكيفيّة توزيعها: قد أثبت الإمام البخاري مشروعيّة الغنائم مستدلا على ذلك

ذلك بالكتاب والسنة، فقال " باب قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ حُمُسُهُمْ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41]"².

فقد بينت الآية مشروعيّة الغنيمة، وكيفيّة توزيعها، قال ابن كثير: " يبين تعالى تفصيل ما شرعه شرعه مخصصا لهذه الأمة الشريفة، من بين سائر الأمم المتقدمة، من إحلال المغانم، و"الغنيمة": هي المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب، و"الفيء": ما أخذ منهم بغير ذلك، كالأموال التي يصلحون عليها، أو يتوفون عنها ولا وارث لهم، والجزية والخراج ونحو ذلك... وجعلت الغنائم: أربعة أخماسها للمجاهدين، وخمسا منها لهؤلاء المذكورين"³.

ثمّ عقد بابا ترجم له بحديث ليين من خلاله أن مشروعيّة الغنائم من خصوصيات هذه الأمة، فقال: باب قول النبي ﷺ: «أَحَلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»⁴.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، (4 / 2192).

² - رواه البخاري في صحيحه، (84/4).

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (59/4).

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، (85/4)، والحديث موصول في الصحيح، ينظر: كتاب الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ:

«أَحَلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»، (85/4)، برقم: 3122.

فالغنائم مشروعة بالكتاب والسنة، وهي من خصوصيات هذه الأمة، مع التنبيه أن الجهاد لم يشرع يشرع لتحصيل الغنائم، وإنما شرع لإعلاء كلمة وما الغنائم إلا آثار ثانوية له، وهذا لم يغفله البخاري رحمه الله تعالى في هذا الكتاب، فترجم لذلك بقوله: "باب من قاتل للمغنم، هل ينقص ينقص من أجره؟"، ثم استدلل للترجمة بحديث صريح صحيح، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فعن الله عنه، فعن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلدَّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَائِهِ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا⁽¹⁾ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»².

وقد بين ابن تيمية أن أخذ الغنيمة لا يعكر صفو الجهاد في سبيل الله، فقال: "وما يأخذه الجندي الجندي ليس أجرة للجهاد، لأنه لو كان أجرة كان لفعل الجهاد، وإنما عليهم أن يقاتلوا في سبيل سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وأجرهم على الله، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، والإقطاع الذي يأخذونه معاونة لهم، ورزقاً لنفقة عيالهم عيالهم وإقامة الخيل والسلاح"³.

ب. مصارف الخمس: أما خمس الغنيمة فإنه يصرف في مصارف مخصوصة تحقق مقاصد دعوية عظيمة، فمن ذلك أن الخمس قد يدخر لمواجهة بعض الطوارئ والنوائب، فقال البخاري رحمه الله: "باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين"⁴، فالإمام له أن يتصرف في الخمس وفق ما تقتضيه مصلحة الدعوة، فينفق عليها منه، ويرصد شيئاً منه لصالحها⁵.

ومن الخمس تجري نفقة إمام المسلمين، وهو مصرف حيوي، ويؤخذ منه أهمية كفاية وكفالة قادة الدعوة ورجالها ليتفرغوا لخدمتها بفعالية وجودة عالية، وإلى ذلك الإشارة بقول البخاري: "باب:

¹ - قال ابن حجر: "قال ابن أبي جرة ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما انضاف إليه، ويدل على أن دخول غير الإعلاء ضمناً لا يقدح في الإعلاء إذا كان الإعلاء هو الباعث الأصلي"، ابن حجر، فتح الباري، (29/6).

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (20/4)، برقم: 2810.

³ - محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط1، 1418هـ، (227/3).

⁴ - البخاري، الصحيح، (88/4).

⁵ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (238/6).

ومن الدليل على أن الخمس للإمام¹، قال العيني: "قوله: (للإمام) أراد به من كان نائب رسول الله، ﷺ، لان التصرف فيه له، ﷺ، ولمن يقوم مقامه"².

وقد تقتضي مصلحة الدعوة أحيانا أن يصرف من الخمس أو من الغنيمة قبل التخميس كتأليف القلوب، وهذا المصرف قد دلت عليه بعض تراجم البخاري، كقوله: "باب ما من النبي ﷺ على على الأسارى من غير أن يخمس"³، وتعقب القسطلاني الترجمة بقوله: "لأن له عليه الصلاة والسلام التصرف في الغنيمة بما يراه مصلحة"⁴، ولنفس الغرض ترجم بقوله: "باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه"⁵.

ولا يخفى على المشتغل بالدعوة ما للإحسان من أثر في تأليف قلوب المدعويين، قال ابن تيمية الداعية الكبير: "ونبينا كان يعطي المؤلفه قلوبهم ويدع آخرين هم أحب اليه من الذي يعطي يكلمهم الى ما في قلوبهم من الايمان وإنما كان يعطي المؤلفه قلوبهم لما في قلوبهم من الهلع والجزع ليكون ما يعطيهم سببا لجلب قلوبهم الى أن يحبوا الاسلام فيحبوا الله فكانمقصوده بذلك دعوة القلوب الى حب الله عز وجل وصرفها عن ضد ذلك"⁶.

وقد أدرت هذه الغنائم خيرات كثيرة على الدولة استغلت في نشر الدعوة الإسلامية، والتمكن لها، فكانت من آليات التمويل الدعوي على عهد الدولة النبوية.

وهذه بعض الإحصاءات التي تدل على أهمية هذا المورد في تمويل اقتصاد الدولة الإسلامية:

¹ - البخاري، الصحيح، (91/4).

² - العيني، عمدة القاري، (63/15).

³ - البخاري، الصحيح، (91/4).

⁴ - القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (218/5).

⁵ - البخاري، الصحيح، (92/4).

⁶ - ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة، ص46.

جدول رقم: يبين قيمة الغنائم في بعض الغزوات والسرايا ¹	
الغزوة	قيمة الغنيمة
بني المصطلق	2000 بغير، و5000 شاة
حنين	4000 أوقية فضة، 24000 من الإبل، 40000 شاة خيل وبقر
غزوة القرطاء	100 بغير، 3000 شاة.
سرية زيد إلى حسمى	1000 بغير، 5000 شاة
سرية علي إلى فدك	500 بغير، 1000 شاة.
سرية عكاشة إلى الغمر	200 بغير

لعلي أكون بذلك قد أبرزت أهمية الغنائم التي تدرها الغزوات على الدعوة الإسلامية ومدى مساهمتها في تحقيق مقصد التمكين الاقتصادي للدولة الإسلامية، وإن كنت أعد هذه الآلية التمويلية ليست عملية مستدامة؛ مما جعل الدولة تفعل آليات أخرى لعلها تحقق الاستدامة، كآلية الزكاة، وآلية الجزية التي يأتي الحديث عنهما بعد.

2. الزكاة

تعد فريضة الزكاة من موضوعات الدعوة بعد الدعوة إلى التوحيد والصلاة، لذا كانت الاستجابة الاستجابة للدعوة تقتضي إخراج الزكاة، لتصبح موردا من موارد الدولة الإسلامية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «أَنْكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»².

¹-ينظر:الواقدي، المغازي، (410/1)، (535/2)، (550/2)، (558/2)، (563/2)، أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، (282/7).

²- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (162/5)، برقم: 4347، وقد تكرر الحديث عدة مرات في الصحيح ليدل على تعدد الأبعاد الدعوية في الرواية، فمن ذلك أنه أخرجه في

هذا الحديث يشير إلى التكامل بين مراحل الدعوة والمغازي، والزكاة كآلية من آليات التمكين الاقتصادي، في ظل مرحلة التمكين الجيو سياسي الذي بلغته الدولة النبوية في هذه المرحلة؛ حيث حيث أصبحت الدولة الإسلامية هي التي تتولى جمع وتوزيع زكاة المناطق المفتوحة، وهذا من مسؤولياتها ووظائفها¹.

ويستفاد هذا كله من ترجمة الإمام البخاري على الحديث بقوله: "باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع"²، فأبو موسى ومعاذ رضي الله عنهما مبعوثان من قبل الدولة الإسلامية لتنفيذ سياستها في المنطقة للتمكين لهذا الدين في شتى المجالات الدعوية، التي منها إدارة إدارة شؤون الزكاة بأبعادها المختلفة.

وللأهمية التمويلية للزكاة الدعوية، فقد كان يبعث رسول الله ﷺ إلى كل ناحية من يجمع زكاتها زكاتها من القبائل التي أسلمت، ويسمى جامع الزكاة بالمصدق، وقد نشطت العملية واستجاب لها لها المسلمون خاصة بعد توسع رفعتها الجغرافية، وما صاحب ذلك من نمو ديمغرافي بعد فتح مكة، مكة، قال ابن إسحاق: "وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات، إلى كل ما ما أوطأ الإسلام من البلدان"³.

وقد عدد أهل المغازي هؤلاء المصدقين والمناطق التي أرسلوا إليها، فمما ذكروا أنه بعث المهاجر بن المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، وزياد بن لبيد إلى حضرموت، وعدي بن حاتم الطائي على صدقة صدقة طيبئ وأسد، ومالك بن نيرة على صدقات حنظلة، والزبرقان بن بدر على صدقات سعد، سعد، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين، علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى نجران⁴.

كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (104/2)، برقم: 1395، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (119/2)، برقم: 1458، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (128/2)، برقم: 1496، كتاب المظالم والغصب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، (129/3)، برقم: 2448، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، (114/9)، برقم: 7371.

¹ - ينظر: يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، ط3، دار الشروق، مصر، 1422هـ، 2001م، ص41.

² - البخاري، الصحيح، (162/5)

³ - ابن هشام، السيرة النبوية، (600/2)

⁴ - ينظر: المقرئ، إمتاع الأسماع، (101/2-102).

ويلاحظ أن هؤلاء المصدقين قد اختارهم النبي ﷺ بعناية، فقد توفر فيهم من المهارات والاستعدادات الدعوية، ما لا يوجد في غيرهم، فمنهم زعماء القبائل وأهل الرأي والعلم، مما كان له الأثر الإيجابي في نجاح عملية جباية الصدقات¹.

فهذه العملية إحدى مظاهر نجاح الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة؛ إذ كثر أتباعها، وتنوعت مواردها وتمكنت من إقامة شعائر الإسلام الكبرى، فها هي شعيرة الزكاة تستوي على سوقها بعدما تمكنت من إقامة الصلاة والصيام والحج بعد فتح مكة، وقبله أداء شعيرة العمرة في عمرة القضاء.

3. الجزية

إن الإسلام لا يلزم أهل الكتاب وغيرهم بالدخول فيه، كما لا يلزمهم بدفع الزكاة، لأنها عبادة خاصة بالمسلمين، ولكن باعتبارهم مواطنين يلزمون بدفع الجزية التي هي مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب وغيرهم².

وهي مشروعة بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿فَتِلْؤُا الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُوْنَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ وَلَا يَدِيْنُوْنَ دِيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِيْنَ آثَرُوْا الْكِتٰبَ حَتّٰى يُعْطُوْا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صٰغِرُوْنَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: 29].

وهذه الآية الكريمة قد جعلها الإمام البخاري إحدى تراجم كتاب الجزية والموادعة، ثم أورد تحتها تحتها الأحاديث التي تدل على مشروعية الجزية، فقد روى عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر³.

وهذا حديث نص في باب الجزية، فهو يلحق المجوس بأهل الكتاب، وقد ذهب الكثير من العلماء مستندين لروايات على أنهم أصحاب كتاب⁴.

¹ - ينظر: أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ص 609.

² - ينظر: سيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1397 هـ، 1977 م، (664/2).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، (96/4)، برقم: 2987، هجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين، وليست من البحرين المعروفة الآن، في داخل الخليج العربي، ولكن البحرين كانت تطلق على المنطقة الشرقية من السعودية وقاعدتها هجر، وهي الإحساء، ينظر: محمد بن محمد حسن شرّاب، المعالم الأثرية في السنة والسيارة، ص 293.

⁴ - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (261/6)،

كما كان يكلف عماله بجمعها، فقد بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيرتها، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي.¹ ولا بد عند الحديث عن الجزية أن نبين أنها ليست عوضا ماليا عن دم أو عقيدة، وإنما هي لحماية حماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء.²

4. الأوقاف، الهبات والتبرعات: قد كانت الصدقات والتبرعات في سبيل الله من الموارد التي ترد إلى الدولة الإسلامية وتستغل في شؤون الدعوة المختلفة كالنفقة على الفقراء والجهاد لنشر الدعوة والدفاع عنها، ونشطت هذه التطوع المالي أكثر بعد فتح خيبر، لفيما توسعت الرقعة كثرت المغانم.

فمن ذلك نشاط الوقف الدعوي، فقد جاء في صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أصببت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه؟ قال: «أن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»³.

ومن أهم ما يذكر في مجال الأوقاف ما قام به عثمان رضي الله عنه من حفر بئر رومة وتجهيز جيش جيش العسرة، وذلك استجابة للترغيب النبوي، فقد روى البخاري في صحيحه معلقا وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يخفر بئر رومة فله الجنة»، فحفرها عثمان، وقال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان.⁴

ولم يقتصر الوقف على العقار بل تعدى حتى إلى وقف الدواب على الغزو في سبيل الله، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر حمل على فرس له في سبيل الله أعطاه رسول الله ﷺ ليحمل

¹ - ينظر: صحيح البخاري كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، (96/4).

² - محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص 44.

³ - رواه البخاري في صحيحه، (143/8)، معلقا، وأورده موصولا في كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، (198/3)، برقم: 2737.

⁴ - البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه، (13/5)، وقد وصله في كتاب الوصايا باب إذا وقف أرضا أو بئرا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، (13/4)، برقم: 2778.

ليحمل عليها رجلا، فأخبر عمر أنه قد وقفها يبيعها، فسأل رسول الله ﷺ أن يبتاعها، فقال: «لا تبعتها، ولا ترجعن في صدقتك»¹

وبقي بعد ذلك الوقف من الموارد الاقتصادية الهامة التي يمكن أن تستثمر في المجال الدعوي العام، العام، لخدمة الدعوة وتطوير أدائها وحماية أتباعها، وتحقيق أهدافها وغاياتها الداخلية والخارجية.² ومن هنا ندرك أثر الغزوات النبوية في تمكين الأمة من بناء اقتصاد أصيل وقوي يعول عليه في تمويل المشاريع الدعوية الكبرى للأمة.

الفرع الثالث: التمكين الديني (*).

بعد هذه الجهود الدعوية الكبيرة والكفاح المضني الذي تكبده الرسول ﷺ، ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم، وصلت الدعوة إلى مرحلة التمام والكمال، بان مكن الله للرسالة الإسلامية الخالدة الخاتمة.

فلم يلتحق الرسول ﷺ حتى تحقق هذا المقصد العظيم للمؤمنين الذي مرت بهم فترات الاستضعاف، لتكون لهم العاقبة كما كانت لغيرهم من أتباع الأنبياء عليهم السلام كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [التقصص: 04].

وقد كان للتمكين الديني مظاهر أجملها في العناصر التالية:

أولاً: التمكين الديني للدعوة على المستوى المركزي

يعد فتح مكة وتطهيرها من الوثنية من الإنجازات الدعوية الكبرى التي حققتها الدعوة الإسلامية؛ نظرا للبعد المحوري والمركزي الذي تتمتع به مكة المكرمة على المستوى الحضاري والديني والإسلامي، فمكة أرض الأنبياء ومهد الحضارات، ومبدأ ومنطلق الرسالة المحمدية.

¹ - البخاري، كتاب الوصايا، باب وقف الدواب والكراع والعروض والصامت، (12/4)، برقم: 2623، والترجمة تشير إلى أهمية الوقف في توفير وسائل الدعوة.

² - قد ذكر السباعي الكثير من آثار الوقف الواقعية وتعدد مجالاتها وأبعادها الخيرية والدعوي في ماضي وحاضر الأمة، ينظر: مصطفى السباعي، مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1420 هـ، 1999 م، ص198.

(* المقصود بالتمكين الديني في هذا العنصر البلوغ بالدعوة إلى البلاغ المبين الذي يمكن من الدعوة إلى الله تعالى بكفاءة و اقتدار التي تمكنها من تحقيق أهدافها الكبرى التي تتسق مع طبيعتها وخصائصها، ينظر: الطيب برغوث الخطاب الإسلامي المعاصر، ص54.

وسوف أبرز في هذا العنصر أهم أبعاد التمكن الديني لفتح مكة، وفق ما يلي:

1. البعد المكاني والزمني لفتح مكة المكرمة: لمكة تاريخ عريق، فقد شهدت نبوات وحوادث تاريخية عظيمة، ما جعلها تحتل موقعا استراتيجيا هاما مما رشحها أن تكون من أعظم العواصم العالمية، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بوصفه أنها أم القرى، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: 05]، قال الرازي: " أن الله تعالى سمي مكة مكة أم القرى، وظاهر هذا يقتضي أنها كانت سابقة على سائر البقاع في الفضل والشرف منذ كانت موجودة." ¹

ومن شرفها أن بها أول بيت وضع للناس، قال تعالى: ﴿أَنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96]، وبها أعظم المساجد، فقد ورد في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوْلَى؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» الْحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَذْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ». ²

2. البعد التعبدي: لفتح مكة بعد دعوي تعبدي عظيم، فقبل الفتح قد حرم المسلمون من العمرة ومن حج بيت الله الذي يعد من أركان الإسلام، وما يتبعه من أعمال فاضلة مضاعفة في رحاب البيت العتيق، من صلاة وطواف وغيرها من الطاعات، فلما فتحت مكة تمكن المسلمون من استكمال دينهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التمام في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 04]، التي نزلت على صعيد عرفة في حجة الوداع التي تلت الفتح وكان من نتائجه ³.

وصاحب هذا التمكن تطهير البيت العتيق من مظاهر الشرك والوثنية، فقد أزال النبي ﷺ جميع الأصنام التي كانت حول وداخل الكعبة، ففي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، (296/8).

² - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، (370/1).

³ - ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (177/6).

قال: دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: 81] الآية.¹

في وقت كان النبي ﷺ محروما، وهو وأصحابه من الطواف حولها بل حتى من رؤيتها، منذ أن هاجروا من مكة، وزاد شوقهم إليها حين صدقهم قريش عن البيت، واضطرتهم إلى التحلل من العمرة عام الحديبية.²

وهكذا استعادت الأمة مكة وشعير الحج والعمرة، ولا يخفى ما لهذه الشعائر من أبعاد دعوية عظيمة، فضلا عن كونها ركن الإسلام الخامس، فقد ظل الحج أعظم مؤتمر إسلامي حولي يلتقي فيه المسلمون من شتى بقاع المعمورة، حكاما ومحكومين، وعلماء وأمراء، مما يرشحه أن يكون من أعظم الميادين الدعوية العظيمة.

3. البعد الاتصالي: قد بعث الفتح رسائل إعلامية من خلال وسائل متنوعة لأهل مكة ومن حولها، كان لها صداها الإعلامي الكبير، فقد أثر جيش المسلمون بعده، إذ كانوا عشرة آلاف من الصحابة رضي الله عنهم، والنيران التي أوقدوها ليلا والألوية، والرايات التي كان يحملها قادة قادة الكتائب في نفسياتهم بمن فيهم أبو سفيان، فلما أطلعه العباس على قوة المسلمين حيث استعرض الجيش أمامه، أدرك قوة المسلمين وأنه لا قبل لقريش بهم، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار وفيهم رسول الله ﷺ قال: " فقال: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة. قال: فنعم إذن"³.

هذا بالنسبة للصدى الخاص أم الصدى العام لهذا البعد الإعلامي كان على المدى المرهلي الاستجابة المبدئية بدخول المسجد أو البيوت للأمن على الأنفس، فقد جاء أبو سفيان، فقال: يا

¹ - رواه البخاري في صحيحه، باب كتاب المظالم والغصب، هل تكسر الدنانير التي فيها الخمر، أو تحرق الزقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنورا، أو ما لا ينتفع بخشبه، (3/136)، برقم: 2477.

² - ينظر: الواقدي، المغازي، (2/571)، ابن هشام، السيرة النبوية، (2/308)، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص308.

³ - ابن هشام، السيرة النبوية، (2/404).

رسول الله، أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن»¹ ثم أعقب هذه الاستجابة دخول أهل مكة الإسلام، حين تبين لهم الحق، وعلموا أن لا سبيل إلى النجاة إلا الإسلام، فأذعنوا له، واجتمعوا للبيعة، فجلس رسول الله ﷺ على الصفا يبايع الناس، وعمر بن الخطاب أسفل منه، يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا.²

ثانياً: التمكين الديني للدعوة على المستوى اللامركزي

بعد أن بينت أهم الأبعاد الدعوية لفتح مكة من حيث كونها مركز الإشعاع الديني والحضاري عبر تاريخ الدعوة الطويل، أعرج على الأثر الخارجي للفتح الذي يتجلى فيما يلي:

1. الاستجابة الدعوية بعد الفتح:

قد تمكنت قبائل العرب بعد الفتح من معرفة الحق من الباطل، وزالت عنهم الشبهات، فتسارعوا إلى اعتناق الإسلام.

فَعَنْ عَمْرٍو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ وَقَعَةُ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، فَذَهَبَ أَبِي بِإِسْلَامِ أَهْلِ أَهْلِ حِوَائِنَا، فَلَمَّا قَدِمَ اسْتَقْبَلْنَاهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَقًّا فَقَالَ: «صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّمْكُمْ أَكْثَرَكُمْ قُرْآنًا»³

هذه الرواية تبين بوضوح الأثر لفتح مكة في الاستجابة الدعوية، لما لها من الدلالة على صدق النبوة، وقد تجلت آمارات صدقهم في نقل الدعوة ومضامينها إلى قومهم، ومساعدتهم لتنفيذها، كما ظهر ذلك في شعيرة الصلاة.

¹ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، (1407/3).

² - ينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، 375.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، (150/5)، برقم: 4313، والنسائي في السنن، كتاب الأذان، باب اجتزاء المرء بأذنان غيره في الحضرة (9/2)، برقم 636، واللفظ له.

ويدل على صدق تلك الاستجابة تزايد الجيش من عشرة آلاف مقاتل في غزوة الفتح إلى ثلاثين ثلاثين ألف مقاتل في غزوة تبوك ليصل عدد المسلمين مائة ألف من الناس أو مائة وأربعة وأربعون وأربعون ألفا في حجة الوداع¹.

ومن مظاهر هذه الاستجابة الوفود التي وفدت على النبي ﷺ في العام الذي سمي بعام وهو السنة التاسعة للهجرة الوفود، وقد أشرنا إلى بعضها في التمكن السياسي².

2. البعثات الدعوية

نشطت حركة البعث الدعوية بعد الفتح لنشر الدعوة الإسلامية والتمكن لها خارج مكة والمدينة، فقد بعث النبي ﷺ عددا من الصحابة إلى جهات مختلفة، " لتعليم المسلمين ما يحتاجون يحتاجون إليه من قران وفقه، ودين، ولعرض الإسلام على الذين لم يعلنوا إسلامهم، ولتقوية إيمان إيمان من أعلن إسلامه حتى لا تتناوشه الظنون والوساوس، وتلعب به شياطين الإنس والجن"³. وفيما يلي نماذج من هذه البعثات الدعوية:

أ. بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن

من البعثات الدعوية التي جاءت في الصحيح بعث أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما على اليمن، اليمن، فعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَحْتُلِفًا»⁴.

فلما كانت مهمة الصحابييين الجليلين تعليمية تربوية أوصاهما النبي ﷺ بقاعدتين تربويتين عظيمتين، إذا أغفلهما المعلم والمربي لم يفلح في مسعاه التربوي، وهما قاعدة اليسر وقاعدة الفأل، خاصة إذا تعلق الأمر بغير المسلمين، أو بالمستجيبين الجدد، وقد دلت عليهما نصوص كثيرة¹.

¹ -المباركفوري، الرحيق المختوم، ص408.

² - بلغ عدد الوفود التي وفدت على النبي ﷺ واحدا وسبعين وفدا كما جاء في طبقات ابن سعد، منها: وفد وهو كلاب، وفد رؤاس بن كلاب، وفد صداء، وفد مراد، وفد زبيد، وفد كندة، وفد الصدف، وفد خشين، وفد سعد هذيم، وفد بلي، وفد أسد، وفد تميم، وفد ثعلبة، وفد سعد بن بكر، وفد جعدة، وفد بكر بن وائل، وفد عبس، وفد عقيل بن كعب، وفد قشير بن كعب، وفد بني البكاء، وفد ثقيف، وفد مرة، وفد محارب، وفد كنانة، وفد بني عبد بن عدي، وفد أشجع، وفد تغلب، وفد فزارة، وفد باهلة، وفد هلال بن عامر، وفد عامر بن صعصعة، وفد حنيفة، وفد تجيب، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (269-222/1).

³ - أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ص610.

⁴ - البخاري، كتاب المغازي، الجامع الصحيح، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، (161/5)، برقم: 4341.

ب. بعث جرير إلى اليمن

ومن البعوث الدعوية التي ذكرها البخاري أيضا بعث جرير رضي الله عنه إلى اليمن، فعن جرير، قال: جرير، قال: كنت باليمن، فلقيت رجلين من أهل اليمن، ذا كلاع، وذا عمرو، فجعلت أحدثهم أحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك، لقد مر مر على أجله منذ ثلاث، وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق، رفع لنا ركب من قبل المدينة المدينة فسألناهم، فقالوا: " قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر، والناس صالحون، فقالوا: أخبر صاحبك أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله، ورجعا إلى اليمن، فأخبرت أبا بكر بحديثهم، بحديثهم، قال: أفلا جئت بهم، فلما كان بعد قال لي ذو عمرو: يا جرير أن بك علي كرامة، وإني وإني مخبرك خيرا: إنكم معشر العرب، لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكا، يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك" ²

وقد ذكرت كتب السيرة عددا من الدعاة، إلى جهات مختلفة في هذه الفترة، كالطفيل بن عمرو، عمرو، وعمرو بن حزم، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم. ³

وعند دراسة سيرة هؤلاء الدعاة ندرك أنهم لم يكونوا رجالا عاديين، وأنهم تميزوا بأهم صفات الدعاة، فمن ميزاتهم:

أ. الفهم الدقيق للإسلام

ب. خبرتهم الواسعة بالجهات التي ذهبوا إليها، وبالناس الذين تحدثوا معهم.

ج. تحليهم بحسن الخلق، والصبر الجميل ومراعاة حق مخاطبيهم في الفهم والمعرفة.

د. اتصافهم بسرعة مواجهة المواقف المفاجئة.

هـ- تمتعهم بحسن الفهم، وحسن الخطاب، وحسن العرض. ¹

¹ - فمما ورد في التيسير، حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل»، رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب مبادئه صلى الله عليه وسلم للأثم واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، (1813/4)، برقم، 2327، ومما ورد في الفأل والتفاؤل، حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعونها أحلكم»، رواه مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، (1745/4)، برقم: 2223.

² - البخاري، كتاب المغازي، باب ذهاب جرير إلى اليمن، (166/5)، برقم: 4359.

³ - ينظر: الواقدي، المغازي، (923/3)، (984).

¹ - ينظر: أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ص522.

3. دعوة الملوك والزعماء: من مظاهر الدّعوة الخارجيّة دعوة الملوك والزعماء في هذه المرحلة، وقد مر معنا أن النبي ﷺ قد راسلهم ببعث كتب تتضمن دعوتهم للإسلام، كما كان يبعث مع الكتاب سفير تتوفر فيه الصفات والمؤهلات التي تمكنه من القيام بهذه المهمة الدعويّة الخاصة والهامة، وقد أشار البخاري إلى هذه الكتب في صحيحه باختصار كعادته في صحيحه. أما كتب السير فقد توسعت في ذكر الكتب والسفراء والمضامين الدعويّة التي تضمنتها الرسائل، الرسائل، كما في الجدول التالي¹:

¹ - أنجزت الجدول من خلال الكتب التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد، سير أعلام النبلاء للذهبي، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

المُرسل	السفير	المؤهلات
قيصر	دحية بن الكلبي	صحابيٌّ مشهور، أوّل مشاهده الخندق وقيل أحد، ولم يشهد بدرًا، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان يجرب عليه السلام ينزل على صورته
المقوقس	حاطب بن أبي بلتعة	من مشاهير المهاجرين شهد بدرًا والمشاهد، وكان تاجرًا في الطعام له عبيد وكان من الرماة الموصوفين.
الحارث بن أبي شمر	شجاع بن وهب	من السابقين الأوّلين، وفيمن هاجر إلى الحبشة، وفيمن شهد بدرًا
هوذة بن علي	سليط بن عمرو	من المهاجرين الأوّلين قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة وشهد أحدًا والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيدًا
جيفر وعبد ابني الجلندي.	عمرو بن العاص	من أئمة الصحابة وعلمائهم، داهية قريش، يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم.
المنذر بن ساوى العبدي	العلاء بن الحضرمي	كان من حلفاء بني أمية، ومن سادة المهاجرين. واستعمله النبي ﷺ على البحرين، وأقرّه أبو بكر، ثم عمر وكانمجاب الدعوة،
ذي الكلاع بن ناكور	جرير بن عبد الله	من أعيان الصحابة المحدثين، وبايع النبي ﷺ - على النصح لكل مسلم. كان بديع الحسن، كامل الجمال.

ثالثاً: الإعلان عن التّمكن للديني للدعوة الإسلاميّة

قبل وفاة النبي ﷺ بقليل، وبعد ما تحققت الإنجازات الدعويّة العظيمة الداخليّة والخارجيّة، أعلن عن تمام الدين وكماله، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

1. الإعلان القرآني: قد جاءت الإشارة القرآنيّة إلى التّمكن للدين وقرب أجل النبي ﷺ في أواخر ما نزل من الآيات والسور، فمن ذلك:

أ. آية كمال الدين: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:04]، فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع وظهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وتمكين المسلمين بإفرادهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون لا يخالطهم المشركون¹.

ب. سورة النصر: عن عبد الله بن عباس، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يديني ابن عباس، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 01]، فقال: «أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُهُ إِبَاهُ» قَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ².
كما يدل موضوع السورة على هذا البعد من وجوه:
- رؤيّة دخول الناس في الدين طواعيّة.

- استمرار وتجدد الدخول.

- شرع الله هو الأعلى في حال الإباء وفي حال الطواعيّة

- الاعتبار بالفتح وقصة أصحاب الفيل، فلا يمكن من البيت على اهل الحق³.

2. الإعلان النبوي:

إن المتأمل في خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع يستلهم من بعض عباراتها الإعلان الرسمي عن تمام تمام التبليغ النبوي الدال على التّمكن الديني للدعوة الإسلاميّة العالميّة الخالدة الخاتمة، لأهميّة هذه الخطبة نورد نصها:

¹ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1/106).

² - البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، (6/09).

³ - إبراهيم بن عمر، برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (22/316).

فقد روى البخاري عن أبي بكرة، عن النبي ﷺ، قال: «الرَّيْمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمٍ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثَةٌ مُمْتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنْ دِمَاءِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ مَنْ يُبَلِّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ». فَكَانَتْ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ: صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ» مَرَّتَيْنِ¹.

وقد دلت الخطبة على البعد الإعلاني من وجوه:

أ. **البعد الاتصالي:** تكمن قوة الاتصال النبوي في هذه الخطبة من خلال الاتصال الجماهيري المباشر مع الأمة في أعظم تجمع لها في حجة الوداع، وهذا ميدان ومقام مناسب للإعلان الرسمي عن تمام التبليغ وكمال التشريع، فقد شهد معه حجة الوداع أربعون ألفاً من الصحابة²

ب. **البعد الإيحائي:** تضمنت الخطبة إيجازات كثيرة تدل على الإعلان عن كمال الدين ودون الأجل من تلك العبارات: قوله ﷺ "أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا"، "ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

ج. **البعد التكاملي:** الإعلان عن قيام النظام الإسلامي المتكامل، الذي ترتبط به كافة النظم، كالنظام التعبدي، والنظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، والنظام السياسي.³

وفي ختام هذا العنصر أكون قد بينتُ بوضوح أن الدعوة قد حققت مقصد التمكين الديني، الذي اتخذ ثلاث مظاهر رئيسة في الدراسة: التمكين الديني المركزي والتمكين الديني الحركي

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (177/5)، برقم: 4406، وقد أوردها أهل السير مطولة وبصيغ مختلفة، ينظر: الواقدي، المغازي، (1111/3)، ابن هشام، السيرة النبوية، (603/2).

² - ينظر: ابن كثير، اختصار علوم الحديث، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، ص185.

³ - ينظر: سعيد بن علي ثابت، الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، ص835.

والإعلان الرسمي عن تمام وكمال التّمكن الديني كما تبينه الآيات الخاتمة للرسالة، وخطبة الوداع المشحونة بعبارات التوديع.

وبالفراغ من الحديث عن التّمكن الديني أصل إلى نهاية مقصد التّمكن باعتباره من أهم المقاصد الخاصة للغزوات النبويّة؛ حيث كان لها الفضل الكبير في الإنجازات التي حققتها الدّعوة، على المستوى الجيوسياسي، والمستوى الاقتصادي، والمستوى الديني، فضلا عن البناء الفكري والاجتماعي والسلوكي كما بينته في الفصل السابق.

وفي نهاية هذا الفصل أتوصل إلى أن الغزوات النبويّة قد حققت مقاصد شرعيّة عظيمة عامة وخاصة كانت لها آثار كثيرة على الدّعوة النبويّة.

فالغزوات باعتبارها جزء لا يتجزأ من المنظومة التشريعيّة؛ حيث تمثل باب الجهاد في أرقى تطبيقاته النموذجيّة فقد كانت منسجمة تمام الانسجام مع مقاصد الشريعة العامة، كحفظ الضروريات، وإبراز خصائص ومحاسن وفضائل الإسلام نظريّة وتطبيقا، قد أثبت ذلك كله بروايات من المغازي في أعلى درجات الصحة.

وباعتبار الغزوات باب الغزوات له طبيعة تميزه عن غيره من الأبواب فقد اختص بتحقيق أهداف ومقاصد خاصة حصرتها في مقصدين كبيرين؛ مقصد الدفاع والحمايّة الداخليّة والخارجيّة للدعوة، ومقصد التّمكن للدعوة لتحقيق مشروعها الاستخلافي الأعظم من خلال عناصر التّمكن الأساسيّة، وقد لخصتها في: التّمكن الجيوسياسي، والتّمكن الاقتصادي، والتّمكن الديني.

فهذه المقاصد الدعويّة الكبرى بأبعادها المختلفة التي حققتها الدّعوة في العهد النبوي لم تكن أن تتجسد لولا نجاح الجهاد النبوي دفاعا وطلبا، فالتّمكن الدعوي للامة يتناسب تناسباً طردياً مع مدى إقامتها لفريضة الجهاد الشرعي، على منهاج النبوة.

وفي تقديري أن الدّعوة الإسلاميّة لن تتمكن من تحقيق أبعادها المقاصديّة الكبرى التي هي مقاصد الرسالة الخاتمة إلا بإقامة فريضة الجهاد كما أقامه النبي ﷺ وأصحابه من بعده، ومن هنا تظهر قيمة دراسة غزوات النبي ﷺ والفتوحات التي كانت امتداد لها في تحقيق وظيفة الاستخلاف، وبلوغ مرحلة الشهود الحضاري للامة.

فالامة سادت بإقامة الجهاد، وانحطت وتخلفت وتغلب عليها العدو بتركه ركونا إلى الدنيا وكرهيّة وكرهيّة الموت، فلن تستعيد مجدها وسؤددها إلا بإعداد رجال يحملون هم الدّعوة والجهاد للتّمكن لها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني من غير حول ولا قوة مني على إتمام هذا البحث المسوم بـ "الأبعاد الدعوية لغزوات النبي ﷺ من خلال صحيح البخاري"، وأصلي وأسلم على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

لقد شغلت فترة الغزوات النبوية حيزا زمانية من الدعوة الإسلامية؛ مما جعلها ميدانا دعويا ممتازا، توفرت فيه كل الأبعاد الدعوية اللازمة للعمل الدعوي النموذجي، الذي يعد الإطار، والأساس المرجعي لكل التجارب الدعوية التالية لمرحلة النبوة؛ لكونه فعلا نبويا معصوما بالوحي، وقد حاولت هذه الأطروحة الكشف عن تلك الأبعاد بجميع مستوياتها؛ الرسالية، والسلوكية، والمنهجية، والمقاصدية من خلال صحيح البخاري، وأسفرت في النهاية عن جملة من النتائج والتوصيات والآفاق، يمكن أن أجملها فيما يلي:

أولا: نتائج البحث:

1. لقد مارس النبي ﷺ الفعل الدعوي بجميع مستوياته: التبليغية، والتربوية، والتطبيقية، وبكل أبعاده: الرسالية، والسلوكية، والمنهجية، والمقاصدية في ميدان الغزوات.
2. إن الأبعاد الدعوية ظلت مصاحبة لحركة الغزوات، ولم تنفك عنها بحال من بدايتها بالإذن بالقتال إلى منتهائها بوفاة النبي ﷺ.
3. وفاء مرويات المغازي في صحيح البخاري بكل أبعاد الدعوة ومستوياتها؛ لتغطيتها للغزوات وما يحيط بها من مقدمات ونتائج.
4. تفريق البخاري لمرويات المغازي في الصحيح تبعا للأبعاد الدعوية التي تتضمنها، وترجمته لكل بعد دعوي بترجمة دقيقة تنحو منحى التعميد.
5. لقد شهدت الغزوات حضورا للبعد الرسالي في شقيه العقدي من خلال تضمنها لأصول الاعتقاد الكبرى التي تشكل الخلفية العقدية الدعوة الإسلامية؛ تبليغا وتثبيتا، وتربيّة، وتفعيلا. كما تضمنت مروياتها الإشارة إلى أصول التشريع الدعوي التي تستمد منها الدعوة الإسلامية مادتها وموضوعاتها؛ بما يضمن استمراريتها، وتطورها، ومواكبتها لكل مستجدات، ومتغيرات الدعوة ومواجهة تحدياتها الداخلية والخارجية.

وقد تحلل الغزوات فعلا تشريعيا طال جميع المحاور الكبرى للتشريع الإسلامي، ليدل ذلك على تميز قل نظيره في المعارك التي يغلب عليها الطابع العسكري البحت، والهدف المادي الصرف، فلا يلتفت فيها إلى إقامة شعائر الله إلا قليلا؛ جنوحا إلى الأخذ بالرخص، والتراخيص في أحسن الأحوال.

فمغازي رسول الله ﷺ ليست كغيرها من الحروب، والمعارك التي لا هم لأصحابها إلا الدنيا، فهي دعوة متحركة منضبطة بأصول هذا الدين العقديّة، والتشريعيّة لا تحيد عنها قيد أملة، غرضها ومقصدها الأسمى حماية الدّعوة ومنجزاتها، والسعي للتمكين لدين الله في الأرض؛ وتحقيق الشهود الحضاري للأمة.

6. لقد اعتنى النبي ﷺ في الغزوات بالأبعاد الدعويّة السلوكيّة المتعلقة بالدّاعيّة والمدعو، حيث حرص على بناء شخصية الداعية علميا، وأخلاقيا، وقياديا، وفي الوقت نفسه لم يهمل شأن المدعو، فقد استغل جميع المواقف لتبليغ الدّعوة لجميع فئات المدعويين، بكل الوسائل والطرق المتاحة والممكنة.

7. الصحابي في ميدان الغزوات يؤدي دور المدعو تارة ودور الداعية تارة أخرى؛ تبعا للمكانة، والموقف، مما يجعل فعله الدعوي يتأسس كأصل من أصول الدّعوة التبعية.

8. أن الغزوات النبوية كان لها دور كبير في كشف الكثير من التحديات الدعوية الداخلية والخارجية؛ ليلفقه الدعاة كيفية معالجتها والتصدي لها على مر التاريخ.

9. أن الغزوات كان لها الفضل في تعريف المسلمين بأعداء الدّعوة وطبائعهم، ومخططاتهم، كاليهود، والمنافقين، وأهل الأهواء؛ ليأخذ الدعاة حذرهم من أعدائهم، ويتعاملوا مع كيدهم في ضوء المنهج النبوي.

10. لقد وظف النبي ﷺ المناهج الدعوية الفطرية الكبرى، بأساليبها المختلفة في ميدان الغزوات، ويتعلق الأمر بالمنهج الدعوي، الوجداني، والعقلي، والحسي، بطريقة دعوية حكيمة مناسبة للمواقف التي يحكمها الاعتبار الزماني والمكاني، والاستهدافي، وتوارن منهجي حيث تتكامل المناهج، ولا يطغى بعضها على بعض.

11. الغزوات النبوية من أعظم الميادين الدعوية التي تجلت فيها مقاصد الشريعة الكبرى، وبرزت فيها محاسنها وخصائصها؛ وهذا من شأنه أن يقوي إيمان المدعويين الداخليين ويشحذ فعاليتهم،

ويُعَلِّي هممهم، ويعرف غير المسلمين بطبيعة الدّعوة، ويرغبهم ويغريهم بالاستجابة لها، والدخول في دين الله عن طواعية.

12. إن الغزوات النبوية قد تميزت عن غيرها من الميادين الدعوية بتحقيق مقاصد دعوية خاصة؛ تجلّت مقصدين كبيرين؛ مقصد الدفاع والحمايّة الداخليّة والخارجيّة للدعوة، ومقصد التّمكين لها؛ لتحقيق مشروعها الاستخلافي الأعظم.

13. إن الغزوات النبوية تؤدي أدوارا دعوية مختلفة في آن واحد، على الصعيدين الداخلي والخارجي، وبطرق مباشرة وغير مباشرة، وعلى المستوى العاجل، والآجل، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حيويتها، وفعاليتها الدعوية المنقطعة النظير.

ثانيا: التوصيات

أن معاشتي لهذا الموضوع الدعوي الحيوي في ميدان المغازي انطلاقا من صحيح البخاري مكنتني أن أخرج بالتوصيات التالية:

1. دراسة الأبعاد الدعوية لمرويات كتب الصحيح المختلفة دراسة موضوعية.
2. أفراد دراسة دعويّة تعديديّة لتراجم أبواب صحيح البخاري.
3. استقراء الأبعاد الدعوية بتتبع شروح السنة، خاصة شروح الصحيح، كفتح الباري لابن حجر، وعمدة القاري للعيني.
4. العناية بالتكامل المعرفي بين الدّعوة وكتب السيرة والسنة في المقررات الجامعيّة الدعويّة.
5. الاهتمام بإبراز الأبعاد الدعويّة للمغازي من خلال الملتقيات والمؤتمرات انطلاقا من السنة والسيرة الصحيحة.
6. إعادة صياغة أصول وقواعد الدّعوة انطلاقا من نصوص الوحي والتراكمات المعرفيّة لتراث الأمة، كالشروح والتفاسير.

ثالثاً: آفاق البحث:

بعد تبني للأبعاد الدعوية للغزوات من خلال الصحيح، توصلت جملة من الآفاق البحثية أخصها فيما يلي:

1. إنجاز مستخرج دعوي انطلاقاً من الصحيح، يكون بمثابة موسوعة دعوية وفق منهج البخاري وفقهه، حيث يكون بمثابة جزء حديثي يقسم إلى محاور الدعوة، وكل محور تجعل له فروع تعنون بترجمة من الصحيح، ثم يدرج تحتها المرويات التي تناسبها من الصحيح، ثم مقارنة تلك التراجم بما هو مقرر في علم الدعوة في العصر الراهن، ويمكن أن يسمى هذا المشروع: "المستخرج الدعوي من صحيح البخاري".

2. جمع تراجم البخاري الدعوية وتصنيفها وفق محاور الدعوة، مع شرحها انطلاقاً من شروح الصحيح، والمعطيات المعرفية لعلم الدعوة.

3. إنجاز دراسات دعوية موضوعية انطلاقاً من جمع روايات وأطراف موضوعات دعوية مختلفة مع الاستفادة من فقه تراجم البخاري عليها.

فهرس الآيات:

الصفحة	السورة ورقم الآية
	البقرة
254	﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ [البقرة: 125]
255	﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ [البقرة: 129]
65	آل عمران
80	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ [آل عمران: 13]
/	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُورِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ ﴾ [آل عمران: 26]
44	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ إِذْ لَبَّيْتُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: 123]
92	﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفِئَةٍ ﴾ [آل عمران: 124]
42	﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: 126]
35	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: 128]
125	﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: 137]
59	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 139]
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَانَ إِنَّمَا أَسْزَلَهُمْ ﴾ [آل عمران: 155]
15	﴿ أَوْ كَانُوا عُرْزَى ﴾ [آل عمران: 156]
49	﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: 159]
11	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: 164]
	النساء
56	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: 93]
99	﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: 102]
60	﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 134]
	المائدة
155	﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ [المائدة: 32]

55	﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: 54]
	الأعراف
244	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: 54]
57	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: 156]
	الأنفال
35	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: 1]
92	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ ﴾ [الأنفال: 09]
42	﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ابْتَغُوا اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 10]
99	﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: 41]
97	﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: 67]
	التوبة
65	﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ [التوبة: 26]
65	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: 31]
35	﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [التوبة: 118]
355	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: 119]
	القصص
298	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: 68]
	الأحزاب
43	﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب:]
43	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ [الأحزاب: 09]
78	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ [الأحزاب: 25]
	الفتح
35	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح: 1]
57	﴿ وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ [الفتح: 06]
	الحديد
56	﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد: 4]

	المجادلة
65	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: 01]
	المتحنة
35	﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [المتحنة: 10]
	المنافقون
35	﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون: 7]
	الحاقة
43	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]
	النصر
35	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 3]
	الإخلاص
23	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]

فهرس الأحاديث:

360	«أُتُوا رَوْضَةَ كَذَا، وَتَجِدُونَ بِهَا امْرَأَةً، أَعْطَاهَا حَاطِبٌ كِتَابًا»
389	« أَمَرْتُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمُ عَنْ أَرْبَعٍ »
156	« نَعَزُّوهُمْ، وَلَا يَعْزُّونَنَا »
306	« أَتَبَّرَ الْبِرَّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ »
62	« أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ »
146	« أَتُرِيدُ أَنْ يَضَعَ يَدُهُ فِي فِيكَ تَقْضِمُهَا كَالْفَحْلِ ؟ »
228	« أَتَقُّو النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ »
395	« أُحِلَّتْ لَكُمْ الْعَنَائِمُ »
160	« أَحَيِّ وَالِدَاكَ؟ »
211	« أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ »
129	« اخْرُصُوا»، وَخَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .
177	« ادْعُوا لِي عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ »
175	« إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ »
53	« ازْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَنْتُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا »
343	« ازْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنْ أَبَاكُمْ كَانَ زَامِيًا ازْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فَلَانٍ »
314	اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَعْبَةَ، فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ: عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ
223	« بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ »
326	بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ بِكِتَابِهِ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى، أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ
208	« بَلَّ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »
270	« بَلَّ لَكُمْ الْهَجْرَةُ مَرَّتَيْنِ: هَجْرَتُكُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهَجْرَتُكُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ »
264	« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ »
342	« تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي » .
393	« ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَوْنُهُمْ: الْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ »

393	«الْتَمَنُ وَالْجَمَلُ لَكَ»
63	«جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»
221	«حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَفُرَيْطَةُ، فَأَجَلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ فُرَيْطَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ،»
101	«حَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ»
114	حَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَمَضَانَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ، فَصَائِمٌ وَمُفْطِرٌ
73	«صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَزْوَاجِ فَلَمْ يَأْتِ إِلَّا بِالسَّوْبِقِ، فَأَمَرَ بِهِ فَنُزِيَ، فَأَكَلَ وَأَكَلْنَا»
404	«صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّئِ»
356	«عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ»
203	فَجَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ يَخْجُلُ فِي قُبُودِهِ، فَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ
208	« فَتَبِعْتُهُ ابْنَةُ حَمْرَةَ، تُنَادِي يَا عَمَّ يَا عَمَّ، »
90	قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيَّنَ أَنَا؟.
140	« قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ »
152	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْأَلُ يَوْمَ النَّحْرِ عَمِّي، فَيَقُولُ: «لَا حَرَجَ»
278	« لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ »
75	« لَقَدْ شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ »
255	«اللَّهُ أَكْبَرُ، حَرَبْتُ حَيْبَرَ، أَنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ»
190	«مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا»
258	«مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِيٍّ»
54	«نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ»
109	«نَهَى عَنْ مُتَعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ حَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ»
89	«هَبْلَتِ، أَجِنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ أَمْهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَأَنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى»
253	«هَذَا جَبْرِيْلُ، أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ»
392	وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبَا أَضْعُ رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَأَنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ
181	« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَنْ شَمَلْتَهُ لَتَحْرُقَ عَلَيْهِ الْآنَ فِي النَّارِ غَلَّهَا »
181	«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ رَجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا»
61	«يَا أُسَامَةَ، أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

72	«يَا أَهْلَ الْخُنْدِ أَنْ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّ هَلَا بِكُمْ»
144	«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ»
402	«يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ نِسَاءً جَعَفَرٍ فَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْهَاهُنَّ»
402	يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»
244	«يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي»
405	«يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم بالرسم العثماني برواية ورش عن نافع

1. إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، (د.ط)، (د.ت)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
2. إبراهيم بن عمر، برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
3. إبراهيم المطلق، التدرج في دعوة النبي ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط1، 1417هـ.
4. إبراهيم بن موسى الأبناسي، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، ت: صلاح فتحي هلال، مكتبة الرشد، ط1، 1418هـ 1998م.
5. أبو بكر أحمد السيد، رسالة إلى المدرسين والمدرسات، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1410هـ.
6. أحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ، 2004م.
7. أحمد بن إدريس، أبو العباس، القرافي، الذخيرة، ت: مُجَّد حجي، سعيد أعراب، مُجَّد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994 م.
8. أحمد بن إسماعيل، الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ت : أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان ط1، 1429 هـ، 2008 م.
9. أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل، العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1415 هـ.
10. أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل، العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
11. أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ت: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ط2، 1400 هـ، 1980 م.
12. أحمد بن علي الخطيب، أبوبكر، البغدادي، تاريخ بغداد، ت: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002 م.
13. أحمد بن مُجَّد بن أبي بكر، أبو العباس، القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ.

14. أحمد عيساوي، منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، دار الكتاب، القاهرة، ط1، 1433هـ، 2012م.
15. أحمد عيساوي، دراسات في تاريخ الدعوة والدعاة، دار الكتاب، القاهرة، ط1، 1433هـ، 2012م.
16. أحمد عيساوي، منهج الدعوة عند أنبياء الله، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 1433هـ، 2012م.
17. أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2014م.
18. أحمد عيساوي، دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، ط1، 2012م، دار الكتاب الحديث، القاهرة.
19. أحمد بن محمد، أبو عبد الله بن حنبل الشيباني، المسند، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ، 2001 م.
20. أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1422 هـ / 2000 م.
21. أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، البيهقي، معرفة السنن والآثار، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1412هـ، 1991م.
22. أحمد بن عبد الحلیم، تقي الدين، أبو العباس، ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن، دار العاصمة، السعودية، ط1419، 2هـ، 1999م.
23. أحمد بن عبد الحلیم، تقي الدين، أبو العباس، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
24. أحمد بن عبد الحلیم، تقي الدين، أبو العباس، ابن تيمية، التدمرية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط6، 1421هـ، 2000م.
25. أحمد بن عبد الحلیم، تقي الدين، أبو العباس، ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة، ت: حماد سلامة، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1407هـ.
26. أحمد بن عبد الحلیم، تقي الدين، أبو العباس، ابن تيمية، الرد على الشاذلي، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط1، 1429هـ.
27. أحمد بن عبد الحلیم، تقي الدين، أبو العباس، ابن تيمية، الحسبة ت: علي بن نايف الشحود، ط2، 1425 هـ، 2004 م.
28. أحمد بن عبد الفتاح زواوي، شمائل الرسول ﷺ، (د. ط)، (د. ت)، دار القمة، الإسكندرية.

29. أحمد بن علي الخطيب، أبوبكر، البغدادي، تاريخ بغداد، ت: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002 م.
30. أحمد بن علي أبو بكر، الجصاص، الفصول في الأصول، وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1414هـ، 1994 م.
31. أحمد بن فارس، أبو الحسين، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام مُجَّد هارون، دار الفكر، (د، ط)، 1399هـ، 1979 م .
32. أحمد بن مُجَّد، أبو العباس، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د. ط)، (د.ت).
33. إسماعيل بن حماد، أبو نصر، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ، 1987 م.
34. إسماعيل بن عمر، أبو الفداء، ابن كثير، البداية والنهاية، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418 هـ، 1997 م.
35. إسماعيل بن عمر، أبو الفداء، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: مُجَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
36. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1415 هـ، 1994 م.
37. أيوب بن موسى، أبو البقاء، الكفومي، كتاب الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، 1998 م.
38. بريك بن مُجَّد العمري، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ، 2004 م.
39. بسام العموش، فقه الدعوة، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ، 2005 م.
40. جمعة فتحي عبد الحلیم، روايات الجامع الصحيح ونسخه «دراسة نظرية تطبيقية»، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، ط1، 1424 هـ، 2013 م.
41. حافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ت: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1410 هـ، 1990 م.
42. الحسين بن مُجَّد، أبو القاسم، الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.

43. الحسين بن مُجَدِّد بن عبد الله، الطيبي، شرح المشكاة، ت: عبد الحميد هندراوي مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط1، ، 1417 هـ، 1997 م.
44. الحسين آيت سعيد، السنة النبوية وحي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
45. حمزة مُجَدِّد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، مكتبة دار البيان، دمشق، 1410 هـ، 1990 م.
46. حمود الرحيلي، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء الكتاب والسنة، وزارة الأوقاف السعودية، (د.ط)، (د.ت).
47. رؤوف شلي، الدّعوة الإسلامية في عهدنا المكي: مناهجها وغاياتها، دار القلم، ط3، (د.ت).
48. رقية بنت نصر الله نياز، السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكائنها من حيث الاحتجاج والمرتبة والبيان والعمل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
49. سالم علي البهنساوي، تحافت العلمانية في الصحافة العربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1410 هـ، 1990 م.
50. سعد المرصفي، الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط1، 1430 هـ ، 2009 م.
51. سعيد بن علي ثابت، الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417 هـ.
52. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، (د، ط)، (د، ت).
53. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، (د، ط)، (د، ت).
54. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الثمر المجتني مختصر شرح أسماء الله الحسنى، مطبعة سفير، الرياض، (د، ط)، (د، ت).
55. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
56. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، فقه الدّعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد، ط1، 1421 هـ.

57. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1432هـ.
58. سليمان الباجي، أبو الوليد، الحدود في الأصول، ت: مُجَّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1424 هـ، 2003 م.
59. سيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1397 هـ، 1977 م.
60. سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، دار البعث، الجزائر، (د.ط)، 1408هـ، 1987م.
61. السيد سليمان الندوي، الرسالة المحمدية، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1423 هـ.
62. سيد العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسييري، جدة، ط1، 1424 هـ، 2004 م
63. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط17، 1412 هـ.
64. شحاتة مُجَّد صقر، شريعة الله لا شريعة البشر، (د.ط)، (د.ت)، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية.
65. صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، ط1.
66. طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1416هـ، 1995م.
67. الطيب برغوث، منهج النبي ﷺ في حماية الدّعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، ط1، 1416هـ، 1996م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
68. الطيب برغوث، الفعالية الحضارية والثقافية السننية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1425هـ، 2004م.
69. الطيب برغوث، قواعد المنهج في الحركة الحضارية ليوسف عليه السلام، دار قانة، الجزائر، ط1، 2008م.
70. الطيب برغوث، حركة تجديد الأمة على خط الفعالية الاجتماعية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1425هـ، 2004م.
71. الطيب برغوث، القدوة الإسلامية، دار الشهاب، الجزائر، ط1، 1984م.
72. الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الامتياز، الجزائر، ط1، 1990م.
73. عاطف رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (ط.ب)، 1432 هـ، 2011 م.
74. عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط2، (د، ت).
75. عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1995م.

76. عبد الحميد هندراوي، منهج الدّعوة في واقعنا المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1427هـ، 2006م.
77. عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ت: أبو قتيبة الفاريابي، دار طبية، (د. ط)، (د.ت).
78. عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ت: مُجد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1394هـ، 1974 م.
79. عبد الرحمن بن حسن حنبك الميداني، فقه الدّعوة إلى الله، دار القلم دمشق، (د.ط)، (. ت).
80. عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ، 1996م.
81. عبد الرحمن بن حسن حنبك الميداني، صراع مع الملاحدة حتى العظم، دار القلم، دمشق، ط5، 1412 هـ، 1992 م.
82. عبد الرحمن حسن حنبك الميداني، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، ط2، 1412 هـ، 1991 م.
83. عبد الرحمن الزيد، وقفات مع أحاديث تربية النبي ﷺ لصحابته، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون، العدد، 112، 1424هـ.
84. عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم، السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1421هـ، 2000م.
85. عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، أبو الفرج، الجوزي، أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت: مُجد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412 هـ، 1992 م.
86. عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، أبو الفرج، الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
87. عبد الرحمن بن ناصر البراك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، دار التدمرية، ط3، 1432 هـ.
88. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ، 2000 م.
89. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط4، 1423هـ.
90. عبد الرحيم بن الحسين، أبو الفضل، العراقي، شرح التبصرة والتذكرة، ت: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423 هـ، 2002 م.

91. عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ط1، 1420هـ.
92. عبد الرزاق بن همام، أبو بكر، الصنعائي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند ط2، 1403هـ.
93. عبد العظيم إبراهيم مُجَّد المطعني، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا ... وسيرة، مكتبة وهبة، ط1، 1414 هـ، 1993 م.
94. عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الفوائد في اختصار المقاصد، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1416هـ.
95. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2.
96. عبد العظيم المطعني، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، مكتبة وهبة، ط1، 1414 هـ، 1993 م.
97. عبد الغني المقدسي، الاقتصاد في الاعتقاد، ت: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1414هـ، 1993م.
98. عبد القادر صوفي، المفيد في مهمات التوحيد، دار الاعلام، ط1، 1422هـ-1423هـ.
99. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط9، 1421هـ، 2001م.
100. عب د الك ريم النملة، المه ذب في ع لم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرش د، ال رياض، ط1، 1420 هـ، 1999 م.
101. عبد الله بن عبد الحميد، الإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1424 هـ، 2003 م.
102. عبد الله العنزي، تيسير علم أصول الفقه، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ، 1997م.
103. عبد الله بن مُجَّد بن عبد العزيز، أبو القاسم، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1420هـ.
104. عبد الله بن مُجَّد، أبو بكر، ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409 هـ.
105. عبد المحسن العباد البدر، الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثانية، العدد الرابع ربيع الثاني 1390هـ.

106. عبد الملك بن هشام، أبو مُجَدِّ، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ، 1955 م.
107. عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ت: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، (د.ط)، 1406هـ، 1986م.
108. علي بن مُجَدِّ الجزري، أبو الحسن، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط1، 1417هـ، 1997م.
109. ابن أبي العز، صدر الدين مُجَدِّ ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1417هـ، 1997م.
110. العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415 هـ.
111. علاء الدين ابن العطار، العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1427 هـ، 2006 م.
112. علي بن حزم، أبو مُجَدِّ، الظاهري، جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
113. علي بن بلبان، الأمير علاء الدين الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط2، 1414هـ، 1993م.
114. علي بن الحسن الهنائي، الأزدي، المنتخب من غريب كلام العرب، ت: مُجَدِّ بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ، 1989م.
115. علي بن عبد الحي، أبو الحسن، الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق، ط12، 1425 هـ
116. علي بن عبد الحي، أبو الحسن، الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.
117. علي بن عبد الحي، أبو الحسن، إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق ط4، 1399 هـ، 1979 م.
118. علي بن مُجَدِّ الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403 هـ، 1983م.
119. علي بن مُجَدِّ، أبو الحسن، الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م.
120. علي بن خلف بن عبد الملك، أبو الحسين، ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ت أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط1423، 2هـ، 2003م.

121. علي مُجَّد الصَّلَائي، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 1422 هـ، 2001 م.
122. علي الصلابي، تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط1، 1422 هـ، 2001 م.
123. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، دار النفائس، بيروت، ط2، 1425 هـ.
124. عمر بن سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط4، 1410 هـ، 1989 م.
125. عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، القيامة الصغرى، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط4، 1411 هـ، 1991 م.
126. عمر بن علي، أبو حفص، ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، ط1، 1429 هـ، 2008 م.
127. عمر كحالة، معجم قبائل العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414 هـ، 1994 م.
128. عويد المطرفي، آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ط3، 1426 هـ، 2005 م.
129. عياض بن موسى، أبو الفضل، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (د.ت)، (د. ط) المكتبة العتيقة ودار التراث.
130. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآن ية؛ من أجل إبصار آيات الطريق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1430 هـ، 2009 م.
131. القاسم بن سلام بن عبد الله، أبو عبيد، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، ت: مُجَّد المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1418 هـ، 1997 م.
132. كاملة الكواري، المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، دار ابن حزم، ط1، 1422 هـ، 2002 م.
133. مبارك الملي الجزائري، رسالة الشرك ومظاهره، ت: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، ط1، 1422 هـ، 2001 م.
134. مُجَّد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: مُجَّد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 هـ، 1991 م.
135. مُجَّد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على مُجَّد خير الأنام، ت: شعيب الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1407 هـ، 1987 م.

136. مُجَّد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية، ت: عواد عبد الله المعتق، ط1، 1408هـ، 1988م.
137. مُجَّد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ، 1994م.
138. مُجَّد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ت: مُجَّد أحمد الحاج، دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية، ط1، 1416هـ، 1996م.
139. مُجَّد بن أبي بكر، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د.ت).
140. مُجَّد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ت: مُجَّد مرعب، دار إحياء التراث، بيروت ط1، 2001م.
141. مُجَّد بن أحمد، شمس الدين، أبو عبد الله، الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ، 2006م.
142. مُجَّد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله، الرسالة، ت: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ، 1940م.
143. مُجَّد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله، جماع العلم، دار الآثار، ط1، 1423هـ، 2002م.
144. مُجَّد بن إسماعيل، أبو إبراهيم، الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ت: أبو عبد الرحمن صلاح بن مُجَّد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.
145. مُجَّد بن إسماعيل، أبو عبد الله، البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ت: مُجَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
146. مُجَّد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله، الطبقات الكبرى، ت: مُجَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، 1990م.
147. مُجَّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنان، (د.ط)، 1415هـ، 1995م.
148. مُجَّد بن صالح بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1421هـ، 2001م.
149. مُجَّد بن صالح بن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط6، 1421هـ.
150. مُجَّد بن صالح بن عثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، (د. ط)، 1426هـ.

151. مُجَّد بن جرير، أبو جعفر، الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: أحمد مُجَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط، 1420 هـ، 2000 م.
152. مُجَّد بن جرير، أبو جعفر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط2، 1387 هـ.
153. مُجَّد بن عبد الكريم، أبو الفتح، الشهرستاني، الملل والنحل، (د.ط)، (د.ت)، مؤسسة الحلبي.
154. مُجَّد بن عبد الله، الجياني، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، ت: مُجَّد حسن عواد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411 هـ.
155. مُجَّد بن عبد الله، أبو عبد الله، الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 هـ، 1990.
156. مُجَّد بن علي بن آدم الإثيوبي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، دار المعراج الدولية للنشر، ط1، (د.ت).
157. مُجَّد بن عمر، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420 هـ.
158. مُجَّد بن عمر الحضرمي، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار، دار الحاوي، 1998 م، (د.ط)، بيروت.
159. مُجَّد بن أبي بكر الدماميني، مصابيح الجامع، دار النوادر، سوريا، ط1، 1430 هـ، 2009 م.
160. مُجَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي، سيرة ابن إسحاق، ت: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ط1، 1398 هـ، 1978 م.
161. مُجَّد بن إسحاق، أبوبكر، ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ت: مُجَّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
162. مُجَّد بن إسماعيل الصنعاني، أبو إبراهيم، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ت: أبو عبد الرحمن صلاح بن مُجَّد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ، 1997 م.
163. مُجَّد بن إسماعيل، أبو بكر، بن خلفون، المعلم بشيوخ البخاري ومسلم، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
164. مُجَّد بن فتوح، الأزدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ت: زبيدة مُجَّد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1415 هـ، 1995 م.
165. مُجَّد بن عبد الله، أبو بكر، ابن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1428 هـ، 2007 م.
166. مُجَّد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط1، 1996 م.

167. مُجَدُّ البركة، فقه الدَّعوة عند فريد الأنصاري، دار السلام، القاهرة، ط1، 1433هـ، 2016م.
168. مُجَدُّ أبو الفتح البيانوي، المدخل إلى علم الدَّعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1415 هـ، 1995م.
169. مُجَدُّ إمام، من روائع أبي الحسن الندوي في الدَّعوة إلى الله، مطبعة السلام، ميت غمر، مصر، ط1، 2005 م.
170. مُجَدُّ البشير الابراهيمي، آثار الإبراهيمي، ت: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
171. مُجَدُّ جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ت: مُجَدُّ باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ، (191/9).
172. مُجَدُّ حازم عبد الرحيم، وقفات مع قضايا معاصرة شبّهات ردود، بداية للإنتاج الإعلامي، ط1، 2010 م، 1431 هـ.
173. مُجَدُّ الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1427 هـ، 2006 م.
174. مُجَدُّ بن صامل السلمي، صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، مكتبة روائع المملكة، جدة، ط1، 1431 هـ، 2010 م.
175. مُجَدُّ صديق خان، أبو الطيب، القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت(د.ط)، (د.ت).
176. مُجَدُّ صديق خان، أبو الطيب، القنوجي، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدَّعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ.
177. محمّد بن محمّد الحسيني، أبو الفيض، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية(د.ط)، (د.ت).
178. مُجَدُّ بن أحمد، أبو الوليد، ابن رشد الأندلسي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 1425هـ، 2004 م.
179. مُجَدُّ بن الحسن الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.
180. مُجَدُّ الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ، 1996م.

181. مُجَّد أبو زهرة، الحديث والمحدثون، دار الفكر العربي، (د. ط)، 1378هـ.
182. مُجَّد بن مُجَّد، ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار القلم، بيروت، ط1، 1414هـ، 1993.
183. مُجَّد سليمان المنصورفوري، رحمة للعالمين، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، (د.ت).
184. مُجَّد أبو شهبه، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ط8، 1427 هـ.
185. مُجَّد الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، ت: مُجَّد إسحاق إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ، 2011 م.
186. مُجَّد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة مكتبة العبيكان، ط5، 1424 هـ، 2004 م.
187. مُجَّد بن عبد الله الخرشبي، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، (د. ط)، (د.ت).
188. مُجَّد بن عبد الهادي، أبو الحسن، السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، (د. ط).
189. مُجَّد بن علي الأثيوبي، إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414 هـ، 1993 م.
190. مُجَّد العواجي، أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
191. مُجَّد الجممي، التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1433هـ.
192. مُجَّد بن مُجَّد، أبو حامد، الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، قبرص ط1، 1407هـ، 1987م.
193. مُجَّد المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
194. مُجَّد بن موسى الشريف، التورث الدعوي، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422 هـ، 2002 م.
195. مُجَّد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ، 1990م.

196. مُجَّد بن علي التميمي، الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، 2002م.
197. مُجَّد بن عمر، أبو عبد الله، الواقدي، المغازي، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط3، 1409 هـ، 1989م.
198. مُجَّد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ، 2003م.
199. مُجَّد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، تخ: مُجَّد ناصر الدين الألباني، ط1، 1427 هـ.
200. مُجَّد الطاهر، بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
201. مُجَّد بن مُجَّد حسن شراب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1411هـ.
202. مُجَّد بن مكرم، أبو الفضل، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
203. مُجَّد بن يزيد، أبو عبد الله، ابن ماجه القزويني، السنن، أبواب السنة، باب أتباع سنة الخلفاء، ت: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ، 2009 م.
204. مُجَّد بن يعقوب أبو طاهر، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ، 2005 م.
205. مُجَّد بن يوسف الصالح، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1993 م.
206. مُجَّد بن يوسف الكرمان، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1356هـ، 1937م.
207. محمود بن أحمد، أبو مُجَّد، بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (د، ط)، (د، ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
208. محمود بن عمرو، أبو القاسم، الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، ت، علي مُجَّد البجاوي، دار المعرفة، لبنان ط2، (د.ت).
209. محمود بن عمرو، أبو القاسم، الزمخشري، أساس البلاغة، ت: مُجَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1998 م.
210. محمود بن عمرو، أبو القاسم، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.

211. محمود بن عمرو، أبو القاسم، الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط1، 1412 هـ.
212. محمود شكري الألوسي، أبو المعالي، السيوف المشرفة ومختصر الصواعق المحرقة، ت: مجيد الخليفة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1429 هـ، 2008 م
213. محمود شيت خطاب، الرسول القائد، دار الفكر، بيروت، ط7، 1422 هـ.
214. محمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، دار القلم، دمشق، ط1، 1419 هـ، 1998 م.
215. مصطفى الزرقا، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، ط2، 1409 هـ، 1989 م.
216. معمر بن المثنى، أبو عبيدة، شرح نقائض جرير والفرزدق، ت: مُجَدِّ إبراهيم حور، وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1998 م.
217. مسلم بن الحجاج، أبو الحسن، القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: مُجَدِّ فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
218. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر، بيروت، ط1، 1420 هـ، 1999 م.
219. مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، ط3، 1405 هـ، 1985 م.
220. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، ط3، 1421 هـ، 2000 م.
221. منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، جامعة أم القرى، مكة، ط3، 1413 هـ، 1992 م.
222. ناجي بن دايل السلطان، دليل الداعية، دار طيبة الخضراء، ط1، (د، ت).
223. نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط9، 1422 هـ، 2001 م.
224. ناصر بن علي عائض حسن، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1421 هـ، 2000 م.
225. نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، ط142، 1 هـ، 2001 م.
226. نور الدين مُجَدِّ عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1418 هـ، 1997 م.
227. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط: 1420 هـ، 2000 م.
228. مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، ط: 1420 هـ، 2000 م.
229. مجموعة من أساتذة كلية العلوم الإسلامية باتنة، الجزائر، منهجية البحث في العلوم الإسلامية، ط1، 1437 هـ، 2016 م، دار الكتاب القاهرة.

230. وحيد بن عبد السلام بالي، الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية، دار الفوائد، ط2، مصر، 1428 هـ، 2003 م.
231. ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله، الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م.
232. يحيى بن شرف، أبو زكريا، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392 هـ.
233. يحيى بن شرف، أبو زكريا، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د.ت).
234. يحيى بن شرف، أبو زكريا، النووي، رياض الصالحين، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1419 هـ، 1998 م.
235. يحيى بن مُجَّد، أبو المظفر، ابن هُبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، 1417 هـ.
236. يوسف بن عبد الرحمن، أبو الحجاج، المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400 هـ، 1980 م.
237. يوسف بن عبد الله، أبو عمر، ابن عبد البر، الاستذكار، ت: سالم مُجَّد عطا، مُجَّد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ، 2000 م.
238. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، علم فهرسة الحديث، نشأته، تطوره، أشهر ما دُون فيه، دار المعرفة. بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ط). أحيانا تعتمد اسم الشهرة للمؤلف وأحيانا لا ؟ قارن بين الملونين مثلا عليك التزام طريقة واحدة سواء في المراجع أو الهوامش
239. يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط1، 1415 هـ، 1995 م، مكتبة وهبة، القاهرة.
240. يوسف القرضاوي، جيل النصر المنشود، ط3، 1412 هـ، 1992 م، مكتبة وهبة، القاهرة.
241. يوسف القرضاوي، فقه الأولويات، ط1، 1416 هـ، 1996 م، مكتبة وهبة، القاهرة.
242. يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الإسلام، ط3، دار الشروق، مصر، 1422 هـ، 2001 م.

1	مقدمة
13	تمهيد: ضبط المصطلحات وتعريف البخاري وصحيحه
15	الفرع الأول: تعريف الأبعاد
20	الفرع الثاني: تعريف الدعوة
25	الفرع الثالث: تعريف الغزوات
31	المطلب الثاني: التعريف بالبخاري وكتابه الجامع الصحيح
31	الفرع الأول: تعريف بالإمام البخاري
37	الفرع الثاني: التعريف بالجامع الصحيح
42	الفرع الثالث: كتب وأبواب الصحيح وعلاقتها بموضوع الدراسة
50	الفصل الأول: الأبعاد الدعوية الرسالية
51	المبحث الأول: الأبعاد الدعوية العقديّة
52	المطلب الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالإلهيات
52	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بتوحيد المعرفة والإثبات
69	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بتوحيد القصد والطلب
78	المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالسّمعيّات
78	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالنبوة
94	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالغيبيات
108	المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية التشريعيّة
108	المطلب الأول: الأبعاد الدعوية لأصول الرسالة التشريعيّة الأصليّة
108	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية للقرآن الكريم
118	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية للسنة النبوية
133	المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية لمصادر التشريع التبعيّة
133	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية للإجماع
136	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية للقياس

142	المطلب الثالث: الأبعاد الدعوية للفعل التشريعي في الغزوات
142	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالفعل التشريعي التعبدي
149	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالفعل التشريعي المعاملاتي
157	الفرع الثالث: الأبعاد الدعوية للفعل التشريعي الجنائي
162	الفصل الثاني: الأبعاد الدعوية السلوكية
164	المبحث الأول: الأبعاد السلوكية المتعلقة بالداعية
165	المطلب الأول: الأبعاد الدعوية العلمية المتعلقة بالداعية
165	الفرع الأول: فضل العلم وحاجة الداعية إليه
169	الفرع الثاني: فقه الداعية لمقتضيات الدعوة ومتطلباتها
183	المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية الأخلاقية والقيادية المتعلقة بالداعية
184	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية الأخلاقية الذاتية المتعلقة بالداعية
199	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية الأخلاقية الاجتماعية المتعلقة بالداعية
210	الفرع الثالث: الأبعاد الدعوية للصفات القيادية المتعلقة بالداعية
219	المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمدعو
220	المطلب الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعو
220	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحق تبليغ الدعوة
223	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحق العناية بكل الفئات
227	الفرع الثالث: الأبعاد الدعوية لحق المتابعة المستمرة للمدعوين
231	الفرع الرابع: الأبعاد الدعوية لحق التدريب الدعوي
236	المطلب الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين
237	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بصنف الملاء
245	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بصنف المنافقين
256	الفصل الثالث: الأبعاد الدعوية المنهجية
258	المبحث الأول: الأبعاد الدعوية للمنهج الوجداني
258	المطلب الأول: أسلوب الموعدة الحسنة

259	الفرع الأول: أسلوب الوعظ بالخطابة
267	الفرع الثاني: أسلوب الوعظ بالترغيب والترهيب
273	المطلب الثاني: أسلوب المعاملة الحسنة
273	الفرع الأول: أسلوب المعاملة بالقول الحسن
280	الفرع الثاني: أسلوب المعاملة بالفعل الحسن
288	المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية للمنهج العقلي
288	المطلب الأول: أسلوب القياس العقلي
288	الفرع الأول: أسلوب قياس الأولى
292	الفرع الثاني: أسلوب التعليل
296	المطلب الثاني: أسلوب الجدل العقلي
296	الفرع الأول: تعريف الجدل وبيان ضوابطه
299	الفرع الثاني: نماذج من الأسلوب الجدلي في الغزوات
310	المطلب الثالث: أسلوب الاعتبار بالقصص
310	الفرع الأول: أسلوب الاعتبار بالقصص العام
314	الفرع الثاني: أسلوب الاعتبار بالقصص الخاص
319	المبحث الثالث: الأبعاد الدعوية للمنهج الحسي
319	المطلب الأول: أسلوب القدوة الحسنة
319	الفرع الأول: مفهوم القدوة الحسنة
321	الفرع الثاني: الاستعمال الدعوي لأسلوب القدوة الحسنة في الغزوات
334	المطلب الثاني: أسلوب تغيير المنكر باليد
334	الفرع الأول: مفهوم الإنكار باليد وأهميته الدعوية
340	الفرع الثاني: الاستعمال الدعوي لأسلوب تغيير المنكر باليد في الغزوات
347	الفصل الرابع: الأبعاد الدعوية المقاصدية
349	المبحث الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمقاصد العامة
350	المطلب الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بحفظ الكليات الكبرى للشريعة

350	الفرع الأول: الأبعاد الدعوية المتعلقة بكلية حفظ الدين
356	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بكلية حفظ النفس
379	المطلب الثاني: الأبعاد المتعلقة ببيان محاسن وخصائص الدعوة الإسلامية
379	الفرع الأول: الأبعاد المتعلقة بخاصية العموم
388	الفرع الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بخاصية الشمول
396	الفرع الثالث: الأبعاد الدعوية المتعلقة بخاصية المثالية والواقعية
403	المبحث الثاني: الأبعاد الدعوية المتعلقة بالمقاصد الخاصة
404	المطلب الأول: المقصد الدعوي الدفاعي للغزوات
404	الفرع الأول: مواجهة التحديات الخارجية
409	الفرع الثاني: مواجهة التحديات الداخلية
416	المطلب الثاني: المقصد الدعوي التمكيني للغزوات ^١
416	الفرع الأول: التمكين الجيو سياسي للدعوة الإسلامية
425	الفرع الثاني: التمكين الاقتصادي
436	الفرع الثالث: التمكين الديني
447	الخاتمة:
451	فهرس الآيات:
454	فهرس الأحاديث:
457	قائمة المصادر والمراجع:
473	فهرس الموضوعات

الملخص:

لقد شغلت الغزوات النبوية وما اتصل بها من بعوث وسرايا مساحة واسعة من السيرة النبوية من أجل ذلك حظيت بالعناية الفائقة من قبل المحدثين والإخباريين وكتاب السيرة في القديم والحديث وممن اعتنى بمروياتها الإمام البخاري الذي عقد لها كتابا في صحيحه تناول فيه المغازي من أول غزوة إلى وفاة النبي ﷺ ولم يقتصر على المعارك فحسب بل تناول مقدمات وملابسات ونتائج الغزوات وفق شرطه القائم على انتقاء أصح الرويات ومنهجه المبني على الاختصار وعدم الاستيعاب، وعند تتبع تلك الرويات تجدها مفرقة على جل أبواب الصحيح مما يجعل قارئ الصحيح يطرح فرضية الغزارة الفقهية لمرويات المغازي بما في ذلك الفقه الدعوي بعدما كادت أن تستبدها الطبيعة القتالية للغزوات، وقصد الكشف عن تصديقات هذا التصور جاءت هذه الرسالة للإجابة الإشكالية التالية، وما يتفرع عنها من تساؤلات:

ما الأبعاد الدعوية لغزوات النبي ﷺ من خلال صحيح البخاري التي تضمنتها مرويات

المغازي وتراجمه عليها؟

وتهدف الدراسة لإبراز الأبعاد الدعوية الرسالية العقدية والتشريعية والأبعاد السلوكية المتعلقة بالداعية والمدعو والأبعاد المنهجية الحسية والعاطفية والعقلية والأبعاد المقاصدية العامة والخاصة لمرويات المغازي من خلال مرويات البخاري وتراجمه عليها، وقد قسمت الرسالة إلى تمهيد ضبطت فيه مفاهيمها، وأربعة فصول كل فصل تناول بعد من الأبعاد السابقة.

وفي النهاية أسفر البحث عن جملة من النتائج والتوصيات، كان أبرزها غزارة مرويات المغازي بالمضامين الدعوية التي غطت كل أبعادها، كما كشفت عن عمق الفقه الدعوي للإمام البخاري الذي تجلّى في دقة تراجمه على مرويات المغازي.

وأما التوصيات فكان أهمها التوصية بضرورة العناية بكتب السنة وشروحها في التأصيل والترشيد الدعوي من خلال البحوث الجامعية والملتقيات والمؤتمرات لتحقيق التكامل المعرفي بين الدعوة الإسلامية ومصادرها الأصلية وما نبثق عنها من تراكمات معرفية.

Abstract:

The prophetic invasions and the missions and companies related to them occupied a wide area of the Prophet's biography, for this reason they received great care from the modernists, the chroniclers and the book of biography in the old and the hadith, and those who took care of their narrations, Imam al-Bukhari, who held a book for it in his Sahih, in which he dealt with the conquests from the first invasion to the last. The death of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, was not limited to battles only, but dealt with the introductions, circumstances and results of the invasions according to his condition based on selecting the most correct narrations and his approach based on brevity and lack of comprehension. Maghazi, including advocacy jurisprudence, after it was almost excluded by the combative nature of the invasions, and with the intent of revealing the ratifications of this perception, this letter came to answer the following problem, and the questions arising from it :

What are the advocacy dimensions of the conquests of the Prophetg Through Sahih al-Bukhari included in the Maghazi narrations and his translations on them?

The study aims to highlight the religious and legislative missionary dimensions of the missionary and the behavioral dimensions related to the preacher and the invitee, the sensory, emotional and mental methodological dimensions, and the general and specific intentional dimensions of the Maghazi narratives through Al-Bukhari's narratives and his translations on them.

In the end, the research resulted in a number of results and recommendations, the most prominent of which was the abundance of Maghazi narrations with advocacy contents that covered all its dimensions, as it revealed the depth of the advocacy jurisprudence of Imam Al-Bukhari, which was manifested in the accuracy of his translations on the Maghazi narrations.

As for the recommendations, the most important of which was the recommendation that the books of the Sunnah and their explanations should be taken care of in rooting and rationalizing the da'wah through university research, forums and conferences to achieve knowledge integration between the Islamic da'wah and its original sources and the accumulation of knowledge that we emanate from.

